

الجزء الثالث من كتاب صورة الاعتبار بمستودع الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكياء

وحيد دهره وفريد دهره

الشيخ محمد دبيرم الخامس

التونسي نفعنا الله

به وبه اومه

آمين



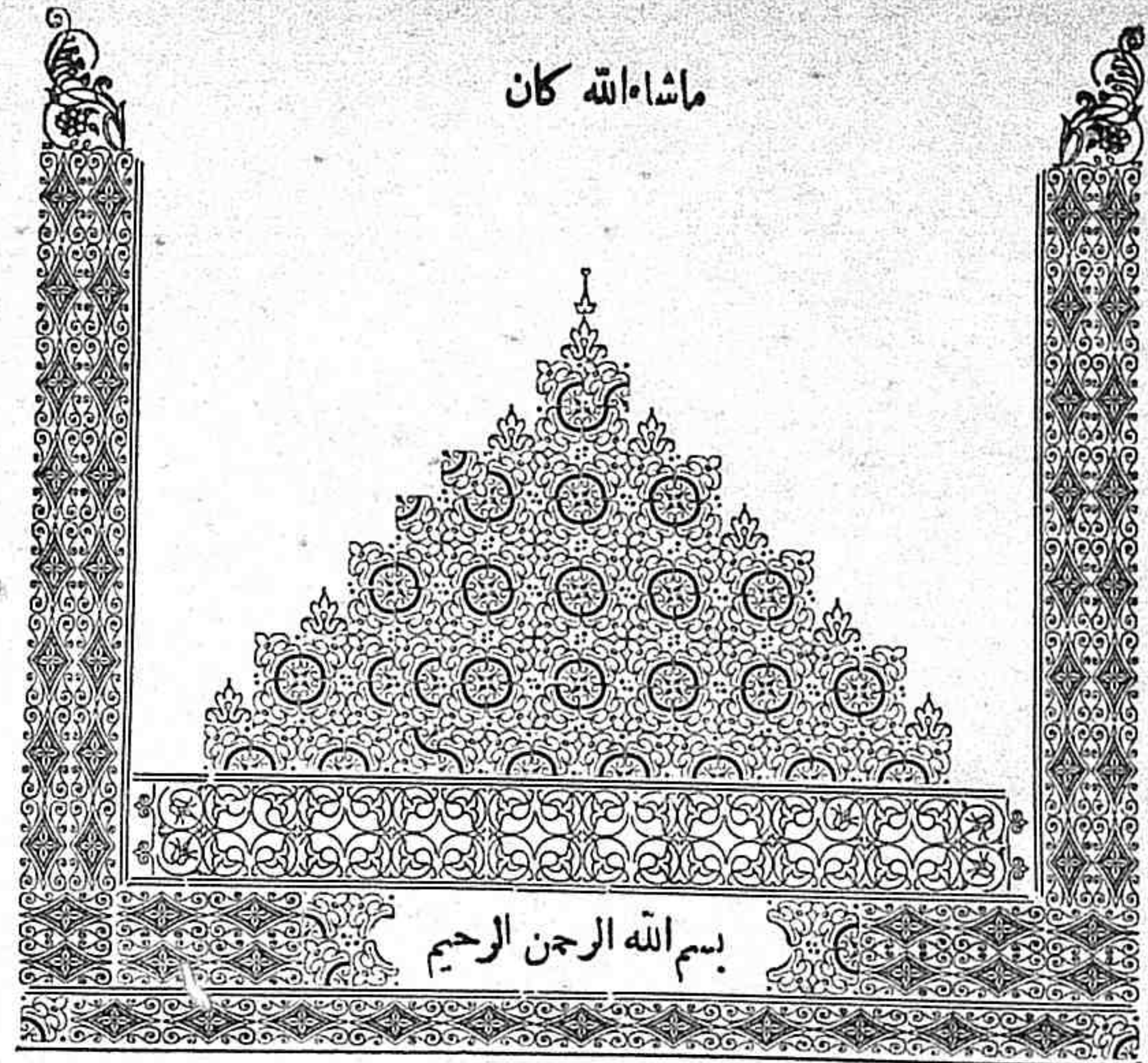
6552/2

لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن
تجاري على ذلك يحاكم حسب القوانين

طبعة أولى

بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٢ هجرية

Süleymaniye Kütüphanesi	
Kısım	İçerik
Yeni Kayıt No.	
Eski Kayıt No.	4005/III-IV



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في إيطاليا

فصل في سفرى إليها وما رأيت به من المآثر كثرى المرض العصبى فى صائفة سنة ١٢٩٢ ودامت معالجته على نحو ما مر ذكره فى الباب الأول من المقصد وأشارت على الأطباء بالسفر إلى أوروبا عزم على ذلك فى شوال سنة ١٢٩٢ الموافق إلى أوخر نهر الأبحى واستأذنت الحكومة فكتبته على عادة المسافر بن بطاقة الجواز بالاذن فى السفر من مرسى حاق الوادى وهى بطاقة عليها إشارة الحكومة وتكتب تارة بالفرنساوى وتارة بالعربى وذلك على حسب المكان المسافر إليه فان كان بلدة أفريقية كتبت بالفرنساوى وان كانت إسلامية كتبت بالعربى وهذه العادة بهذا كرا الجواز مع مولى به فى أكثر الممالك وبعض الممالك يتركونها فلا يحتاج الداخل ولا الخارج لاذن وركبت من المرسى المذكورة فى التاسع عشر من شوال سنة ١٢٩٢ وكان معى خادمان أحدهما يتكلم باللسان الطليانى والفرنساوى والألمانى والعربى وصاحبى فى هاته الجهة العالم النهر بر المتبحر فى علمي العقول والمنقول الشيخ سالم أبو حاجب أحد أفاضل مدرسى

جامع

جامع الزيتونة حيث كان له مأمورية فى إيطاليا مع وزير الاستشارة أمير الامراء حسين فى خصوصية تتعلق باحدا تابع الحكومة التونسية المسمى بنسيم شمسمة الذى كان مكلفا بقبض أموال الحكومة وشراء المهجات إليها وخرج من القطر بدون تحرير الحساب معه كما مر فى ترجمة الوزير مصطفى خزندار وذلك فى حدود سنة ١٢٨٩ وبقي يتردد بين فرنسا وإيطاليا إلى أن مات فى بادليفرنوم إيطاليا وطلبت الحكومة من وراثته تحرير الحساب وكاد أن يقع صلح بينهما ثم خرج الورثة كما مر ذكر ذلك فى ترجمة الوزير المذكور ولذلك لزم الحكومة أن عينت أحدهم وزيراً وهو أمير الامراء حسين ومعه العالم الشيخ سالم لطلب الحساب وتوقيف التركة فذهب إلى هناك وباشرا النازلة وطالت المدة فرجع الشيخ المشار إليه إلى تونس لبعض مصالح ثم عاد إلى مأموريته وكان من المنفعة الإلهية التصاحب معه فركبنا باخرة البريد الطليانى المسماة بفور يا ونزلنا فى الطبقة الأولى وكان كراه الواحد منهم من تونس إلى نابلى مائة وعشرين فرساً وكأوأما فى الطبقة الثانية فثمانون فرنساً وكأوأما فى الثالثة فعشرون فرنساً كالان الأولى والثانية كلاهما يعطى الأكل والفرش بخلاف الثالثة فانها لا يحمل فقط مع الاختلاف فى المكان والفرش والا كل فى كل بحسبه فاقبلنا من المرسى يوم الاربعاء بعد الزوال بنحو خمس ساعات وكان فى البحر شئ من الاضطراب فحصل لى شئ من الدوار واشتد الأمر لما جاوزنا رأس غار الملح فاضطجعت فى فراشى وأوفى الحالات للانسان هى الاضطجاع وهذا الدوار البحرى من أشد الامراض لمن يصاب به وبعض من الناس لا يعتريه شئ منه وان لم يكن متعوداً وقد كنت قبل الر كواب استعملت بإشارة الطبيب ثلاثة حقنات فى الجلد من العلاج المسكن لى لا يزيد على ألم البحر الا لم العصبى ومن فضل الله لى به ترضى ذلك الا لم مدة الطريق وبقيت الحال كذلك إلى ان وصلنا إلى جزيرة سردينيا قرب مرسى كالارى فدخلت الباخرة فى جون محاط بالجبال عن بعد فمكن البحر ونشطت وهو من غرائب مرض البحر إذ شدته تقضى ان الانسان يبقى معه التعب وهو بخلاف ذلك لانه اذا انقطع الاضطراب يحصل النشاط الا قليلاً ولما نشطت صعدت إلى سطح الباخرة فرأيت الجبال محيطة بنا وهى جميلة أكثرها صلبة لا غابات بها ومنظرها ليس بحسن وأغلبها خال عن العمران لان التمدن لم ينفذ فى تلك الجزيرة ولم ينزل سائر بنى فى ذلك الجون نحو ثلاث ساعات وكانت الباخرة تسير عشرة أميال فى الساعة إلى ان أرسينا فى مرسى كالارى التى هى تابعة لإيطاليا وكان ذلك صبيحة يوم الخميس قبيل الزوال فاذا

بالمرسى مبنية بالرصيف لا من السفن بحيث تستطيع أعظم سفينة أن تلصق بالبر مع
الامن من اضطراب البحر والاصقة بالبر ينزل سلمها على ذات البر وفي المرسى كثير من
السفن والبواخر لان موقعها متوسط فيأتيها البريد من جهات ويفرق على بواخر كل
تذهب الى جهة من الممالك الشرقية والمغربية ثم يحمل من الجزير في السفن الملح
والغلال والاثمار الى كثير من الجهات ثم نزلنا من الباخرة في زورق كراؤه فرنك واحد
والزوارق كثيرة تحيط بالباخرة واصحابها سيوا الاخلاق مع المسافرين يغرونهم بالركوب
قبل المساومة في الاجر فاذا نزل طلبوا منه اضعاف القيمة ورجعوا ما وجدوه معه ان
امكنهم وذلك ديدنهم في كل المراسي لكننا ساءلنا في الركوب ودخلنا البلد فاذا هي
بلد غير متحصنة واغلب طرقها ضيق وانبساط على النحوا لاورو باوى الاتى بيانه ولا
تريد طبقات دورها على أربعة وهي بلدة متصاعدة في الجبل وطرقها جميعا مبطنة
فالذى ترفيه الجبلات يكون محصنا وغيره محجور بحجارة غير مسواة ولذلك كان منظرها
والمشي بها متعبا وترى الجبال ممتدة بين شيايك الدبار من احدى الجهات الى ما
يقابلها لشرايا المصنوعة على طرفش الدبار مثل الفرش الارو باوى وباعلى
البلد ستمان عمودى منزهة للعامة وتأتيه الموسيقى العسكرية بالسط العامة عشية
الاحد والاعباد وفيه ما نابيع حلو وبه اشجار صغيرة مهيأت للبيع في اوقاتها وفي البلد
منازل للمسافرين من الحسن ومنهم ما هو دونه وبها حوانيت وبطحات غير متسعة جدا
وبها قهاوى ويباع بحوانيتها جميع ما يوجدها بالامن الضروريات والحاجيات
والتحسينات وفيها مستشفى ومدارس للتعليم في مبادئ الفنون وبها مطابع ايضا وفيها
صحف يومية نحو الاربعه وهواء البلد رديته كثير فيها الحيات في الصيغ لجوارتها
لسبخة وهاته السبخة يستخدم فيها اصحاب الجرائم الثقيلة المحكوم عليهم من محاكم
ايطاليا وفيها معمل كبير من البناء لذلك محلو بله الماء في قناته من البناء مجتازة
قرب شاطئ البحر ظاهرة للناس وبسبب تلك السبخة فسد دها كلالى حتى يقال ان
عدد اهلها كل عام في نقصان وقد شرع في مد طريق حديدية من هاته البلدة التي
موقعها في الجنوب الغربي من الجزيرة التي هي مسطبة من الجنوب الى الشمال
ويتمى الطريق في الشمال الشرقي من الجزيرة غير انه لم يتم الى الآن ولا زال العمل
فيه ثم اهل البلد على قسمين (الاول) الاعيان والوافدون وكلاهما الباسم مثل لباس
الارو باوين (والثاني) بقية الاهالى ومثلهم بقية سكان البوادي والقرى في الجزيرة

يلبسون

يلبسون جلود النعم بصوفها فالصوف مما يلي البدن والجلود من اعلى وهيئة اللبس هي
صدريه ومثان وسراويل ونحو السراويل التونسية لكن يجعلون على الساق البسة
مربوطة والنعال خشنة ذات مسامير كبيرة وعلى رؤسهم عراقرق من الصوف او قلايس من
الصوف المنسوج طوال مدلاة على اكتافهم والنسوة يلبسن قريسا من نسوة اوروبا
ليكن على شكل غير ضروري ارجل اغلبهن قباقيب من خشب ولغتهم طليانية والغالب
هو عدم التمدن والا كل رخص هناك فالقهوة لثلاثة من اطلب صاحبها مناسطة صولدى
والفرنك به عشرون صولدى كل صولدى خمسة سائيم ثم ركبنا باخرة اخرى وهي
التي توصلنا الى نابلي بعد ان احسننا الى خدمة الطمقة التي كنا فيها وذلك من اللوازم
في الباخرة وكذلك الاحسان لحادى المطاعم والقهاوى ومقدار الاحسان نحو خمسة
في المسائفة مما يدفعه الدافع فان كان أقل نوزع في ذلك وان زاد شكر ونقلنا رحلتنا الى
الثانية فاقلمت قرب الغروب وتوجهنا الى نابلي فلم نزل الباخرة سائرة والبحر ساكن
الى أن خر جناح المجون وانفتحت الباخرة متوجهة الى الشرق وأرخى الظلام سدوله
فقمنا في مضاجعنا الى الصبح فاستيقظنا بكرة وحيث كان البحر في سكون كان يسر تطيع
الانسان أدان جميع ضرورياته والوضوء والصلاة على اكمل حال وبعد شروق الشمس
أول ما اكتشفنا قرب نابلي جزيرة اسكيا وبها جبل مرتفع وهي تحتوى على قرى كثيرة
ولها منظر جميل من بعد لارتفاع مبانها وترى يقها من خارج ثم ظهر ربركان نابلي
وهو جبل مرتفع متصاعد من قمته دخان ثم وصلنا الى مرسى نابلي والبلد في سفح الجبل
وهي أكبر مدن ايطاليا كانت تحت الملك النابليان وسكانها نحو أربع مائة ألف نسمة
وهي محيطة بجون في البحر على شكل هلال والمرسى في الوسط وهي مرسى صناعية
أكبر من مرسى كالارى غير أن السفن في وقت وصولنا اليها أقل من الاولى فتعرض لنا
هندارساء الباخرة أحد المعارف في زورق لانه باغته خبر قدومنا بسلك الاشارة من كالارى
فاصطحبنا جميعا ومررنا بوسط الكرك ونظرنا المكفون به رحلتنا فلم يجدوا به شيئا يودى
الكرك سوى شئ من النشوق وماء الزهر فاخذوا ما علمهم من الضريرة ثم ركبنا
بكروسيتين من الكراريس الموجودة في بطحاء الكرك مهيأت لمن يريد الركوب
وهي كرايس نظيفة أغلبها يركب راكبين فقط من النوع الذى ينخس سقفه الى خلف
ومثلها موجود في أغلب الجهات الكثيرة العجوزان من البلاد وتجربها الخيل وأما عجلات
حمل الاثقال فتجربها الخيل والبعال والبقروه كذا في غيرها من الامم لان غيران المقر

لا تستعمل في الجرفي أعالي ايطاليا وفرنسا ثم نزلنا بأحد منازل المسافرين بعد أن ردنا فيه بيوتنا على نحو ما يليق بنا وهو منزل كبير ذو خمس طبعات له شبائيك تفتح على نهج واسع يسمى طريق البوسطة وله شبائيك على بطحاء واسعة بها أفوارتان للساء العذب المجلوب من الجبل الموزع على البلد وعلى ديارها وسائر مساكنها وكان الكراء لاربعة تنافى اليوم للسكنى والأكل خمسة وعشرين فرنكا سواء أكلنا أم لا وما زاد على ذلك مما يطلبه الانسان يؤتى به اليه لكنه يحسب عليه بنهجه كالورق للكتابة والشمع وغير ذلك بحيث انه كلما يطلبه يحمله وغايته ان لا يكون انسان أن يساوم مدير المنزل قبل الايمان بالشيء المطلوب والا فانه يحمل عليه باسعار باهظة وأما الاشياء الضرورية فهي داخله في اجرة السكن والا كل وهي ان يجد الانسان بيتا ذا فراش للنوم بغطائه ولوازمه وكرامى مكسوة بالحري وخرقة وعليها مراء وساعة وسائر الضروريات ومصباح وشعلة وما نلده لوضع الكتب وآلات الكتابة ومناديل للتنشيف من الماء عند الغسل وهكذا سائر الضروريات الا ابريق للستران فينبغي حمله الى جميع جهات أوربا بالذليو جدد عندهم وليسوا بعودين عليه وهو من العادات اللازمة للسيرة الاسلامية والنظافة كما انهم في أوربا لا يغسلون أيديهم بعد الاكل أما قبله فمن آدابهم أن يغسل الانسان يديه ووجهه في بيته ويأتي بيت الطعام بشباب نظيفة غير ان من أراد غسل فمه وأصابه بعد الاكل فله أن يطالب من الخادم في بيت الطعام أن يأتيه بما يغسل به فيأتيه بصحن فيه قدح من الزجاج أو الخزف وفيه كأس به ماء حار قليل المخلوط بشيء من رائحة الطيب فيتمضمض به ويجمع الماء في القدح ويدخل أصابعه في الكأس ويمسح بها شفتيه ثم يمسح في منديل ثم ان بيت السكنى مفروش بالزرابي وعلى أبوابه أردية رفيعة وهو في غاية النظافة وله خادم لتنظيف البيت وتهبئة الفرش وعند الاستيقاظ يدعو الساكن الخادم فيأتيه بالقهوة وما يتفق عليه من الاكل صبا ثم ينظف الخادم البيت ويغير المناديل واردة الفراش ان كان بها أدنى وسخ وعند الظهر أو قبله بساعة يضرب جرس للتهئ للكل ثم بعد خمسة عشرة دقيقة يضرب الجرس مرة اخرى لحضور الساكنين من بيوتهم الى بيت الطعام وهو بيت مقدس مع فيه مائدة كبيرة أو أزيد يجلس عليها الحاضرون فوق كرامى ويفرق عليهم الاكل سواء الاغاب أن يكون أربعة أنواع أو خمسة من اللحوم والطيور والسمك ثم نوع من الجبن ثم فاكهة ثم ينصرفون ومن أراد الاكل في بيته فله ذلك غير أنه يحسب عليه بزيادة في الثمن أو يعطى أقل من ألوان

المائدة

المائدة العامة وكذلك وقت العشاء وهو في الاغلب بعد الغطور بسمع ساعات ولما كان المسافرين يريدون التفرج فالاولى أن لا يكثرى المنزل الا للسكنى وأما الاكل فيجعل له سوم خاص لكل أكلة ان حضرا كل والا فلا يحسب عليه شيء لكي لا يلزمه الحضور والا كل في محل واحد أو انه يخسر ثمنه من الاكل باعطائه عن الاكل في منزل السكنى ثم في المكان الذي يأكل كل به وإذا خرج المسافر يقفل بيته ويعطى مفتاحه لصاحب الباب لكي يكون رحله في أمن اذ يكثرى السرقة في البيوت أحيانا سيما في نابلي ولا يطالب صاحب المنزل بما يسرق الا اذا كانت الاشياء المسروقة ضرورية ووضعها في البيت كالصندوق وأما المال والمصوغ وشبهه فلا ولذلك ينبغي ان له شيء من ذلك ان يحمله معه أو يضعه في أحد البنوك لان وضعه عند صاحب المنزل محظور وان أخذ منه حجة في ذلك اذ يحتمل افلاسه فتذهب الامانة سدى ولذلك يكون الاوفق للمسافر أن يحمل معه من المال العين شيئا قليلا وبقيته ماله يصرفه بتذاكر بانسكات معتبرة كبنك فرنسا أو ان كانت كثيرة ويحملها معه اينما ذهب لمخفئها ويستريح ومعهما أراد عين المال يصرف تذكرة من تلك التذاكر عن أى صراف أراد بل ربحا ربح فيها اذ خصوص تذاكر البنوك الفرانساوى والاى كبرى يرغب فيها أن يمد من المال العين ولذلك يؤخذ عليها نصف في المائة زيادة عن قيمتها بخلاف تذاكر بنوك ايطاليا أو غيرها فانها لا تصرف في غيرها لئلا يكتفى في ذات مملكتها تعطى الصراف أقل من قيمتها فمثلا التذكرة المسمى بها مائة فرنك من بنك ايطاليا اذا أردت أن تدفع المال وتأخذها فانك تعطى مائة فرنك عينا وتأخذ مائة وثلاثة عشر ورقا وهاته الأوراق هي التي بها الزواج في ايطاليا بحيث انها هي المعنية عند الاطلاق وفي ايطاليا عدة بنوك لها تذاكر من ذلك النوع فاما تذاكر بنك الدولة فانها تروج في جميع ايطاليا سواء وأما تذاكر بنوك صيرفة أخرى فلا تروج الا في خصوص البلدان التي فيها البنك فمثلا تذاكر بنك نابلي لا تصرف في رومة أو غيرها من مدن ايطاليا فضلا عن غيرها فينبغي لمن سافر أن يتجه له هذا وقد أقدمنا نابلي ثمانية أيام وتفرجنا على أغلب جهاتها وغرائبها وأشهر طرقها المحسنة بالهيجة هو طريق توليدو وهو متسع عام بميثاوشمالا بالقصور الشاهقة وبأسفلها الخوانيت للبضائع والتحف الانيقة ويقرب منه في المنظر طريق البوسطة وطريق الدومو ثم طريق جديد يسمى فوريدو وهو أوسع من غيره وأبرز وعلى حافته الاشجار لكن القصور التي حوله لم يكمل انتظامها اذذاك وهو في الجهة العليا من البلاد وبها عدة بطحات أشهرها وكبرها التي امام قصر

الملك ويحيط بها قهواوى ومحلات للآكل ومن المباني الشهيرة التي رأيتها فيها قصر الملك الذي في البلاد وهو قرب شاطئ البحر وأمامه من جهة البحر حصون وأسفله من تلك الجهة مسكن للعسكر وعلى سطحه بستان متسع ذو أشجار ونوابع مياه تطل عليه شبائيك القصر والقصر ذو أربعة طبقات والمعد منها سكن الملك هي الطبقة الثمانية وهو قصر ضخم متقن البناء والتحسين والتزيين يشتمل على كنييسة وعلى ملهى خصوصى للعائلة الملكية ويشتمل أيضا على جميع الاثاث والادوات المحتاج اليها في السكنى من فرش وأواني طعام على أنواع حتى من الفضة بحيث انه منظم كان الملك ساكن فيه والحال انه لا يأتيه الا أحيانا في بعض أوقات التنزه أو تفقد المملكة لان مقر الحكومة مدينة قديمة لم تكن لما كانت نابلي سابقا قاعدة لمملكة النابليان وكانت ملوكها مستبدين أشادوا ما شاءوا في قصورهم وبقي التحفظ عليهم على ما كانت عليه ولها خدمة ومكفون حتى ان الملك اذا قدم الى هناك لا يستحق لحجاب شئ معه سوى ملابسه ويمكن له عقد الولائم الحافلة هناك كأحسن ما تصنع الملوك وهكذا في كل بلد كانت قاعدة الملك في ايطاليا واصلق هذا القصر الملهى الكبير المسمى بصان كارلو وله منفذ من القصر الموكى وهو من أكبر ملاهى أوروبا وتفقه ضخامة وتزويقا وبحمل من المتفرجين نحو ألف وخمسمائة متفرج وهو ذو ست طبقات فمنها أربع طبقات كل واحدة تشتمل على احدى وثلاثين بيتا ومنها طبقتان كل واحدة تشتمل على ثمانية وعشرين بيتا وكل بيت تجلس به أربعة أنفس عدا بيت الملك التي في صدر الطبقة الثمانية مواجهة للالعاب هذا عدد المحل العمومى في الوسط الذي به مقاعد عدد هاسمئة وثلاثون مقعدا وهذا الملهى لم يفتح اذذاك منذ سنتين اقتصادا من الحكومة لانه يلزمها في كل ليلة لفقه ان تعين على مصاريفه بألف وخمسمائة قرنتك لان دخل المتمرجين لا يكفي مصاريفه ومما شاهدته أيضا قصر الملك الذي خارج الباد في رأس الجبل ويسمى كابودي منتانا وهو قصر أصغر من السابق يحيط به بستان أنيق ولم يكن بالقصر فرش سوى بعض بيوتها فرش عتيقة جدا ملوكهم لا قدمين موضوعة هناك للمتفرج عليهم وبقية البيوت بها آثار قديمة من السلاح وأدواته حتى كان منها بيت ملوكه بصور أجساد آدميين مدرعين بأنواع شتى من الدروع على حسب اختلاف الزمان ومنها صور فرسان يجلبهم مدرعين ومنها صور بعض ملوكهم والدروع كانت حقيقة قديمة متعملة حقيقة في الحروب وبعضها به آثار الضرب والطعن حتى

حتى

حتى بالرصاص من المكاحل وبقية بيوت القصر خاوية والجميع بناؤه أنيق عظيم وشاهدت أيضا كبركا كاسها وهي كنييسة صان جينارو وهي ضخمة ذات أعمدة من المرمر ومن غريب ما فيها صورة صنم من رخام أبيض عليه ثوب كأنه صفيق بحيث يبدو ما تحتها والحال انه نحت من ذلك الرخام وشاهدت أيضا كبرمارستان لهم وهو ذو بيوت كبيرة كل واحدة بها نحو المائة فراش كل منها بعيد عن الآخر قدر فراسين وكل فراش لمريض واحد عرضه نحو المتر وطوله نحو المترين وربيع وهو على سرير من خشب يحتهوى على فراش وعليه ازار ووسادة وغطاء من القطن والمريض لا يلبس لقميص وعلى رأسه قاذسوة من نوع القميص والكل من منسوج الكتان الأبيض وكل بيت يحتهوى على نوع واحد من نوع المرض أو متقارب النوع والكل بيت خدمة بالاجرة يوفون للمرضى بجميع لوازمهم واعطاء الدواء في أوقاته حسب اشارة الطبيب وزيادة على ذلك كثير مما تأتي نسوة من الاعيان وغيرهم لخدمة المرضى والرافة بهم خانا منهم ورغبة في عمل الخير وللمارسيتان عدة أطباء منهم من هو ذو وظيفة وله أجر عليها ومنهم من يداوى بحجنا مارغبة في الخير ولا تمام تعلمه لفن الطب حتى يأخذ الشهادة من له الاجازة على قوانين لهم في ذلك وللمارسيتان أيضا بيت أدوية ومواعين الجراحة والدواء وفيه قسم للرجال وآخر للنساء المرضى وهكذا كل مارسيتان غيران بعضهما يداوى بحجنا وبعضها له أما كن لمن يريد النطب من ذوى اليد اليسرى يعطى مقعدا رامعينا يوميا والمستشفى في يقوم بجميع ما يلزمه ويختارون التداوى في المستشفيات لانها آتقن من مساكنهم سيما في التحفظ على ما يتعلق بالدواء واداء الخدمة حقها مع مباشرة مشاهير الاطباء الذين يلزم لا يتابعهم لما كن المرضى مصاريف وافرة ومحلات هؤلاء المستأجرين في المستشفيات أنقى وأنظف وأبهى من المحلات العامة ويمكن لكل مريض أن يبيت في بيت خاص به صغير موافق في الهواء بحيث ان جميع حركات المستشفيات وأوضاعها على مقتضى الحكمة الطبية ثم ان مصاريف المستشفيات على أنواع فمنها ما تقوم به الدولة ومنها ما يقوم به المجلس البلدى ومنها ما يقوم به لجنات من الاهالى وهذا في كل جهات أوروبا سواء ويقبلون الصدقة ممن يريدوا ولهم السواح وشاهدت فيها أيضا الدار التي بها الآثار العتيقة ومنها الاشياء التي استخرجت من بلدة بونباى التي بأقربها وهاته الآثار لو أراد الكاتب استيعابها لالزم لها مجلد ضخيم اذهى مشغلة على أنواع وأشكال شتى من أقطار مختلفة فمما جلب من مصر المومى وهي ذات انسان ميت مصبرة على

ما كانت عليه منذ عدة آلاف من السنين لم يتغير منها شيء سوى ان اللون اسود وجوفه متقوية لانحراج جميع احشائه وبقية حاله على ما كان عليه وفي هاته الدار فحوار بربعة اجسام من ذلك النوع منها النساء ومنها الرجال وذواتهم لم لا تختلف عن ذوات البشر الموجود الا ان امكن ليس فيهم ذوج صامه ولعل ذلك بسبب ان الميت المصبر انما يكون عزيز قومه ومثل هؤلاء لا يموتون غالب الا بالامراض والامراض تنحف الاجسام فلذلك كانت اجسام المومنين فخا فالا فان التصبر يحفظ الجسم على ما هو عليه ثم ان ذلك النوع من التصبر قد جهل ومع كثرة البحث عنه من حكماء الاعصار المتأخرة لم يطاع عليه فهو من العلوم التي فاز بها المتقدمون ودثرت ومن غرائب ما في هاته الدار ايضا قطع من ثياب منسوج من مادة حجرية وهذا المعدن يسمى اميانتو وهو الا ان معروف وموجود لكن كيفية تصديده حتى يصير مغز ولا ينبغي منحه مجهولة الا ان وقد كان في العصر السالفة معلوما ومن فوائد تلك الثياب انها لا تنحرق واذا قوسخت فغسلها بالنار وهي ثياب لينة تنطوي غير انها ضخمة ومن غرائبها ايضا ما وجد من آثار يوناني وهي اشياء كثيرة من الماء كولات وغيرها فرأيت فيها التمر والقمح والزيتون وغير ذلك مما مضى عليه الفاسنة او ازيد لم يتغير منه شيء سوى اسوداد في اللون وقالوا ان طعمه ايضا لم يتغير ونعمت انهم زرعوا حبوا بعماد وجدوه كالقمح ونبت وأثمر مثل الجديد مما يدل على أن النوع واحد لم يتغير حاله مع طول الزمن وكل هاته الحبوب موضوعة على ترتيب حسن الى غير ذلك من الآثار القديمة الموضوعات الموضوعة في أماكن محفوظة نظيفة وعلمها قيون وتفتح يومئذ لمن يريد التفرج بأجر زهيد وتسمى هاته الدار موزاي ناسيونال وما شاهده في نابلي دار الفنون المسماة أنيفوسيتادي نابلي وهي يعلم بها فنون الطب والاحكام والسياسة والتجارة والكيمياء والصيدلة والبناء والفلك والجبر والمقابلة والهندسة والابسادوجر الاثقال ولكل فن قسموه ودرسون وبها محل لاجسام الحيوانات فيه أغاب ما يعرف منها من الانسان الى الذباب من الحشرات حتى الحيوانات البحرية لكنها كلها مبنية بمجولة بواى منزوعة اللحم وغيره مع التحفظ على هيئة الجلد وبجساجلد هامة واثباتية ويرسم على هيئة اصل الحيوان حيا وتجعل عيناه من زجاج فبراه الناظر كأنه حي وفيها من تلك الانواع ما لا يكاد يحصى ويوجد كتاب مطبوع في البلد مشتمل على تلك الحيوانات مع تراجمها وأغرب ما رأيت من حيواناتها ولم أره في غيرها مصفوف في حجم النحلة بلون الريش وذيله ذور يشبه فقط طيور اثنين كل منهما

في طول ما يقرب من الشبر لها اللون جميل وكذلك رأيت فيها اثنين البحر أعظم حجم من الفيل لكنه أقصر منه لان جملة هيئته تقرب من هيئة السلحفاة ورأسه أضخم من رأس الفيل وعينه واسعتان جدا وفمه مفتوح وجلده منكمش وبجملته له منظر بشع متفرو ويوجد في هذا المحل جسم الانسان على جميع أطواراته منذ يتكون مضغة الى ان يصير شيخا فانما يوجد تشريح اعضاءه مفردة سواء كانت ظاهرة أو باطنية ذكورية أو أنثوية وجملة جسمه من الجوامع الاصلية كل منها مفردة عن الآخر فتجد جسمها ليس فيه الا العظم فقط على نحو خلقته ثم آخر به العظم والعروق فقط وهكذا غير ان بعض هاته الاجسام هو حقيقي وبعضها صوري من الشمع لكنه متقن التصوير واللون حتى كأنه هو الاصل لان اللحم بدون جلد لم يمكن لهم تصبيره في الهواء وكذلك توجد اجسام المولودين على خلاف المعتاد ككون وجهه في بطنه وآخرون ثلاثة رؤس الى غير ذلك وكلها مصورة في زجاجات كبيرة مملوءة بعماء روية لكي تبقى الجسم من التعفن وفي هذا المحل ايضا خزانة كتب عظيمة بها مائة وثلاثون ألف مجلد كلها طبع الا النادر بخط اليد وبها كتب عربية كثيرة فعمارة رائعة فيها مصحف كريم مطبوع بالطبع الحجري ثم كتاب يسمى السكال المسيحي للراهب الفونس رودريغوس موضوعه تعاليم ديانته وهو في مجلدين ضخمين ثم مجلد آخر يشتمل على توراتهم وانجيلهم مكتوب بلغات سبعة وبخطوطها واللغات هي العربية والعبرانية واليونانية واللاتينية وجاريتا فوالسريانية بنوعيهما ويوجد بهاته الخزانة المكتبة كورتان محب طائفة كل منهما نحو ثلاثة مئتين احدىهما صورة الفلك وأخرى صورة الارض مرسومهما ما خري بطات متقنة مكتوب عليهما بالخط العربي الثماني الجميل قيل انهما من مصانع علماء الاندلس وقرب نابلي على مسير نحو عشرين دقيقة في الرتل بلدة بنماي هاته البلدة كانت منذ الفين سنة مصرية متمصرة وكان أهلها مولعون بالانكباب على الشهورات وقساوة القلب حتى ان من العاينهم في الملاحى والمراحم أن يخرجوا الحيوانات المفترسة ويلقون اليها بالناس الذين يريدون عقابهم فتتخطفهم الحيوانات وتزق اجسامهم شريقتين والمتفرجون محدقون في البيوت المرتفعة المحصنة من وصول تلك الحيوانات اليهم وهم يضحكون فرحين ولم يكن ذلك مقصودا على رجالهم بل حتى النساء اللاتي هن أرق طباعا كن يتنورن وينبسطن من مثل تلك المناظر وتنادى تترد أهل تلك البلد على جوارهم وقهرهم فأرسل

الله عليهم هي ان جبل المفز وفيه الذي هو بركاني وهو بقرم - م - على نحو ثلاثة أميال
فزلزلات بهم الارض وهم على حين غفلة زلزالا شديدا وهرعوا للفرار الى الفضاء خارج
البلد فأدركهم سبل العرم من النار التي قد فيها الجبل فاجر الافق بعدان أعظم واحلوا لك
وطاف عليهم طائف من بحر النار فأهاكها وكل من فيها في بضع دقائق وتراكت عليهم
المادة السائلة النارية حتى صار مكان البلد وما حولها جبالا وامتد الى البحر وسبحان
الملك القهار وتمادى عليهم اذلك الحال وتنوسى أمرها لان الواقعة وقعت عليهم قبل
التاريخ المسيحي بقليل وصار سطح أرضها بطول الزمان صالحا للزراع والنبات ففي عشرة
الثمانين والمائتين وألف هجرية كان أحد الزراعيين هناك يحترق فنشب محرته في
حرارة إحدى الاواني التي كانت في البلاد فبحث عليها فتراها له ما ظفنه كنز وتبين انه كنز
رفيع وهو البلد الغابرة فعينت دولة ايطاليا بقدار من المال ستويا وكلفت مهندسين
بالكشف عن تلك البلاد مع التحفظ على هيئته بناءها وجميع ما يوجد بها ولا زال العمل
مستمر الى الآن وانما كان السير بطيئا في العمل لان المادة النارية تتجرت وصارت
صلبة مع الاحتراس من افساد الموجود وتعمد الفرق أولا بين ما كان من البناء وبين
ما التصق به من تلك المادة فأخرجوا من البلاد كلها وجد بها اذما كشف عليه وجد
كانه على حالة أصله فأرباب الصناعات والمخلات على الهيئة التي أدركهم - م - عليها الفرق
والحرق والردم معا وكل الاجسام التي وجدت بقيت على حالها عند مس الهواء اليها سوى
الاجسام الحيوانية فانها عند مس الهواء اليها تضحل فجعل العاملون حيلة لابقاء صور
الاجسام بان جعلوا كلما تفتنوا بمس آلة الحفر بجسم حيواني أو ثوبا لخص وحلوه في الماء
ورفعوا اذ ذاك آلة الحفر عن المحل الذي لمسه وأبقوا الهواء مما سالا به من الحيوان من ثقب
آلة الحفر فينتفش الجسم في الهواء ويبقى محله في المادة النارية خاويا فيصب فيه الجسم
وعند جفافه وانعقاده تكسر المادة النارية عنه وتخرج صورة الجسم على ما كان عليه
ورأيت في بعضها بقية من فقرات الظهر وعظام الاصابع لم تبطل وما يدل على جراءة أولئك
الاقوام في ذلك العصر ونجبرهم ان وجدت بعض جثثهم على حالة الوقاع حتى كان منها
جنازة رجل وامرأة متداخلي الرجل - م - لكن الرجل لما أدركه الموت انزعج - م - الى قفاه وهو
ناعط وبقيت المرأة على حالتها منكبة - م - الى وجهها او مقبعة على ركبتيها فانظر الى ذلك
التجبر مع ساقية الزلزال ولم يؤثر في شهوتهم حتى أدركهم الهلاك على شهوتهم وأما أبنية
تلك البلدة فالظاهر ان أغلبها انهدم بالزلزال وما بقي منها فاقامته المتصدع والمنشق

ومنها

ومنها القائم على أصله وهيئة بنائهم يجعلون الحائط ضيقا نحو ذراع فيسدون والسقوف
من بناء على هيئة قباب نحو نصف كورة أو أقل تكوروا ويظهرون تقابل الابواب فاذا
دخلت بابا الى دار من الطريق تجد سقفية مربعة ثم بابا الى وسط الدار وفيه أربعة ابواب
الى كل بيت واحد من البيوت وراءها جنيحة وبركة ماء واسرة النوم من بناء كالذكاكين
وجهة الوسادة بناء مرتفع يسير على سطح السير ولا يختلف دورا لا غنياء عن غريبهم الا
بالكبر والصغر وكل بيت طواقي الى وسط الدار وكل الطواقي والابواب متقابلة
والحمام الذي رأيت في البلاد هو على نحو الحمامات المعروفة الآن في البلاد الاسلامية
وفيه تصاوير على الجدران بالالوان مثل الحمامات بتونس والمغرب ورأيت محل الحكومة
وتحتها السجن وعنده مجلس الحاكيم عند درج عليه طاقة يطل منها على المسجونين أسفله
والسجن مظلم لا يتخلله الهواء ولا الضوء الا من تلك الطاقة ورأيت الملهى فاذا هو على نحو
الملهى الا ربوبية غير ان مرشح اللعب هو وسط الدائرة وهو أسفل مكان المتفرجين
والطرق كلها مبلغة بالحجارة الصلبة المنحوتة ومنقصة على ثلاثة انحاء فوسط الطريق
منحفظ عن جانبيه لمرور الجمال ومفرغ لروض لها على جانبيه سكة لمرور ذات الجمال فيها
وعن اليمين والشمال محل مرور المشاة وجميع عرض الطريق نحو ثلاثة أمتار وفي محل
مرور الجمال يقسم وسط الطريق بحجارة نحو ثمانية مرتفعة على سطح الطريق بحيث تراها
فانتم على طول الطريق وجميع الطرق مستقيمة لا اعوجاج فيها وتلاقي على زوايا حادة
غير ان كل طريق لما كانت لا تمر فيها الا بعجلة واحدة حسب ما هو مفروض للجملات فيلزم
بالضرورة ان تكون كل طريق لا تمر فيها الا بعجلة واحدة لا تتلاقى
وفي محل الادارة لكشف تلك البلاد محل لوضع الاشياء المستخرجة ثم تنقل من هناك الى
نابلي وتوضع في محل الاثمار القديمة كما هو المادة النارية المتصلبة يصنع منها تحف كثيرة
في نابلي وفيها سوق نافعة وجميع الاماكن المعدة للنفرج اما أن يدخلها الانسان
بأجر قليل أو تكون له تذكرة الدخول من الدولة والحصول عليها سهل بواسطة أحد
الاعيان أو ثواب الدول وقد أعطانا تذكرة الدخول فدخلنا الترك وقد اجتمعت في نابلي
بأكثر حكمائها وهما توماسي وكنتاني وكان الثاني يعظم الاول جدا لكبر سنه حيث
أنه بلغ نحو الثمانين ولشجته عليه وكانت أجرة كل منهم ما في كل ليلة ستون فرنكا
وبقيت في نابلي ثمانية أيام وكان المسافر فيها يقيم كل يوم متوسط المعيشة
بأربعة فرنك يوميا لا كل ويقدر أن يأكل في المحلات الساقطة بنصف فرنك ما يأكله

في المحلات العالية بعشرة فرس في الاكالة الواحدة وقد دعا في هناك أحد أعيان البلدة
 لاسامرة في داره حيث كان حبيبه الى مصاحبه من أهل البلد فرأيت كيفية مسامرتهم
 ورقصهم وفي آخر يوم من اقامتي بها أعلمت بان الابرة المسماة بالبوصلة اضطربت
 علامة على الزلزال ثم ركبنا الرتل بقصد بلدر ومة وكان ذلك صبا حار ولما وصلنا الى قرية
 كرتنا التي هي قرب نابلي مسير نحو ساعتين في الرتل نزلنا هناك وتغدينا في احدى منازل
 المسافرين وأما صناديق حوائجنا فاهنا ذهبت مع ذلك الرتل الى رومة وندت نظرت في
 الكهرك في محطة الرتل الى ان تقدم الى هناك ثم ذهبنا الى قصر الملك في بستانه المسمى
 بقصر كازرتا فاذا هو أعظم وأتقن قصر رأيته من جهة التائق في مواد بنائه المتخذة
 من الاشياء الخلقية كالمرمر والرخام والحجارة الضخمة المنحوتة وان كان غيره أشبهه تأنقا
 من جهة صناعات النقش والتذهيب والتزيين وهو مربع الشكل كل جهة منه في
 طول مائتين ميتر ومام الباب بطعام عظيم على جانبيه ما كان للعساكر فاذا دخلت
 من الباب تجد القصر منقسم الى أربعة أقسام وكل قسم في زاوية يشتمل على طعاه
 وله مطالع الى القصر والمطالع الكبير المعد للوقت الرسمي يشتمل على مائة وحدى عشرة
 درجة من المرمور واللون كل واحدة في قطعة واحدة الا قليلا منها في قطعة بين طول
 كل درجة ثلاثون قدما وعرضها قدما وارتفاعها ستة اصابع ومبدا والدرج منفرد
 فاذا انتهت الى نصف فهارجعت الى قسمين يمتدنا وشمالا فينتهيان الى ايوان عظيم مرفوع
 سقفه على ستة عشرة اسطوانة من المرمور لكل في قطعة واحدة ارتفاع الواحدة نحو
 عشرة أذرع ومحيطها لا يستطيع الانسان السكامل الاحاطة به بذراعيه ومنه يدخل الى
 البيوت الضخمة المختلفة أنواع السقوف وكسوة الجيطان والارض بافواح من المرمور
 الطلي او الموزايكواي القطع الصغيرة من المرمور كل قطعة نحو الاغلة من لون مرصفة على
 أشكال يدوية او من المنسوجات الصوفية او الحجرية من المصانع الشهيرة في العالم
 ويحتوي القصر على كنيسة وهو ذو ثلاث طابقات وقد تم منه بالبناء والادوات داخل
 وخارج ثلثه والثلثان لم يتم منه ما لا بناء الجيطان والسقوف وبقيا ناهي الادوات
 وليس في القصر شيء من الفرش ويحيط به بستان طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب منها وفي
 منتهاه جبل فهدرة منه عين ماء عظيمة مجعولة على نحو شلال لا تجد ارضا لها دوى واذا
 قابلته الداخلة من باب البستان جهة القصر يظهر له من بعد كانه منارة متصاعدة في الجومن
 الزجاج الابيض ثم ينشأ من ذلك الماء نهرو مجترات بها كثير من الطيور المائية وأنواع
 السمك

السمك ويحتوي البستان على عشاى وغياض متقنة ذات أنوار وأزهار كما يحتوى على
 آجام وغابات وحيوانات للصيد ثم ركبنا قارب الغروب من هناك الرتل وسرنا نحو احدى
 عشرة ساعة وليس هناك من العمران مثل ما رأيت في خبره بل أكثر الاراضي معطلة والجبال
 لا منظر جبل بها وانما توجد القرى وما حولها موزانة بينا وكانت القرى تبعد عن
 بعضها في أكثر الاحوال سيرة نصف ساعة في الرتل فوصلنا بلدر ومة التي هي تحت
 الملكية بعد نصف الليل وفتشوا في الكهرك رحلنا أيضا مع انا قادمون من احدى بلادهم
 وذلك لان لكل بلد اداء على ما يدخل اليها المصالح الخاصة بزيادة على ما تأخذ الدولة
 من الكهرك العمومي ونزلنا في احدى منازل المسافرين وأخذنا اليه صناديقنا التي
 وجدناها في الكهرك غير اننا وجدناها مرسق منها بزنس ووقع الخلاف بين مستخدمى
 المحطات فبين سرقه فجاءه رومة يتهمون بچاعة نابلي وهم يتهمون الاخرين والحاصل
 ان البرنس ضاع وسببه هو خروج طرف منه عن غطاء الصندوق فامكن للسارق جذب
 ثم أقمنا برومة ستة أيام واجتمعت بأشهر أطبائها وهو الحكيم باشلي الذي هو أحد
 اعضاء مجلس النواب واجمال صفة هاتاه الدادة انها بلدة وسبعة سكانها نحو ثلاثمائة
 ألف نسمة ولهم حضارة على أهالى نابلي وطرقها كلها مبططة نظيفة أما الطريق
 الخارجة عن البلد فهي وان كانت صناعية غير انها بها الطين بكثرة وان لم يعطل
 المحلات وأحسن ما يقصد بالتفريق عليه في رومة هو كنيسة الكهرك المسماة بصان باولو
 التي هي أشهر مباني العالم في ارتفاع قيمتها وضخامة بنائها وهي مستطيلة الشكل
 ذات قباب كثيرة وسطاها هي أعلاها وحيطانها مكسوة بقطع من المرمور من الخلقى
 ومنه الصناعات كل قطعة في طول نحو عشرة أذرع وعرض نحو خمسة أذرع وبعض الجيطان
 مكسوة بقطع من الموزايكوتقنية التصوير والقباب كلها مكسوة بذلك أيضا والقباب
 مرفوعة على اسطوانات من المرمور الخلقى وبعضها صناعاتى وليست مستوية السمك
 وبعضها في قطعتين أو ثلاثة ومحيط كل واحدة من الخلقية أربعة عشر شبرا وقواعد
 القباب مبنية ببناء ضخما جدا بحيث ان هاته الكنيسة قد أفردت بتأليف خاص من
 احد حذاقهم لاشتغال عليه من اتقان البناء وضخامته وبالصفاة قصر البابا
 ويسمى الفاتيكان وهو أكبر القصور الملكية ويحتوى على اثني عشر الف بيت وبه
 خزانة كتب رفيعة هي احسن خزائن ايطاليا وبها كتب كثيرة بالخط منها العتيق ومنها
 نسخة من الانجيل باللغة الحبشية مكتوبة قبل البعثة بنحو مائتين سنة وفيها

نص الآية القرآنية حكاية لقول عيسى عليه السلام وهي قوله تعالى ومبشر برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد وقد اطاع على تلك النسخة أحد الانكليزيين في هذا القصر ورويت ذلك عن ثقة روى عنه وذلك القصر فيه من غرائب المصنوعات والذخائر الثمينة شئ كثير حيث كانت تنجي الى البابا جميع النصارى الكاثوليك وملوكهم من عمالكم تقربا اليه الملك الروماني زيادة عن الملك المجسماني الذي كان له في عمالة كثيرة وقد زال ذلك بالتحاد ايطاليا وآخر بابا كان جامع بين الملكين هو بيوتاسع وهو الموجود حين مرنا على رومة لكنه منذ افتتحت منه الملك الحسى بقى منه كفا في قصره وله التصرف في الديانة فقط على سائر الكاثوليك في جميع الممالك سواء أبقته له دولة ايطاليا جميع ما في قصره وما في الكنيسة من الذخائر واستولت على كل ما عد ذلك وبعد أن تفرجنا في الكنيسة الكبرى سألناهم ليعلمنا كيف يمكن التفرج في قصر البابا فاجابنا بان ذلك اليوم لا يتيسر بل نعود بعد أيام وكان ذلك بعد استئذان البابا ومن غدا جتمعنا بالمطران درعوف الذي هو من نصارى الشام وله دير في أعالي رومة ومعه كنيسة من نصارى الشام المتقسين وهو ذو اخلاق لطيفة فصيح بالعربية وكذلك من حوله وسبب الاجتماع به انه ساكن بجوار كنيسة متينة الشكل والبناء مما يقصد بالتفرج عليه فحصلت المعرفة معه من هناك وكان مما ذكرنا ان البابا يريد الاجتماع بنا عند الدخول الى قصره وانه كلفه بالخصه ووليكون ترجائنا عنه فاعتذرنا اليه بأننا على سفر ولا يتيسر التأخر بل ذلك فلم ندخل القصر ولا اجتماعنا بصاحبه إذ لا ملجأ الى تعظيمه مع ان الداخل عليه يلزمه تعظيمه كتعظيم الملوك بل ملوكهم يؤدون اليه من يد التعظيم كأنه هو ملكهم ولا داعي لذلك الأمر ديني وديانتنا الاسلامية تمنع التعظيم الذي يكون مسببا عن ذلك واعلم انه منذ استولت دولة الصار ودعوى جميع عمالكا ايطاليا واجرت الحرية حتى في الديانات فالداخل للكنائس لا يلزمه تعظيم شعائرها كما كان من قبل بل لا يفعل شيئا يخالف ديانتهم فكأنه يتفرج في قصر من القصور كما انه ليس له أن يفعل شيئا من الاهانات وحيث ان المسلم يدخل اليهم بآمان فليس له التعرض لآيائهم كما انه ليس له خيانتهم ثم ان أمام كل من قصر البابا والكنيسة الكبرى بطعام عظيم وسبعة جدا وبها عدة قوارات واثجار وفوايس وهكذا كل بلاد تشمل بالفوايس ليلوا يشق بلدرومة نهر يحمل القوارب واذا طمى ربحا أضرب بالجوارين وهوأت من جهة الشمال ذاهب جهة الجنوب وخارج البلدة الآن الكنيسة القديمة وهي الآن خراب وانما يوجد

وجد منها أساسها واطلال من جذرائها وقد عات الارض عليها كثيرا فكشف عنها وبقيت عبرة للناظرين وهي أوسع من الكنيسة الموقودة الآن الكبرى كما وجد بقربها مالهى قديم مثلها في الخراب على نحو ما سبق في صفة مالهى بونباى وقيل انه دار المدوة اذ ذلك وهو كبير جدا وفي رومة أيضا من عجمى في الجبل ذو مالهى وحدائق وفورات في أعلى الجبل وهو نزهة ما غير ما ذكرنا فليس في رومة معامل أو ما كن تقصد للتفرج سوى ما هو خارجها من آثار بنا آت الرومان في القديم وفيها مالهى كثيرة متينة اللعب لشهرة الطالبانية بذلك على غيرهم ودور الالهالى غالبا ليست بمتينة النظافة وأعمارها في السكنى والمأكل وغيرهم ما غالية بالنسبة لبقية ايطاليا وهو رومة وخم بسبب أن المرح التي قربها مركز فيها الماء لانخفاضها عما يحول بينها وبين البحر كما ان الكنائس بها كثيرة ولا كل جرس فاذا دق جرس الكنيسة الكبرى دقت الاجراس من جميع الجهات وصار لها دوى يلقى السامكن ويقر من ذلك نابل أيضا ثم اننا قد مرنا الى محاسن النواب الذي كان اذ ذلك مفتوحا وهو يشتمل على خمسة مائة عضو فاذا هم أناس يتدبرون في أمرهم ويتشاورون فيه بغاية الاطلاق وصار دفنا في حضورنا البحث في نازلة مالية وهي أن وزير المال عرض على المجلس أن يدخل الدولة غير وافي بصاريها ولتعديل ذلك تلزم الزيادة في الدخل وقد رأت الدولة ان الانسب في الزيادة هو زيادة الضريبة على السلاح فوقع نزاع في أصل الزيادة وكان أشد المضادين نواب خيرية سيسيليا الى أن قال أحدهم انك أيها الوزير لا تفكر الا في الزيادة في الدخل بوضع الضرائب على السكان الذين أفقرت قوتهم لكي تأخذ أنت المرتبات الوفيرة من دماننا وكذا اذا لم نقل بصرفك الاموال في شهواتك ومخفيا نك فنهـ رديس المجلس وألزمه الادب في الكلام فعدا الى كلامه وقال نعم ياخذون خفية ويحملوننا لانطيق في اغراضهم وشهواتهم فاسكنه الرئيس وأطال عليه اللوم والكبر بعبارات شديدة حتى سمع بالوحشية وأنه يضطر الى اسكانه أو اخراجه من المجلس ان لم يلتزم آداب البحث فضج حزب المتعرض وقالوا ليس لكم منعة من الدفاع عن حقوقنا وما أتينا الى هنا الا لحفظ حقوق الامم من التلاعب بها فاجابهم الرئيس بان الحقوق يتوصل اليها مع سلوك الادب فانقادوا اليه وطال النزاع في النازلة وبقيت للمفاوضة يوما آخر وكان مكاتبو الصحف جالسين يحصون جميع ما يقال وما يقع حتى كتبوا نفوس حضورنا لاننا كنا بلباسنا المتونسي وذلك أوجب التفتات الانظار اليه في أى مكان قصدناه حتى ان بعض البلدان

التي ليس لاهلهاهم - مذيب تام كان يزدحم عليه في الطريق - واما الى أن يوقفونا
بازدحامهم - وأكثر ذلك في أهالي نابلي الى أن التزمت فيها أن لا يخرج في الطريق
الاراكيب في محلة وذلك لعدم تعودهم على رؤية مثل لباسنا وصفة هيئة مجلس النواب
هو بيت كبير جدا يميل الى الطول أكثر من التريبع وسقفه قبة مرتفعة شاهقة مؤنق في
جدرانها وسقفها وأرضه وفي وسط صدره عرضا سدة ارتفاعها نحو مية ترعة - الى الارض
وفوقها كراسي وامام مائدة ويصعد الى ذلك المخل بدرج عينا وشمالا وهذا محل جلوس
الرئيس وحوله كتبة وكراسيهم وموائدهم على الارض وبقر بهم في سط البيت كراسي
الوزراء وفي وسط البيت كراسي أربعة كتاب مخصوصين بعرفة كتابة سرية يتناوبون
اثنين بعد اثنين في كتابة كل ما يلفظ به متكلم في المجلس وبقر الرئيس منبر مرتفع قليلا
يصعد منه خطباء وهم على التناوب بعد الاذن لهم من الرئيس يتكلمون في مصالحهم ثم
كراسي منصوبة صفوفا صفورا نصف على نحو دائرة مستطيلة ينتهي طرفاها حول
الرئيس فالصف الاول كراسيه على الارض والصف الذي وراءه كراسيه على سدة من
خشب أعلى من الذي امامه بدرجة من خشب ثم الذي وراءه أعلى منه وهكذا الى نهاية
الصفوف والدرج التي يصعد منها الى الكراسي مقسمة لتلك الدائرة وكل قسم من
الكراسي امامه مائدة مستطيلة وفيها كل كراسي فجروا وادوا أقلاما ليجتمع صاحب
الكراسي وكل كراسي عليه عدد مخصوص مرسوم عليه بلون مخالف للون الكراسي وفي
أعلى البيت محيطه من جهاته الالجهة التي بها الرئيس رواقات يجلس بها المنفردون
ولصاحب الملك بيت بازاء محل المنفرجين يأتيه اذا أراد كماله كراسي في المجلس واما وظيفة
المجلس فسيأتي الكلام عليها ثم رحلتنا من رومة وقصدنا ليفورنورا كبرين الرتل فاذا
يقرب رومة آجراما كدة فيها المياه وفيها من البقوشئ كثير ممرح هنالك للالهالي
بدون حراس مخصوصين لكل أحد بل على المكان قيهون يؤتى اليهم بالبقرو يستودع
هنالك الى وقت احتياج أصحابه ومنه مالا مال له فيتناسل هنالك وتبيع منه الدولة
لمن أراد الشراء ومررنا في سيرا على مرسى ييشي تافيكيا التي هي أقرب مرسى طليمانية الى
رومة قاعدة المملكة وفي آمال همدس - بهم ان يفتحوا خيما من تلك الجهات من البحر
ليصل الى حدود بلاد رومة لان الارض هنالك منخفضة وبه ينصلح الهواء من تعفن
المروج التي يركد فيها الماء واستمر الرتل سائرا بقرب الشاطئ الى ان وصلنا الى ليفورنو
في الساعة الثالثة قبل نصف الليل بعد مسير احدى عشرة ساعة وقد توقف الرتل في
المسير

المسير عندما وصلنا الى جسر على أحد الأنهر حيث ان فيضان النهر هدم الجسر فنزلنا من
الرتل وعبرنا النهر مشاة على أخشاب ضيقة والحال أن النهر عريض والوقت ليل والمطر
نازل ثم ركبنا رتلا آخر مهيأ في الناحية الاخرى من النهر - رالي أن وصلنا الى ليفورنو فاذا
هي بلدة واسعة الطرق نظيفة متقنة التحصيل والتبليط بحجارة منحوتة مستوية وبها
قليل من البطحاآت الوسيعة أشهرها ما تسمى بيلاص دي كافورو كافورو - هذا وزير
ايطاليا الذي جدد في وحدتها الاخيرة فرسم قناله بتلك البطحاآت وسميت به وكذلك
البطحاآت الكبيرة ويخترقها خندق به ماء البحر وعليه جسوروه - هذا الخندق كاد ان
يكون مخترقا لجميع جهات البلد وذلك لفائدة تين الاولى هي ان البلاد أرضها سبخة فدية
فذلك الخندق تجذب اليه المياه مما حوله ويحصل جفاف الارض وما أخرج من ترابه
الكثير علت به أرض البلاد والثاني أن البلد كانت من أهم مراسي التجارة لاغنائها من
الاداء ترغيبا في عمرانها فكثر فيها الساع وتحمل في القوارب وتسير في تلك الخنادق من
السفن الى المخازن اذ ماء البحر بالخندق عميق وبخارجها على الشاطئ منبره عمومي ممتد
نحو مياين به حدائق الاشجار والافوار ومغاطس من البناء أو الخشب على البحر وقهاوى
وملاهي تنادي بها الناس زمن الصيف من أهالي البلد وغيرهم والطريق للمارة وسيع
جدا وعلى حده قصور شاهقة ذات منظر جميل امامها الطريق ودونها الحدائق ومن
ورائها القهاوى والملاعب والمغاطس ومن وراءها البحر وهي في الصيف لاونها سارا
منزهر مريح ويسمى ذلك المكان البساجانا ويرت ماى وفي البلد خزانة للماء مسقوفة
ببناء ضخيم سديدة النظافة حتى يرى الرائي في قعر الماء مع عمقه كتابة على الحجر بنية
والماء في غاية الصفاء مع اتساع الخزانة ومحل استقرار الماء منقسم على عدة أقسام
فيدخل الماء المجلوب من عين غزيرة الى أحدها الاقسام الى أن يمتلئ ثم يخرج منه - من
أسفل الى قسم آخر ثم منه من أعلى الى قسم آخر وهكذا بحيث ان كل قسم يكون مملوا
ولا يخرج منه الا بقدر ما دخل فيه لتصفية الماء وتروقه حتى لا يخرج الى عموم البلد الا
بعد انتهاء ترويقه وهاته البلدة موقعة على البحر وهو غريبها وهي من المراسي الشهيرة
للتجارة والحرب وقد بني بها ميناء مأمنا للسفن ذات حوضين قبل أنفق عليها مائة وعشرون
مليوناً فزركا وبها مرفئ للسفن ولا نشأها ولما وصلنا الى البلد وجدنا الوزير حسين الذي
قصدنا المبلد لاجله غائبا في فيريديسا فبقينا بدار سكنا حيث كان تابعه هنالك ثم وادعت
صديقي الشيخ سالم أبو حبيب حيث كانت مأموريته هنالك وركبت بكرى ليلا وصلنا

قاصدا الوزير المذكور في باد فيرنساوا بقيت غالب رحلي وأحد تابعي هنالك لاحتتمال
العود فسرنا في الرتل ثلاث ساعات وكان حول ليفورنو بعض غياض ليست حسنة جدا
ومررنا على بلد بيزة منماخ علم الطب سابقا فاذا هي من مدن ايطاليا الشهيرة ويخترقها
نهر وحواله منارة وقد انفردت هاته البلدة بشيئين أولهما أغرب شيء من مباني العالم
وهو الصومعة الوحيدة المائلة فان هاته الصومعة يراها الناظر مائلة ميلا كليا الى جهة
الجنوب حتى يخالها انها ساقطة لا محالة وهي ليست بمرتفعة جدا وبناؤها من حجارة
منقوشة ومرمر ودرجها كل في قطعة واحدة من المرمر وهي في وسط بطحاء قرب كنيسة
وأسفل قاعدتها مائل أيضا غائر في الارض من جهة الميلان ومرتفع من مقابله ووقد
اختلاف النقل في سبب ميله لانها ثقيل انها بنيت كذلك وهو من مهارة صناعها
ومعرفتهم بفن الاتقان وقيل انها بعد ما بنيت انخفضت بها الارض من احدى جهاتها
فيالت وعلى كل فسبب عدم سقوطها هو عدم خروج قطر محيطها بالميلان عن مركز
قطبها والحاصل انها من عجائب المناظر وقيلا ان ميلان أعلاها عن مساواة أسفلها
أربع مئة نروات ومثلها في الميلان صومعة أخرى خارج البلد جهة الشرق لكنها
ليست في اتقان الاولى ولا في ارتفاعها وقد بنى حولها بناء ملاصق لها لتوقع سقوطها
وبقي أثر الميلان ظاهر اوثاني الشيئين الغريبين الكنيسة وهي ليست بكبيرة ولا لكنها
كثيرة التماثي والرونق سيما من ظاهرها وزيادة غرائبها في الصدى الذي يحصل فيها من
الاصوات اذ يدوم فيها الصدى ويعتلى على وجه خارق للعتاد والسبب فيه شكل البناء
وطول الجيطان وبعد أن جاوزنا بيزة بدلت الارض غير الارض التي عهدها مناظرها في
بلادنا وما مررنا عليه من كيفية العمران واتصاله واتقانه ولا يوفي الوصف والقلم
بتصويره وتقر به وبالجملة فليس ان كل قطعة من العمران لم نعهدها بل عهدنا مثلها
ولنا قطع تضاهي أفراد تلك القطع سواء كانت في البساتين أو في القصور والتي بها أو
في اثمار الارض وتعميرها لكن الذي لم نعهدها هو اتصال ذلك العمران وامتداده
وتماثله الى ما لا يحيط به البصر مع تحسين جهات الاتصال العامة فانها تحدث من
ذلك هيئة اجتماعية لها اعتبار زائد فوق اعتبار قطيعات منفردة وان بلغت من
الاتقان ما بلغت ثم وصلنا الى فيرنساوا فاذا موقف الرتل بها جميل انيق واذا بالبلد
وسيعه لكن طرقها القديمة ضيقة وأما الجديدة فواسعة شديدة النظافة وتتم ذيب
أحلاق السكان والحضارة ويخترقها نهر على جانبيه رصيف منقوش وفي مجرى الماء
عرضا

عرضا وارض مبنية تحصر الماء كي يكون عمقه حذاهم ودوا ونشأ من ذاك خير
عظيم له دوى وعلى جانب النهر منزه عمومي ممتد أزيد من ميل وبه قوارات وحدائق
وأفوار وفي نهاية المنزه عند ملتقى النهر المذكور جدول صغير بطحاها بقبة من رخام صغيرة
بلا حيطان مرفوعة على اسطوانات جيدة رخامية عالية على الارض وبوسطها صوورة
مجسمة من الرخام لاحد أمراء الهند الشبان وملونة بلونه ولون ثيابه الرسمى وكان ذلك
الامير ساثجا في أروبا بعد زيارته لملكه الانكليزي متداويا فلما حل بغير ينسامات وكان
محبوسا فأرسلت عائلته مكلفا انكليزيا بالرسم صورته في ذلك المحل الذي أحرقت جثته
فيه على عادة الجاسوس ودفن رماده تحتها وكان من عادتهم ان مكان الاحراق يكون
في ملتقى نهرين فاما ذلك فعل به ذلك هنالك وجعل على ذلك المحل قيم ووقف وكان ذلك في
عشرة التسعين والمائتين وألف وفي حدود البلدة من الجنوب منزه أخرى في جبل مرتفع
نزهة جدا ذو بساتين وقصور وطرق وسعة سهلة الصعود بالكراريس وفي منتهى
ارتفاعه بطحاء وسبعة ذات مصاطب ومنازه وبقر بها كنيسة قديمة مرصفة الجيطان
من خارج بالرخام الابيض والاسود تقصدا بالتفرج وجملة ذلك الجبل منزه ولما صعدت
الى هنالك أحسست ببرد شديد لارتفاعه وبرد الزمن ومن أحسن ما بالبلد قصر القلارية
الذي به بيت أغاب حيطانه من البلور وهو قصر ضخم وبه من التصاوير المرسومة
في الخرق المنسوجة مع النسيج وفي الورق شيء كثير وكذلك الجسد من الحجر والنحاس
وقال بعضهم ان مجموعها مليون من التصاوير كلها في غاية الاتقان تعتنى لها المصورون
من الاتفاق لتقليدها ومما بها من التصاوير صور الملوك من جميع الافاق في اعصار
مختلفة ومنها صورة محمد باشا الاول والي تونس ويتصل هذا القصر بقصر سكنى
الملك عند استقراره الحكومة هناك وهو قصر كبير ليس بغريب أصله لاحد السكان
فاشترى منه لاستقرار الملك وهو لا زال مشغلا على جميع المرافق مثل ما تقدم في قصر
نابلي ومن غرائب البلدة ارتفاع قبة كنيسة بها مبنية من ظاهرها بالرخام الابيض
والاسود على أتن صناعية وبها من الاسطوانات الجيدة اللاصقة بذلك الرخام ومن
المنقش الغريب فيه ما جعلها من أتن البناءات وارتفاع القبة مائة وثمانين
ميتر ووبازائها صومعة جيدة ارتفاعها سبعة وسبعون ميتر وهي في البناء على نحو
الكنيسة وبالجهة الغربية منها صومعة أخرى أعلى منها ومن القبة أيضا وبالبلدة عدة
ملاهي حسنة وقد اشتد البرد في هاته البلدة بالنسبة لما عهدها وقد أقمت بها ضيفا

عندئذ يدعى الوزير بحسين التونسي وترجمة هذا الوزير باختصار هو رجل من الجراكسة أتى الى تونس وسنه دون العشرة فرقي في سرية الوالي حسين باشا وأدخل الى مكتب المهندسين العسكريين فحصل مشاركة جيدة في النحو والادب والفقه ومهارة في الفنون العسكرية واجادة للغة الفرنسية ثم وظيف في عساكر الخيالة بجمعية أميرها اذذاك خير الدين باشا وسافر معه الى فرنسا في خصام محمود بن عباد في ولاية أحمد باشا ثم ولي رئاسة المجلس البلدي بحاضرة تونس وأحدث في الحاضرة اصلاحات عديدة في ولاية محمد باشا ثم عن دولته الصادق باشا ولي رئاسة مجلس الجنائيات ومستشارية الوزارة الكبرى وعضوية المجلس الخاص والمجلس الاكبر ثم استعفى من الجميع عند ايقاف القوانين ورحل الى أوروبا وساح سياحات واسعة اذ كان قبالا عرف أكثر ممالك أوروبا كالمانيا والدنمارك والسويد وهولندا والبلجيكا وإيطاليا وفرنسا وانه كثره والجزائر والاستانة في سفارته منفردا ومع خير الدين باشا سفيراً عن الوالي المذكور وعند استعفائه المذكور رحل الى المغرب واسبانيا والنمسا والروس وما وأمريكا ومصر والحجاز ثم استدعته الحكومة عن دولته خير الدين وزيراً مباشراً هو وغيره ممن ابتعدوا عنها فولى مستشاراً في القسم الثاني من الوزارة ثم سافر الى إيطاليا لخصام ورثة نسيم في حساب مورثهم مع الحكومة التونسية كما تقدم وأقام بليفورنو حيث مات المورث ولا زال في الخصام الى الآن ثم لقب بوزير الاستشارة ومستشار المعارف وهو ذو اخلاق كريهة وصفات عظيمة ومعارف واسعة وفصاحة مرعبة له عدة رسائل في كثير من المسائل وكانت اقامتي عنده في فيرينا في إحدى منازل المسافرين الضخمة قريماً من النهر واجتمعت بأشهر حكام البلاد المسمى شيفو بعد ان استقرأ تقرير المرض واستخبر الجسم أشار الى في مضمون كلامه ان المرض ليس بمخوف كما انه من الامراض المزمنة وانه يدافع بترتيب المعيشة في الاكل والمسكن وارتياح الفكر والبدن والابتعاد عن هواء البحر وحسن سكنى الجبال وان كثرة الادوية مضر قليل الجدوى واقد صدق ثم طلبت تلغرافياً ببقية رحلي وتابعي وسافرت قاصداً باريس مارا على تورين للاستراحة به سافر كمننا الرتل صبحاً وسمنا في الوهاد نحو الساعة على ذلك المنظر البديع ثم تصاعدنا في الجبال وكان للرتل حينئذ من جيتان ومهما ازدادنا تقديماً في الارتفاع الا وازداد المنظر بهجة ورونقاً الى ان انتهينا في الصعود فكان منظر اتراح له النفوس ويجلي عن القلب كل بؤس ياله من جمال وبالله من بدائع

بدائع صنعته كوينه وبخلافه باعمال الرجال فالقري البهجة مشرفة على مد الابصار والاشجار تمتد أغصانها لتناول الدراري من الافلاك تخالها بقايا قد انتشرت منها من الثمار اذ قد استعوضت عن خضرتها الزبرجدية بالبلوج اليافوتية والارض والجبال قد بسط عليهما بساط الفضة الزلال مع الاتقان في تنسيق الاشجار واثارة الارض بالحرق وقد فلق المياه من ينابيع العميون وسيل أمياه الملوحة المذابة المخدرة في جداول ثم نهيرات ثم أنهر متجمعة ولا يسير الرتل نصف ساعة الا ويقف على قرية نضرة وتارة يمر حذور واشن القصور وأخرى حول سطوح الديار ووطور ترى البندان تحتك في أسفل سافلين وهكذا مناظر بديعة مختلفة تتوالى كل لحظة ثلاث ساعات في الجبال وعلى الاجمال أن السفوف في جمال أوروبا بالتمهنة ذات العمران ليس له من لذة عندى توازيه سيما مع الركوب في الرتل في الطبقة الاولى في مخدع منفرد للشخص وأصحابه وعلى الخصوص اذا كان معه صديق يساحله في سائر المقاصد فان ذلك من نعم الدنيا الكبرى ومن هنالك حجت عنا الشمس بكثرة الابخرة المتصاعدة من الجبال والثلوج ثم نزلنا الى الوهاد بعد ان جرتنا في الجبال صعدا ونزلنا خمسة وأربعين نفقا فمنا ما يسير فيه الرتل عشرة دقائق ومنها ما يسير فيه دقيقة وكل نفق مظلم ويشهد غلامه ويخف حسب طوله وبعدها نرى في الوهاد نحو ساعة وتكثر نزول الثلج وصلنا الى بلد بولونيا وهي بلدة ضخمة لكن أبنيتها وطرقها ليست بحديثة سيما القديم منها وأغلبها على ذلك النونع بهما تزهات نزهة وأغلب الطرق يحفها يميناً وشمالاً الرواقات لشدة حرها صيفا وشدة بردها وكثرة ثلجها شتاء فتتقى المارة بتلك الرواقات وفيها موقف للرتل عظيم جدا لانها مناخ لتجارة لتوسطها بين بقية ممالك إيطاليا وسفيرة وفرنسا والنمسا والمانيا فتزدانها الارتال من الجميع وتزلنا في الموقف وتغدينا في محل الاكل هنالك وكان وقوف الرتل نصف ساعة ثم سمرنا الى تورين في ذلك المنظر البهيج المنبسط على الوهاد لكثرة اتقان الزراعة واثارة الارض وتعميرها وكثرة الابنية في الاراضي الزراعية كل ذي أرض له فيها بناء مع تحسين شكله وتنزين ظاهره ومع ذلك منظر الجبال في الجبال البهيج وعندما أراد الليل أن يسدل حجاباً تبدي وجه الغزالة المحرمان برقع السحاب على وجه الافق فباله من منظر بديع يشهد للباري تعالى بحسن الصنيع وما ودعنا نور الشمس الابعدا استخلف ضياء البدر المنير اذ كان ذلك أواسط شهر ذي القعدة فتفضض الافق والنواحي بهر يق البدر وكان جمال الليل مزهراً في تلك المناظر الجميلة له مسروراً الى أن

وصلا الى موقف الرتل بتورين بعد نصف الليل فاذا بذلك الموقف أبهى وأبهج وأضخم
من جميع ما رأينا سابقا واستمر سير الرتل من مبادئ متعلقات الموقف الى ان استقر فيه
أز يد من عشرة دقائق فكنت ترى فيها المزيجات والمركبات منبثة في جميع الجهات
مائة لا ركنها والرتل وارد وصار من كل أوب ومحل نزول الركب هو ساحة عظيمة
مرفوع سقفها على أعمدة من الحديد المستطيلة من قضبان من الحديد مرفوعة فيها
الزجاج والفوانيس موقودة بالغاز تضيئ كأنها رافاستر حنا في بيت الجلوس الى ان نزل
رحلتنا في الكرك وفعلا في تفنيد ما فعل في البلدان السابقة ثم ركبنا أحد الكراريس
الكبيرة المعلقة لنقل الركاب الى منازل المسافرين لان كل منزل كبير له كراريس كبيرة
تسع الواحدة ثمانية من الركاب في فوق تحماهم من المواقف الى المنزل والعكس
وذهبنا الى المنزل فلم نجد له لا نفقا فانتقلت الى منزل آخر حسن وأقت بهاته الباردة
يومين وهي مصر عظيمة ذات اتقان في الابنية والمساكن والطرق ومن خصائصها
أن طرقها تكاد أن تكون كلها متقابلة تتقاطع على التريبع بزوايا مستوية كما أن من
سماتها ان طرقها تكاد أن تكون كلها محفوفة بمرافات يمينها وشمالها قائمة
سقفها على أعمدة من البناء أو الحجارة المنحوتة ولا يمشي الرجل الا تحتها وفوقها ابنية
القصور والمسكن واليهما تفتح أبواب الحوانيت والديار وغيرها وأواسط الطرق
لاركاب أو العابر من جهة الى أخرى وأعظم بطاها البطحاء التي امام قصر الملك وهي
متسعة جدا في صدرها القصر الملكي وعلى جانبيه مساكن للعساكر والجهة الرابعة
قبالة القصر في وسطها طريق كبير يرو عن يمينه وشماله ديار ومنزل المسافرين
الذي نزلنا فيه وفي وسط البطحاء فوارات وأول ما رأيت الترموي في هاته الباردة وهو
مركبة ذات عجالات صغيرة من حديد تجري في صفحات من الحديد غائرة في الارض عمدة
مع الطريق الى نهاية ما يريدون ايصال السيراليه ويجرها انسان من الخيل وله في
كيفية ادارتها عند الوصول الى نهاية الطريق كي ترجع الى المكان الذي ابتداءت منه
كيفية فاحديها ان في محل الادارة يكون وقوفها على دائرة من الحديد ذات قطب
تدور عليه بسهولة في إدارة الدائرة تدور المركبة وثانيتها ان المركبة يكون مقدمها
ومؤخرها سواء فعند بلوغ النهاية من الطريق تفل الخيل الجارية من تلك الجهة ثم
تربط من الجهة التي كانت مؤخرها وتسير المركبة راجعة الى المكان الذي ابتداءت منه
وثالثها أن تكون الصفائح التي تجري فيها العجلات في نهاية الطريق مرسومة على نحو
دائرة

دائرة متسعة فتدور بها الخيل الى أن تعود الى الطريق الذي جاءت منه وكل كيفية من
هاته في طريق خاصة وبخاص وبسبب أعمال هذا الطريق هو لتسهيل جراكب على
كبرها اذ يركب بها نحو العشر بن نسمة في داخلها وعلى سطحها نحو نصفهم ولا يجبرها
سوى فرس - بن وهي وسيلة كبرى لترخيص أجرة الركوب وسهولة الانتقال فيقف في
مراكز معلومة كما تقف لكل من يطالب الوقوف للركوب أو النزول ويؤدي الأجرة
ذهب مدة نحو ثلاثين ساعة أي ثلاثين من تجرئة الفرنك الى مائة هذا اذا كان المكان
بعيدا وأما اذا كان قريبا فنصف ذلك المقدار والقرب والبعيد على حسب اتساع البلاد
وامتداد ذلك الطريق لكن القريب على كل حال لا يقصر عن الميل وهاته البلدة بها نهر
عظيم ومنظره خارج البلد بهج وبقربه في إحدى تلك الجهات منزعه عموحي كبير نزه وجبل
به أما كن لالا كل والقهاوى وقصر الملك حسن جدا وكبير متسع موق في تزويقه
بالذهب والالوان وبه جميع فرش -ه وحوائجها وقد كانت هاته الباردة هي قاعدة ملكة
الساردو الذي استولى على جميع ايطاليا واتخذت أخيرا تحت ملكها وبها خزنة للكتب
عظيمة جدا وعند ما دخلتها علمت كبر الفرق بين أهالي هاته البلاد وأهالي نابلي فان
الثانية لما دخلت خزنة كتبهم المأجدا لا أفراد لا يتجاوزون جمع القلة وهاته لما دخلت
الى خزنة كتبها وجدت ما فعمدة بمئات من الرجال وقليل من النساء كل منهم مكتوب على
المطالعة في كتاب ولا تجد حسا الواحد الا همسا لكي لا يشوشوا على بعضهم فن مطالع
ومن مقابل ومن ناسخ ومن مفكر والكتاب بين يديه فعملت ان أهالي هاته الباردة
معارفهم أوسع وسوقهم لديهم أروج وذات الخزنة كتبها أكثر مما رأيت -ه سابقا وبها
مصادف كريمة ذات خطوط أعجمية أنيقة مذهبة ومونقة للغاية القصوى ولها
صناديق ووجهها وسقفها من الزجاج مقفولة لحفظها ولا يحلها الا القيم عند التأكد
ففتحها لي وتشرفت بها ثم رحلنا من هاته الباردة قاصدين باريس في مرحلة واحدة ولما
كانت المرحلة بعيدة آثرت كراه مخدع في الرتل ذي فرش -ه ومتراح ولزم لذلك اعلام
مدير الرتل من قبل وقت الركوب لكي يحضره على الصفة التي نريدها ولكي يعلم موقف
الرتل في حدود فرنسا باحضار مثله في رتلهم حيث ان الركاب ينقلون هنالك من الرتل
الطلياني الى الرتل الفرنسي فركبنا في الساعة الثامنة بعد الظهر ليلا في مركبة ذات
مخدع له ثلاث مساطب فرشها حبرية وكل مسطبة تنفتح فتستطيل الى أن تصير فراشا له
وسادة وقد اخترتها بحيث يكون الركاب فيها مواجها الى جهة السير لان عكسه يورث لي

دوارا وفي وسط الخدع باب يدخل منه الى محل ذي مستراح في أحد جهتيه ومقابل له محل
ذو أبواب للماء ينفتح وينغلق بجري منه الماء وذوانا ينزل منه الماء المغسول به وبه
مرآة بحيث يستطيع الانسان التوضي هناك واصلاح لبس ثيابه وفي الخدع أيضا امرأة
ومائدة تنفتح من جهة الحائط الموالي للمحل المرافق حتى ان الانسان يقضي هناك جميع
ساعاته بغاية الراحة وانما رفقنا من مبادئ الوضوء ويدت ابرة لمعة رفة القبلة في
صندوق صغير من الجلد فيه بعض الثياب ومناديل الانف واذا حان وقت الصلاة نصلي
بلا تعب سوى ان الاتباع ينزرون الى جهة غير القبلة ولعل هذا الاطلاق يتجرى الانسان
في الركوب مع الرفقاء لكي لا يكون عليه حرج فيه ما يريد كما انه اذا حان وقت الاكل
ووقف الرتل في إحدى المواقف على البلدان تنزل الى محل الاكل فيجد فيه ألوان الطعام
والفواكه فاشترى ما يريد ونحوه الى الخدع لكي تأكل بالاستراحة اذا لا كل في المواقف
يلزم أن يكون عاجلا خوف سفر الرتل والرتل ولان كان يقف بعد كل نحو نصف ساعة
أوساعة على البلدان غير أن وقوفه لا يطول الا بقدر ما ينزل الى كاب القاصدين تلك
البلدة ويركب منها غيرهم أو أخذ المزرعية الماء أو الفحم أو البدها غيرهما اذا تمت ساعات
قوتها بحيث ان الحصة أطولها عشر دقائق (أما) في وقتي العشاء والغفوة يقف الرتل
نصف ساعة أو يزيد بقليل ويهلم الركب جميع ذلك من المنادى الذي ينادى عنه مد
وقوف الرتل رافعا صوته بقوله بلد كذا ويسمى البلد الذي وقف عليه وكذا دقائق أى
يقف كذا دقائق ويفتح الابواب للركبات فيه ينزل من يريد النزول ولولقضاء ضرورة
ويرجعون على عجل واستقر بنا السبيل الى أن وصلنا الجبل المنسني الشاهقة وطفق
الرتل يجري بين صعود ونفوذ في انفاق واحد بعد آخر الى أن جاز في نفق اسمه في الجري
فيه خمسة وعشرين دقيقة غير أنه دون السير المعتاد وهو أطول نفق في أوروبا وصناعته من
عجائب صناعة الهندسة اذ هذا الجبل واقع في الحد بين فرنسا وإيطاليا فاحتمته الشرقية
الجنوبية الى إيطاليا والشمالية الغربية الى فرنسا ولما أرادوا وصل الطرق الحديدية
انفقوا على حرق الجبل فجعلت عملة كل من المجنسين تستغل من جهتهم وبعد الاشغال
بضع سنين اتصل العامة لمون بعضهم ببعض على خط مستقيم والحال ان طوله تسعة أميال
تقريبا ونور فيه فوانيس ليل لاوتها راويقيم به حراس لتفقد الطريق ولهم مساكن
معدومة وأما كن وسبعة لوضع الضروريات التي يحتاج اليها الصلاح الطريق ومراكز
لثلاث النكهة بالرتل لا يدخل الا اذا رأى علامة الحارس بالاذن بالدخول وبينها

كناساثرين فيه واذا برتل آخر مقبلا من فرنسا اذ اذهب الى ايطاليا فها منعك من
متحاذين مع اشتداد دوى العجلات والصدى والظلمة وسرعة السير فكان منظرها هائلا
واشتد البرد هناك اشتدادا خارقا لعادة حتى أن بخارا النفس كان يجب مد على شاربي
وزجاج طواقى الخدع كان ينبج مدعا به بخارنا الى أن يمنع الضوء وينكمر بالتكمير
قطعا كالجليد وأيقظتني شدة البرد من النوم مع التردى بالثياب الثقيلة الصوفية وأحدها
مستبطن بجلد الفراء العالي وفي الخدع قنوات من النحاس ملائكة بالماء الخارجا
ملفوفة في خرق من الصوف وعند ما وصلنا الى بلد مودان أول موقف الرتل من جهة
فرنسا نزلنا لالانتقال للرتل الفرنساوى وابتهد الأمر فيها شاهدته بفرنسا فلهذا
الاكن لبقية الكلام على ايطاليا فاني عدت اليها ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م
وزدت معرفتي بالبلدان التي ستذكر وهي ابرندزى التي هي أكبر المراسى جهة
شرقي إيطاليا ولها ما من حسن وحصون وبقية البلدان ليست الا قرية محتوية على
لوازم أهلها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بارى وهي مرسى أيضا دون الاولى
ولكنها أكبر منها بلادا وأحسن حضارة سيما الابنية الجديدة التي لها اتقان في
انتظام الطرق وسعتها واقمت بها ليلة ثم توجهت الى بولونيا وقرمرز كلها وجميع
ما مررنا عليه كان في غاية العمران والانتظام في الزراعة وكثرة الشجر من الزيتون المجر
جميع تلك الارض مع بعض غلال أخرى شتى وجميعها يسقى بالنواعير من الآبار بادارة
الدواب جيرا وخيلا وبغالا وكذلك القرى كانت كثيرة منتشرة وحيث كان مرورنا وقت
الحصاد صيفا كنا نرى جميع الجهات مشغلا أهلها فبعضهم يحصد الزرع حتى الذي
تحت أشجار الزيتون وآخرون يتبعونهم يسقى الارض وفي أثرهم آخرون يشيرون
بالحرث ما حفر من الارض وهكذا بحيث لا تبقى الارض مدة ثوارا ويرزعون في بعض
الجهات اذ ذلك بقولا بحيث يصح أن يقال ان الجهة الشرقية من إيطاليا أعمر من
الغربية وبعد ما قمت ليلة في بولونيا توجهت الى قرية منتهى كاتيني التي بها مياه
معدنية عليها حمامات تهرع اليها الاهالى صيفا لنفع المياه وفيها شيء من التحسين
غير أنها شديدة الحر لا كتنافها بالجبال المخورة بالقرى والأشجار ذات الغلال الصيفية
والحاصل ان الجهات البعيدة عن البحر صيفا في أوروبا هي مساوية أو أشد حرًا من
شمال أفريقيا وبشتت تعب الركب في الرتل من الحر لانه ان فتح الطواقى اسود لونهم
وربما أوديت عيناهم من الدخان والغبار بسرعة الرتل وان أغلقها حبت عليه نار لظى

وحالة البلدان في البحر كما مر ولذلك لم نطل الإقامة هناك وتوجهت إلى ليفورنو التي هي على البحر كما سبق وبقيت بها حتى توجهت منها السفيرة ثم عدت إليها مارا على مدينة ميلانو التي أعدها فيها اذذاك معرض عام لمصنوعات إيطاليا ومخلوقاتهما فاذا هي أي ميلانو أجل بلاد إيطاليا وأكثر حضرة وانفردت بالسوق المسمى القلارية الذي هو في غاية الجمال والبهجة ومن غرائبها أنه توجد قبة الوسطى عرجية مقرر على طريق حديدية بسرعة لا يقاد للبخر الغازي وهي مزججة صغيرة نحو ذراع طولا وأما المعرض فهو نموذج من معرض باريس التي ذكره وانما هذا أصغر بكثير وخاص بملاحظات إيطاليا وشاهدت فيه تجربة جرار تل بالقوة الكهربائية السارية في قضبان طريق الحديد لكن التجربة افادت أنهم لم ينفوا المراد لحصول الوقوف أحيانا عن غير اختيار لكن بلغني فيما بعد أنه تم أمره في ألمانيا وصار مستغلا به

فصل

❖ (في تعريف إيطاليا) ❖

(اعلم) ان إيطاليا قسم من أوربا الجنوبية وهي شبه جزيرة في البحر الأبيض متصل من جهتها الشمالية بالقارة فيجدها شمالا اسفيسره وفي الشمال الشرقى النمسا وفي الشمال الغربى فرنسا وفي الغرب والجنوب البحر الأبيض وفي الشرق بحر البندقة وهي على شكل مستطيل من الشمال إلى الجنوب ويميل إلى الشرق على هيئة شبه جزيرة ذات عقب ومهماز وقباله منتهى أصابع القدم جزيرة صقلية المسماة الآن بسيسيليا يفصل بينهما خليج ضيق يعرف بخليج ميسينا وتبتدى من الشمال من عرض ستة وأربعين درجة وأربعين دقيقة وتمتد إلى الجنوب إلى عرض سبعة وثلاثين درجة وخمسين دقيقة من العرض الشمالي وتبتدى عجهة الطول من باريس من الدرجة الثالثة وخمس وأربعين دقيقة إلى ستة عشرة درجة وخمس دقائق فنهاية طولها نحو ألف ميل وذلك من جبل مون بلان إلى رأس سباريفيتو وأما عرضها فيختلف جدا فمن جهة الشمال نحو ثلاثمائة وستين ميلا ومن جهة الجنوب نحو مائة وخمسين ميلا وفي بعض الجهات الوسطى نحو أربعين ميلا فقط ولها عدة جزائر أشهرها وكبرها جزيرة صقلية وجزيرة سردينيا ولها قرب تونس جزيرة بنت ليا وهي ذات شطوط وسبعة جدا وبها كانت دولتها دولة بحرية وأما جبالها ففيها عدة سلاسل فمنها جبال البوا وجبال البين وجبل

وجبل كورنوفو وأعلىها وارتفاعه على سطح البحر ٩٥٢٠ قدما وجبل فيليني ووفيهما عدة جبال بكائية منها ما انعدم وصار عوضا عن فوهة النار بحيرات مثل بحيرة رسيين وبرسيانو وبلينا كلها في الجبال وأما الباقي منها بلاد كانافو وجبل الفوزو وقرب نابلي الذي ارتفاعه ١٢٠٠ ميتر وجبل اتينا في سيسييليا وارتفاعه ٣٣١٣ ميتر والتلج دائم عليه وجبل الترنبل في جزائر ليبري ويظن ان بين هاتاه الالائة منافذ تحت الأرض وقرب نابلي عدة جبال تقذف بخارا كبريتا وتسمى سلقارو وقرب ليفورنو جبل يقذف بخارا ماثيا ويسمى سوفيو في وأما النهر هافسي كثيرة لكنها لا تعظم جدا لقربها من البحر وأعظمها نهر بوفاصل بينها وبين النمسا ونهر تيبر الذي يجري إلى رومة ونهر رافنو المار على فيرينسا وبيزة واديح جهة ولاية الترو لوال تابعة إلى النمسا وغربها وكلها لا تحمل السفن الا القوارب الصغيرة سوى الأولى فانه يحمل القوارب الكبيرة وان كان السير فيه صعبا لوجود جزائر رمايه به نعم ان نهر راديج يحمل السفن من بلد ترنتو إلى البحر وبها أيضا ترع صغيرة أشهرها الترة التي بين بيزة وليفورنو تحمل القوارب الصغيرة وكذلك الترة الموصلة بين نهرى التيفر وارنو وبها أي إيطاليا عدة بحيرات منها المسماة لاغوما جوري أي الكبرى وكومو وغاردوليكو ولوغانو ويزيو وأما هواؤها فهي وجيم وفي كل الجهات الا في الجهات الوسطى حيث توجد مستنقعات المياه المسماة بوتيبي فانها يحدث منها امراض عامة في الصيف لاهاليها لادومها رومية كما تقدم وتوجد تلك المستنقعات أيضا قرب فينسيا وقرب نهر بو وفي ولاية كالابريا الجنوبية ولا زالوا محتمين في إزالة تلك العوارض فان بلاد ليفورنو كانت من أشد الأماكن وخامة لذلك السبب وكان أهلها قليلين جدا فاجتهدوا في تنقية المياه ورغبوا في هجرانها حتى أعفوا الساكنين بها من كثير من الضرائب وصارت الآن لا بأس بها وانما كثيرة العمران بتمتد بها الناس صيفا من كثير الجهات العليا من شمال إيطاليا فانها منقزة جيدو كذلك جهات نابلي وجزيرة صقلية والهوا فيها على الاجمال ماثل إلى الحر المعتدل والصيف في جنوبها يطول واذها بتريح السموم فعات بها من المضرة بالجفاف ما تغعله بتونس وأما شمالها فهو إلى البرد اميل وأماناتها فينبغي بها المحبوب من القمح والشعير والذرة في جهاتها كلها والبساتين ونبات التكروري الذي يصنع منه الجبال والكمجان والقطن والفوة والعنب وتنفرد الجهة الجنوبية ببال بردقان والموز والخيل والهندى أي التين الشوكي والتبغ وقصب السكر وان كان النخل لا يشهر الترو وتنفرد

الجهة الشمالية بالارز والزعفران والقسط والحبة قالموا والجوز كما يعم بها الزيتون
والنخيل والكثير من الاجاص والتوت والتين واللوز والفندق وعروق رب السوس وبها
عدة آجام وغابات غير ان في الجهة الجنوبية منها ملة وغـ ير منتظمة واشجارها متفرقة
وانواع هاته الاشجار هي الصفصاف والدردار وغيره مما تقدم ذكره في غابات تونس
(وأما حيواناتها) ففيها الخيل لكنها قليلة واحسنها في فينيسيا وما حولها ومنها نوع قصير
جد او حشي يوجد في جزائر سردانيا ومنها البغال واكثرها في الجهات الجنوبية وكذلك
الحبر ومنها البقر والمعز والضأن بقـ لة والجماموس والخنزير ودود الحـ ير والنـ ل
والسمك بأنواع شتى في الانهر والابحـ ر ومن الحيوانات الوحشية الضبع والثعلب
والذئب والخنزير البري وبقر الوحش والذب (وأما الطيور) ففيها أغلب ما في القطر
التونسي وتزيد بالعزيزان بأنواعه واكثره ابق اللون بين السود والبياض وهو أكثر
ما رأيته في البراري وهو ثقيل الطيران وحجمه أكبر من الخجل وأصغر من الدجاج وفيه
أنواع حشرية كبيرة ولها ألوان جميلة مفضضة ومذهبة كما توجد به الحشرات التي توجد
في الاقاليم الحارة سيما في الجهة الجنوبية غير انها ليست بشديدة الخبث بالنسبة للحشرات
أفريقية يقيمون من قريب حيواناتهم نوع من الكلاب يربي عند قيسـ ين في جـ بل صان
يرنات وفي الجهة الشمالية الدائم فيه الثلج ومن خصائص هاته الكلاب انه اذا اشتد
البرد وحدث زوابع فالقسيسون يسرحون كلهم وفي عنق كل واحد اناء صـ غير معلق
ملوء بشئ من الارواح المسكرة الحادة وله انبوب ينفتح فتذهب تلك الكلاب وتروى
الجهات لعلها تجـ د انسانا على شفا الهلاك من البرد فتقرب منه وتمكنه مما يرقبها لكي
يسخن به فان استطاع بعد ذلك الذهاب معها دلته على محل أصحابها وان رآته لم يتبعها
ذهبت لأصحابها وأعلمتهم بميـ ثة خاصة حتى يتبعونها ويخلصون الانسان من شدة
البرد فتفترق الكلاب على ذلك النحور وتكون سببا لنجاة من تطفـ ر به وهؤلاء
القسيسون لا يبيعون من اناس هذا النوع ليكون خاسرهم (وأما معادن هـ) فليس
فيها معادن كثيرة ولا غنيـ ة سوى شئ من النعم الحـ رى في التوسكانه وقرب مـ سـ نة من
سـ سـ ليا ونوع من الطين يشعل بعد التعفيف مثـ ل الفحم الحـ رى وفيها زيت البترول
أى النفط وفيها الحديد بكثرة في عدة جهات منها المبارديه وسردانيا وسـ سـ ليا وكلا برى
وجزيرة البـ و فيها الفـ س في جبل المبارديه وفي فينيسيا والبـ و توسكانا وفيها الرصاص
أيضا في عدة جهات والزواقي والزنبكرو ومعادن اتـ ونيو ومعادن منقـ نـ ر والكبريت
وأعظمه

وأعظمه في سـ سـ ليا يقرب بالقلعة لاني سـ سـ و هو الذي تشتغل منه جميع أوربا وفيها من
معادن الحجارة كثير وغنى فيه الرخام الأبيض الشفاف الذي تصنع منه التحف والمرمر
الاحمر والرخام الاسود والبرسلانه والطين الماتون والمرمر الرفيع والرخام الأبيض المعتاد
وفيها سـ باخ عديدة للملح ومعادن ملحـ ية ومعادن التـ كـ الر الذي يشغله الصاغة وفيها
مياه معدنية كثيرة أهمها في ولاية البـ مـ نـ ت وولاية فينيسيا وولاية التـ وـ سـ كـ انا وفي نابلى
وأشهر الجميع مفتـ كـ كـ تـ نـ ي في التوسكانه (وأما مدن هـ) هاته المملكة فقـ سـ عـ دـ تـ هـ ا رومـ ة التي
أخـ طـ ت سـ مـ نـ ٧٥٣ قبل التاريخ المسيحي وموقعها كانها مـ تـ وـ سـ طـ ة بين الجنوب
والشمال في المملكة وتـ قـ ر ب الى الشاطئ الغربى وقد تقدمت صـ فـ تـ هـ ا وقد انقـ سـ مـ ت
هاته المملكة الا ن باعتبار الادارة الى اثنتى عشرة ولاية كبرى لكل منها عدة
أوطان فينتقم جميعها الى تسعة وستين وطنا كل وطن له مركز من المدن ويعرف باسمه
فاما الولايات الكبرى فـ نـ ذـ كـ ر هـ ا بـ سـ عـ ا شـ هـ ا ونـ ذـ كـ ر عـ دـ د أقسامها فقط بدون ذكر
لأسماء بلدان الا و ان الثـ نـ و يـ ة لـ طـ و ل الكـ لـ م و قـ لـ ة الجـ دـ وى فالاولى من الولايات
الـ مـ نـ ت وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا تـ و ر يـ نـ و وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٢١٥٠٠٠ وبها أربعة أوطان وثانـ هـ ا
لـ مـ ا ر د يـ هـ وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا مـ يـ لـ ا نـ و وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٢٦٣٠٠٠ ولها ستة أوطان وثالثـ هـ ا
فـ يـ نـ يـ سـ يـ ا وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا مـ د يـ نـ ة فـ يـ نـ يـ سـ يـ ا التي أعـ اـ ب طـ ر قـ هـ ا خـ لـ جـ ا ن بـ حـ ر يـ هـ مـ ر و ن فـ يـ هـ ا بـ القـ و ا ر ب
وسـ كـ اـ نـ هـ ا ١٣٠٠٠٠ ولها تسعة أوطان ورابعـ هـ ا لـ يـ فـ و ر يـ ا وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا جـ نـ وـ ة وسـ كـ اـ نـ هـ ا
١٣٠٠٠٠ ولها و طـ نـ ا ن وخامسـ هـ ا أـ مـ يـ لـ يـ ا وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا بـ و لـ و نـ يـ ا وسـ كـ اـ نـ هـ ا ١١٦٠٠٠
ولها تسعة أوطان وسـ اـ دـ سـ هـ ا تـ و سـ كـ اـ نـ ا وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا فـ يـ ر يـ نـ سـ ا وسـ كـ اـ نـ هـ ا ١٧٦٠٠٠ ولها
سبعة أوطان وماتقدم كله جهة الشمال ثم في الوسط وسابعـ هـ ا مـ ا ر كـ ي وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا نـ كـ و نـ ة
وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٤٦٠٠٠ ولها أربعة أوطان وثامنـ هـ ا لـ و مـ بـ ر يـ ا وتـ حـ تـ هـ ا بـ ر و زـ هـ وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٥٠٠٠٠
ولها و طـ نـ واحد وتاسعـ هـ ا لـ ا تـ سـ يـ و وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا رـ و مـ ة قـ اـ عـ دـ ة الجـ مـ يـ ع وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٢٤٥٠٠٠
ولها و طـ ن واحد ثم في الجنوب عاشـ ر هـ ا نـ ا بـ لـ ي وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا نـ ا بـ لـ ي وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٤٠٠٠٠٠
ولها خمسة عشر و طـ نـ ا وحـ اـ دى عـ شـ ر هـ ا سـ يـ سـ يـ لـ يـ ا وقـ اـ عـ دـ تـ هـ ا بـ ا لـ بـ ر مـ و وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٢٢٠٠٠٠
ولها سـ بـ ة أوطان وثاني عـ شـ ر هـ ا مـ ر دـ ا نـ يـ ا وتـ حـ تـ هـ ا كـ لـ ا ر ي وسـ كـ اـ نـ هـ ا ٣٣٠٠٠٠
ولها و طـ نـ ا ن (وأما مـ ر ا سـ ي) هاته المملكة فهي كثيرة فـ نـ هـ ا جـ نـ وـ ة في الشاطئ الغربى
الـ شـ ة الى ثم ما يأتى بـ لـ هـ ا جـ نـ و بـ ا لـ ي التـ ر تـ يـ ب الـ آ قـ ي وهى اسـ بـ يـ سـ يـ ا ثم لـ يـ فـ و ر نـ و ثم شـ يـ نـ ي
تـ ا فـ يـ كـ يـ ا ثم نـ ا بـ لـ ي ثم كـ سـ تـ ا لـ مـ ا رى التي هى أعظم الكل لاشـ ة مـ ا لـ هـ ا لـ ي مـ جـ ل كـ بـ ر لـ سـ فـ نـ و لـ و

المدرعة ثم ميسينا وهي في الجنوب وهي حربية ثجارية ثم تارفعوفي شاطئها الشرقي على بحر اليونان ثم مرسى ابرنديزي ثم انكونة ثم فينيسيا وهي على بحر البندقية فهاته هي المراسي الكبيرة وهناك غيرها كثير (وأما الاهالي) فعددهم على ما تحرر ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م تسعة وعشرون مليونا وهم في الاصل من أبناء الاصليين وهم من الامم الذين ارتحلوا الى هناك من المشرق والشمال في اوقات مختلفة ولاكن صاروا بالاسم جنسا واحدا يضمهم سمرة قليلة لسان قاضي الخلقه اهل جند في الشمال واهل الشمال منهم تقدمت فيهم الحضارة اكثر من اهل الجنوب اذ اهل الجنوب والوسط لزال فيهم أناس على سذاجة تقرب من التوحش وكلهم على الديانة النصرانية على المذهب الكاثوليكي الا خمسة وثلاثين ألفا فهم على مذهب البرية ستفت وثلاثة وعشرون ألفا من اليهود ومن الاهالي ستون ألفا من جنس الارناووط

فصل

* (في اجمال تاريخ ايطاليا)

مطلب

✽ (في تاريخها القديم)

(اعلم) ان اول ما سميت ايطاليا بهذا الاسم حسب ما وجد بتواريخ الرومان الاقدمين في واسط الالف الثانية قبل التاريخ المسيحي نسبة الى ملكها احد العائلة التي أتت من الموريساء ايطاليايوس وقد كانت من قبل ذلك تسمى ساويرينا وكانت مسكونة باهم اصليين اسمهم ابوريجان ثم وفدت عليهم اثم في ازمان مختلفة من اليونان واهل الشمال وغيرهم وابتدأ فيهم ملك الرومان العظيم من المائة الثامنة قبل الميلاد وكان منشؤه في ملكة رومانية التي هي قطعة من ايطاليا وامتد شيا فشيا وتكاملت أوصاف الفخر في الرومان تدريجا في المائة الثمانية والثلاثين قبل الميلاد ثم اتحد تاريخ ايطاليا بتاريخ الرومان الى أن تسلط الرومان على غالب المعمور المعروف اذذاك تحت تسلط الدولة الجمهورية الرومانية ثم أبطلت الجمهورية وأحدثت الامبراطورية التي يلقب صاحبها بالقيصر قبل الميلاد بثلاثين سنة ودامت سلطنة عظيمة مع الانقلابات والحروب الى أن انقضت في سنة ٣٩٥ مسجبة الى سلطنة غربية وهي الاصلية وسلطنة شرقية مقرها في

في سورية وآسيا الصغرى وما والاها وأصحاب هاته هم المذكورون في سورة الروم وهم المعنيون بذلك اللقب أي الروم والسلطنة الغربية التي مقرها ايطاليا تخربت وتسلط عليها اثم متعاقبون ثم دخلت تحت سلطنة المشرق ثم افنت ملكها منهم امة لومبارد لكن بقي للمشرقيين بين الجهات الجنوبية وكانت تسمى السلطنة اليونانية أو الانغريكية أو الرومانية ثم انخرمت أيضا وتأسست تسلط البابا في رومية من ١٠٤ هـ سنة ٧٢٢ م لكنهما سلت حتى ودعت فاس تولى الفرانيس على قسم من ايطاليا وقوم النباردي اسـ تولوا على قسم والسلطنة اليونانية على قسم وبقي البابا تحت ولاية الامبراطور شامان ملك فرانسا وغـ يرها ثم اسـ تقلت ايطاليا وكان لها تاج خاص ووقعت انقلابات وانقسامات الى أن جرد ملك البابا ٤٦٦ هـ سنة ١٠٧٣ م وتم ذلك في ٥٢٦ هـ سنة ١١٣١ م حيث تأسست ملكة الصقلية بين واضحت ببقية السلطنة اليونانية وغـ يرها وصار ملكها جيرا والاول تابع للبابا ثم فارت الثورات في عدة جهات وانقسمت ايطاليا أقسام بعضـها جمهوري وبعضـها ملكي وتعاقبوا على رومية مقر سلطنة البابا ونفوه منها وحده في الجنوب ملكة صقلية التي كان المسلمون استولوا على جانب كبير منها بعبورهم البحر من تونس واستولى فتح قسم منها القاضي الامام أسد بن الفرات فقد كان جامع بين علوم السياسة والحرب والشرع وتوفي هناك رحمه الله ثم بعد مدة تغلب النصراني عليها كما أن الجهة الجنوبية أيضا انتشأ بها ملكة نابلي ثم رجع البابوات الى ايطاليا من نفهم الى فرانسا سبعين سنة ولم ينزع الاهالي في ابعاد الجانب من الاستيلاء عليهم مع الجهد فيه وتعاضدت حروب فرانسا واسبانيا على الاستيلاء على ايطاليا الى أن تم الامر الى اسبانيا ٩١١ هـ سنة ١٥٠٥ م ولم يخرج عليها الا البندقية ثم تقهرت اسبانيا هناك تدريجا ثم تغير الحال في حروب نابليون الاول امبراطور الفرانيس أوائل القرن الحالى هجرى وأولى الامبراطور على ايطاليا أخاه ثم صهره ولم يبق خارجا منها الا صقلية تحت حكم أحد عائلة البربون وكذلك سردينيا تحت حكم أحد عائلة ساقويا ثم عند سقوط الامبراطور المذكور ١٢٣٠ هـ سنة ١٨١٤ م انقسمت ايطاليا الى سبع ممالك كل منها مسـتقل وهي ملكة رومية تحت حكم البابا الرومي والمليكي وملكة سردينيا تحت حكم عائلة ساقويا ويتبع الجزيرة قسم من القارة الشمالية الغربية وملكة اللباردية تحت ولاية امبراطور النمسا وملكة بارمة تحت ولاية نسـلى امرأة نابليون الاول وملكة مودينا تحت ولاية دولك من عائلة امـبراطور

النمسا وملكه توسكانا تحت ولاية دولك من تلك العائلة أيضا وملكه نابلي وبتبعها
صقلية تحت ولاية أحد عائلة البربون

مطلب

في تاريخها الجديد

اعلم ان دولة السارد واحد من الممالك المذكورة قد أسست القوانين والحريّة
الشخصية ومشاركة الأمة في السياسة الملكية من عهد شارل البرت المتولى ١٢٤٧ هـ
سنة ١٨٣١ م وكان من هممهم استقلال ايطاليا واتحادها تحت علم الحرية لكنه
لم يصادف رجالا ذوي همم تعين على المقصود الى أن تنازل عن الملك لولده فيكتور امانويل
١٢٦٦ هـ سنة ١٨٤٩ م وكانت دولته لها القوة من جهة القوة
المعنوية لانها ذات قوانين وحرية عادلة وان كانت ملكه نابلي أعظم قوة صورية
وأما بقية الاقسام فما كان منها تحت النمسا وحسب أو معنى فالاهالي نافرون منه وان كان
بعضهم له الحرية والقوانين كما أن ما كان تحت البابا كان يجري فيه الظلم بحسب
الشهوات فدام الحال على ذلك الى ١٢٦٩ هـ سنة ١٨٥٢ م حيث وقعت
الحرب بين الدولة العثمانية والروس باوتناضدت فرنسا وان كانت كاتبة على اعانة الدولة
العثمانية وكان ملك دولة السارد وملك كورمليك عاقلا واسمته نوزر وزير اذادهاء
وفطنة وهو كافر وكان يأتمنه ويثقه اذ الى نصائحه كما ان الاهالي لهم اعتماد على صفة
ووفائه بحقوق الوطن وكان فيه من الاهلية ما أعانه على اتحاد ايطاليا بتدبيره وسعيه كما
سيتلى عليك فقه العمل الجهد واتفق مع فرنسا على اعانة الدولة العثمانية في الحرب
المذكورة وأرسل على عساكره البالغه اثني عشرة ألفا وسفنه مع قوات الدولة الكبيرة
وكان ذلك أول خطوة لايطاليا في الدخول في زمرة الدول العظام في العصر الاخيرة ثم بعد
وقوع الصلح وقع الاتفاق بين دولة السارد ودولة فرنسا على اخراج ما بيد النمسا من
ايطاليا ووضعها الى دولة السارد على أن تعطى هاته الى فرنسا وطني ساقوي ونيس
الليدان هـ ما في حدود فرنسا جهة ايطاليا حول الشاطئ بدعوى أن أصابعها من جنس
الفرانسييس وأسس نابليون الثالث ملك فرنسا من ذلك الوقت قاعدة اتحاد الجنسية أي
ان كل جنس من البشر له حق الوحدة في انتشائه دولة مستقلة اذا كانت فيه أهلية لذلك
وساعده على هذا المقصد كون ملكه فرنسا كلها جنسها متحد فرانسواي فلا يخشى على

ملكته من تلك القاعدة كما ان من سمعوا تهايدعي ان ليس لاهلها أهلية بدعوى
الوحدة وعند حصولها لم لا يجمعهم من ذلك وعند اشهاره لهاته القاعدة وارادته
الاعانة على انفاذها في العالم كان عقلاء الفرانسييس معارضين له فيها ومن أشهر المضادين
له تيرس ذو الشهرة بالتدبير والسياسة وكان يصرخ في مجلس الندوة ان هاتيك القاعدة
تؤل بالوبال على فرانسالا من حيث الخوف من تفرق اهلها لانهم من جنس واحد ولكن
من جهة تقوى جيرانها كاطاليا والمانيان فان الجار اذا كان ضيفا فخاره القوي يكون
أمنامه بل يكون له النفوذ فيه بخلاف الجار القوي فانه رأي الضيم ويقع معه
التشاحن المؤدى الى الحرب التي تجهل عاقبتها فضلا عما تستلزمه من الخسائر المحققة في
الدماء والاموال غير أن صراخه لم يثمر شيئا لان دولة فرانسافي مدة امبراطورية نابليون
الثالث ولان كانت قانونية شورية ظاهرة فانها في الباطن استبدادية في السياسة
العامة وكما يريد الامبراطور يتم غرضه فيه ولذلك أعلنت دولة فرانساي طلب النمسا
أن تسلّم في الولايات الطليانية لدولة السارد ووأعلنت الحرب لذلك وتعاضدت فرنسا
والسارد وعلى حرب النمسا وحدها وقد كانت أنشئت جمعية أهلية طليانية تسمى جمعية
وحدة ايطاليا تحت رئاسة رجل منهم شهير باشجاعة وحب الوطن وهو كاري بالدي
وتعسكر تحت كثر من المتطوعين الطليانيين من جميع جهات ايطاليا وأعانوا السارد
والفرانسييس واستمرت الحرب وكان ملوك الدول الثلاث في معسكراتهم وان كان قسم
وحدة ايطاليا كله تحت رئاسة امبراطور الفرانسييس واتخذت النمسا موقع الصلح
المسمى بصلح زوريك نسبة للبلد التي امضيت فيها الشرط وبمقتضاها سلم امبراطور
النمسا في ملكه لمباردية الى امبراطور الفرانسييس وهو اطلقها الى ملك سردينيا كما سلم له هذا
في ولايتي نيس وساقويا وذلك ١٢٧٦ هـ سنة ١٨٥٩ م وبما كانت الحرب مستمرة
في ميادين لمباردية واذا بقيت ايطاليا ثارت من جميع الجهات منادبة بالوحدة تحت راية
كاري بالدي الى ملك السارد وفما الملك الشمالية فبعدوا مجامع في عدة مدن للتدبير
في أمرهم واستقر أمرهم على الاتحاد ورضيت به الاممة فانخلع ملوكهم طوعا وسمت
مالكهم الى ملك السارد (وأما) الجهة الوسطى وهي ملكة رومانية فخرج منها ولايتان
اتحدتا مع بقية ايطاليا وبقيت مدينة روم وما تبعها للبابا لان الفرانسييس أي على السارد
اذاية البابا حيث ان الرهبان لهم نفوذ على العائلات العالية في فرنسا والامبراطور يتقي
جانهم فالزم السارد والحجادة عن البابا وأرسل الفرانسييس الى روم لحماية البابا من

ثورة رعياء قسمان العساكر الفرانساوية واسطولا على مرسى شينى تايفيكيا (وأما الجهة)
الجنوبية فقار أهلها أيضا ونادوا بالوحدة تحت راية كاريبالدى ثم وردت لهم عساكر
الساردو واشتدت الحرب مع ملك نابلى الى أن قهر وفهر هار باومت وحدة ايطاليا بذلك
١٢٧٧ هـ سنة ١٨٦٠ م وقبل فيكتورامانو فيل الثمانى الملقب بملك ايطاليا غير انه بقي
خارجا عنها بقية مملكة رومانية وولاية فينيسا التي تحت النصارى الامبراطور الفرانسيى
في الحرب المشار ذكرها استعربان الروسيا تريد الاعلان بالحرب ضده اذا طالت المدة فجعل
بايقاع شروط الصلح مغتنما بهرجة النصر بما أمكن وبذلك وحيا به البابا لم تتم منه
الفرانسيى على ايطاليا ثم ابتغت على قاعدة الوحدة الجنسية المشار ذكرها دعوى المانيا
التي كانت اذذاك تحت رياسة النمسا الحق في الاستيلاء على ولايتى الهولستين
والشولسويغ اللتين هما من جنس الالمان ولايتهما كانت بالوراثة راجعة الى
ملك الدانيمرك وأجرى فيهما قوانين مملكة الدانيمرك فادعت المانيا بلزوم اخراجهما
وحوقهما بالمانيا وأعلنت بسبب ذلك الحرب بين دولة النمسا صاحبة الرياسة ومعهما دولة
البروسيا التي هي أكبر دول المانيا وبين دولة الدانيمرك الصغيرة واستغاثت هاتى بكار
دول أوربا وكانت دولة انكلترا مع عصا هرة عاتلى الملك يدها وبين الدنمرك مسلمة
بالحق للدانيمرك ومتينة بان حرب المانيا معها هاضم بالانحزاع بالموازنة الارو باروية
حتى قال اللورد بالمز - تور كبير وزراء انكلترا اذذاك ان هاتى شرارة أقيت في أوربا
لا تلبث أن تشتعل منها نارا غير أنه أجمع على العمل لان فرانسى كانت مخالفة له ومضية
لقاعدة الوحدة فاشتبهت الحرب بين المانيا والدانيمرك وغلبت هاتى في أقرب وقت
وأخذت الولاياتين منها غير أنه اشتد النزاع فيما بعد بين النمسا وبروسيا وذلك أن المانيا
كما تقدم في المقدمة منقسمة الى عدة ممالك وقد كانت الرياسة عليهم امتداد دولة بين دولتين
النمسا والبروسيا حسب السطوة والاقدار واستقرت منذ مدة الرياسة بيد النمسا غير أن
الدولة البروسيا بانية حانقة من ذلك ولم تساعفها الاحوال للغرض وقد كان ولي عليها
ملك عاقل ذو خبرة ونصير بالعواقب وهو افريدريك الكبير فاعطى الحرية للاهالى
من نفسه ومن ذلك الوقت أخذت بروسيا في التقدم واتساع المعارف وكان من قوانينها
ان الاهالى كلهم يجب عليهم الخدمة العسكرية حتى انهم في وقت الحرب يكونون كلهم
عساكر وبذلك صارت دولة حربية قوية أيضا غير انهم مع ذلك لم تساعفها الظروف الحالية
لانفاذ مقصدها في الاستيلاء على الرياسة الالمانية الى أن تولى الملك غليوم الملك الحالى
فاستوزر

فاستوزر جلاذا تبحر في السياسة وحيد في العمل وهو الامير بيزمرك وكان الملك عاملا
بافكاره حتى حصلت له ضريبة من بطانة الملك وأهل بيته بل ومن مجلس نواب الامة
أيضا عند ما رسم بوجوب الزيادة في القوة العسكرية اذ علم انها الوسيلة لاتمام الامل
مع حسن اجراء السياسة في الداخل والخارج لكن الملك لم يقبل فيه بل قال قائل لسيره
لافكاره ومقاصده حتى انه لما خالفه مجلس النواب أمر بحله وانتداب الامة الى
انتخاب غيره فخطا على سياسة وزيره وبقى الوزير في خطته وعمل بما رسمه ثم وقعت
الواقعة المشار اليها مع الدانيمرك وكانت دولة البروسيا أو عزت الى فرانسى استحسان
قاعدة الامبراطور نابليون الثالث في وحدة الجنسية واطمعتها بفوائد رئاساء مدها
ولومعنى فقط على ابعاد النمسا من بقية المانيا كما أن بيزمرك أو عزت الى بقية ممالك
المانيا للتغفير من رياسة النمسا عليهم لانها ليست من جنسهم خاصة بل هى
مركبة من أعضاء متعددين وليس الالمان فيها الا جزءا من الاجزاء ودام اغراء
صددورهم الى أن أثر فيه - م أشد التأثير ثم حصلت المنازعة بين النمسا والبروسيا على
الاستيلاء على الولاياتين المأخوذتين من الدانيمرك وفي أثناء النزاع أغرت البروسيا دولة
ايطاليا بالامعان ضدها لاجراج بقية ايطاليا من تحت النمسا فاعلمت الحرب بين البروسيا
ومعها ايطاليا وبين النمسا وكانت النمسا غالبية لايطاليا لكنها لم تكن هامة لموجة غلبة ايطاليا
لبروسيا واذ ذلك لان البروسيا كانت اخترعت نوعا من المداحل مدساحشى من أسفله
ويثور باروده بان دفاع ابرة من أسفل المدحلة ويسمى هذا النوع المدحلة ذات الابرة
وكان أبعد مرعى وأسرع انطلاقا من النوع القديم بكثير فكانت عساكر النمسا يصيبهم
رمى مدوهم المتوالى كالطر الدافق من غير أن يصيب ردهم عدوهم ولوبواحدة وكان
صف النمسا كرمخيمية تدفعه من قبل أن يتمكن من رمى عدوه الى أن ضجت عساكر النمسا
ولم يكن لهم من وجه للتخليص الا عقد الصلح بما طلبته ابروسيا ومن العجب أن ذلك
السلاح كانت عساكر ابروسيا مقلدة ومحاربة له للدانيمرك عند تعاضدهم مع النمسا
ولم يلتفت اليه أحد اذذاك ولا تهيات النمسا لمقابلته فوق الصلح ١٢٨٣ هـ سنة
١٨٦٦ م على أن البروسيا تتولى تلك الولاياتين وتدخل فيها أيضا مملكة الهانوفر
والهاس ودوكا توناسو وبلد فرفه كفورث الحرة وان تخرج النمسا عن رياسة العصبة
الجermanية بالمره وتبقى ممالك جرمانيا فاقا لى منها داخل تحت رياسة ابروسيا مع نقل
بإدارته والجزر في منها لدمعاضدة مع البروسيا لكن ليس داخل تحت رياستها تماما الى

أن وقعت الحرب مع فرنسا كما سيأتي في محله كما تضمنت شروط الصلح أيضا تنازل النمسا عن ولاية فينيسيا إلى امبراطور النمسا وهو صليمان الثاني وذلك لأنه هو الذي تدخل بالصلح عندما رأى فظاعة تفهقر النمسا ثم لما انتهزت فرنسا في حربها مع المانيا سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م واضطرت إلى اخراج جيشها من رومانيا ثم اتحاد ايطاليا بجعل مدينة رومانيا تحت الملائكة فدخلتها جيوش الملك فيكتور امانويل والثالثون بعد محاربة ضعيفة من عساكر البابا وبقي البابا كروا على الكاثوليك واتحدوا الحكم السياسي للملك ايطاليا ولم يبق خارجا عنها سوى صان مرينو التي أهلها نحو خمسة آلاف نسمة فانها ليست بقليلة بنفسها وكذلك صان بيترو وهي كنيسة رومانية الكبرى والثاني كان وهو محل استقرار البابا وبقيت قطعة أخرى على شاطئ البنادقة العليا الحاوية لمسي ترست تحت يد النمسا وفي نفوس الطليان بين الدعوى باستحقاقها ثم ان المزية في ذلك الاتحاد ولئن كانت إلى الملك فيكتور امانويل لاجرائه للقوانين في مملكته حتى أحبت سائر ايطاليا وفاز بالشهرة بذلك وزيره كافور لمهارته وخزمه في إدارة السياسة العامة وجاب المساعدة من الخارج وتقديم الأهم فالأهم لكن للأمة الطليانية أيضا الخط الاوفر من ذلك الفخر حيث هيأت نفسها واستعدت لانفاذ ذلك المراد بفتح بصائر هاوتيميزها المستقيم ومعرفة ما يؤول لمخبرها حتى كانت تعتقد لذلك الجمعيات السرية في أقطار المملكة وتتواصل المخبرات بينهم في الاسناد وغرس حب الوطن والنفرة من الضيم ومن تلك الجمعيات الجمعية المسماة بالفرسيون التي نهاية سعيها نشر الحرية من غير اذابة لاحد على شروط عندهم وتحملت تلك الجمعيات مصاعب كبيرة في عدة جهات ومع ذلك لم يفتر عزيمتهم وآثروا النفع العام على حظوظهم الشخصية إلى أن وجدوا يد المساعدة من دولة الساردو المستعدة لمباير ومونة فنادوا بها من جميع أطراف المملكة وكان كاري بالدي يظهر وجود تلك الجمعيات التي كانت تنفق على متطوعيه كانفاق دولة على عساكرها وذلك الزعيم لما تم مقصد ايطاليا رامت الدولة مكافأته بترقيته في الرتب العالية فاحتسب عمله لفخر بلاده وأبى قبول شيء مما احتياجه ومن أهم مساعدهات البخت وجود قاعدة نابليون الثالث المار ذكرها ويقال انها مؤسسة منه قصد الانه يدعي بانه كان من أعضاء الفرسيون وانه لما كان منفيًا بايطاليا وعدها بجماعته بالمساعدة اذا تولى ملك فرنسا وإحاطته لها اعتبار عظيم لانها كسرت سورة النمسا ذات الشأن فلم تقع مساعدة فرنسا لكانت النمسا أول من خضع لدشوكة الاتحاد ولو أنها ترى الحرب لا جـل ذلك مع غيرها

(كتابي)

(كتابي مثلا) لانها تعلم ان الممالك بالضرورة لها حاسب بما قبل أقسم فتحكم فنية فرنسا لا تنكر في ذلك لان احياء الامم بعد الاندثار وتقلب الدول العظيمة عاينها لا يمكن بدون مساعدة دولة ذات شأن واقتدار كما ينبغي الاستقراء ومن غرائب ما سمعته من جهة علموم الحدثنان هو أن نابليون الثالث زار ايطاليا اثر انتماس اعانته لها وفي مسامرة الوليمة التي أعدت له من ملك ايطاليا كانت امرأة عجوز من الاعيان حاضرة فاختلفت بالامبراطور مع بعض الاعيان المقربين اليه وقالت له هل وجدت ما قلته لك صـدقاً فقال نعم فقالت لكن ما أدري كيف الحال في الباقي فـفسـطها وفض المجلس فـسألها أحد الحاضرين عن معنى كلامها فقالت انها تعلم نوعا من الحدثنان وانها كانت أخبرت نابليون مدة هروبه بايطاليا قبل ولايته على فرنسا بجميع ما يقع له ومنه أنه يخلع بعد حرب وقد حان وقتها ولذا قطع الكلام وقد رويت هاته الحكاية عن ثقة قبل حرب فرنسا وبروسيا سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧٠ م فلم يطل الزمن حتى كان الامر كما ذكرت والله أعلم بكيفية علمها بما ذكر فان بعض أنواع ذلك الفن لا يتوقف على صـلاح ولا على دين بل كانها هو صناعته وفي مقدمة ابن خلدون كفاية لبيان ذلك (وأما أسماء ملوك ايطاليا) فان لها الآن ملكا فقط (الاول) فيكتور امانويل الثاني ابنه امبروق (وذلك) لقرب العهد بالاتحاد نعم ان الملك الاول كان ملكا على الساردو وهو من عائلة ساقويا التي لها رسوخ في الملك والامارة من قديم

مطلب

في الادارة الداخلية

(أعلم) ان الادارة عندهم منقسمة إلى كائيتين (الاولى) هي ما يتعلق بالادارة العامة (والثانية) ما يتعلق باجراء الاحكام الشخصية (فكل) منهما ادارة مستقلة عن الاخرى ولا دخل لها فيهما وكل من الادارتين راجعة إلى رئيس الدولة وهو الملك فدولة ايطاليا دولة ملكية والمملكة الادارة السياسة العامة داخلية وخارجية ورئاسة القوات الحربية برية كانت أو بحرية وعقد المعاهدات والحرب والصلح ورئاسة الاحكام الشخصية وتنفيذ ذهابه لا يتصرف في كل ذلك الا على مقتضى قانون مرتب مع علموم ومخلص كلياته ان الملك يتصرف في جميع ما تقدم بواسطة الوزراء وهو ينتخب الوزير الاول أي صاحب رئاسة الوزراء ويكلفه بأن ينتخب هو بقية الوزراء ممن قوت فيهم شروط

والمصالح المدارة في ولايتهم ثم ان كل وطن تحت الولاية فيه نائب عن الوالي مأمور به
 الاحتساب على أعمال المجالس البلدية الا في ذكرها وابقاف ما يراه من أعمالهم
 مخالف للقوانين وانهاؤه الى الولى ثم في كل جهة وبلد مأمور من الدولة وله أعوان مكلف
 بحفظ راحة السكان وحراسهم من الجناسيات والمشاكرات بهم المعروفون بالضابطية كما
 (يوجد) في الاوطان أقسام من العساكر ومكاف بكيفية أخذ العساكر من الأهالي على
 مقتضى القانون (وكذلك) يوجد في كل بلد قرية أو مدينة مجلس بلدي لا تتجاوز أعضاؤه
 الستمين نفسا في البلدان الكبيرة وينقصون في غيرها على حسب كبرها ينتخبهم أهالي
 البلدة خمسة سنين كما تقدم في غيرهم وشروط انتخابهم كشرط مجلس النواب بقسمان
 في شرط مقدار الأداة للحكومة ومأموريتهم ما يتفق بمصالح بلادهم والاحتساب على
 الضابطية ومدة اجتماعهم مرتان في السنة أو عند الاقتضاء ثم ينتخبون منهم لجنة لا تزيد
 أعضاؤها على ستة ولا ينقصون عن أربعة بحسب عدد سكان البلد تحت رئاسة شيخ
 البلد لاجراء المصالح المتفق عليها في بقية البلد من حقوق صاحب الملك أن يغلق
 جميع المجالس المتقدم ذكرها اذ رأى ما يوجب ذلك بشرط أن ينتخب غيرهم هو وفيما
 يرجع الى انتخابه ويدعو الامة الى انتخاب من يرجع الى انتخابها في مدة لا تتجاوز
 الثلاثة أشهر وفي مدة التعطيل يكلف الملك من يجرى المصالح التي ترجع الى المجالس
 المعطل وتكون عليه مسؤولية ما يجريه ولا يعزل صاحب وظيفة الاعن ذنب أو نقل لغيرها
 فهذا كله في القسم الاول من الادارة وهو الادارة السياسية (وأما) القسم الثاني
 وهو الادارة الحكومية فان في كل بلد مجلس يحكم في المحقوق الشخصية ثم في كل قاعة
 من قواعد الاوطان مجلس لتحقيق الاحكام الصادرة من مجالس أحكام البلدان الراجعة
 لتلك القاعدة عندما يطالب الخصم بتحقيق الحكم (ويستثنى) من ذلك النوازل الصغيرة
 ثم وراة ذلك مجلس آخر يختص برأى كل مجلس المجالس للجناسيات الخفيفة ومجالس للصالح يدعوا المحصوم اليه
 وأحكامها ته المجالس يستندون فيها الى قوانين مرتبة عندهم عقابية مستخرجة من
 عدة قوانين قديمة للرومان واليونان وغيرهم موصلة المحقوق الى مستحقها على ما يروونه
 وزاجرة عن الجناسيات ومراع فيها حالة البلاد وأخلاق الأهالي وعوائدهم وأعطاهم
 ومجالس النواب يغير من قوانين الحكم ما تدعو المصلحة لتغييره بحسب تغير الزمان
 والعرف وقوانين الحكم معان بها يتوصل اليها كل أحد يعرف ماله وما عليه واذا تغير

عندهم حكم مسئلة لا يجرى العمل به الا بعد مدة لكي يكون الناس عالمين به وأحكام
 مجالس الحكم وسماهم للعدوى والجواب يكون علما ولكل من أراد المحضور في
 تلك المجالس أن يدخل اليها ويجلس في مكان مع ذلك لا يستمع ويرى لكنه ليس له
 التدخل في الشئ من أعمال المجالس نعم اذ رأى شيئا مخالفا للقوانين فانه يرفعه ان له النظر
 في حفظ القوانين أو يكتبه في الصحف الخبرية ويعان به وليس في قوانينهم العقاب بالجلد
 وانما يعاقبون بالقصاص في النفس وفي غيرها بالغرم المالى والسجن على حسب الجناية
 في درجة عذاب السجن ومدة واحكام المجالس تشرى في الصحيفة الخبرية بالمعدة لذلك
 لكي يعلم الحكم من اراده من العموم ووظيفة أعضاء مجالس الاحكام عمرية لا يعزل صاحبها
 عزل عقاب ولا تأخير ليكون في اجراء الاحكام آمنا الا اذا ثبت عليه ذنب بمقتضى القانون
 فانه يعزل ويعاقب نعم يترقى العضو من مجلس الى غيره ومن بلد الى غيره وذلك بيد وزير
 الاحكام على قانون لهم في ذلك ولعموم الأهالي والواردين أيضا المحضور في مجلس النواب
 ومجالس الاعيان لسماع مفارضااتهم ولاصحاب الصحف الخبرية مكاتبون يحضرون في تلك
 المجالس اينشر واجمع المفاوضات وكذلك فيها بيت مع ذلك اذا اراد المحضور الغياب
 الرسمى وفيها بيت مع ذلك لمن اراد المحضور من أعيان الأهالي والسفراء والوافدين تعطى
 لهم أوراق الاذن بالدخول اليها من الوزارة كما أن العامة اغنايدخلون بورقة الاذن
 من الرئيس والمحصول عليها هل واغنايلزم الاذن لكي لا يزدحم الحاضرون في مكان
 الاجتماع بان يكون عددهم أكثر مما يسعه المحل ولان في المجالس جلسات سرية
 يضر افشاء خبرها فلا يسمع عندها بحضور غير الأعضاء بل ربما اعتري ذلك في وسط
 الجلسة الجهرية فيؤذن للحاضرين بالانصراف

مطلب

قد تلخص مما تقدم ان دولة ايطاليا بالهاى دولة ملكية قانونية شوروية وللاهل الى الحرية
 الشخصية والسياسية فاما كونها ملكية فلان الى رئاسة والتصرف العام هو بيد ملك
 وراثى أعنى أن الملك ينتقل من الاب الى ابنه الا كبر في عائلة مخصوصة ومن هذا الى
 ابنه الا كبروه كذا وبقيّة العائلة الملكية تستخدم في الوظائف كسائر أعيان الأهالي على
 حسب التأهل (وأما) كونها قانونية فلان التصرفات العامة والاحكام الخاصة كلها
 منضبطة بقواعد عقلية مدونة مرفقة (وأما) كونها شوروية فلان تطبيق تلك

القوانين على الحوادث من اطارها مدة ووراءها انظارا من مدة بحيث لا يعضى
شيئ الا ما يستقر عليه غالب آراء اهل المحل والعقد (وأما) كون الحرية الشخصية
لا الهالى فلان كلامهم له الاطلاق في التصرف في نفسه وكسبه داخل في دائرة حذر
القوانين لا يخشى من مجاوزتها عليه وهي كافلة له بالامن في دينه ونفسه وماله وعرضه
(وأما) كوالاهالى لهم الحرية السياسية فلان كلامهم اذا توفرت فيه الشروط المؤهلة
من صفاته الذاتية فله التدخل في تدابير المصالح الكلية العائدة لوطنه ولكل منهم نشر
أفكاره على العموم بواسطة المجمع أو الكتب والصحف الخيرية على شرط عدم الخروج
عن حدود القوانين المراقبة له في جمهوريتي جنسه

مطلب

في السياسة الخارجية لاطاليا

(اعلم) أن دولة ايطاليا الآن هي سادسة الدول الأوروبية الكبار وهي المانيا وفرنسا
وانكلترا والنمسا والروس. يا واطاليا سفاهة الدول بحالهم من القوة واتساع نطاق
التمدن صار لهم المداخلات في كل ما يمس حقوقهم من سياسات العالم وشدة مراقبة
بعضهم لبعض لا تترك احديها اتدخّل في شيء يمكن منه لمس حقوق الآخرين ولو في
الوجاهة والنفوذ ولكنهم عموما يتجنبون المداخلات في أحوال الدول ذات الانتظام
للمجرد مراعاة الانتظام بل لان الانتظام يشهد حصونا على أبواب المداخلات باستناد
أصحابها الى أصولهم وآراء العموم مع جريان سيرتهم على استقامة من القيام بواجباتهم في
أنفسهم والوفاء بحقوق المعاهدات الأجنبية ومع ذلك فالقوة في الدول الكبيرة تغري
بالتدخل في أحوال الضعيف كيفما كان الحال لكن الفيرة والتحسد بين الكبار
يوجب ردع بعضهم بعضا فاذا كان المصوب اليه مهام التدخل مستقيما في نفسه وجد
بقية الدول الكبار مستند الردع الجاني منهم على الضعيف اذا خلا من منافعهم ومباينة
مقاصدهم موجبة للاختلاف وعدم الاتحاد على الاضرار بالضعيف حيث ان الاضرار
به لا يمكن أن يوفى بأغراض جميعهم فلا يسمح أحدهم برحان كفة غيره على كفة نفسه
ولذلك يجد الضعيف راحة من اختلافهم الذي كانت أعماله باستقامته سبيبا فيه (أما)
اذا كان في نفسه غير مستقيم تورث سيرته الكوارث التي تلاق جميع الدول الكبيرة
فيقتحمون تحمل ضياع بعض أغراضهم ليسدوا باب التخاصن من قبيل ارتكاب أخف
الضررين

الضررين وذلك لا ينشأ الا في الجهات التي تشترك فيها منافع الجميع (أما الجهات) التي
تخص بعضهم فان المشاحنة انما تقع بين من له تشترك فيها فقط ولذلك كان لدولة
اطاليا مراقبة لاحوال شطوط البحر الأبيض وكل الدول المجاورة لها ولم يكن يعنىها
ما يقع في غربي أوروبا ولا ما يحصل في الصين والهند وأمثال ذلك نعم ليست درجة غربي
أوروبا عندها كدرجة الصين والمحاصل ان تدخلها هي أو غيرها على حسب منافعها
السياسية والتجارية ولذلك كانت لها معاهدات مع الدول التي لها معها علاقة في السياسة
أو التجارة وهاته الدول هي جميع دول أوروبا والدول التي على شطوط البحر من آسيا
وغالب جهات أفريقيا ولها سفراء نواب عنها في مخوف تلك الممالك وهم على طبقات
في المقام فلهذا سفراء من الدرجة العليا في الدول العظيمة التي لها معها علاقة سياسية
معتبرة ولها سفراء من الدرجة الثانية في غيرها من الدول المستقلة التي لها معها
معاهدات ولها قناصل وهي رتبة أقل من السفراء في المحكمات الغير المستقلة أو التي
هي صغيرة وقارة تكلف بمصالحها نواب مجرد الشرف بالرتبة من غير مرتبة أو تكلف
نواب بعض الدول الأخرى كل ذلك في الممالك التي تقل خاضعاتها ولا كل سفيرا أو مكلف
نواب وأعوان ومحل إدارة يسمى بالسفارة كقوة وزارة تنفق عليها الأموال في المرتبات
وغـيرها وكل دولة فيها سفير من ايطاليا يلزم أن يكون لها هي أيضا سفير فيها على قدر
مصالح تلك الدولة وهي قاعدة مطردة في سائر الدول بالنسبة لسيرتهم في الخارجية
ومنذ سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م دخلت ايطاليا في عقد المعاهدات العامة بين
الدول الكبيرة وان كانت اذذاك دخلت بصفة دولة سرديانيا حيث انعقد الصلح بين
الدولة العلية والروسيا وعقدت له شروط معاهدة باريس التي اجتمع لها نواب الدول
الكبار الست الأوروبية ونواب الدولة العلية ووقع الجميع على المعاهدة وكان منهم نواب
سرديانيا لدخول دولتهم في الحرب كما سبقت الإشارة اليه

فصل

(في بعض عوائد ايطاليا وبعض صفاتهم)

اعلم ان سكان ايطاليا من أبناء أجناس من الأمم الذين وفدوا عليها قديما واتحدوا بجميع
بصفة الطليانيين منذ قديم وديانهم عموما مسيحية على المذهب الكاثوليكي وهو مذهب
الدولة وكثير من تفتنوا في العلوم الرياضية قادتهم الطبعيات فصاروا لا يعتقدون شيئا من

الديانان ظنهم انها جميعا مردودة بالعقل مثل ما يرون من عقائد ديانة النصرى واليهود
 لكن عقلاؤهم يقرون بانخالق جل وعلا ولوطلمعوا حقيقة على حقائق الديانة لاسلامية
 لما وسعهم من الانصاف الا اتباعها المطابقة لله قل وسطوع برهانها والمسؤل عن
 عدم ابلاغ الشريعة اليهم على حقيقة انها من اناط الله بهم ذلك على ما سياتى ايضا
 في الخاتمة ان شاء الله تعالى وسكان ايطالياهم يبيض اقوياء منهم أكثر أهلها يهاهم مذنبون
 (وأما القرى) واليوادى فهم على الخشنة والاعتقاد التقليدى البحت للقسوس وهم
 أصحاب جدى فى العمل والاشغال وأصحاب الاعمال البدنية يذكرون الى أشغالهم (وأما)
 ذوو الترف والاحكام فانهم يطلبون السهر ويقيمون من نومهم مؤخر اول ليلة تدون
 الاشغال الا قبل الزوال بساعة أو ساعتين أو عند الزوال وكثيرا ما يدعوا لاجتماع بعضهم
 بعضا للسهر والرقص فى منازلهم وتارة يستدعونهم للشهامة مع ذلك وتارة يقتصر
 على تقديم فواكه وحلويات وخمر وليس من عاداتهم الحياء مثل ما هو عندنا فترى
 البنت تخاطب زوجها وتفاكهه أمام والديها بل وتفعل مثل ذلك مع خطيبها وترقص مع
 الرجال أمامهم هذا فى البنات فكيف بالبنين وعندهم ان الغناء ليس بمعيب من
 النساء فترى أكبر الاعيان يحتفل فى داره بدعوة عامة وتصير بنته أو زوجته أو إحدى
 النسوة الاعيان المدعوات تغنى فى ذلك الملاء وترقص مع الرجال على اشكال شتى من
 معانقة ومخاصرة وغبرها ولا تأثم من ذلك بل يرونه كراما بحيث أن المسلم الفيرير يكاد
 ينفطر مما يرى (وأما الرجال) الاعيان فالرقص عندهم مع النساء ولو فى المواقب غير
 معيبة يمكن الغناء منهم معيبة والنسوة يخرجن مكشوفات الوجوه ويتعاطين من الاشغال
 مثل الرجال الا الاشغال الشاقة والتعاليم للعلوم العالية ويصاحبن الاجانب عن قربتهن
 مثل الرجال ويقول رجالهم ان الذى حمل المسلمين على حجب النساء ما فى طباعهم من
 الخيانة وشدة المحب فوجب شدة الشوق وحيث انما على خلاف ذلك فالامن على نساءنا
 محقق والتي لا يحجبها عرضها لا يحجبها حاط دارها هذا مدار كلامهم وهو خطأ فاحش
 اذ موجب المحجب أمر طبعى فى سائر البشر بل فى سائر الحيوانات ومن المعلوم ان لكل شئ
 سببا فى رؤية الذات والوجه مكشوفات المكالمات المداعبة ثم الرقص فى حالة شرب الخمر
 والطرب ثم المخامرة كلها أسباب تدعو الى الاتفاق طبعيا الى ما وراءها بلا شك واثبات
 ذلك بالوجود أقوى دليل حتى صار من عوائدهم ان البكارة هى التى لم تنزوح صاحبها
 من غير نظر الى حقيقة الاصالة والزيادة على هذا فى الاسناد لال خارج عن موضوعنا
 ومنصفهم

ومنصفهم يقر بذلك لا محالة وقد غلط من ادعى ان ديانة سائخ النظر لوجه المرأة وهو
 جهل بل عدم التفرقة بين كون وجه المرأة ليس بعورة وكذا كفاه وقدمها حتى يجوز
 لغير محرمة النظر الى تلك الاعضاء وكذلك النسوة أمثالها وبين كون الوجه يجب ستره
 عن الرجال الاجانب مطلقا خوفا الفتنة بنص الكتاب فى قوله تعالى وليضربن بخمرهن
 على جيوبهن الآية وذلك هو الحق المستقيم والمشاهدة أقوى دليل فكل بلاد حافظت
 على ذلك قلت فيها الفاحشة حتى كادت أن لاتقع وكل بلاد تساهلت فى خروج النساء
 كمكشوفات الوجوه بالبراقع الصفيقة وغض النظر عن مكالمات النسوة للرجال والمزاحمة
 فى الاسواق والمجامع فشت فيها الفاحشة واتخذ رجالها هجرا من سائرهم التكلم بوقائعهم
 مع النساء سواء كانت بالدية اسلامية أو افرنجية وقاب الحقائق واخفاء الجهر وعكس
 الطبائع ليس فى الوسع ولا يحاول له ذوانسانية وأهل ايطاليا يستعملون الموسيقى فى ذات
 آلات النفخ وذات الاوتار وهم يبرعوا فيها والحنان الاروباويين وهى الحان
 مخالفة للحنان المعروفة عند المشرقيين والعرب وأهل افريقية الشمالية حتى ان
 هاته الحان لا يحصل منها ما يحصل من السماع لهؤلاء وبالاعتدال تصير موهنة فى النفس
 ولها تعاليم مخصوصة معتنى بها ولا يدقونها الا على تطبيق لما هو مرسوم فى أوراق خاصة
 على اشكال يتبعها اصوات النغمات بحيث ان كل صاحب آلة تكون أمامه تلك الاوراق
 ينظر فيها ويدق على نحوها لا يدقون من محفوظاتهم الا قليلا وأهل البادية وبعض
 القري لهم آلات من مزمار بالجملودينة فخونها بالأوراق وفى كل بلدة مراسم للعب
 والتلهى على حسب كبر البلدة تفتح ليلا للسهر وتشتكل فيها ألعاب على صور تار يخية
 مرتبة أول الغناء والسماع ولهم تقدم وشهرة فى ذلك على سائر أهالى أوروبا والاهالى عموما
 ذوى رجولية فى التمسك بالآلات الحربية حتى لا تكاد تجد من لا يحمل السلاح الصغير
 الخفيف مخفيا ويركبون الخيل رجالا ونساء ويرأى المرأى تركب السرج بلا فتح لرجليها
 بل انها تثنى رجلاها اليمنى على مقدمة السرج ورجلها اليسرى توضع فى الركاب وعادة
 الاهالى فى السلام عند الملاقاة هى المصافحة مع هذا اليد ويقول احدهم الا لا سحر يوم
 حسن أوليل حسن واذا قدم مسافر على حبيبه أو قريبه قبله فى فقه ولو الولد مع والده أو
 امرأة مع قريبه لكن النسوة يزدن ان الحبيبات متى اجتنبت عن قبان بعضهم فى الافواه
 والرجال لا بدنى سلاهم من كشف رؤس بعضهم لبعض والرفيع بالنسبة لا يرضع
 يضع يده على قلنسوته كأنه يريد رفعها فقلنا واذا دخل لورد على آخر فى بيته لا يجلس

الاوهـ مامكشوف الرأس وهى عادة جارية فى جلوسهم فى بيوتهم مكشوف الرأس الامن كان به اذى من رأسه ومن عادتهـم أن لا يبيعـ دوا المشى لتلقى القادم اليكهم يبدون التشييع ومن الآداب أن يحدث أحدهم كلاما لصاحبه عند الفراق فيتمه فى حالة الوداع ويتصافون أيضا عند ذلك

م طلب

❖ (فى التجارة) ❖

الطلبا يبنون لهم مهارة فى التجارة كغيرهـم من أهالى أوربا فرادى ومجتمعين والذى وسع تجارتهم هو علةـ دالشركت فأموال الواحـ دلا تكفى لمزيد الانساع فى التجارة ولذلك يـعقدون شركت ذات أسهم عديدة ويقضون للباشرة بعضهم من يأتمونه وتكون اشركتهم فروع فى الاقطار التى يواصـ لون معهم التجارة ويعاونـ كيفية التجارة والبضاعة وأسعارها وكيفية اصالها بواسطة الصحف الخبرية وبأوراق وكتب يودعونها محانا ويرسلون الرسل لاكتشاف تجارات البلدان والاقطار وان بعدت ويشهرون بها تجارتهم ودواتهم تحميمهم فى أنفسهم وأمواهم أينما حلوا ولا تقتصر تجارتهم على نتائج بلادهم ثم اذالم توف أموال الافراد والشركت لما قصود من التجارة تراهم يقترضون من ديار الصيارفة وهؤلاء الصيارفة هم ذوو الادوال اما ان تكون لواحد أو لثلاثة أو للعوم بان يكون كل من له شئ من المال ولا يريد التعب فى ترويه والرجح منه اجزاء غيره فانه يدفع ماله لاحدى ديار الصرافين المسماة عندهم بالبنوك ويأخذ منها حجة فى مقدار ما دفع وتاريخه ويأخذ من ذلك ربا فى كل سنة وهؤلاء لا يؤخذون على المائة فى السنة وهم ما أراد رأس ماله فانه يحاسب على مقدار ما بقى عند الصراف ويأخذ ربحه ورأس ماله حالا وكذلك اذا أراد أخذ البعض من رأس المال فله ذلك وكذلك اذا أراد ارجاع ما أخذ أو أكثر أو أقل فله أن يدفع متى أراد ويأخذ متى أراد ويحاسب متى أراد فسهل بذلك ادارة أموال العاجزين مع أربابهم ثم ان البنك الذى يأخذ الارباح على ان نحو المذكور يدفع لمن يريد الاسـ تقراض بزيادة فى مقدار الربا على ما يعطى هو وهاته الزيادة محدودة لا تتجاوز العشرة على المائة فى السنة وكل من مقدار المدفوع والمأخوذ مختلف بحسب البنوك والبلدان لكنه على كل حال لا يتجاوز الحدود المذكورة لئلا يـعـ بالقوانين حتى ان من تجاوزها بعد سارقا ثم اعطاء البنوك المال لاستقرضين انما يكون برهن أولن له اعتبار بأتمه

بأتمه به صاحب البنك ثم ان بعض أصحاب البنوك تجيزهم الدولة على قانون معلوم بان يخرجوا أوراقا تـ داولها الماس عوضا عن النقدين بشرط أن لا يتجاوز الضعف مثلا من مقدار رأس المال وبعض تلك البنوك مخصوص بالفلاحة وبعضها طاق وبما تقدم تجدد التجارة رابحة بين أيدي السكان بأكثر من أضعاف كسبهم وأهم الوسائط التي بيدها الحوالات المسالية وهى ان التاجر يشتري شيا أو يأخذ مالا من أحد ويعطيه حواله بقبض ما يطلب منه على أحد التجار أو البنوك على أن يقبضه على تسعين يوما وهو الاكثر وورانا وتارة يكون أقل أو لا وتارة يكون أكثر وعند دبلوغ تلك الحواله للمحال عليه يوقع عليه بالقبول ليدفع فى الاجل وقيل لحلول الاجل يرسل المحيل المال اما بابعه أو بما قبضه من حواله أخرى بحيث ان المحال عليه يدفع المال فى أجله من غير أن يخرج من ماله شيا مع ربحه لجزء من المال لانه يلزم الاتفاق من قبل بين المحيل والمحال عليه فى قبول الاحالة وفى مقدار ما يربحه ولا يتجاوز النصف فى المائة وتارة يكون بالارجح بامارة لمصادقة أو معاوضة بمثلها ايدهما كما ان المحال عليه يربح بقبض ماله أسدنة أيضا جزا يسيرا والمحيل يربح لانه يتجر بمال ليس له فيه رأس مال ولكن مع ذلك كثيرا ما يفتري الافلاس تجارهم وبنوكهم لان من أحكامهم انه اذا حان الاجل ولم يدفع المودع ماله عليه فى الحال يفلس ولذلك كانت أكثر البنوك باطالبا للناس أوراقا ماله لا تصرف الابحس بالصرف بالعين لاحتمال الافلاس ولا تتم داول خارج الاماكة بل ولا خارج بلدانها الابنك الدولة فانه راجح فى جميع ممالكه فقط وفى كل مدينة محل ضخيم للمساعدة على المتاجر العالمية يسمى بورسى يفتح بضع ساعات عند الزوال اذا دخل له الانسان يحده محتبكا بالخاق والضجيج بأصوات الاسـ مامرة ينادرن على أوراق ديون الدول وأوراق الشركت التجارية الكبيرة ذات المحصص كطرق الجـ ديد وخليج السويس واشباهها وكثير من التجار يفلسون فى تلك المتاجرة لان بعضهم لا يشـ ترى ولا يبيع الا يدايهـ د وهؤلاء لا يعترفهم الافلاس الا نادرا لانه اذا انقضت أسعار ما لشـ ترى لا يطالبه أحد بشئ وانما يصبر على خسران نفسه الى أن ترتفع الاسـ مارو بعضهم يكون ليس له رأس مال لما يشتريه وما يشتريه أيضا ليس بحاضر بل هو مؤجل لرأس الشهر ويطلبه على أن ما يشتريه اليوم يرتفع سعره غد أو بعد أسبوع فيبيعه ويأخذ الربح ويحبل المشتري على البائع فيما اشتري ويخرج من البين بالربح فكثيرا ما يربحون بذلك أموالا جسيمة وكثيرا ما يفلسون فى أموال جسيمة بأن يخط السـ عرا يشتري به ويحبل الاجل فيلزمه دفع الثمن

وأخذ المبيع أو دفع مقدار الخسران فقط فيستغرق كسبه في كرة واحدة أو عن كرات وهذا النوع لا يحكم به المحاكم عندهم لأنه يراه من المقامرة لكنه لا يمنع منه فالملس بفلس نفسه بغير حكم لكي لا يسقط اعتباره رجاء أن يرجع مرة أخرى بمعاملة التجار اليه فما تقدم كله من أسباب الثروة واتساعها وسيأتي في الخاتمة أن شاء الله تعالى ما يجوز أناسا شرعاً عمله وما هو ممنوع ومن أعظم أسباب الثروة واتساع التجارة تسهيل الطرق لنقل البضائع بأجرة يسيرة وزمن قليل وكانت الطرق الحديدية أنفع وسهلة لذلك حسمت بدم في الكلام على تونس وليكن الطرق الحديدية وحدها غير كافية لأنها إنما تمر على الأماكن الكثيرة فإن لم يلزم لها طرق فرعية صناعية لجلب البضاعة بسهولة لمراكز الطرق الحديدية ولذلك كانت سائر الجهات في إيطاليا لها طرق صناعية ومن أنفع وسائل التجارة والعمران انتظام البريد وهو أن الدولة تجعل أماكن في سائر البلدان لوضع المكاتب في محل منها ويؤدي صاحب المكتب أجرة على حمله أجرة زهيدة بالمرء بأن يشتري بطاقة من الورق عليها علامة مخصوصة وتظهرها عليه صمغ قبيل الصمغ ويلصق البطاقة على المكتب بحسب ثقل المكتب في زيادة الأجرة ويكتب عنوان المكتب باسم المرسل إليه وبالده وحاربه وعدد منزله فتحمل المكاتب من كل بلد في الرتل ولها مركبة خاصة بها ترفع ذات أقسام ومستخدمون فعندما تأتي المكاتب إلى المركبة في وعاء يسير الرتل يشتغل المستخدمون في توزيع المكاتب على أسماء البلدان ويميزون كل ما في حدة ومهما وصل الرتل إلى بلاد أقبلت أتباع البريد عن محل إلى تلك المركبة ودفعوا لها ما عندهم وأخذوا منها ما يخص تلك البلدة ثم يسير الرتل وهكذا وكل بلدة أخذت المكاتب من الرتل يؤتي بها محل البريد وتعطى لموزعين يوزعونها على أصحابها حسب ما هو معنون عليها وإذا وجدوا مكتباً غير خالص الأجرة يوصلونه للمرسل إليه فان دفع أجرة حمله وهي إذا كان مضاعفة سلم إليه المكتب والأرجع إلى محل البريد وحفظ فيه مدة ثلاثة أشهر فان جاء صاحبه بأخذائه أدى أجرته وأخذه والافتح فانه وجد به اسم مرسله ومحله أرجع إليه وأخذ منه الأجر مضاعفاً ولا أحرق وهكذا فيما إذا لم يوجد المرسل إليه بالمرء وكان خالص الأجرة فانه يرجع من غير أجرة وإذا كان المكتب ذا أهمية فلصاحبه تضمينه أي يجعل صاحب البريد ضامناً لصاله بأن يجعل عليه خواتم بالشعخشة أو علامة أخرى وبأخذ من صاحب البريد حجة في إيصاله إلى صاحبه ويؤدي عليه اجراءه من على المعتاد وإذا كان لا يسلم البريد إلى صاحبه إلا بأخذ حجة منه في الوصول إليه فاذا فرض

ضياحه من صاحب البريد فانه يؤدي المرسل ستين أو خمسين فرنكاً وهكذا سائر الأوراق المكتوبة على النقود المتقدمة بدم غير أن الصحف الخيرية أجرة إيصالها زهيدة بالمرء وكذلك الكتب وقد دجروا أنه هم ما رخصوا في الأجرة إلا زداد الدخول للبريد وماتت بدم في كيفية الحمل للبريد في الأماكن المتصلة في البر ما إذا كانت الأماكن يتوصل لها بحراً فان الدولة تتفق مع إحدى الشركات التي لها بواخر وسيارة للتجارة على أن تحمل البريد بأجرة سنوية على مقدار ما يتفقون عليه من السنين على أن تقلع البواخر في أوقات معينة وتوصل إلى أماكنها في أوقات معينة من غير تقديم ولا تأخير وإذا تأخرت البواخر عن ميعادها فلا بد أن تبين بحجة السبب الاضطراري الذي جعلها على التأخير وهو الافتقار شركتها أموالاً بليغة ضمناً عن التأخير وكذلك الرتل إذا كان له بالمرء الدولة أعني في الاتفاق معه على حمل البريد أمافي تعيين الأوقات وانضباطها فإلّا كل سواء برأى وبحراً ولذلك تجدد السفر مع البريد في غاية الانضباط لانه لا يتخلف عن مواعيد فإلّا سفره يكون مرتاح البال عالمياً يوم سفره وساعته وكذلك بساعة وصوله إلا أن يعرض عارض سماوي ثم ان السفر في بواخر البريد هو أحسن من غيرها من البواخر التجارية لان تلك أتمن نظافة وأقل ازدحاماً وأرفق خدمة بالركاب حتى إذا كان البحر راكداً كان السفر نزهة وليكن قلماً يصفو الحال بسبب اضطراب البحر أما السفرة في الرتل فهو على نحو ما تقدم من الانضباط سواء كان حاملاً للبريد أم لا وكل رتل رقاع مكتوب بها الإعلام بوقت سفره من كل بلد ووقت وصوله وكيفية إيقافها من الدقائق ويحفظون على تلك الأوقات للغاية وعندما يصل بالمرء ترى خدمته يصيحون باسمه أو عدد الدقائق التي يقف بها إعلاماً للمسافرين ووقوفه لا يتجاوز نصف ساعة في وقتي الكل وأما غيرها فأكثروا وقوفه عشر دقائق إلى الدقيقة بين وبلدان الوقوف لئلا كل يجد في المواقف يمتدحهم بها وأما كل والمأكلات المطبوخة والفواكه كلها هبة فمنهم من يأكل هناك ومنهم من يشتري ويحمل أكله معه والائتمان في تلك الأماكن أعلى من غيرها كما أن البلدان الأخرى يوجد في محطاتها لا كل لكنه دون ذلك وفي كل محطة يجد المستراحات فالركوب في الرتل منتهز على كل حال سيما مع ما أحدث فيه من المخادع المنفردة حتى يستطيع الإنسان أن ينسى ويقتضي جميع ضرورياته بغاية الراحة وفي أيام البرد تسخن المخادع بأواني نحاسية ملوثة ماء حاراً ويزيد أجرتها المخادع على الاعتيادية فهو مشرة في المسألة وقد أحدث نوع من المركبات ذو مقاصير للأنفراد ويبيت للاجتماع

فكون الانسان كنه في دار مع جـ بران وهو مسافر ولا يزيد الا جـ في هاته المركبات على
 المركبات من الطبقة العليا الانحوا الثالث ومن وسائل رواج التجارة توردا الاخبار
 بالاسلاك الكهربية فاصحاب الشركات يخبرون اصحابهم كل حين بما يروج عندهم
 في الاقطار المختلفة وما يكسدهم من البضائع فيكونون على بصيرة منه وأعظم ما يكون ذلك في
 متاجر محلات البرسي فترى الاخبار تنساقط عابها كما مطر وبذلك ترفع أسعار أوراق
 الدين وغـ برها أو تخفض وأعظم ما يؤثر في ذلك الاخبار السياسية سيما الواردة من
 قواعـد الممالك السبع العـكـبـرة وهي الاسـتـانة وباريس ولوندره وبرلين وفيينا
 ورومة وصان بطرس بورغ اذهاته الدول هي التي عليها مدار السياسة العامة وقد
 اتخذت التجارة الاخبار السياسية ملعبة للارباح حتى صاروا يختلقون أحيانا أراجيف
 سياسية تارة بالتصريح وتارة بالتلميح وتلقفها عنهم صحف الاخبار فينشأ عنها
 أرباح أو خسائر مبنية على أوهام ولذلك يرى بعضهم ان سهولة قرب الاخبار وتقل
 البضائع مضر برباح التجارة وان الارباح انخفضت عما كانت عليه في القديم
 وهو صواب بالنظر لهيئة التجارة القديمة لكن في نفس الامر قد ازدادت كمية التجارة
 وذلك ان التاجر ذا البضاعة من الصوف مثلا كانت لا تأتيه سفينة شراعية بها ألف
 قنطار من الصوف والمكاتب المعلمة بالاسعار لا بعد عدة أشهر فينبغي عليها عمل تجارتها
 ويشترخبرها ولا يبيع تلك الالف قنطار الا بعد عدة أشهر فربحها في السنة عشرين
 في المائة ان ساعده البحت والا ان صار يأتية في كل أسبوع فحذو ذلك القدر مثلا وتأتيه
 الاخبار كما تأتي غيره فيبيع صوفه بربح عشرة في المائة فقط في شهر ثم الشهر الذي
 بعده كذلك وهكذا فموضع كونه كان يدير رأس ماله مرة في السنة ويربح فيه
 عشرين في المائة صار يديره اثني عشرة مرة بربح فيها أزيد من الضعف فبالنظر الى كمية
 الربح كل مرة تجد الارباح القديمة أو فـرـلـكـن في الحقيقة الناتج في السنة من الارباح
 الحالية أكثر ولا يظن ان ما قلنا مبالغه بدعوى ان كمية المحتاج اليه من الصوف مثلا
 في القطار المحلو به اليه لم تزد فـيـأـتـي زائدا لاياع ويبيان فساد ذلك ان الادارات
 والحركات كلها مرتبطة ببعضها بعض فكلما ساهت المواصلة ساهت آلات النسيج بالمعامل
 البخارية وبالبلد التي كانت تنسج ألف قنطار صوف في الشهر بالآلات اليدوية تصنع
 اضـغـافـا ضـغـافـا بالآلات البخارية وتلك المنسوجات تنفق معها ازادات بانحطاط
 اسعارها فكم تترغب ان لم يكن قدما قادرا على لبس الملف وهو الجوخ لغـلـوه صار
 الا ان

الا ان يتوصل اليه لخصه بـرـخـصـ ثـمـن الصوف بما نقص من أجرة جـلـهـا و فـلـهـ رـبـح
 تجارها وبرخص آلات النسيج وبقناعة البائع بالربح اليسير وهكذا وكذلك كثرت
 سكان الممالك المدة وكثرا المندون وكثرت اساع التجارة وايصال البضائع الى الاقطار
 الشاسعة التي لم تكن تصل اليها من قبل فارتفعت الاسـهـاء بعضها ببعض وانسـهـت
 التجارة وازدادت الارباح على نحو ما ذكرناه واضـفـ الى ذلك ان المنسوجات بالمعامل
 ليست متينة مثل عمل الابدى فصار أغلبها يـيـلـي ويتقـرـق بـمـرـة بالنسبة للمنسوجات
 المصنوعة باليد ثم ان تجارة ايطاليا أغلبها يـيـدأها اليها وفيهم كثير من الاجانب وقد كانت
 سابقا تجارتها أغنى مما رجعت اليه ثم انحطت بتقديم الممالك المجاورة لها وتأخرها عند
 انقـصـامها وظلم ولائها لكنها الآن تراجعت للـغـنى وأغلب ما يخرج منها الحرير الغـيـر
 المصنوع والدقيق وأنواع البجج المصنوع ونوع الحبوب والمحجوانات المأكولة والجلود
 وزيت الزيتون والكبريت وهي كلها سبق لها انفراد به وقد خرج منه في عام واحد
 مئتان اثنان ألف فوجـون ألفا قنطاره أي قنطار ٠٠٠ ر ٠٠٠هـ وكذلك يخرج
 منها المرمر والرخام الأبيض والسكر والحشيشة المعروفة بالسكر وري والمنسوجات
 الحريرية والاعطار والتبن المصنوع منه كراسي وغيرها والحجر مثل الحجر المعروف بحجر
 سيبيليا الذي هو لين خفيف وبعض المعادن المشار اليها في التعريف بإيطاليا بقيمة
 تجارتها في سنة واحدة وهي سنة ١٨٧٦ ملياردان وسنة ألف فرنك والمليارد
 ألف مليون وهاته التجارة مع جميع الممالك المعروفة لم تكن أكثرها مع الـمـ او فـرـا نـسـا نـم
 بقية الممالك ويخص من ذلك الزيت وحده ثلاثمائة وخمسون مليونا

مطلب

في الصنائع الفلاحية في ايطاليا

(اعلم) ان هاته الصناعة لها ترق كبير لحسن الموقع واعتدال الهواء ومع ذلك لم تبلغ الى درجه
 النهاية نعم هي في الجهة الشمالية منا كية لما جاورها من فـرـا نـسـا و غيرها فلا هـا لـا اعتناء
 واتقان للزراعة وتربية الاشجار وتتميتها حتى ترى الارض كأنها حديقة ممتعة ولا تجد
 أرضا خالصة من الاشجار ولو الاراضي الزراعية بحيث تجد هـا مـتـمـة بـصـفـوف من
 الاشجار ويدهن ابراحات للزروع فـصـا حـب الارض يـتـنـفـع بـغـلال الاشجار والمحطب
 والزرع هـا تـرـى الارض مـقـسـمة بـتـقـاسـيم لها منظر بهيج ونفع عظيم هـذا ز يـا دة عـمـا

يحصل من الأشجار من السبب في المطر وذلك لأن الله بحكمته البالغة جعل عروق الأشجار تمتص الماء من عوامق الأرض ثم تنفثه بخاراً من أغصانها وأوراقها وينشأ من البخار السحاب وإذا كانت الأشجار مرتفعة جذبت ذلك السحاب لبطن السير حتى يطر عليها ويحصل بسبب ذلك كثرة المياه في الأرض فيكثر خصبها وقد بان سببية ذلك بالتجربة والله الخالق الحكيم ثم إن صناعة الفلاحة لا يأخذونها بمجرد التقليل في العمليات بل إنها علم مخصوص يدرس ويصور بالمشاهدة وله مدارس مخصوصة ويعتمد كثير من الكيمياء والبيات وحول المدارس أراضى للبيان بالعيان والتجربة والتجسس الرعي مخصوصة ومن حسن التربية وحراسة المحكم لا يتجسس أحد بالرعي ولا غيره في أرض ليست له أما بالملك أو بالكرام حتى أنه ليس لبساتينهم طواقي تمنع الدخول ولا تقع عندهم سرقة الغلال إلا نادراً وأما بقية الصنائع فإلهم كفاية في كل الصنائع الضرورية والتحسينية لكنهم ليس لهم معامل كثيرة التي هي من أعظم أسرار الثروة والترقي وإن كانوا لا زالوا محتجين بدين في ترقياتها إلى بلوغها لئلا يدرج في الأمم البالغة لأنها في المعارف والتقدم والحواسلون عليه الآن هو أن لهم معامل للسلع بأنواعه ومعامل لإنشاء السفن والبواخر المدرعة ومعامل للتخليلات الكيمائية وللأعطار وللشمع المتخذ من الشحم وللدباغة للجلود ولصناعة الورق وغزل القطن ونسج الجوخ والساشية وأنواع المنسوجات الحريرية ومنه النوع الفاخر المسمى بالأمبر أو القطيفة ومعامل للطرز كما أنه يصنع بالأيدي أيضاً ولهم معامل للزجاج والفخار والعقيق والزهور الصناعية وآلات المرايا الكبيرة وآلات الموسيقى وخصوص أرتار بلدي نابلي لها صيد كبير في جميع الجهات وفي نابلي وميلانو معامل متقدمة لا تكرار يس أي عجالات الر كوب كما أن في إيطاليا اتقان لصناعة الأحذية وسائر الأتلة وخياطة الملابس وهم فائقون في صناعة نحت المرمرون نقشه وكذلك صناعة المرحبان والصياغة والكهربان والمادة المنجدة النارية المنقذة من أفواه البحار كين والموزاييك وإي القاطع المرمر التي الواحدة منها قدر العنقر ترصف على أشكال بديعة ويلصق بعضها ببعض بتدوير من الطين والجير وقد شاهدت في معرض ميلانو ١٢٩٨ هـ سنة ١٨٨١ م من تقدم إيطاليا في سائر الصنائع ما صيرها قادرة على الاستغناء بنفسها في سائر الحاجات والتحسينات فضلاً عن الضرورات حتى أن ملكها المأذول المعروض مع رجال الأمة تعجب مما احتوت عليه المملكة مما لم يكن يخطر بباله ومن جملة ما احتوى عليه هذا المعرض

المعرض تشخيص سائر أصناف الطليانية بين بصور على ألوانهم وهيئة لباسهم فرايت أكثر من ثلاثين صنفاً كل منهم له سحنة وشارة خاصة وأعظم ترفيعهم في مصنوعات الجاد والطين والجلات ولهم مشاركة في سائر المصنوعات

م طلب

﴿ في المعارف ﴾

المعارف الدينية المسيحية لها سوق رائجة من القسوس ولهم صوامع ومدارس لكنهم قد مددوا نوع القسوس الجزويت من التجمع في المدارس لأنهم يخاطبون التعاليم الدينية بالتعاليم السياسية ويتخذون المدارس كاتسئل للنعمس كرهة عنوامن ذلك لخوف الدولة من تشويش سياستها المخالفة مشرب الجزويت مشرب الدولة في أصول السياسة (وأما العلوم) الرياضية فقد أخذوا في التقدم فيها وعلى الأجل فاهالي الشمال متقدمون على غيرهم في سائر الفنون والتجارة والفلاحة وعلومهم الأصول ثلاثة (أحدها) علم جبر الأثقال (وثانيها) علم الكيمياء أي تحليل الأجزاء وتركيبها (وثالثها) علم الطبيعيات ولكل منها فروع كثيرة ومن فروع الثماني والثالث علم الطب الذي كانت أشتهرت به بلاد بيزة قديماً والآن لم يبق لها ذلك الاعتبار وعلى العموم ففي إيطاليا الآن مدارس ومكاتب على ثلاث طبقات والمكاتب العليا فيها إلى الآن لم تنسأ كب مكاتب فرانسا والماني في إيطاليا من أسباب تيسير المعارف كل اللوازم سيما المطابع والصحف الخبرية وخزائن الكتب ففيها ٤٩٣ خزانة كتب تحتوي على ٣٤٩٠٢٨١ ر مجلدات الكتب المطبوعة و ٥٧٠ ر ٣٣٠ من كتب المخطوط في خصوص مكتبة قصر الفاتيكان ٣٠٠٠ ر كتاب وهي أحسن المكتبات من جهة حسن كتب الخط

م طلب

﴿ في هيئة المساكن والطرق ﴾

(أعلم) أن إيطاليا بكاد أن لا تجد بين بلدتين فيها طريقاً غير صناعية بل كلها متصلة به بعضها بالطرق المحسنة المتقدمة الصناعية غير أن الطرق في البرية لا تتطهر وانما لها قيمون لا صلاح ما يفسد منها كان يكون على كل ثلاثة أميال قيم له مركز يأوي إليه وفيه من آلات الإصلاح الخفيف ما فيه كفاية ويكون هو طول يومه متفقداً في

عهدته ومهمها وجده مكانا متغيرا بادرا لاصلاحه وهكذا فاذا طال الامر على الطريق
 واحتاج للتجديد باشره بذلك المكلف من المجالس البلدية وعلى أولئك القيمين متفقون
 في كل الاوقات كما ان سائر اطراف المملكة متصلة ببعضها البعض بالطرق الحديدية
 وكذلك تنصل سائر الممالك المجاورة لها بالطرق الحديدية وتلك الممالك متصلة ببعضها
 بذلك ايضا فكانت أوروبا كلها كأنها بلد واحد في سهولة الانتقال والسرعة من مكان
 الى آخر ومن بلاد الى آخر ومع ذلك فلم تزل إيطاليا تبحث مدة في زيادة الفروع للطرق
 الحديدية (أما الطرق) في دواخل البلدان فزيادة على كونها صناعات لها خدمة
 يتقنونها مرات في اليوم ولا تجد في البلد من بلدان خمدمة التنظيف يرفعون الازبال
 الملقاة من الدور في آخر الليل ومن طرح الاوساخ من داره في غيرة الاوقات المعينة
 هو قب على ذلك بالعقوبة المالية بحيث تجد سائر الطرق نظيفة وفي الليل منورة بالنجار
 الغازي والفوانيس نظيفة وغاية ما هنالك هو الفرق بين البلدان في شدة النظافة
 والتنوير واتساع الطرق فقط (أما الاصل) فهو موجود في الكل ولوفي القرى
 والطرق أغلبيتها يعرفها عجولان ومنها ما هو أوسع وفي البلدان القديمة لم تزل طرق ضيقة
 لا يمر فيها الا الماشي وأما هيئة المساكن فان المدن لا تجد فيها الدار ذات طبةتين
 فقط بل تزداد الى السبعة والثمانية ويكون ظاهرها على الطرقات ملتصقة ببعضها بعض
 قريب المشاكلة في الصورة مع التحسين الظاهري والتنظيف وطول الطرق واتساعها
 وجعل البطحات فيها والاشجار على أوسعها فكانت مدنها بذلك ذات منظر بهيج حتى
 ان الحكم يوجب على المالك ان يحسن ظاهر بيته على حسب ما يشير به المهندسون من
 المجالس البلدية وأما داخل الدار على الاجمال فاذا دخل الانسان من الباب يجد سقيفة
 ثم درجاً متصلاً ببعضها البعض متصاعداً على شكل دائرة أو مربعاً الى أن تنتهي الى أعلى
 طبةقة ومهمها مواصات الدرج الى طبةقة تجد فيها فسيحة ذات أبواب بقدر ما في الطبةقة من
 المساكن فاذا دخلت مسكناً تجد دايواناً مسقفاً وبه أبواب للبيوت وباب الى ممر به
 بيوت ومطبخ وممر وتارة يكون في إحدى البيوت الاخرى ممر تراح آخر جميع
 الحيوط مظلية والسقوف اما خشب أو بناء مطلية مدهونة وكل البيوت لها طواقي
 كبار ويعتنون بمقاومة الابواب والطواقي والابواب وعواضدها من خشب متين الصنعة
 وسائر الاماكن ملاحظة اما بالجليز أو نوع من الاجر المطلي المتقن أو المرموك ذلك الدرج
 ومن اقتصادهم ان كل بلد تقتصر على ما عنددها من مواد البناء ولا تأخذ من بلاد
 أخرى

أخرى شيء الا ما لا يمكن الاستغناء عنه بما فيها ولو كان الشيء من بلاد في نفس المملكة ثم
 البيوت التي بكل داراً كثرها مماثل الى شكل الترييح واحددها بيت للجلوس وآخر
 للاكل وهو ما أكبر البيوت ثم آخر للنوم وكل منها به من الفرش ما يناسب موضوعة
 وفرشها مخمصة متقنة مرونقة من كراسي كبار وصغار وساعات ومرايا وزراي وأهجرة
 يعتنون بنظافتها ويعتنون باتساع الارض وراحتهم وكل مسكن لعائلة فتحمد الدار
 الواحدده بسكنها عدة عائلات كل عائلة منفردة في إحدى المساكن على قدر كبرها
 وطبقاتها وأما دور الاعيان والاعنياء المنفردين بديارهم فهي على ذلك النحواً ايضا لكن
 كلها تكون ذات مسكن واحد وطبقاتها لا تزداد على ثلاث أو الاربع وكثير من
 أغنيائهم يسكنون في الدار المشتركة من النوع الاول لكنهم يختارونها وسبعة وكل
 مسكن يكون بابها مغلقاً وعند الباب الخارجي للدار بيت يسكنه بواب بالجرة من جميع
 أصحاب المساكن للحراسة وكل البلدان لها خنادق تحت الطرق لجريان القذورات
 فيها أو لها دهايلزوا لجميع مغطى ولا يفتح للاصلح أو للتنظيف الا ليلاً وسطوح الدار
 في جميع الجهات الشمالية سبعة لئلا يتماثل عليها الثلج وأما الجهات الجنوبية ففيها بعض
 من السطوح مبدسطة

مطلب

في اللبس

الرجال يلبسون قميصاً وسراويل وصدرية تسمى جبلي وسترة أي جبة مفتوحة الطوق
 الى أسفل قصيرة الى نحو نصف الفخذ ذات يدين ضيقتين وسراويل أخرى طوال الى أسفل
 القدم ضيقة الرجلين والمقعدة جدا كأنها لاصقة بالعضو وفي بعض المواكب يلبسون
 سترمة مقطوعة الذيل من امام وفي الشتاء يلبسون على جميع ذلك جبة أوسع من الاولى
 وأطول وتارة تكون مبطنة بأنواع من الفراء وبعضهم يزدلبس قميصاً ضيقاً من
 الصوف وفي أرجاءهم الجوارب من قطن أو صوف وأحذية كالخف الضيق ولهم فيها
 أنواع كلها ذات أقدام مرتفعة وعلى رؤسهم فلانس من قطعة واحدة على أشكال منها ما هو
 من الجوخ ومنها ما هو سعة أو تين ولما كانت ألبستهم ضيقة فلا يجلسون الا على
 الكراسي وماشا كلها ولذلك كانت فرش بيوتهم كلها ملائمة لذلك نعم لهم جميعاً
 وسبعة ذات ألوان يلبسونها في الاوقات التي لا يخرجون فيها ولا يأتون فيها أحد وكل

ألبستهم غير القمصان والجوارب لونها أسود أو مقار به وأغلبها من الصوف ولا يلبسون
 الحرير إلا نادرا في بعض الثياب ويلبسون في كفوفهم قفازا أسودا أو مقار به وكذلك
 في رقابهم يلبسون روابط ولقمصانهم رقبات بيض يطلونها بالنشا وكذلك أطراف
 أكمامها الضيقة وصددورها ويحفظون على نظافتها ويرسلون شعروهم لئلا
 لا يتجاوز شحمة الأذنين ويفرقونه وأما لحاهم وشواربهم فهي لعبة بأيديهم ثم تارة
 يحلقون السك وتارة البعض دون البعض وتارة يبقون السك فيجد الوجه على الشكل
 شتى ولكن من يخلق تراها يحلق يوميا لأن أبقام أثر الشعر عندهم من الوسخ وأما لبس
 النسوة فقميص وسراويل وسبعة من كتمان وصدرية مضبوطة على الصدر لها عيدان
 من شعر سمك البان لتصغر البطن والمخصر وترفع النهود وتعلو الردف وفوقها جبة طويلة
 إلى الأرض ضيقة النصف الأعلى ولها أكمام ضيقة إلى الرسغ وسبعة الأسفل من الخصر
 إلى الأرض ذات تكاميش ويتنوع في هيمتها وقد يطان ذيلها من وراء حتى يصير يجز
 على الأرض نحو ذراعين أو يزيد من وراءها ويلبسون جوارب في أرجاءهن وأحذية ذات
 أعقاب عالية وصرن يجعان العقب قرب نصف القدم لينراهي لما ظران قدمها صغير مع
 أنه لا يرى لطول ذيولهن واضرارهم كأيذ كره الألباب من أنه يؤذي الرحم لنزول ثقل
 البدن على وسط القدم أي الأخص وتارة يزدن فوق اللباس أردية أو متائن عند الخروج
 في الطريق ويسدلن على وجوههن خمارا شفافا صفيقا للمجرد التزين ويطوين
 شعورهن الحقيقية أو التقليد بيهيمات حسنة على أنفوخهن ويلبسن قلانس طرافا
 ذات أزهار صناعية وغيرها ويلبسن القفازين أيضا ويلبسن من الخلى اقراطا وسوارا
 وخواتيم وقلاندوماسات من أنواع المجوهرات على حسب الرفاهية وأكثر ألوان
 لباسهن مائل إلى السواد ثم الأبيض ثم غيره (وأما) اللباس الرسمي لأصحاب الوظائف من
 الرجال فهو على الشكل الذي تقدم غير أن السترة تكون مطرزة بقصب الذهب أو
 الفضة على صدرها وعنتها وبديها وظهرها على حسب الرتب وكذلك يكون للسراويل
 شرطان من القصب وعلى القلانس علامات أيضا من القصب ويلبسون مع ذلك
 النباشين أي علامات الفخر ولبس العساكر نظيف جدا متقن من ذلك الشكل غير أن
 سترتهم مقفولة الصدر وتباغ في الطول إلى الخصر فقط لضباطهم فهي طويلة كغيرهم
 مقفولة الصدر

مطلب

﴿في الأكل﴾

هيئة الأكل عندهم هي موثد مرتفعة بحاجس حولها على كراسي وتغطي برداء أبيض
 وكل آكل يجعل أمامه صحن فارغ ويأني الخادم بأناء الطعام فيما أخذ منه الأكل في صحته
 مقدار ما يريد ومن اصطلاحاتهم أن تجد حذاء الصحن بطاقة بشكل لطيف مكتوب بها
 ألوان الطعام الحاضر لتلك الكلمة حتى تأخذ منها تشبهه وهاته العادة هي من
 المستحبات عندنا كما نص عليها في آداب الضيافة وقررها الغزالي في الاحياء لكن
 لا بخصوص الكتابة وإنما هي بأى اعلام للضيف بأنواع الطعام ثم كل صحن حوله معلقة
 وشوكة وسكين وبعد الفراغ من كل لون يمدل الصحن والسكين والمعلقة بغيرها
 نظيفة وكذلك يوجد حذاء الصحن كيسان على قدر أنواع المشروبات التي تكون لتلك
 المائدة من أنواع الخمر وفي وسط المائدة أو في بالزهور بحيث أنها في غاية المنظر الحسن
 والنظافة ويحفظ الأكل كونه على النظافة والعادة أن لا يزيدون غالباً على خمسة ألوان
 الا في الضيافات والمواكب ثم بعد هذا يثوى بنوع من الخلويات ثم يجبن ثم يفاكهة من
 احدي غلال الوقت وطعامهم له أنواع شتى أحسنها أنواع المشوى وأغلب أنواع الطعام
 مائل إلى التحري يدعن كثرة الخلط والابزرة حتى يضعون على الموائد أو في لطيفة بالملح
 والفلفل الأسود والحل والزيت لعلهم يطلب منه الأكل إذا وجد الطعام غير لائق به
 في الملح كما أنه يجعل على المائدة أو ان ظريفة بالخرزل المسحوق المخلوط بالحل وقنينات
 بالماء وآخر الخمر المعتاد عندهم لئلا كل ثم في أثناء الطعام يثوى أنواع أخرى من الخمر
 أرفع من المعتاد وفي آخر الطعام يثوى بنوع منه يسمى شنبانيا إذا صب في الكاس على
 وارتفع وإذا ذلك يخطب خطبة أو هم في مقاصد تلائم حالة الاجتماع ألقائاً أو جالساً ثم
 في آخر كلامه يقف ويشير بعضهم إلى بعض بالكؤوس كناية عن التوادد ويشربونها
 ولا يمكن هذا الا يقع في منازل المسافرين في الموائد العامة الاجتماع عن غير قصد وإنما
 يقع في الضيافات والمخافل وتارة يصرخ الحاضرون يبعث كذا المافلان أو مقصد
 سيامي ومن لا يريد الشرب من الخمر لا يعمون عليه ذلك بل يعرض له صاحب الخمر
 تعريضا خفيفا بحد نوع الخمر فإن امتنع فلا تثر يب عليه ويوجد فيهم أفراد لا يشربون
 كما أن غالب متبصرهم يعلم أن الخمر حرام عند المسلمين والنسوة في الديار هن المتهكفات

بأحوال الأكل والطباخون يكونون من الرجال ومن النساء ولهم كتب مؤلفة في تركيب الأكل والطبخ

م طلب

﴿ في الموكب ﴾

أما الموكب الرسمي - فأن الملك له بيت كبير في القصر الرسمي وبصدره عرش على نحو ما تقدم في عرش والي تونس ويزيد بأن يكون على يسار محل جلوس الملك كرسى لزوجته وقبل حضور الملك يحضر المأذون بالحضور بلا يسهم الرسمية ويقفون يميناً وشمالاً على حسب رتبهم ولما يحفل الموكب يخرج عليهم الملك لا بسا الباسه الرسمي الذي هو على نحو ما تقدمت صفته فبران بعض الملوك يزيد على ذلك بالباس رداء طويل الأذيال وأوسع جداً ليس له أكمام وإنما يوضع على ظهره وكتفيه ويغلق حول العنق بأزرار مميّزة ويرفع أطراف ذيله من ورائه بعض أبناء الكبراء من العائلة الملكية أو من أقاربهم - ثم إلى أن يجلس الملك على عرشه وكذلك يكون له تاج مجوهر يضعه على رأسه مع اللباس الرسمي المقصب ويخرج في الموكب من حجرته ووجهه وأهل بيته ويصعد على كرسيه ويكشف رأسه مسلماً بالأياء إلى يمينته - ثم إلى ميسرتهم ثم يخاطبهم بخطبة مفصلة لمقتضى الحال مومياً لأحوال السياسة الزاهية وتلك الخطبة تكون قد هيئت من قبل بتدبير الوزراء وتارة يلقمها الملك بنفسه وتارة يلقمها رئيس كتبته ويكون الحاضرون كلهم مكشوفى الرأس فجيونه بالدعاء له بطول العمر وينفض الموكب وهاته الموكب هي في رأس السنة وهو شهر يناير الأعجمي وفي عيد ولادة الملك وكذلك يوم فتح محاسن الأنواب والاعيان من كل سنة ويكون ذلك في محل المجاس وكذلك تعقد مواكب أخرى على حسب الحوادث (وأما) الموكب الاهلية فهي رأس العام ولا يحتفلون لغيره من الأعياد وإنما يكثر من استئجارهم إلى بعض المسامرة ليلاً فيمابين المعارف زيادة على الاجتماعات في أما كن العموم كالملاهي والمنزهات وبسبب ذلك يقع التعارف بين الرجال والنساء المردين لتزوج فتكثر المخالطة بينهم - ثم في حالات مختلفة فاذا احسن هند كل طبع الاخر - يتره خطب أب الزوج أباً الزوجة في بيته لانه فاذا احسن لديه أيضاً جابه واذا ذلك في الغالب يحجمون خواص أحباب كل من الفريقين في بيت الزوجة لوليمة من طعام من الحلويات والخبز وروان لم تكن الدار لثقة للاجتماع تجعل الوليمة

الوليمة في إحدى منازل المسافرين فيعصى صاحب الوليمة صاحب المنزل على ما يريد ويعين له الوقت وعدد الأشخاص ويتوافقون على الثمن وعند قدوم المدعوين يجدون المحل على أحسن انتظام وكذلك يصنعون في الولائم في الدار اذا كان صاحب الدار ليس له عدة الضيافة مع ان داره قابلة فان صاحب منزل المسافرين يأتيه بكل ما يكفى من أوان وأطعمة وخدمة وغیرها وليس على صاحب الدار الادفع الثمن مع الراحة وحسن الانتظام في سائر أنواع الولائم ثم اذا حان زمن العرس يحضر أبوا الزوج - ويدفع للزوج مهراً بنته من مال عين أو أملاك ويكتب ذلك على الزوج ويكون أمانة في يده ثم بعد ذلك يتوجهون إلى الكنيسة فيجدون المدعوين هناك ويحضر القسيس ويسارك على كل من الزوجين ويأخذ خاتماً من ذهب من أصبع الزوج ويدخله في أصبع الزوجة ويرش عليهم ماء وتكون العروس اذ ذلك لا بأسه إلا حسن لباسها في لون البياض ومثالية بماله من المحلى ثم يحاق الزوج بيده اليمنى على صدره وتدخل الزوجة يدها اليسرى في ذراعه وينصرفون ويقف آباؤهم معهم في محل عند باب الكنيسة لقبول الهناء من المدعوين ثم يسافر العروسان حالاً إلى أى بلد أرادوا مدة ما على حسب الرفاهية والجدة وذلك لاهرين أولهما عدم الحياء من معارفهم بالاسـراحة من الاشتغال بحركاتهم وسكاتهم وثانيهما تقضى مدة في الانكباب على لذاتهم ما من غير تعب بأدنى كلفة مع الاقتصار في المصاريف للوليمة لاجل المعارف وينفقون ما ينفقون في لذاتهم ههنا في الأغنياء (أما الفقراء) فيستعوضون عن السفر بالخروج لأحدى المنزهات ثم ان الزوجة لاتكسوف العرس لانفسها والزوج هو الذى يكسو بيته وبعد ذلك يكون مصروف الزوجة في أكلها ولباسها وسكنها على زوجها وذلك المال الذى أعطته مهر الزوجة باق على ذمتها وإنما يصرفون دخله على كل منهم - هاهنا ولائهم أيضاً وليلة بلوغ البنت فيلبسونها بالباسا كثة أبيض وبرقعاً أبيض صفيقاً وتذهب إلى الكنيسة ثم تعود لدار أبيها ويصنع لذلك وليمة (واعلم) ان ما ذكرناه من الذهاب إلى الكنائس ليس أمراً حتمياً بل هو عادى لجرد التعود عليه عندما كانوا يجرون الاحكام الديانية في الأحوال المدنية وموكب المساكين عندهم لا يجهرون فيه بالبكاء وبعد قدوم القسيس لحضور موت الميت يبقى مدة من الايام لتحقيق الموت حيث انه - ثم وجده بعض الذوات يظهر عليهم الموت وهي في الحقيقة لم تمت مع تعمير الاطلاع ولهم من حذاق الحكام ويكون هذا بالخصوص في موت الفجأة وأمثالها وكان هذا الامنع في وياتنا هذه اذا استجاب

التجهيل بالدفن انما هو عند تحقق الموت يتبين (اما قبله) فيحرم لانه يصير قلة لا وقد شوهد ذلك في كثير من نبيت قبورهم بعد زمان فيجدونهم في حالة غيرة التي يوضع عليهم الميت ويجدون الا كفان ممزقة وحيوط القبر بها آثار الخدش فيجب التنبيه على ذلك وقد قالوا ان ذلك النوع يحصل بكثرة في الامراض المستعصية وقد سمعت بذلك في بلادى مرات متعددة منها في سنة ١٢٨٤ حيث استوفى مرض الحمى الخبيثة فكانت عدة جنائز ذاهبين بها فاطام المارة على حركات في الميت وأوقفوا الجنائز ووجدوه حيا وتارة ينادى هومن نفسه متفجعا من الحالة التي هو فيها ثم ان أهل ايطاليا بعد تحقق الموت يكفون الميت في لباسه النظيف ويحمله لونه في صندوق من خشب ملفوف في رداء اسود عليه شريطان من قصب الفضة وتحمل الجنائز في كروسة معدة لذلك ويركب مشيعوا الجنائز في كرايس معدة للعز كاهاسود وأغنياؤهم يربطون في كروستهم خيلا سودا أيضا وعدتها سودا وينهبون بالميت الى المقبرة فيدفن في قبر عميق ويحكم سد التراب والبناء عليه ويحمله لون على القبر ورهبا كل من الرخام ويتأنقون فيها (وأما) الفقراء فتجمل جنائزهم في سرايب مع بعضها وقد اتخذ بعضهم ما تنوسى في هاته الجهات ولم يبق الا عند بعض الهنود وهو حراق الميت فانهم يجعلونه في فرن من حديد محكم السد لكيلا تخرج الرائحة ويصب عليه زيت النفط ويحرق ثم يأخذ رماده ويخزن في اناء في مكان عزير في دار أهله وبعض الأغنياء العزيز على أهله يصبر جمته بعد اخراج امعائه ويلبس ثيابه الفاخرة ويجعل واقفا في جهة من البيت في خزنة وجهها زجاج

مطلب

❖ (في اللغة) ❖

لغة عموم الاهالي تسمى طليانية وهي فرع من اللاتينية وما يكتب فيها ينطق به على حسب الحركات المرسومة وهي لغة واسعة مساعدة في النثر والنظم على بحور عندهم معلومة ولذلك تجد اشعارهم بها جيدة المعاني على حسب اصطلاحاتهم فمنها ما يستحسن عند أهل العربية ومنها ما يخالف الاسلوب البلاغي وتلك اللغة وان كانت هي اللغة العامة والرسمية في الكتابة والعلوم وغیرها لم يكن توجد في أطراف ايطاليا اللغات شتى حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضها بالتخاطب اما اذا رجعوا الى كتابة فيرجع السكل الى لغة واصطلاح واحد

مطلب

مطلب

❖ (في القوة المالية والحربية) ❖

فونك	
١٩٦٥ و ٥٨٣ و ١٥٤٢	دخل الدولة سنة ١٨٨١
١٩٦٥ و ٥٨٣ و ١٥٤٢	خرجها
١٠٠٠٠٠٠٠	دينها
٢٦٠٠٠٠٠٠	قوة التجارة في المملكة بين الداخل والخارج من السلع
عساكر	
٣٩٥٩٥١	تحت السلاح
٤٣٣٨٧٦	ردف
٨٢٩٨٢٧	
١١٠٥٠٠	بحرية
٨٠	سفن حربية مدرعة وخشبها مدرعة تسهي الدوي لو هي أكبر مدرعة في البحر
٦٥٥	مدافع
١٠٩٨	امتداد سكاك الحديد أمبالا سنة ١٨٨١

الباب الرابع

❖ (في مملكة فرانسا وما رأيت فيها) ❖

الفصل الاول

❖ (في سفرى اليها) ❖

قد تقدم أن اوصلنا الى بلد مودان التي بنقـل فيها المسافرين الى الرتل الفرانساوى وكان وصولنا اليها الساعة واحدة ونصف بعد نصف الليل فوجدنا المحطة ممتلئة بالخدمة مدمة متدربين باللباس الثخين للتدثر من الثلج والبرد وبأرجلهم أحذية من الخشب فلما أردنا

تقسم الى ثلاثة اقسام (الاول) يسمى آفنو وهو ما كان وسيعا جدا وحوله أشجار عينا
 وشمالا ووراها قصور (والثاني) يسمى ياغار وهو ما كان أضيئ من الاو ويزيد عليه
 بان يكون تحت القصور حوانيت بهيجة (والثالث) يسمى روه وهو بقية الطرقات ومن
 محاسن طرقها أنه يوجد فيها غالبا اسماء الطرق العامة محلات للبول مستورة بشكل
 ظريف على هيئة قباب في وسط الطريق والماء بها جار كما توجد محلات الخلاء في غاية
 النظافة وهي أيضا كثيرة وذلك من واجبات البلدان الكبيرة لبعدها عن الماشي عن محله
 وذلك أمر ضروري وأجل الطرق منظرها والبغائر الذي يشق البلاد تقريرا من الجنوب
 الى الشمال وينتهي في جهة الشمال الى البطحاء المسماة بلاس لا كور
 فتصل بها حديقة الشانزلي وتنتهي الى البطحاء التي بوسطها قوس النصر المسمى
 ارك دي ترينوف ويتفرع منها اثنا عشر نهجا وقد كنت في سفر في اثنان سنة ١٢٩٥
 نزلت بأحدها نهج النورج المسمى قديما افنوا لامبرتريس والآن افنوا وادي بولونيا
 وكان الوقت صيفا فركبت احدى اللبابي مع أحد أصدقائي من منزلي في كروسة يجرها
 فرسان وتوجهنا الى جهة البغائر وكان ركوبنا في الساعة الثامنة بعد الزوال فسرنا خميا
 ساعة ونصف ولم نصل لمنتهى البغائر من جهة الجنوب ثم رجعنا وقد قضينا السهر في
 الطريق ذهابا وايابا مع المنظر الجميل والبهجة بنور المصابيح وكثرة ازدحام الماشين
 والعوادل وبأجمل فهد البغائر ومما انفردت به باريس على غيرها من المدن الشهيرة
 وهو في الليل أبهى منه في النهار لكثرة ما ينور به الطريق والحوانيت مع حسن وضعها
 وتزيينها وظاهرها وتبين ما يوضع بها من البضائع وجمال ذاتها وتنضيد ترصيفها وهذا
 البغائر له عدة أسماء بارجعات منه وقد كان إنشاء أصل هذا البغائر سنة ١٥٣٦
 وكما قرب الى المنتهى جهة الجنوب قلت نضارته بالنسبة لانفسه في الجهات الاخرى والبلاد
 وان كانت تشمل باغارات أخرى كباغائر هسمان وغيره لا كرو ولا كالبغائر السابق والذي
 زاد باريس بهجة ضخامة أبنيتها وارتفاعها وتوسطها وتساها في الظاهر ثم في باريس
 أما كن آخرانية فنها بالاروابال جوار قصر ماكي سمي به وهو عبارة عن مربعين
 يتصل أحدهما بالآخر محيط بهما حوانيت تحت مرادقات وفوقها قصور ومطاعم
 وحمامات ومنازل وفي وسط أحد المربعين حديقة نضرة بوسطها حوض وفوارات
 وحولها قهاوى وقاعدو الحوانيت تشتمل جميع ما يحتاج اليه فترى حانوتا منضدة
 ترصيف البواقيت والجواهر وبازائها حانوت أخرى منضدة باللحوم والخضراوات
 وتلاصقها

وتلاصقها قهوة ذات مكثات وكذا ولا يمل نظرك من تلك المناظر البهيجة ومع تبين
 أنواع المبيعات تجد في غاية التناسب لما لها من الرونق والنظافة وتجد المبيعات هنا في
 غاية الغلاء ومع ذلك فلا تبور ساعهم لان متر في الاها الى يشترى الشيء لباذنه ومحل بيعه
 فباقة الزهر مثلا تشتري من هنا أو من البغائر بخمسة مائة فرنك يهديها المنرف لعزيرته باسم
 صانع ربطها مع انها تشمل زهر من أمريكا وأخرى من الجابون وورقة من أواسط أفريقيا
 وهلم جرا وقد رأيت حانوتا تباع الزهور في البغائر كأثرها خمسة عشر ألف فرنك في السنة
 وباع صاحبها باقة في رأس السنة بخمسة مائة فرنك وهكذا حوانيت بالاروابال وكان
 أكثر بياعى البواقيت مركزهم هو هذا المحل فذلك كاره له زيادة في حسن المنظر إذ كل
 اللامالي والبواقيت ترى مرصوفة وراء أطباق الزجاج مكشوفة لئلا ينظر وقد كان إنشاء
 هذا المحل سنة ١٦٢٩ ومنها حديقة شانزلي وهي غيضة في طول ميل تقربا وفي
 منتهىها قرب البطحاء تصير كأنها بستان أبيض ذو عشاوى وقهاوى ومقاعد وملاهي منها
 ما يسمى كافيه شانه فان الانسان يقدر أن يتعشى فيها منفردا بأطيب ما يشتهي والموسيقى
 تعزف واللاعبون في الملهى يشعرون ويغنون بالمضحكات وكذلك بها كافيه ليماساد
 على نحو ذلك وفي أعلى الشانزلي بطحاء موسيعة يتصل بها اثنا عشر طريقا وبوسطها
 قوس النصر المسمى ارك دي ترينوف الذي بناه نابليون الاول ورسم على حيطانه صورة
 جميع حروب التي انتصر فيها وهو بناء ضخم جدا شاهق للغاية ذو أربعة أقواس متعاقبة
 متصلة ببعضها يصل الى أعلا يدبرج داخل إحدى زوايا وعدد درجته مائتان وأحدى
 وسبعين درجة ومنها جردان مايل الذي يفتح له لاوتخال أوراق أشجاره وزهوره بما
 يبدعون من الانوار حتى يكون في أرضه وغصونه ما يباع عدة آلاف من المصابيح الملونة
 الزيت كالوان الزهور غير أن من له عرض يتحاشا الدخول اليه لكثرة من يدخله من
 الموسسات ويصرون برقص هناك ويعيش مع الرجال فقد سمعت من أخبار صحيفة الديما
 الانكار على الحكم في اطلاق تلك العاهرات حتى عبثوا بالصينيين الذين قدموا المعرض
 باريس سنة ١٢٩٥ عندما دخلوا اليه لالذالك البستان لا تفرج وسبب كثرتهم هناك
 اعفاؤهن من الاداء على الدخول بخلاف الرجال فكل من دخل دفع خمس فرنكات مع
 حضور آلات الطرب وكثرة المشروبات والحلويات في مقاعد ذلك البستان المنشأ سنة ١٦٧٠
 ومنها بلاس لا كوردا متصلة بغيضة الشانزلي السابقة المذكورة وبوسطها
 حوضان كبيران وفوارات محيطها فوانيس وبين الحوضين المسمى بالمسلة

الذي جلب من مصر وعليه كتابة بلسان المصر بين القديم وحروفه - م التي هي أشكال
حيوانات ونصب هنالك سنة ١٨٣٠ وطوله اثنان وسبعون قدما في قطعة واحدة من
حجرون القاعدة المنفصلة التي ركز عليها وعرضه من أسفل سبعة أقدام وكلف جلبه
مصاريف عدة ملايين حتى أنشأت له سفينة خاصة وقد نورت هذه البطحاء بالنور
الكهربائي الذي هو كنوز القمر ولونا وطول هاته البطحاء مئتين و ٢٤٨ وعرضها مئتين و
١٦٩ وتتصل بالنهر وبالبحر ومنه ساحدية - التورى المنصلة بالبطحاء المذكورة
أيضا ذات المقاعد والمساطب وهي امام قصر الملك ومنها بالاس فندوم التي بها عمود
تأبليون الاول صنع هذا العمود من ألف ومائتي مدفع من النحاس غنمها الامم براطور
المذكور في حروبه ورسم عليه صور المعامع التي انتصر فيها المذكور ووسط الخود به
مائة وستة وسبعون درجة يصعد بها الى أعلاه وفي قمته تمثال تأبليون وقد أسقطه
الكون أي جماعة الاشراكين الذين يريدون أن تكون الناس كلهم شركاء في
جميع الموجودات وذلك في ثورة سنة ١٨٧٠ فأعادته الجبه - ورية الى مكانه في يوم
مشهود وكونت حاضرة سنة ١٢٩٢ ومنها افندوى لوبرة الواصل بين بطحاء الملهي
الجبب الشمي بلوبره وبين بالي اربال وقد نورت بطحا آتة وحافاته بالكهرباء ومنها
الاساج أي الاسواق المسقفة بالزجاج التي لا يعرفها الا الماشي وهي ذات حوانيت
يمينا وشمالا من أبداع الاشكال والتخمين ومنها غيضة أبواي بولونيا أي غابة بولونيا
من أبداع الاجام والغابات المشبكة بالتصنع وفيها بحيرة صناعية وجبال وأنهار وجسور
كلها صناعية وبها ماش للعوائل وأخرى للفرسان وأخرى للمشاة ومقاعد وشلالات
تتحد منها المياه آجام ورياض وقهاوي ومطاعم بأحسن تنظيم وفي البحيرة طيور مائية
وجز ووقارب يركبها الناس الى الجزر والناس يتناولون هاته الغيضة التي هي خارج
باريس في الجهة الغربية الشامية لبلانها وهي ممشى أهل الترف سيما أيام الاحاد
والاعياد وقد شهدت يوم عرض الجيش ويوم السباق الاكبر سنة ١٢٩٥ ان طرق
المصر الموصلة لهاته الغيضة قد غصت بالبحلات على كثرة وسعها فان طريق الشانزي لزي
عرفيه أزيد من عشر كراريس متحاذيات ومع ذلك لم تستطع العوائل ان تتحرك فيه
وكذلك طرق هاته الغيضة حيث ان الميدان وراءها وهو سهل رحيب نحو مائتين في
مئلهما وفي جهته الغربية ثلاثة أو اربعين منفصلة عن بعضها وملاصقة مستقيمة بتراسيتها
ومقاعد هاجهة الميدان وأوسطها به بيت لصاحب الملائك وجميعها هيئة جهة استقباله

هي ان بعضه أعلى من بعض متدرجا ويدخل اليه من ظهره وامام كل منها فسحة بها
كراسي ويفصل بينها وبين الميدان درابزين ولا يدخل الى تلك الا و بين الامن كان
يه - قدرة الاستدعاء من الدولة وقد حضره وكب السباق سنة ١٢٩٥ من
خصوص المدعوين ما يزيد عن الخمسة والثلاثين ألفا (أما) مجموع المحيطين بالميدان
بين راكب وراجل فهو ينوف عن نصف مليون من الخلائق وحول الغيضة أيضا
ميادين أخرى غير السباق الكبير وبها محل للرماية وهاته الغيضة دمرتها عساكر ألمانيا
وعساكر فرنسا سنة ١٢٨٣ حيث كانت مسرحا للحرب ولكن لما رأيتهم سنة
١٢٩٢ كانت كل لم يكن بها شيء وكانت أشجارها ثابته فيها منذ قرن حيث انهم
لما أصلحوها نقلوا اليها الاشجار العظيمة من الغابات ولهم في كيفية نقلها براعة أعان
عليها لم جراتها وآلات البجار حتى انهم يحملون الشجرة بأرضها النابتة بها من
غير ان تمس عروقها ويبقى محلها كأنه بثرو من غيضة ابواي فسن وهي خارج البلد
من الجهة المقابلة للغيضة السابقة وهي على نحوها وأشجارها أكبر غير انها لا رونق
عليها وكان ذلك لعدم انما بال اغنياء اليها وانما يفتح فيها لا واسط والفقره
لهم - دها عن حارات الاغنياء ولكن تقهاويها ساحات لالعاب رياضية بدنية بالآلات
كبيرة تستعملها الاهالي وهاته الغيضة - يوصل اليها بالبحلات والحوافل المسماة
بالامنيوس وبالتراموي الذي تجره مزجية بخارية وكلا هذين النوعين لا يستعمل
في الغيضة السابقة لكثرة وارد هاهنا الغني والترف ومنها غيضة - باريك مونسو قرب
الشانزي لزي لها أبواب من حديد مذهب أبيض من أبواب سريانات الملوك المسرفين
وهي ليست بكبيرة جدا وفي باريس عدة غيضات على نحوها في كل قسم منها غير انها
ادون منها تأنيقا ومنها جردان دي كليماتسيون الذي أنشأته جمعية أهلية للنباتات
والحيوانات وقد جمع فيه من كلالا امرين كلالا بقدر عليه البشر من جميع أقطار العالم
واكل نوع من الحيوانات والنباتات هيئة وهو اصنع على نحو ما هو متاديه في قطره
وقد تدبر بذلك التحفظ على حياة جميعها غير ان الاشجار المعالج هو أؤها اذا ثمرت لم
تكن ثمرتها كاصها ومن ذلك النخل فان ثمره لم يكن ثمرات الحيوانات التي يصعب جلبها
اذا مات منها شيء فانه يصبر جسمه لينظر على نحو ما كان عليه مدة حياته اما ما رأيت في
من الحيوانات البرية والبحرية فيلزمه كتاب حياة الحيوان ليستوفي الكلام عليها وأقول
باختصار ان أنواع الكلاب وحدها تزد على المئات فضلا عن غيرها وكذلك أنواع

١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م وهذا المعرض البديع الذي جعلت به باريس دارمأدبة لسكان الارض واحتفلات بهم احتفال الكرام هو أبديع من جميع المعارض التي سبقته في جميع البلاد ولا يفهم من قولي احتفال الكرام ان القادمين يقوم بشؤونهم فرانسابل كل منهم بصرف على نفسه وانما المراد هو التهيئ لاحضار ما تشتهيه أنفسهم وتلذذ به أعينهم من كل ما يدخل تحت قدرة البشر ثم انفاق النفقات الباهظة للمحافل العامة والمساكن التي يضمها كبراء الدولة أحياناً ويدعون اليها أعيان المسافرين والاهالي فان دولة فرانس قد دعت ملوك أوروبا وغيرهم من الامراء والوزراء وكل من له اقتدار من غيرهم فانه يأتي لمشاهدة ما لم يمكن الوصول اليه بسهولة حيث انه يرى النموذج جميع ما في الارض كله بمجمل واحد وقد كان ممن أجاب الدعوة من الملوك شاه ايران ومن غريب التواريخ ما قلته في رحلته تلك وهو قولي مؤرخاً (قد زار أوروبا بالشاه ناصر الدين) ١٢٩٥ لكنه قد علم على غير الصورة الرسمية ولذلك سكن بأحد منازل المسافرين وذكرت الصحف انه أفطر يوماً بياضاً فونته بين البوائق حولها غابة ومن تزهات فكانت نفقة في ذلك الفطور أحد عشر ألف فرنك ولا يخفى ان سائر الاشياء كانت في تلك السنة في نهاية الغلاء يباريس لاسيما المكولات والمشروبات بداخل المعرض لكثرة الواردين من الاقطار حتى قيل ان معدل القادمين من الانكليز كل يوم أربع مائة ألف ومثلهم الرثخون فضلاً عن غيرهم من سائر الاقطار وقد اجتمعت مدة هذا المعرض بأعيان من العرب وغيرهم فن أعزة أبناء وطني الحازم النصح محمد الطاهر الزاوش الذي هو من خيار الاهالي وترقى بنهجه لدى الامير ولي العهد دبوننس الى ان ولي مئة شاره وأبدى من النصح والنجابة في اسفاره مع مخدومه اسيااسة القباطل والعربان ما أقر له به المنصفون وله دراية جيدة بأحوال الاهالي وله نصح ووفاء عظيم مع الامير وسائر النخهاء وكذلك قدم من أبناء الوطن الوزير حسين والعلامة سالم أبو حاجب وقد قدمت ترجمتهما واجتمعت بوجده دهره الناصح للامة الباذل في الاخلاص اليها نفسه حتى مات شهيداً ألا وهو محمد حشاشا الذي ولي صدارة الدولة العثمانية وأنفذ بسايعه القانون الاساسي الذي لو جرى به العمل حقيقة لنجبت الدولة عما ألم بها اليكن لما كان الحق صعب الاجراء الاعلى من وفقه الله قد عزل ذلك الوزير الوحيد من الصدارة قبل استقرار العمل بالقانون ثم نفى الى خارج الممالك العثمانية ثم أذن له بالاقامة في جزيرة كريد ثم ولي والياعلى الشام ثم نقل والياعلى أزمير ثم قبض عليه وحكم عليه بالقتل بدعوى الشتم كما في خلع السلطان

السلطان عبدالعزير وقتله لم يكن أكثر دول أوروبا أنكرت الحكم سرالعدم جريانه بالحق الصراح فعرض عن القتل بالسجن المؤبد في الطائف من المحارم شيعت وفاته شهيداً للحق رحمه الله ونجمه وكذلك اجتمعت بذى الاصله داود باشا المصري حفيد محمد علي باشا البنت وصهر الخديوي الحالي وكذلك بسفير الفرس بباريس نازار أغا وغيرهم من أعيان الاقطار في الاجتماعات الخصوصية زيادة على الاجتماعات العامة في المسالك التي أشرنا اليها من دولة فرانس فقد دعيت مدة اقامتي هناك تلك السنة لأدب في وزارة البحر وأخرى في وزارة الخارجية وأخرى في وزارة المال وكل منها كان خارج المحل ودخله على غاية من التنوير والتزيين وجنائه ملونة الانوار الارضية والفوقية كالوان أزهاره وموائد المأكول والمشروبات والمثلجات مصفوفة والموسيقى عازفة والاعيان من الذسوة والرجال برقصون أو يتفرجون في الملهي المشخص للطربيات وصاحب الوزارة المدعو اليها الضيف يقف في البيت الثاني من المدخل هو وامرأته ويسلمون على الداخل ويتلقونه ثم يكون الداخل على حسب ارادته ولا يلزمه الوداع عفو الوداع ويرى الانسان آلافاً من المدعوين بالفخر لباسهم وذوى النياشين منقادين بها ورئيس الجمهورية يؤانس البعض ونساءهم يتن بدلاهن ولباسهن وحاجن فان منهن من تلبس الشفوف المطرز بالؤلؤ والنفيس من صدرها الى ذيلها عدا حليم المكاله بالياقوت الملون ولا يكلم بعضهم بعضاً في هاته المواكب الامن كان له معرفة بالآخر أو عرفه معرف نعم انهم يتهيمون الى أدنى مناسبة للتعرف بالغريب ويتواسفونه ورجعوا اضطرت المرأة زوجها أقر بها الى عمل مناسبة للتعرف بالغريب سيما اذا كان لباسه على خلاف معتادهم وقد عرفت الدولة لمصاريف تلك المواكب عدة ملايين فضلاً عن مصاريف الليلة الحافلة التي أعدوها تذكراً للجمهم وقد روي أن مصروف الاهالي والمجلس البلدي في التنوير والتخسين والالعب النارية تجاوز ستة عشر مليوناً فرنكاً وان ثمن الرايات التي نشرت على طيقان الديار والطرقات تجاوز الاربعة ملايين وكان مركز العاب تلك الليلة هو بركة ابواي بولونية وقد اكرت بعضهم طاقة في الطبقة التي فوق من الدار التي نسكنها للفرجة تلك الليلة بسبع مائة فرنك حيث كانت على النهج الكبير الموصل الى محل الالعب وكان المهندسون والجملة متهيئين لها منذ نصف شهر وعلفت الثريات والفوانيس على الطرق قائمة على عيدان ومشبكة بالاشجار وما قرب غروب تلك الليلة الا وانتشرت العساكر والخيل في جميع المراکز حفظاً للراحة وخشية من

الآخاب المضادين للجهـ هورية وما غربت الشمس الاوناب عنها فورا المصابيح ومنعت
الجهلات من السير في الطرق مطلقا وما بدت النجوم الا وتصادت لها شمشاريح البارود
ترعى لها ياقات أزهار ألوانها المختلفة الاشكال وتراكم ازدحام خلق الله بما يذكري يوم
الحشر الا كبر ودام الحال على ذلك وأصوات الموسيقى والبارود تنهادر من كل طرف
الى نحو الساعة الثالثة من بعد نصف الليل فرجعت العساكر الواقفون على البركة
بخيالهم ورجاهم وبأيديهم فوانيس على عيذان والموسيقى تصدح بلحن المرسى يلباز
وهي قصيدة في اشارة النجمة لاهل الوطن كانوا أعلنوها في الثورة الكبرى سنة ١٨٣٠
لطاب الحرية وقد كان ترجم هاته القصيدة العلامة رفاعة باشا راجع الله ونظمها
ودونها كما بنصها

فهي يا بني الاوطان هيـا * فوقت فخاركم لكم نهيا
أنه والراية العظمى سويا * وشموا غارة الهيجا مليا

عليكم بالسلاح أيا أهالي * ونظم صفوفكم مثل اللال الى
وخوضه وافي دماء أولى الوبال * فهم أعداؤكم في كل حال
وجورهم غدا فيكم جليبا * بنا خوضه ودماء أولى الوبال
أما تصفون أصوات العساكر * كوحش قاطع البية داه كاهر
وخبث طوية الفرق الفواجر * ذبيح بذيةكم بطبي البواتر
ولا يبقون فيكم قط حيا

عليكم الى آخر الايات الثلاث

فإذا تبتغي منا الجند * وهم همج واخلا طعنه
كذا أهل الخيانة والوعد * كذلك ملوك بني انيس ودوا
تعصمهم لنا لم يجدشيا

عليكم الى آخره

من جعلوا السلاسل والقيودا * وأغلالا وأطوقا حديدا
لاهل فرانس البروا عبيدا * وليس مرامهم هـذا جديدا
أما هذا عجيب يا أخيا
عليكم الى آخره

وكيف يسوغ ان نرضى رعا * من الاغراب ينفون ارتفاعا
ويجري شرعهم فبنا شعرا * وانذالا لديهم لا تراعى
رعا يابل تكب على الحيا

عليكم الى آخره

فسلم يا سلام من المذلة * فما نرضى بان نبقي أذلة
ويأسرنا وفتنة أجله * فريق بالدرهم قد قوله
فكيف وقد رنا أضحي عليا

عليكم الى آخره

الهي كيف يتهـ ربا ملوك * بسم العدل ليس لهم ملوك
وانذال للاستعباد حيكوا * وما في الفخر يشركنا شريك
ولا أحده أبدا حريا

عليكم الى آخره

فقل لهم أيا أهل المظالم * وأرباب الجرائم والمآثم
أما تخشون من تلك الخارم * كذا أهل الخيانة لئلا تكارم
وظلمهم لقد بلغ الثريا

عليكم الى آخره

أحلوا الخوف نحوكم أماما * وخلوا العدل عندكم أماما
ونقضكم لوطنةكم ذماما * به تبحرون ذلا وانهتقاما
وتسكتسون عند القوم خزيا

عليكم الى آخره

فهاكم قد تعسكرت الالهالي * وسارت كلها فحقوا القتال
لما تقهـم المهالك لا تمالي * اذا مامات ليث في المنزل
تولد أرضنا شبل اصديا

عليكم الى آخره

صغير القوم منا والكبير * يجب قتالكم فرحا يطير
فصار بكم وليس لكم نصير * وليس لحربنا أصلا نظير
وحاشا فلولنا يلقون عيا

(٧٨)

﴿عليكم الى آخره﴾

لناوطن بهه-مناع-راما * به تقوى عزائمنا دوما
نمناعه ونخشى أن يضامنا * ونأخذ ثارهم من تعامى
وجاروان يكن ملكا عتيا

﴿عليكم الى آخره﴾

لنأحرية في الكون نسو * تزيد اذا المحروب بدت وتغو
تسارع من بنيم سامي-م * بهائم-رات نصرت-م-م-تم
على نعم المائى والنجيا

﴿عليكم الى آخره﴾

تموت-م-دائم موتا شديدا * اذا ما أبصروا-م-زامنيها
يحوزها تهاج-م-دارفعا * فويل للذي يبغى الرجوعا
لرق يكتسى خطأ وغيا

﴿عليكم الى آخره﴾

سندخل سلاك أرباب الجهاد * كسلاف لهم طول الأيادي
ونهم ونحوهم في كل ناد * ونقفو فضلهم-م في كل واد
ونبلغ في العلى شأوا قصيا

﴿عليكم الى آخره﴾

نؤمل أن نكون لهم فداء * وكل فتى بفخر النصر بقاء
وان لا بعدهم نبقى مساء * اذا لم ينتقم لهم-م-العداء
ويأخذ ثارهم من كان حيا

﴿عليكم الى آخره﴾

وهذه القصيدة جعلوها لنا خاصا وكانوا يرغبون بها في ليلة تذكروا فيها الجمهورية ولم ينظم
في تلك الليلة عزازان مع أن بعض اصداد الجمهورية لم يفتح طاقة تلك الليلة ولم ينور
فانوسا وبعضهم رحل عن البلاد بالمرّة تلك الليلة ومن الاحتفالات الواقعة لضيوف
المعرض الاحتفال الذي منع بعرض الجيش حول اجوادي بولونيا كما مر ذكره
فبعد احتفال الموكب بالمتفرج-م-بن الذين يجاوزون النصف مليون ومنهم-م-شاه إيران
والعسا كترى من بعد حول تلك التلال والهضاب واذا بالمارشال مكماهون رئيس
الجمهورية

(٧٩)

الجمهورية اذ ذاك قادم راكبا-م-لى حصان أشهب عربي يقدّمه ثمانية فرسان من
العرب سكان الجزائر بلباس العرب ويرانيهم-م-م-جروهم ووجههم عربية ووراءه وزير
الحرب ثم نحو عشر فارسا من ضباط العسا كروالمعينين وكلهم باللباس الرسمية فلما
دخل الميدان وسامت وسط الموكب أو ما بالسلام لجهة المتفرج-م-بن الجلوس في الايوان
الوسط ثم ركض حصانه وصار يطوف على كراديس العسا كروهم-م-ماوصه-م-الى راية
الاوكشف رأسه موهبا بالسلام الى ان طاف على الجميع ثم رجع الى أمام الايوان الوسط
واستقبله ووقف وكان أمير الجيش كله الميكاف بذلك الموكب هو أم-م-برجيش باريس
فخامرا كضاوسلم-م-لى رئيس الجمهورية ثم انما الى جهة الاواوين وأصدرا وأمر
المركبات العسا كرية فاذا بالجيش من كل حدب يضرب-م-لون وجاء الاى الاول
وموسيقته تتزف أمامه فلما حاذت رئيس الجيش وقفت ومرا الاى ماشيا من الجنوب
الى الشمال بجميع لوازمه وسلاحه الى أن انقضى فخامه ووقفت موسيقته وهكذا الى
ان مرت خمسة وأربعون الفا من العسا كرا المشاة ثم أقبلت الخيالة المدرعون سربا سربا
يمشون خبيبا وكل سرب متقارب لون الخيل الى أن مرت خمسة آلاف خيالة ثم أقبلت
الطبيعية-م-ة أى عسا كرا المدافع بدافعهم-م-م-نجرها الخيول ذاهبين خبيبا الى ان مرت مائة
مدفع وثمانية مدافع وكل فرقة من الجيش يقدّمها رئيسها راكبا ووقف بين
يدى الرئيس الى أن تمر فرقة-م-م-فيقبعها ومهمها راية كبيرة أو أوت بالسلام للرئيس
وكشف-م-ف هو لها رأسه ومنذ سلم هو عنه مدخله الموكب الى ان انفض الموكب كانت
المدافع تطلق من الحصون وعند ما مرت العسا كرا الالهية أبناء باريس ضج
الموكب بالتصفيق والتحيات استحسنانا استهتهم ونشاطهم حتى صارت كاصوات الرعد
ووقع لغيرهم قليل من ذلك النوع وكان اليوم حارا والرئيس مستقبلا الشمس بلا مظلة
وقد سقط عسكرى من حوالى الشمس في الحال-م-ل في نعش مصابى العسا كرو عالج-م-ه
الطبيب وأرسل اليه الرئيس مرارا متفقا وعاود-م-م-خرج الناس للرجوع احتبكت
الطرق واشتبهت الكراريس على أصحابها وكان يوما مشهودا واشتبهت الكراريس
انما كان مستغرا بالانه من عادتهم في هاته المواكب اذا حضرت كروسة يتلقاها أحد
م-م-غار المكافين ولما ينزل الركب يعطيه بطاقة بهاء مدد خاص ومثلها السابق
الكروسة ويوقف كروسة في مكان رحيب على ترتيب الاسبق فالاسبق فاذا خرج
الراكب أعلم أحد أولئك المكافين بغيره فيرفع صوته بهافتا في الله-م-له بجزر دسماع

سائقها بعد مغرته من غير أدنى اختلاط ولا تعب. لكن في ذلك اليوم حيث خرجت الناس
دفعه مع كثرتهم ومع ازدحام الناس خارجا وقع الاختلاط وعدم التميز. يركب الموكب
ومثل ذلك احتفال يوم السابق فانه لما انتظم الموكب على نحو السابق تهيأت خيل
السباق وكان الجمل من الدولة للمجلى مائة ألف فرنك وللمصلى عشرة آلاف ثم ألفان ثم
عاق في عمود أسماه الخيول المدفوعة أولا وكانت ستة عشر فرسا من عتاق الخيل الجياد
العربية وكل منها مسرج بسرج صغير جدا وركابها مساوون في الوزن حتى اذا كان
أحدهم أخف جل شيئا يستوى به مع أصحابه وكل منهم لا يسلبا سلاصقا بالبدن وعليه
نحوجة قصيرة ضيقة من الحرير بأحد الألوان لكل لون خاص وكل منها يسلكه رجل ثم
يتصافون سواء من مبدأ الميدان فيضرب جرس اذنا بالركض فاندفعوا راكضين وكان
الميدان على هيئة دائرة واسعة تتصل بل بأخرى أوسع منها ثم أخرى أوسع وكل فرقة من
الخيول حذو فاعلاها ما يقطع الدوائر الثلاث ومجموع طولها نحو تسعة أميال وأدناها
ما يقطع الاولى فقط فالسرب الاول كان من المتوسط وحازا القصة حصان أحمر وعلق
اسمه واسم صاحبه ثم فرقة أخرى وهكذا ولما خرجت الفرقة العليا تهيأت الناس
وكثيرا للخط في المخاطرة كل يدعى ان الفرس الفلاني يغلب وكثيرا ما ترجع عشرات
الملايين في مثل ذلك السباق بالمخاطرة بين المتفرجين ثم انسحبت الخيول راكضة وكانت
سنة فقط وكانوا لا يجادلون على أيهم يحوز الخط الداخلي من الدائرة ولا يطلقون عنان
الخيول وعندها توسطوا الدائرة النهائية أرسلوا الخيول على غايتها فتخلف من تخلف ولم
يسبق الاثلاث وعندها بقي الربع من الدائرة تخلف الثالث وتجارى اثنان فكان كل
منهما تارة يكون مصليا وتارة مجاليا. لكن لما قربت قصبة السبق فاز الاجر الكمي
وصار ينطاطا سارعه من شدة سباطا ركبته وكنت تخيلات سبعة من أول الامر لما
تفرست فيه من حدة نفسه وتقارب وسرعة حركته مع ان الكل مستوون في صفات
الجودة غير ان هذا أحدوا أخف وقد أعطى صاحبه للراكب عشرة آلاف فرنك من
الجايزة لان عادتهم ان يكون لمضمار السباق فرسان خالصون أو سائس الفرس أما
صاحبها فلا يسابق بنفسه الا ما ندر مع أمثاله وليس ذلك لزهدهم في الفروسية بل لأنفة
لانهم كثر ير والركوب للخيول نساهور جالوا بصرفون على تربيتهم وتوليدها أموالا
جسيمة حتى يباع الفرس الواحد بأربعمائة ألفا أو يزيدو يكنون أنسابهم مسلسلة
وأصلها من العرب وذكرني ان جد أقدم نسل من خيل انكلا تيره هو حصان قونسي
اشترى

اشترى من جمال ثم اعلم ان المعرض الذي نحن بصدد ذكره موقعه في الجهة الغربية
الشمالية من باريس بقسمه نهر السين الى شطرين فاما كان عن يمين النهر دار السين
يسمى النوكادرو وبنى به قصر على شكل بديع وبنائه متقن ليقبض هناك مسترا وهو
المشار اليه أولا وأمامه رواق وقدمه بركة ماء واسعة جدا على جهاتها صورة أسد ونور
وفرس ونخيل وكل صورة ضخمة جدا كلها مذهبة والماء مدفوق بهيئة عجيبه ويحيط
بالجميع حديقة أنيقة وحول هذا المكان بنا آتاصورة بنا آت الممالك التي أجابت
الدعوة فنهادر أراسها سلطان المغرب كلها من خشب على هيئة ديار فاس وبها النقش
حديثة وغيرها مما هو عادة لهم وكذلك فرشها ومناقصها طريف لشاه ايران على نحو
قصر بيلاده ومن عجيب ما به سقف بيت كاه من البلور المصنوع على هيئة عناقيد وهو هكذا
كل مملكة أجابت الدعوى تبني مكانا على هيئة ابنتها في بلادها وحول تلك الابنية
مخادع ومقاعد وحوانيت وقيمة في تلك الحداث والشرط الثاني من المعرض يسمى
شان دي مارس وفيه حدائق أيضا وقهاوى ومطاعم وفيه المحل المهم المقصود من
المعرض وهو بناء عظيم واسع طوله نحو مائتين في ذلك المعرض كله بناء من قضبان حديد
ومقسم على أقسام على حسب الممالك كل مملكة تأتي بأنموذج ما عندها من الجمادات
والنباتات والحيوانات والمصنوعات قل أو جل حقرا أو عظم فكان ذلك المحل حلو بالجميع
أنواع ما به لم في الدنيا لانه أجابت دعوة فرانس الى ذلك جميع الممالك ذات الشأن
الا لدولة العلية لاشتغالها بحرب الروسيا اذ ذاك فالتعرض حينئذ لما فيه عيب اذ يهجر
عنه الواصف وانما أذكر أفرادا من المستغربات التي لم تنزل عاقلة بذهن فنهاساعة ذات
أربعة أوجه مرفوعة على نحو أسطوانة ارتفاعها أربعين ستة أذرع ورفاقها صورة
كورة أرضية معلقة في القبة التي فوق الساعة ويحيط بالكرة صورة الشمس والقمر
وبقية الكواكب السيارة والغريبة من جهة كون الساعة ليس لها آلة تدور بها سوى
تلك الكورة وذلك باناعة برتقاليها وبها عن مركز تعاقبها ومنعت من الاسنة قرار
بمركزها باعتبار قائم في رأس الساعة متصل بالآلة لتسهيل الدوار فكانت الكورة
تطلب المركز وتدفع العارض بقلها وهو يدور وهي تدور معه وهكذا وهي من مصنوعات
الفرانسييس وقيل ان ثمنها ستون ألف فرنك ومنها مقدم من البلور الرفيع ذو ثلاث درج
واثنى عشر ضلع مرفوعة قبة على أسطوانة من البلور يجلس به اثنا عشر انسا فاكه
قطعة واحدة من البلور المصنوع وهو من صناعة النمس ومنه مطبعة تطبع بلونين في آلة

واحدة وتخرج عذدا وافر في كل دقيقة ومنها الرسل الرسائل المكتوبة في قنوات من
 حديد مفرغة من الهواء فتصل بسرعة كالسالك الكهربائي وقد صار الآن في عدة جهات
 من باريس ارسال الرسائل بتلك الصورة ومنها المجوهرات والتحف الغريبة التي اهداها
 ملوك الهند الى ولي عهد انكلترا وهي كثيرة عجيبه جدا ومن أغربها معولان من العاج
 في طول الذراع ورأساهما على صورة رأس أسد وعينهاهما ياقوتتان جراوان لم أر أجل
 وأضوأ وأخلص منهما الى غير ذلك مما يقصر عنه وصف الوصف من بدائع الصنائع
 والخلوقات وأما بقية اما كن وبنات باريس الشهيرة فهي كثيرة جدا ومن أهمها
 ليزان فاليد وهو محل العاجزين من العساكر وبه آثار الاسلحة القديمة منذ عرف السلاح
 في الدنيا الى الآن وبه قبر نابليون الاول والرايات التي غنمها وعلى قبره هيكل وتابوت
 فوقه نيشانه وسيفه ادخلوني اليه واروني جميع خزيات غرائبه تكملة من مـ وحوله
 قشلة كبيرة للعاجزين من العساكر بالسن أو المحروب الذين يريدون الإقامة هناك
 فزيادة على القيام بجميع ضرورياتهم لهم خدمة وكل من لا يقدر على المشي تجعل له
 عجلة صغيرة يحركها بنفسه ان قد يدروا لاجرها خادم للتروح في المنزه الذي حول ذلك
 المكان والمدير لهذا المحل رجل من رتبته أمير آلاي ذو اخلاق حسنة ومعارف جيدة أما
 ملاهي باريس فهي كثيرة ومختلفة المقاصد اذ لا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي بل
 ظاهرها التلهي وباطنها فائدة من الفوائد كالأعلام بتاريخ غريب لتجني محاسنه
 وتجنب قبائحها لان الراي شاهد القتايج عيانا فكم يكون أوقع في النفس وكلا فائدة
 عليه مثلا يحصل في أحد الملاهي من ذكر كورية الارض وان من يقطعها اذ هب الى جهة
 الغرب في نيف وثمانين يوما فاذا وصل الى المكان الذي خرج منه يجد انه نقص له يوم
 من أيام الاسبوع مثلا يرى انه وصل في يوم الاحد والحال ان اليوم عند أهالي ذلك
 المكان هو يوم الاثنين وبالعكس ذلك من يقطعها اذ هب الى الشرق فانه يزداد عنده يوم
 فيرى انه وصل يوم الثلاثاء والحال ان اليوم عند الاهالي هو يوم الاثنين وذلك لان السائر
 الى جهة الغرب يكون ذاهبا مع الشمس فاليوم ببلده عند زيارته من أربع وعشرين
 ساعة فيجتمع في ذلك الايام يوم كامل يضيع على المسافر وينتفعده مقابلة مثله لان
 اليوم ببلده عند أقل من أربع وعشرين ساعة لذهابه ضد سير الشمس وقد نص القرافي
 على هاته المسئلة وما هو المحكم الشرعي فيها اما اذا صادف اليوم المختلاف فيه يوم الجمعة
 فان المقيم بعد يوم الجمعة والمسافر الى الغرب بعد يوم الخميس والمسافر الى الشرق بعد
 السبت

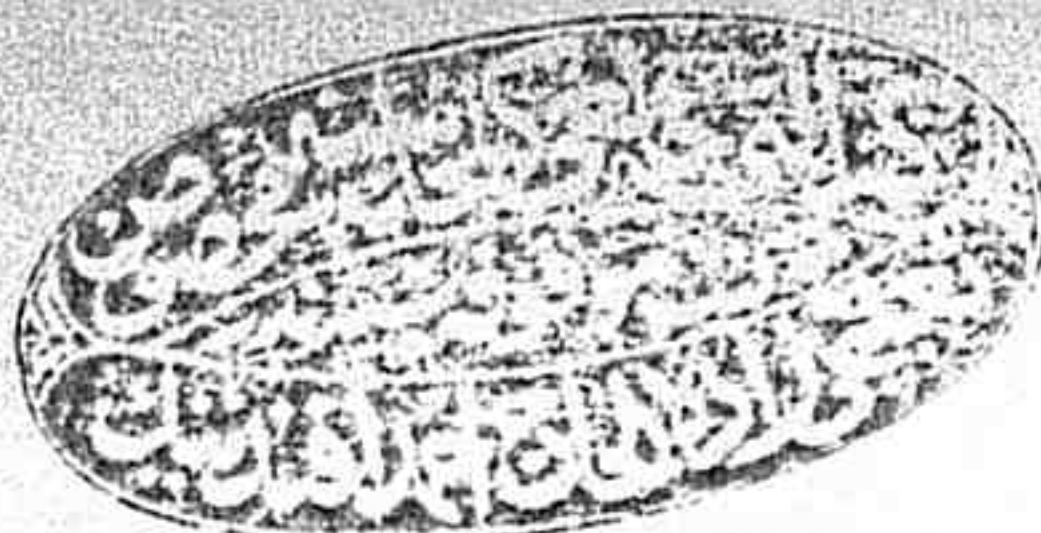
السبت وغير ذلك من احكام العبادات والمعاملات الموقفة وان المحكم هو الاعتبار بما
 عند أهل المكان فأولئك اللاعبون يصورون هاته المسئلة العملية بتشخيصها وصوره
 السفر بر او بحر او ما يعترض من العوائق وثمرة الحسالى للتوصل به الى الاغراض الى غير
 ذلك وهناك ملاهي لا فائدة البراعة والبلاغة في الكلام وأخر لا فائدة علم الموسيقى الى غير
 ذلك من الفوائد ولولا السياسة فقد كانوا مدة رياسة المار يشال مكاهون على الجمهورية
 طلب محاسن الامة ان تعزل ولاية البلدان ورؤساء العساكر الذين هم من حزب الملكية
 فامتنع الوزراء من قبول ذلك وحل الرئيس المجلس واذن بانتخاب اعضاء آخرين ولما
 انتظم المجلس الجديد أصدر على مطلب سلفه فاراد الرئيس حله أيضا فامتنعوا من ذلك
 اذ لا حق له الا في حله مرة واحدة في نازلة متحدة وحصل نزاع كاد يفضي الى شغب فمك
 أحد الملاهي لاعبا واذا باحد اللاعبين يقول ما ترجته نظاما

المار يشال مكاهون يخضع * وان أبي من الخضوع يخضع
 كذا الولاية من صياصي تدفع * لان ذلك للبلاد أنجع

فدخل الحرس وفتشوا على القائل فلم يقر لهم أحد ولا وجدوا الكلام في كتاب الحكاية
 وآل أمر النزاع الى استعفاء المار يشال واعلم ان تلك الملاهي يوجد منها ما هو مضيعة
 ومشغلة لكنه قابل والحاصل ان ملاهيهم لا تخلو عن فائدة معتبرة ومع ذلك فهم غافلون
 عما فيها من مفسدة مهمة وهي تعليم الشبان والشابات أو جهة العشق ومبانيه ووسائله
 اذ قل ان يخلو شخص عن مثله ويعتدرون عن ذلك بأنه يعلم أيضا شناعة ثمرات العشق
 وشناعة الفضيحة واثار الموت على حفظ العرض مما يكون خاتمة تلك الشخصيات
 وكان ذلك لا يفيد اذ البواعث النفسانية غالبية على عقول الكثير من الناس فتأخذ
 ما يلائمها وتغفل عما سواه ويؤيدها ان الكثير من يحضر تلك الملاهي انما يجعلها
 وسيلة لتمكين من امعان بصره في الالعبات والمتفرجات التافهة بدل الالعبات
 والباسهين وترى كلاما من الحاضرين بهدوء مرة مقربة وهو لا شغل له الا اشخاص
 من واحدة الى أخرى ثم يلتمسون الوسائل الى الخلطة بمن يعلقون بهما بل وكذلك تفعل
 الابكار والشابات مع الرجال الا العفقات وأعظم هاته الملاهي هو كران لوبره الذي تقدم
 ذكره وكان دخله من اكتوبر سنة ١٨٧٩ الى نهاية يناير سنة ١٨٨١ الذي هو
 عام وأربعة أشهر ٧١٥٠٠ فرنك ومضروفيه في تلك ٧٤٩٠٠٠ فرنك
 المدة فكانت الخسارة أربعة وثلاثين ألفا وخمسة مائة فرنك زيادة على ما تعطيه الدولة

إعانة له لانها تعين من دخلها في كل سنة إعانة للملاهي مبالغ وافرة فكان معين للملاهي
 المذكور وملاهي أو بيرة كوميك وملاهي تياتر فرانسيز وملاهي لوديون في سنة ١٨٨١
 ١٠٠٠ ٣٢٤ رفرنك عدا بقية الملاهي للفوائد التي مرز كرها وكراه البيت الواحد
 في هذا الملاهي سنة ١٢٩٥ مائة وعشرون فرنك كافي اليلة الواحدة وبه بيت لرئيس
 الدولة يخنوي على مرافق وقد أذن لي بالدخول اليه تكريماً من رئيس الجمهورية
 اذذاك الممارشال مكاهون ومن أهم الملاهي البدروم الذي يلعب فيه بالخمبول العاين
 بحجبة وكذلك الملاهي السمك فتري الخيل تدرك من لسان الخادق وكذلك غيرها
 من الحيوانات ولوا السبعة فان الاسود والفيلة وغيرها لها ملاهي خاصة وتطبع امرها
 كالا كمي حتى رأيت الشاة تسطو على الاسد وتركب على ظهره وتدخل رأسها كله في
 فيه وهو منقاد خاضع وحوله في الحجرة التي هو بها أربعة اسود آخر واربعة غوري ومثلها
 ضباع ثم ذئب ثم أربعة من الذب كلها واقوف حول حيطان الحجرة كما صاحب موكب
 محتمل وذلك الاسد الكبير في وسط الحجرة والنهجة تلاعبه وتركب عليه وصاحبها واقف
 معها لكي لا يسطو واحد على آخر وتلك النهجة لا تخشى بأس جميع تلك السباع بل كانهم
 هم الخائفون منها غير اني شاهدت هاته السباع في تلك الحالة والضبيع واقف يرتعد من
 الاسود وبوله جار على رجله ومع ذلك لا يخل بامر صاحبه ومثله الذب فان صاحبه اذا أمره
 بالقرب من الاسد الكبير تراه يرتعد ويصيح ولكنه يفعل ما أمر به وكذلك ذلك الاسد
 يكفه ويكره قرب الذب منه ولكنه لا يضره بشئ فانفرة بين النوعين شديدة بخلاف
 الاسد مع النمر فالنمر يذبحها قريب ومن غريب ما شاهدته هناك ثعبان في غائطه يبرن
 وطوله نحو خمسة عشر ميتر ويحمله عدة رجال ويمسكه كل واحد ولا يضر شيئاً وهو من النوع
 الذي ذكرناه بجبال الودارنة بقطر تونس وقاماته بين الالهالي مثل القطة الالهلي كالملاهي
 للشعوذة يعملون بها اعمالاً غريبة وأما معامل باريس للصنائع فهي كثيرة جداً ومما اختصت
 به عن غيرها عمل كبلان الذي يصنع به المنسوجات الخفيفة كالزراي التي يضرب بها المثل
 وكذلك عمل السيفر الذي يصنع به الاواني الخزف التي يفضلونها على الخزف الصيني
 وقد ورأيت به مائدة على ساق واحدة أرفع ما رأيته من ذلك الشكل بالوان وصفاء بديع
 ذكروا ان قيمتها ستون ألف فرنك وكذلك عمل التمويه بالفضة والذهب بالجاذب
 الكهر باني فتري القناطر المقنطرة من النحاس مصبوعة ساعات وشوكات وملاعق
 وغيرها يدخلونها في برك من مياه الفضة والذهب فتخرج كأنها من ذلك المعدن وأما
 منازل المسافرين فتعكاد ان لا تحصى وأهمها المنزل الاكبر في بلغار الطليان فانه من
 عجائب المباني والتنظيم وتري فيه ايوان الاكل العام متسعاً بقبة واحدة يحيط بها

رواشن ويوقد به نحو سبعة مائة مصباح وقبته وحيطانه كلها موهبة بالذهب على أشكال
 جبهة وبه سبع موائد كل مائدة يجلس عليها خمسة ونفسا فتري ثلاثمائة وخمسين نفساً
 في بيت واحد يأكلون جميعاً على غاية الراحة والفرهة والامه ولا تسمع فيها الاغنية والكل
 يأكلون سواء والفقير له خمسة الوان والعشاء له سبعة الوان عدا الحلويات والفواكه
 وزينة المائدة البديعة وثمن الاكل فيها للواحد ستة فرنك عشاء واربعة فطورا ويحتوي
 المنزل على ستمائة حجرة لاسكني وستين بيتاً متسعة للجلوس ويصعد الى طابقاته العليا بالجلوس
 على كراسي تصعد بها آلة بخارية وأما حماماتها فهي على نحو ما سبأني في الصفات العامة
 غير انها اختصت بحمام عربي قرب البغار وهو في نهاية التانيق والتزييق والزخرفة
 شبيهة بالحمامات العربية في كونه له بيت كبير حار لا يغتسال والعرق وبيت كبير لنزع
 الثياب والراحة للغسل مستلق بعد الاغتسال وبين البيتين حوض كبير مملوء بالماء البارد
 ينزل اليه كثير من المغتسلين بعد الغسل ليخرج منه الى بيت الارتياح وعند وصوله الى
 الحائط الفاصل بين البيتين يضطر الى ادخال رأسه أيضاً في الماء لان الماء واحد الى
 اسفل الحائط وفي الحمام خدمة يكسسون المغتسل وينظفونه على النحو المعتاد في البلاد
 العربية وبعضهم من الجزائر وبعضهم من السودان أما احوال المعارف وترقي العلوم
 فالسبب فيها واسع جداً ونقول اختصاراً ان في باريس مكاتب للعلوم العالية واولها مجمع
 كبار العلماء ثم مكتب فرانسوا وهو لنهاية المعلمين ومكتب اركان الحرب ومكتب المعلمين
 ومكتب الصيد لانيين ومكتب اتقان علوم الطرق والجسور ومكتب علوم المعادن
 ومكتب تعلم التجارة ومكتب الصنائع النظرية ومكتب علم الموسيقى وعلوم تشييد
 الملاهي وانشائها ومكتب اللغات الشرقية والاسرار القديمة ومكتب الصنائع وخمسة
 مكاتب ابتدائية للدولة وأما الابتدائية للاهالي فغير محصورة وهي كثيرة جداً ومكتب
 للقسيسين عال ومكتب لهم دونه ومكتب للمعالي وآخر للصم البكم يعلمونهم باللسان والحرف
 المجسدة والخطوط المجسدة فيصطلحون الى سائر المدرجات كما ان في باريس ثمانية خزان
 كتب عظيمة للعامية تحوي من الجملات نحو ثلاثمائة ملايين مجلدات وأكبرها خزانة الكتب
 العمومية التي فيها أول ما عرف من آلة طباع الكتب وفيها بعض مخنف عتيقة مثل قطع
 من الشطر فحج الذي كان اهداه هارون الرشيد الى شارلمان وجملة ما فيها من
 الكتب أزيد من مليون مجلد منها أزيد من ثمانين ألف مجلد بخط اليد ومن تلك
 الكتب الكتب التي أخذها نابليون الاول من مصر ثم الكتب المأخوذة من الجزائر



وقد رأيت فيها كتباً نفيسة عربية ومصاحف كريمة أنيقة ذات أسفار بقطع من الذهب وخطوط جميلة وكان فيها من المطالعين والناظرين نحو خمسة مائة نفس نساء ورجالاً لكن الرجال أكثر على غاية من الأدب والصمت وهاته الخزانة مثل قصر عظيم ذي طبقات ومحل المطالعة واحد أيوان واسع ثم وراءها تيمك المكتاب والمكتبة واعتناء الدولة بتواعث أنوار الاجتهاد والتقدم في العلوم وذلك بانه قد جمعيات للتحرير في طبخ والاعانة بالمال وسائر الوسائل للوصول الى المقصود في خصوص باريس فمنها جمعية اللغة الفرنسية وجمعية سائر العلوم وجمعية علوم الادب وجمعية المعارف الطريفة وجمعية العلوم العقلية وجمعية علوم الطب وجمعية التحرير على الاختراعات وجمعية علم النباتات وجمعية علم طبقات الارض وجمعية معارف آسيا وجمعية الاحصاءات الدنيوية وجمعية الجغرافيا وجمعية علم التاريخ وجمعية المرجحة الانسانية وجمعية الصيدلة وجمعية الفلاحة وجمعية مقدمات الفلاحة وجمعية تربية النباتات والحيوان وجمعية الصنائع الفرنسية وجمعية لتخمين سائر العلوم ومما يلحق بهذا الباب كثرة المطابع فمن أعظمها مطبعة الدولة ورأيت فيها من أنواع أحرف اللغات التي يطبع بها سبع مائة أنواع منها الأحرف العربية وعدد المستخدمين بها يقرب من ألف نسمة وفيها كتب قيمة وحديثة في كثير من اللغات ومنها كتب غريبة عتيقة بالخط الكوفي وغيره ومن المطابع المهمة المطبعة المختصة بطرق الحديد لطبع اعلاناتها ودفاترها وجميع ما تحتاج اليه فيها من المستخدمين أزيد من سبعة مائة نسمة وتطبع بالحروف وعلى الحجر بخط اليد وهناك مطابع أخرى كثيرة للصحف وغيرها فان الصحف لها تأثير كبير في المعارف حتى انه يوجد ثلاثمائة صحيفة بين يومية وشهرية وأسبوعية في السياسة أو التجارة أو العلوم ومنها ما يطبع منه يومياً أزيد من خمسة مائة ألف نسخة وفي بعض الأحيان لا تجد منه نسخة للبيع اذ قل ان تجد سائتي الكروسة ليس له صحيفة يطالعهافضلها عن غيره وأما ما كن المرجحة كالمستشفيات وديار اللقبطين فهي كثيرة ويكفي لعظمته ما ذكرناه في المستشفيات الذي نظارته الى المحكيم شاركوا والقبط يتفق على تربيته وتعليمه عجائبا الى ان يبلغ أشده وهم كثيرون بسبب كثرة الزنى والزانيات المتجاوز عددهم عشرات الآلاف منهم من هن في ديار مخصوصة لذلك جهرة ولهن أطباء من قبل الحكومة لكي يمنعون المرضة بالامراض المعدية ويدخلونها للمستشفى ومنهن من هن في ديارهن أوفى الملائه أو خدمات الى غير ذلك ومن أما كن المرجحة الدار الرحبية المتخذة للفقراء الذين لا يجدون ماوى وهم قادرون على

التكسب

التكسب فان هاته الدار تأويهم ليلاً وتطعمهم ما يسد الرمق وتعطيهم فراشاً بشرط ان يغسلوا أرجلهم قبل دخوله ولا تقبلهم الا في الساعة الثانية بعد الظهر وفي السهر يسرد عليهم قارئ كتاباً في تهذيب الاخلاق والحث على العمل ولا يقبل الواحد أزيد من ثلاثة أيام ومع كثرة المراحم فكثير ما يموت الناس في الطرق جوعاً أو برداً سيما في سوق الخضر لان من لا يجد ماوى يبقى به من الزمهرير فيجهد بدراً (وأما طرق المواصلة) والانتقال من محل الى آخر في وسط البلد فلهم وسائل كثيرة كالبواخر في نهر السين تقف على الشطوط يمينا وشمالا من طرف البلد الى طرفها الا سخر الكوب في هاته البواخر اذا لم تكن مزودة بالخلأث في نهضة جميلة سيما خارج البلد أيام الربيع والصيف ومنها ما يمر على القرى المجاورة للبلد ومن الوسائل التي يعمى وتجبره الخيل في أغلب الاماكن وفي الطرق القليلة المرورجة من جية بالبخار ومنها الايديوس وهو مثل ساقه غير ان طريقه ليس حديدياً ومنها التي تليحيط بالبلد ماراحد والسور كانه تارة يجرى في نفق تحت البلد ومنها التي تكراريس ولها ترتيب منضبط في باريس أزيد عن غيرها لان التسعير المرسوم لا يزداد عليه ولا ينقص بخلاف غيرها من المدن ومع ذلك فان سائتي العجلات أظن انهم في كل بلادهم أسوأ أهلها أخلاقاً الا ما ندر وفي عام المعروض أكدت عليهم الحكومة التأكد الزائد وشددت في الحكم على من يتعدى منهم الحدود ومع ذلك كانوا كثيراً ما يسيئون السيرة ومن الوسائل أيضاً الركوب على الخيل لكنه خاص بالصحة بها وأما المكثرون فهم أقل استعمالاً لهم من الكراريس وسائر العجلات وبالجملة فان في باريس مائة ألف عجلة ومائة وعشرون ألفاً من الخيل وهذا كاف في بيان مقدار الحركة وأما رواج التجارة والسلع فانه كثيف بشئ منها وهو قصر البورس الذي تروج فيه كل يوم تجارة تفجوز آلاف ملايين وفي أحوال السلع نقطة صر على ذكر مخزن اللوفر الذي هو قصر قد حرارة كبيرة ذو أربع طبقات فيه ستمائة مستخدم وفيه من السلع كل ما يحتاجه الانسان من الملبوس وأثاث المنزل والفرش بل وحتى الكراريس والخيل التي تجرها واذا دخل اليه المشتري تتلقفه الخدمة بالبشاشة واللين ويطاعونه على كل ما يريد فيختار ما شاء ويذكر لهم اسم محله ويذهب وهم يأتون بما اختاره مع صحيفة مبين بها الأثمان ممضاة بالخلاص فاذا وجد شيئاً غير الذي اختاره أو سعره أغبر الذي سمع به رد ما لا يجبهه وأخذ الباقي وأخذ صك الخلاص بعد دفع الثمن من غير ما كسبه في السعر ولا يخشى المشتري من الغرر لان السلع هناك أرخص مما يمكن ان توجد لان صاحب

المخزن يأخذها من العامل ويزيد عليها نصف في العشرة مجا وكل من دخل المخزن الذي هو حقيق باسم قصره أن يدخل إلى أيوان الجلوس ويقرأ فيه ما يشاء من الكتب ويكتب ما يريد ويشرب شاي من المشر وبات كل هذا مجا ناول صاحب المخزن دفاتر عديدة مقيمة بها أسماء الصاع بأعداد مع أسعارها يعطيها لكل من أراد ومن يريد ذلك شيئا من الساع ولومن الاقطار البعيدة فليس عليه إلا أن يكتب للدائرة جريدة بها أسماء ما يريد بأعداد فيأتيه مذلول به مع البريد ويدفع اذذاك الثمن ويأخذ المطلوب أما اذا تعترف بتجار وجعل معهم حسابا متصلا فان دفع الثمن يكون حسب الاتفاق ومثل هذا المخزن مخزن بومرشي وهناك مخازن أخرى عديدة ولا يمكنها دون هذين ومن غرائب ما رأته به باريس القبة الهوائية الكبرى التي تسمى بالبالون وقد سماها علامة اللغة أجد فارس بالمتطاد فقد صنعوا واحدة كبيرة جدا ونصبوها في بطحاء التورلور بطوها بحبل من التل تجذبه آلة بخارية وعالقوا بها مركبة تسع أربعة وعشرين نسمة وكل من ركب يدفع أجرة الركوب عشرين فرنكا ثم يطلقونها تصعد إلى ارتفاع ثلاثمائة متر وتوفى الصاعد جميع باريس وما حولها كما تحتها وكان أول اختراعها القبة سنة ١٧٨٣ في فرنسا وهي قبة متخذة من منسوج الحرير مدهون بنوع صفي كالمسمى بالفرنيز تلي بالبخار الغازي الذي هو أخف من الهواء العادي بأربعة وعشرين ضعفا فتصعد ضرورة فرق الهواء لانها أخف منه وتحمل ما يتصل بها مما لا يعادل ثقله خفة هوائها ومن محاسن باريس الماء المجلوب اليها من عيون غزيرة وجعلت له خزنة هائلة تقصد للتفريج عليها زيادة على الماء الذي يرفع من النهر بآلات بخارية فالأول للشرب والثاني للاستعمال ومن أما كن التفريج الدها ليزال كبيرة التي تحت الأرض ويقال انها كانت لقطع الحجارة ثم جعلت مقبرة لعظام الموتى مرصوفة مرتبة وكذلك الخنادق الوسيعة التي تجرى فيها الفضلات والمياه فانها تسير فيها آلات بخارية فتحوّل ثقلها لتطفيها وتقصده بالتفريج ومن صفات باريس أن أغلب دورها يصله الماء في قنوات صغيرة كل دار على قدر استحقاقها وكذلك كل دار لها قنوات للبخار الغازي للتدفئة ولوليه بعض الدار ساعات محركة بقوة الكهرباء في مكان متحدث في البار بحيث تكون جميع الساعات متساوية الوقت على التحرير الصحيح في المرصد من غير مشقة لاصحاب الديار وللبعض الديار أيضا قنوات لتيان الحرارة لتسخين الديار على حسب ارادة صاحبها وما ينقصه على بيوتها من غير كلفة لا يقاد النار ولا خوف من احراقها لان الحرارة لا تبتة هي حرارة هوائية

هوائية وليس لصاحب الدار الادفع ثمنها تلك المرافق شهر بأوسنو يا غيران عمل التسخين والساعات لم يبتكأ كثيره ولا يلبث أن يتم واتحاد ساعات البلاد أمر مهم جدا في كثير من الامور ولهذا كانت أوقات طرق الحديد في كل مملكة معتبرة على قاعة تلك المملكة فتجد جميع ساعات المحطات متحدة على وقت واحد

الفصل الثالث

في بقية البلدان التي شاهدتها بفرنسا

فالها بالفرنسا هي غربي باريس تبعد عنها مسير نصف ساعة في الرتل وهي منتزه الملوك وبها قصور أنيقة وبتائع من تحف الملوك وما تتركهم منها الكراريس الرسمية التي تبلغ قيمتها الملايين لما فيها من الذهب والفضة والتقان الصنعة وحول تلك القصور البساتين والمحدائق الجميلة ذات المياه الدافقة والبرك الواسعة قد جعل فيها سنة ١٢٩٥ وهي سنة المعرض عدة ليال للزينة فاندفاع المياه فرأيت هاتيك الحدائق ملونة بقناديل الاقوار الحماكية كثرة النجوم وشماريح البارود بألوان وأشكال صاعدة وفائضة ودائرة ومنابع المياه طائرة في الهواء كل عمود منها في غائط نحو نصف ذراع مرتفع عن منبعه فتحوار بعين مبروفة كأنها منائر من الزجاج تترك بسطوع الانوار عليها وكذلك أنواع أخرى من المنابع ترمي إلى أمامها على استقامة إلى أمدها وكل تلك المياه منبعثة من نهر السين بالآلات قوية بخارية والمتفرجون عدة مئات الألوف وحول البلاد غابات وعمال شبيبة والبلاد واسعة الطرق نظيفة نظيفة والقصور الموكية ليس بها من المفروشات الا قليلا من آثار الملوك متحفظين عليها على ما كانت عليه وقد رأيت بها كلام من مجلس الاعيان والنواب اذا كانوا قدامها هناك بعد حرب المانيا سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م وكان جلوس في بيت رئيس الجمهورية كراما منه لي على عاتقهم في الاكرام بمثل ذلك فاما مجلس الاعيان فلم يكن به شيء من المسائل المهمة ذلك اليوم اذ هو يوم لتصحيح قانون استقر عليه رأيهم في استقراضات واصلاحات للولايات حتى رأيت الاعضاء كل مشغول بالحديث مع صاحبه والكاتب يقرأ في القانون ولما كثرت اللفظ بينهم الرئيس مرارا للاستماع فكانه لم يخاطب أحدا واضطرر للسكران وذلك لان ذلك القانون قد تباعثوا فيه مرارا واستقر الرأي فيه وطبع ووزع على الاعضاء وعرفوه تفصيلا فكانت قراءة الكاتب اليه قراءة سريعة ليقع الامضاء عليه فقط وأما مجلس

النواب فتذا كروا فيه على مسئلتين أولاهما طالب وزير المال للرخصة في صرف خمسة
آلاف فرنك على جناية أمير آلاي باغ السبعين سنة من العمرو مات تحت السلاح فقبر بعد
أن ذكر تاريخ حياته وما تركه وطالب اجرا ستة آلاف فرنك سنويا لعائلته وان ذلك
المطالب استقر عليه رأى الوزراء فاختتم كلامه الاوارتفعت الاصوات من جهات اليمين
منكرين لذلك وردت عليهم أصحاب الشمال واشتد الوطيس بين الفريقين الى أن
التزم الرئيس باسكاتهم ورام اتباع القرعة فخرجت الاكثريّة بوافقة الوزراء فقلت
لرفقائي هـ لرايتم ما وقع قالوا نعم لكن ما قصدت ذلك ان تدخل دولة فرانس نحو ثلاثة
آلاف مليون وقد اتفق وزراءها ورئيس الدولة على صرف خمسة آلاف فرنك على رجل
بذل في خدمة دولته والدفاع عن أمته مجموع عمره ومع ذلك لم تستطع الدولة ان تنفذ
أمرها في مال الأمة الا بعد مشورة أهل الحل والعقد وموافقتهم وبمثل ذلك لا يصرف المال
الا في وجهه لا على اختيار فرد ولا على مداراته ثم قام وزير الخارجية وذكر ملخصا في تحديد
معاهدة تجارة مع ايطاليا وان شرح النازلة يوفي به أخوه الذي هو ايضا عضو في
الجناس فقام هـ ذا العضو وخطيبا نحو ساعة ذكر ملخص تاريخ التجارة بين المملكتين وان
ايطاليا أرجم تجارة من فرانس وطالب تعديل فصول في المعاهدة السابقة فوافقوه على
ذلك (وثانيها) بلاد السيفروهي قرية على نهر السين قريبة من باريس فنحو نصف ساعة في
البحرلة وبها عمل السيفر للخزف وبستان أنيق وقصر ملوكي (وثالثها) بلدة صان اكلوا
يقرب السابقة وقرية من مياستها والحاصل انك اذا خرجت من باريس راكبا كروسة
الى فرسال فانك ترى كأن البلاد الثلاثة المتقدمة متصل بعضها ببعض وينتقل من
واحدة الى أخرى بالترتل وبالكروسة وبالتراموى وبالانديوس وبالجم واناخر النهرية
سوى فرسال فان النهر لا يحمل السفن الى قريتها (ورابعها) بلدة فونتين ابلوا التي
هي اصغر من فرسال وعلى نحوها ليس بها الا قصر واحد ملكي وبه اثاث
لنابليون الاول ومنهما مائدة كانت أمامه وقت اعلامه بانك كسار جيوشه عند تعصب
أورو باعليه وكان يهدمه موسى فضر به الماء مائدة غيظا ولا زال أثره فيها لكن هاته
البلدة تفضل غير هاجع حولها من الغابة ذات الاشجار الفاتكة ومحيط الغابة نحو
أربعين ميلا وفيها من الطرق والمقاع دما يفرح النفوس وفي وسط الغابة قهاوى
ومعامل لمخرط تحف من اخشاب الغابة وفيها كثير من الصيد كبقرة الوحش وغيرها والغابة
متصاعدة في جبال جيبها كساها الله من النبات وفيها صخرة يعتنى بالتفرج عليها
سقطت

سقطت على حجارة صغيرة كانت في الوسط فصارت الصخرة تتحرك كلما حركها أحد
معظم جرمها وفي الجبال عيون كثيرة ويجري حول البلاد نهر في من منازة فرانس
المقصودة (وخامسها) بلدة اليون وهي بلدة كبيرة ذات بطحاء آت وبنات انيقة
ويحترقها نهران أحدهما يسمى هالرون منه درب سرعة وتسا فر فيه البواخر بقلة
وثانيها نهر السون ثم يجتمع النهران خارجا ويذهبان الى البحر وهي مئوسطة بين
مارسيليا وباريس ومنظر الجبل الذي حولها جميل سيما جهة منتهىها المطل على النهر
الاول ويصنع في مطاعم ذلك المنزه طعام من سمك النهر الاحمر ويتغالبون في ثمنه وعلى النهر
عدة جسور في البلد أحسنها الجسر الحديد ذو القوس الواحد المعلق وسطحه في اطرافه
بسلاسل وأحسن أما كن هاته البلدة هو بطحاءها الكبيرى التي بها قصر البورس وقصر
الحاكم واهاليها يظهر عليهم الجدي في الصناعة لان هاته البلدة هي أشهر البلاد الفرانساوية
بنسوجات الحرير فكانت السكان قايما لوجولات في الطرقات اذا غلبهم معتكف في المعامل
وتجارة أهلها شهيرة في المعمور رأيت فيها النفق في الجبل الذي يصعد فيه الرتل صعودا
بينما حيث كان قسم من البلد في أعلى الجبل وقسم في أسفلها فجعلوا طريقا حديديا
ولتقريب الطريق واستقامته فقبله الجبل حتى يصعد من مستقيما وجعلت فيه حافلة
وسبعة تحمل نحو خمسين نسمة ويجذبها لاصعدا حبل من سلوك من الحديد بالآلة
بخارية الى ان تصل الى أعلى الطريق فينزل الركاب منها ويسمى ذلك بالتونيل واقت
بها ته البلد يومها وليلة وهي ليست الا شغلا للتجارة (وسادسها) بلدة مارسيليا التي هي أعظم
مرسى تجارية لفرانس ابل وفي البحر الايضا وهي بلدة كبيرة ذات جمال ونزهة وفيها حركة
عظيمة للتجارة الى سائر الاقطار وفيها اخلاط من السكان من سائر الاقطار وأحسن
طرقها طريق كانوبيا رفيه قهاوى ومقاع درجها فافتت بحمامها على قهاوى باريس وفيها
منتهى يسمى اشاتودوفي أعلى مكان بها ومنه ينحدر الماء المجلوب اليه على حنايا ذات بناء
متين ومحل انقسام الماء له منظر بديع من حسن البناء وتأنيقه وحوله حديقة نزهة وبها
حيوانات عديدة من أنواع شتى ومن محلات نزهتها دار الاثنا القديعة قرب شاطئ
البحر وقرب محل السماق وأنزهة قصر بها والقصر المسمى اوتيل دوديزيرف المتخذ
مطعما على ربوة من الجبل المحقق بالبلد يحيط بالقصر من جميع جهاته رواقات على
اسطوانات بشكل جميل مع تنسيق للبناء وحسن الفرش والمأكل يحيط به حديقة نظيفة
فهو نزهة للخواطر ولولا ان منظره للبحر عشيبة تذكر الشمس لانه غربي لكان أجمل

مارأيت من نوعه أما قوة حركة التجارة بها ته البلدة فهي عبرة للتبصرين وذلك أنك تشاهد من حركة الجحلات والسفن والقوارب والارتال وكثرة البضائع من أنواع عشق داخلية وخارجية إلى الصين وأمر يكاد يؤثر الاقاليم وترى من المخازن التي هي حقيقة باسم قري لكبرها وكثرة ما فيها من السلع ما يحير الفكر كما أن قصر بورس بها يكاد يناكب بورس باريس والمحاصل انما هي ثانی بالمدلباريس فيما رأيت به بفرانسا وأما مرساها فهي ذات حوضين عظيمين لا من السفن وترى فيها من البواخر وغيرها ما يشبه الغابات المتحركة وقد وردت على هاته البلدة ثلاث مرات في سفرائي وأقيمت بها عدة أيام ذهبا وایاها (وسابها) بلدة طلون التي هي أول مرسى حربي على البحر الابيض وهي بلدة حربية اذ لا نصارة لها ولا انشراح بالنسبة لغيرها لكن فيها من الحصون والاحواض لانشاء السفن والمدركات والمعامل لانشاء المدافع والكال والالغام البحرية وغير ذلك من قوات الحرب شئ كثير وأيت فيها احدى عشر حوضا بكل واحد سفينة مشغلة بانشائها منها ما هو على تمام ومنها ما هو في البداة والخلاقي منه كبون على الاجتهاد كالنخل في المصيف وقد كان سفري اليها سنة ١٢٩٥ وكان مصاحبا لي في الرتل صغير الصين القادم بالاستدعاء للمرض وهو وزير البحر عندهم وهو رجل مسن شعره خفيف على عادة اهل الصين وكل تحبته وشواربه بيض فحيف الجسم ومعه غلمان لا ادرى اهلهم اجناؤه أم اتباعه ومعهم غيرهم من الاتباع مجموعهم نحو ثلاثه عشر رجلا وكان راكبا في حافلة منفردة هو واتباعه والحافلة ذات مخادع ومقاصير ومرفاق بحيث لم ينزل منها مدة السير الى ان وصلنا الى طلون فنزل هناك حيث أعدت له دولة فرانس باخرة حربية ذات طبقتين من المدافع لتوصله الى مرسى بلده في الصين وكانت الباخرة مباحة ذلك اليوم للتفرجين والحاصل ان هاته البلدة بلدة حربية تظهر عليها سمات القوة والشارات العسكرية وأقيمت بها نحو ستة ساعات (وثامنها) بلدة تيس التي هي على شاطئ البحر وهي مأوى الاغنياء وذوى الترف من الفرانسیس وغيرهم من أهالي الاقطار الباردة في الشتاء وذلك لان موقعها على جون مستقبل الجنوب ويحيط بها من بقية الجهات سلاسل جبال شاهقة تمنع عنها مرور الرياح الباردة فكانت مأوى في الشتاء حسنا وكثرت بها القصور والمباني الجميلة ومنازل المسافرين الرحبة وجيعة ديارها صعبة لا تزدعي إلى أربع طبقات سوى منازل المسافرين وذلك لان عادة الاندكاز في بناءاتهم على ذلك النحو وهم أكثر القادمين الى هاته البلدة ولان غيرهم أيضا لما يقدم منهم ذوا الترف المتعودين على

على سكنى الانفراد فلذلك كانت عمارتها جميلة طريقة وسياج حدائقها من الاجر أو الحجر مرصوف على أشكال حسنة والبلدة يشقها نهر تجري فيه المياه عند نزول الامطار فقط وعليه عدة قناطر ولها عدة ملاهي لكن لما قدمت لها صيفا وجدت البلاد كأنه خال عن السكان لانه من به بالنسبة لكثرة البساتين والديار المنفردة وليس بها ملاهي مشغلة سوى الملاهي الصيفية على شاطئ البحر ويقرب من هاته البلدة عدة بلدان هكذا على نحوها ظرافة وتزاهة وأقيمت بها ليلة ويوما (وتاسعها) بلدة آياشو وهي قاعدة جزيرة قرسكا وهي مرسى امنية صناعية ومن عاداتهم في المراسي ان البواخر مهمها وصلت تقوم اشغالها الليل والنهار سواء فتح حمل السلع وتنزل غيرها وكذلك ان كان بحيث ان ساعاتها المعينة لا تتأخر عنها ويجدد المسافر في المرسى وحولها ضروريات ما يحتاج اليه وهي منورة وهاته البلدة طريقة جميلة ذات اشجار كثيرة من النارج والليمون فكانت رائحة الزهر عند دخولي اليها في الربيع عابقة وفيها بطحاء واسعة بوسطها صورة نابليون الاول والدار التي ولد بها لازالت على هيئتها وفرشها للتحفظ عليها كالمصالح العامة لانه من رجال السياسة المعدودين في الدنيا ورفي اسم فرانس الى درجة عظيمة وهو في الاصل من عموم أهالي هاته البلدة وأقيمت فيها بضع ساعات ولما أوقدت المصابيح ليلا عند الغروب ثم طلع البدر نقصوا النصف منها اقتصادا فهاته هي البلدان التي دخلتها وأقيمت فيها بفرانسا في السفرات الثلاث وعند رجوعي الى الوطن في السنة الاولى راكبا من مرسيليا وكان ذلك في يناير الموافق لحرم سنة ١٢٩٣ ليلا صادفت هيجانا عظيما في البحر حتى كادت ان تهلك الباخرة بن فيها وانكسر منها عمودان من حديد معلق فيهما قارب ومات ثلاثة من الخيل وانكسرت رجل أحد الركاب ولم يستطع أحد ولو من النوبة ان يتحرك من محله وجاء في السفن صبا حاد هددوا البحر منها بالسلامة وأخبرني انه لم يرمثل تلك الليلة وانهر بطن نفسه بحبل مع عمود الباخرة ليستطيع الثبات في مكانه وما وصلت الباخرة الى جزيرة كرسكا الا بعد ميعادها باني عشر ساعة ومن غرائب المراهي اني رأيت في الليلة الثانية في البحر ان سفينة من اسفاني سقطت وكان احباءى سألوني عنها وكنت أسلي نفسي بانها كانت غير ثابتة بل مضطربة ولذلك لم أجد ألمافي نزعتها فلما أقيمت انقبضت من تلك الرؤيا ولم أعلم ما تشير اليه فلما وصلت الى الوطن ظهر لي في أوجه الاحباب الملايين غبارا وفي اثناء الطريق سرى على الفاضل محمد السفة وسى هاته الايات قال

فاشكر الهك واذكر النعم التي * ردتك بعد تلاحم الاهوال
فاتيت ارضك سالما واعزما * تلقاه فيها فوزكم بالآل
فتري بنيتك من السلامة في حلي * موصوفة منكم بكل كمال
وجميع اهلك والاحبة كلهم * يلقونكم بتساحب الاذيال
هذي هي النعم التي لم نوفها * حق الثناء على الولى المفضل
وهو الذي ابقى اليك الاخت كى * تسمو بعزك في حلي الاجلال
اذ لم تصب في غير ليلة أمسنا * والآن ترقب منك خير هلال
فاشكر الهك صابرا متيقنا * بجزيل فضل الواحد المتعالى

فأعلمني بوفاة أختي الوحيدة رجة الله ونعمها وكنت تتركتها مريضة بالسل فتوفيت ليلة
قدومي بعد تلك الرؤيا باليتين وحضرت جنازتها ولم أعلم بان رؤيا مثل ذلك تدل على موت
الاقارب الا بعد ان حلت في الاستانقة سنة ١٢٩٧ فذكرت في الوصول الى المقصود
بالملاطفة وهو ان أحد الملوك كان رأى ان جميع اسنانه سقطت فأتى بمهر فقتل له سموت
جميع اهلك فبطش به ثم أتى بمهر آخر فقتل له ان الملك أطول عمر من جميع عائلته
فأجازه ففجئت بتذكر تلك الرؤيا الى ان قال لي المتحدث ان امر هذا مشهور في علم الرؤيا فقلت
نعم ها أنا قد شاهدته في نفسي لكني لا اريد معرفة هذا العلم لانه يشوش الفكر ولا يكاد
يتوصل اليه الا قليل لان له شروطا في الاحاطة باحوال الرائي ووقت الرؤيا والاحاطة
بالمرئي الى غير ذلك وربما غفل عن شيء منها فيغير المعنى وأما أصل العلم فلا شك في ثبوته
وما أوتيتم من العلم الا قليلا ويكفي في ثبوت هذا العلم الاحاديث المروية في صحيح البخاري
ومنها ان الرؤيا الصالحة جزء من ثلاثة وسنتين جزأ من النبوة وأما سفرى الثانية الى فرانس
سنة ١٢٩٥ فكانت من تونس الى مرسيليا وتاجروا بالباخرة البريدية على بلد بونة
من اعمال الجزائر وكان البحر في غاية الهدوء حتى رأيت على سطح المساء قطعة من نبات
بحرى مثل قطع القطن المنفوش متكاثرة وهي قليلة الظهور وانما ترى عندما يكون الماء
في غاية السكون كما رأيت أعمدة من البحر منبعثة بقوة مثل أعظم الفوالق فاخبرني انها
من نوع سمك يفعل ذلك وان منها العظيم الذي اذا صادف عمله ذلك احدى السفن
الصغيرة ربما اغرقها وهو من عجائب المراتب وكذلك عند رجوعي من هاته السفرة
كان البحر مثل ذلك الى ان وصلنا الى بادا الجزائر وكان الوصول اليها صابعا بعيدا اشروق
لكننا لم نزل البر وكان السفن أخبرنا بالوصول لكنه لم يبرم مع بقية الحساب للوصول
التزم

التزم الوقوف وذلك لكثرة الضباب المتكاثف ذلك الصباح فما انقشع الضباب بجزر
الشمس الا ووجدنا البركان في مقدم الباخرة والمرسى عن يمينها فكان من لطف الله
التدارك بالوقوف والتزمت الباخرة ان ترجع القهقري الى ان تيسر لها الدوران ودخات
المرسى وسبأنى الكلام على مملكة الجزائر في باب مخصوص (وأما) السفرة الثالثة
فكانت على طريق ايطاليا ومنها الى فرانس ومنها الى انكلا تيرة وهكذا الرجوع ولم
يكن البحر اذ ذاك الاعلى ماعوه متادوم ما حدث في الوطن في سفرى الاولى وبلغني خبره
وأنا في باريس ظهور دعوى وقعت لها طنطنة من الشيخ المن التقي أحمد بن المهدي
في العلم بالسنة حسب ادراك كل من فهمها وترك الاخذ باقوال الائمة المجتهدين
واختلفت الروايات في الواقعة ومدارها تصميها على رأيه وتعبص العلماء عليه الى ان
حكوا بغيره فارتحل الى مكة المكرمة ومات بها رجة الله وتحرير الكلام على المسئلة
باختصار حسب ما وعدت به في الكلام على ائمة جزيرة العرب هو ان يقال ان الشيخ
المذكور هو من تلامذة الشيخ السنوسي ذي السيط الشهير علما وعملا غير ان هذا التلميذ
هو دون شيخه بمرحلة في العلم فالفرسالة اراد ان يذكر فيها طريقة شيخه فلم يوف بها
وتغير المعنى المقصود لشيخه اذ مدارهاته الرسالة ان لا يقاد أحد الا المعصوم ولذلك يجب
على الامة ان لا يعملوا الا بالكتاب والسنة ويتركوا ما وراءهما ولا يخفى ان ظاهر ذلك يقع
في افساد الشرع حيث انه لا يخفى ان لا تباع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما في الكتاب والسنة لكن أين أهل الفهم منهم وأين ادوات ذلك التي كانت في صدر
الاسلام سابقة وصارت على التدرج صناعة وعلم ما تتعلم وتدلى الامر حتى لم يبق من
بوفها حقها فاذا سوغنا لكل أحد ان يعمل بما يفهم مع ما هو عليه من الجهل كان ذلك
هو عين الفساد ولذلك لزم اتباع الاجماع والاجتهاد من أهله المسلم اليه وقد كانت
المجتهدون كثيرين في الصدر الاول فمنهم من كثرت أتباعه وتسلل النقل لا قوله الى الآن
وهم الائمة الاربعة أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل رضوان الله عليهم ومنهم
من انقطع النقل عنه فلا يجوز الا أن تقليده لعدم صحة السند في مذهبه بالنسبة لاهل
العصر والافلاكهم سواء بالنسبة للقاء وكل من ليس له ملكة الاطلاع على الادلة
ومناطاتها وترجيحها فهو عامي وله ان يقاد من شاه من الائمة المجتهدين لقوله تعالى
فاستلوا أهل الذكرا ان كنتم لا تعلمون وبذلك تحفظ الشريعة لان سنده الاجماع هو
نص من الشارع وسنده القياس هو الاستنباط من نص الشارع أيضا فراجع الامر الى

ان لا عمل الا بالكتاب والسنة والشيخ السني - نوسى رحمه الله مقرر لذلك في رسالته الفهافي
المعنى المتقدم واختصرها تلميذه اختصارا محلا وذلك ان الشيخ السني نوسى في رسالته
وجوب الاتباع للشارع والتباعد عن العمل بالرأى والبدع وحث على وجوب اخراج
المكلف نفسه من حضيض التقليد الى درجة الاجتهاد والكمال حتى يقدر ان يفهم
كلام الشارع ثم ذكر شروط ذلك وانه اذا ابتلى الانسان بالتقصير في تنفيذ التجبى الى تقليد
ائمة الهدى وعلى الناقل عنهم ان يتثبت في السنة - من ذلك لا ينسب لاحد ما لم يقل به كما
يقع كثيرا في تفرعات بعض المتأخرين فيخطئون في التخريج ومع ذلك ينسبون القول
لاحد الائمة فيقال لم يقل به بل نقل عنه انه قال على ما هو عليه من العلم واتساع الباع اني
اذا استفتا في مستفت من ملتزمي مذهب مالك فاني لا افتيه الا بما نقل عن ذلك الامام ولو
كنت مرجحا لغير قوله حسب ما اطاعت عليه من الادلة وذلك لان المسئلة فتى انما سألني
عن قول مالك لا على قولي والحاصل انه في نفسه يرى صحة الاجتهاد له ويرى على كل
مكلف ابلاغ نفسه الى تلك الدرجة فان لم تحصل فليقلد المجتهد ورايت في تأليف كثير
من أهل العصر في الهند النحو الى هذا المنحى وان من له اطلاع على الادلة ومن اطاعتها يجب
عليه اتباع الدليل - وكان هؤلاء العلماء يردون من هو من طبقة أهل الترجيح
المنصوص عليها في كتب الفقه

الفصل الرابع

في التعريف بفرانسا

(اعلم) ان فرانسا من ممالك أوروبا الغربية وتبتدي من عرض درجة ٤٢ ودقيقة ٢٠
شمالا الى درجة ٥١ ودقيقة ٥ من العرض المذكور ومن طول درجة ٦ ودقيقة
٥٠ شرقي الى درجة ٧ ودقيقة ٩ من الطول الغربي لان مبدأ الطول عند كثير من
التأخرين هو باريس التي هي قاعدة هاته المملكة ويحدها جنوبا البحر الابيض واسبانيا
وشرقا إيطاليا وسويسرا والمانيا والبلجيكا وشمالا البحر المنش وخليج كالي الفاصل بينها
وبين انكلترا وغربا البحر المحيط الغربي فلذلك كانت ذات موقع جسيم ونفوذ
وبحرافي ثلاثة أبحر محيطها ويقتربها عدة جزر منها كورسيكا وجزر يارس في البحر الابيض
و جزر ري واوليرون ويسان في المحيط وفيها جبال كثيرة وأعظمها جهة الشرق
كالجورا والاب وتتصل بسلسلة مارة جهة الشمال الى جهة الجنوب الغربي فتصل

بجبال

بجبال بيرني الفاصلة بين فرانسا واسبانيا وأعلى جميع جبال فرانسا هو جبل أورو فان
ارتفاعه على سطح البحر قدما ٩٢٣٠ وليس بها جبال بل كانية وأما أنهرها فهي
كبيرة وليس بها ما يحمل السفن الكبيرة وانما البعض منها يحمل الصغيرة وأشهر
أنهرها نهر السين الذي يخترق باريس وطوله ميلا ٤٥٠ ويصب في المنش ثم نهر
الساو وطوله ميلا ٦٠٠ ويصب في المحيط الغربي ونهر رون وطوله ميلا ٥٤٠ وهو عريق
مر به السير ويصب في البحر المتوسط ونهر جيرون ويصب في البحر الغربي الى غير ذلك
من الأنهر وبها من الترع فحوم تسمى ترعة ولا زالوا مجتهدين في تكثيرها ووصلة
الأنهر والبلدان بعضها ببعض لنقل الركاب والبضائع زيادة على سقي الاراضي ويبلغ
طول هاته الترع جميعا نحو خمسة آلاف ميل وأما بحيراتهم فلم اعلم فيها الا ثلاثة (أولها)
بحيرة ديورجي حذو جبل المونسي حلوة مالح بها منظر جميل ويمر على شاطئها
طريق الحديد (وثانيها) بحيرة دنسي قرب جبل آلاب وكلاهما جار يصب في نهر الرون
(وثالثها) بحيرة آن قان قرب باريس وأما هاتين الجهتين الشمالية منها باردة والجهة
الجنوبية معتدلة وينزل الثلج فيها جميعا شتاء ومع ذلك فهو واثق بالجملة ولا يقع فيها
الضباب الا بقله وهو متعب جدا فقد صادفته في سنة ١٢٩٣ وذلك اني ذهبت زائرا
أحد معارف قرب الغروب نحو الساعة الرابعة بعد الزوال فخرجت في الساعة السادسة
بعدهم في الغروب بنحو الساعةين فوجدت الطرقات في غاية الظلمة ولم ادر الى أي جهة
الطريق فقهيت من ذلك وسألت صاحب الباب ما بالهم لم ينوروا الطرقات تلك الليلة
فقال كلا ولا يكن الضباب منع نور الفوانيس من الظهور مع ما عليه باريس من كثرة
التنوير فارسات ليوني لي بكروسة فلم يدر المرسل الطريق واضطررت الى تتبع الناس
للحفاظ مع التحذر من المصادمة وكنا نعلم قرب موقف الكراريس فذهبنا الى جهتها ولم
نر نور فوانيسهم الا عند الوصول اليها فلما اردنا ركوب احدها امتنع صاحبها وكثر اللفظ
بينه وبين التابع فجاء أحد الضابطية وألزمه بركابته واوصانا الى منزلنا فاجابه بأنه غير
ممتنع لكن الخيل لا تمشي لانها لا ترى فقال اركبوا الى ان نهمل وجهها فلم يكن غير بعيد حتى
ظهرت المشاعل على وجه الارض بيد الضابطية وغيرهم مشاعل من جبال غليظة تحرق
وتدار باليد في الهواء على وجه الارض على نحو ما تفعله البوادي فاخذ سائق الكروسة
رجلا منهم ومكنه من أحد تلك المشاعل وجعل هو يسوق الخيل وراه الى ان اوصانا
واعطينا للمرجل احسانه وكنا نسمع صهيل الخيل بكثرة في تلك الليلة مع قلّة صهيلها هناك

على كثرتها وكذلك كثرة نباح الكلاب وزاد حسمها وضوحها وهدوحس الجملات والمواصلة لنا
الى البلغار على كثرة تبوير حوانيته وقهاويه لم يظهر منها شيء الا اذا لصق الانسان بالفانوس
فانه يرى نوره مقصورا عليه وقد ذكرنا تلك الالة في وصف الاخوة اوشيدت بشأنها وان مثلها
كثير بان كل ترابلا ونهارا اما البرد فهم مستعدون له لمساومسكنا ولهم عملة لازالة الثلج من
الطرق وشدة ذلك البرد مع طول مدته أهون من شدة الحر في الصيف الذي لا تطول
مدته لانه يكاد أن يكون الهواء منقطعاً من شدة سكونه وحره وأما نباتات فرانسافينبت
بها جميع نباتات أراضي الاعتدال والأراضي الباردة بالنظر لجنوبها وشمسها والها وعلى
الاجمال فالجهة الشمالية منها أجمل منظر الان في الجنوب جميعاً الا صخرية واحرا شاعير
صالحة للزراعة وأهم نباتاتها العنب سيماجهة بلديرو وشمبانيه الكن في هاته السنين
الاخيرة أصيب بعرض أوجب خسائر بليغة وفيها من السمكة ثرى أنواع فاخرة لذينة سيما
في الشتاء ويطبخها وخورحها حسن لكنهم لا يأكلون البطيخ الا خضرا المعروف بالدلاع
أو الحجب وعندهم أكله معرفة وبقية فواكهها وأشجارها حسنة وفيها آجام وغابات
لا خشاب السفن وغيرها كثيرة جدا وأما حيواناتها ففيها جميع الحيوانات الانسية والنعيم
ونخيلها على ثلاثة أنواع (فاولها) العرب العتيقة وهي مخصوصة للركوب (وثانيها)
البراذين وهي لجر الاثقال والحوافل الكبيرة للركاب (وثالثها) المختلط من نسل المذكورات
ويستعمل لكل الغرضين لكن أكثره لجر الكراريس ومنه الجيول لا غاية القصوى
واليفال بالنسبة الى الخيل قليلة الاستعمال وأقل منها الجيول رأيت في باريس ان الحمير
الاناث والوالدان يطاف بها بكرى الصباح على الازقة لحلب من يشتري لبنها وهي نظيفة
حسنة والبقر ضخم جدا يعتنى بتسميته لئلا كل ولهم على من يفوز بأكثرية التسمين
جوائز حتى بلغ مرة وزن ثور منها ثمان مائة رطل وقطارا وتسميها للحرث أيضا ولجر الاثقال
بقلة والنعيم من النوع الذي له ذيل وذوات الالية قليلة وأما أنواع الحيوانات المسببة
فالظن انه لا يوجد منها الا الدب والذئب والثعلب والخنزير وأما غيرها فقد انقطع من
هناك للاعتناء بطعامهم مع كثرة العمران نعم يوجد منها ما في الامصار كالاسود والنمر
ويتوالد الاسد ويرضع بفيه كلاب كبار لتقابل جرته ولعدم ضعف والدته وأما الثعابين
والحيات فهي قليلة ولا يزالون مجتمدين في قطعها فان غابت فتتبعها بلو مجعول لكل من
أتى بحية منها مقدار من المال أما في باريس فلم أسمع بوجود عقرب ولا غيرها من الحشرات
ولا خنفساء وكان ذلك لشدة الاعتناء بنظافة الديار والطرق حتى لا يكاد تجد في حائط ما

مغرز معاروكها أمة قننة الظلي ظاهرا وباطنا بالخص أو الرمل والجبر سواء الظاهر والباطن
مع عدم وجود الخراب في أي جهة نعم في الجنوب من الممالك كما يوجد البق والذباب وغيرها
من الحشرات وهي أيضا قليلة في المدن بالنسبة لما نعرفه في البلاد التي تشبه تلك البلاد في
المروطوبورها كثيرة رحالة ومقيمة ولا يصطادونها الا في أوقات معلومة كما انه ليس لاحد
أن يصطاد الا برخصة من الحكومة يؤدي عايمها معلوما وليس له ان يصطاد في غير أرضه
المعدة لذلك أو اراضي العامة المعدة لذلك برخصة فيها من الحكومة أو يدخله غيره أرضه
برضاه ومن خالف ذلك عوقب وأنواع الصيد كثيرة وفيها من نوع الفيزان كثير (وأما مدن)
فرانسافقاعدها باريس وقد تقدم ذكرها وهي مائلة الى الشمال من المملكة وبقية
المملكة تنقسم الى ستة وثلاثين ولاية كل ولاية لها مدينة هي مركزها ويتبعها عدة أوطان
لكل وطن مركز ويتبعه عدة أوطان صغار وهاته أيضا الى أصغر منها فجميع أنواع
الاول من الاوطان عدده ٣٧٠ والثاني عدده ٢٩٣٨ والثالث عدده ٣٧٥١٠
ولكل منها مدينة أو قرية هي مركزه فهي حينئذ كثيرة جدا ومن أشهرها ما تقدم
ذكره منها (وأما معادنها) فليست بكثيرة لكن منها الغني للغاية فالذهب لا يكاد يخرج
من محله وان وجد لانه لا يوفى بصاريفه والفضة موجودة بقله ومنها النحاس والفضة
الحجرى كثيرة غنى وكذلك قطران الارض وأنواع من الحجر والرطام الابيض ومنه الشفاف
وأنواع عديدة من الحجارة كحجر الطبع وأنواع الجص والكبريت ومقاطع الحديد
والرصاص كثيرة وبها حجر الزجاج والمياه المعدنية نافعة شهيرة كحمام فيشي وحمام
برني (وأما مراسيها) فكثيرة حربية وتجارية وقد تقدم ذكر بعضها ويقاس عايم ضخامة
وحصانة باقيها (وأما سكانها) فاصالهم القديم من قبائل مختلفة وردت الى هناك من المشرق
في أوقات مختلفة وأشهر القبائل قوم من الكيسيين وقسم منهم عبر المحيط الى انكا كثيرة
وانضاف معهم في فرانساقبائل أنت من جنوب افراسيون الباسليك ولا زال الى
الآن سكان جبال برني يتكلمون بلغتهم ثم وفد عليهم الرومانيون ثم هجمت عليهم قبيلة
الافرنججية من المشرق واستوطنت قبل ذلك في البلجيك ثم تغلبت على قبائل
فرانسا واختلط نسل الجميع واتحد بهم الافرنج ثم حول الى الفرانسيديس وصاروا الآن
جنسا واحدا وهو الفرانساوي الا أهل نيس وساقويا وقرسكانهم طليانيون وعدد
الجميع ستة وثلاثون مليوناً ونصف عدما في مستعمراتهم والدانة الغالبة هي النصرانية
على المذهب الكاثوليكي وقد كان هو مذهب الدولة الرسمية لكن الآن لم يبق من الدولة

اعتبار ديانة أو مذهب خاص حتى انها أزلت سنة ١٨٨٠ علامات المذهب
العلمية عن الاماكن الرسمية والمكاتب كما وجد فيهم المذهب البرتسي-تاني وديانة
اليهود وتوجد الدهرية بكثرة وقليل موحدون بالعقل أو باتباع لعيسى عليه السلام
ويقتبع فرانس-تهرات في افريقية قهرت الجزائر وادعت بالحماية على تونس
واستولت على سائغال وجزائر غوري وسانت ماري و بوروب و عدد سكان هاته
المستعمرات نحو الخمسة ملايين منهم مسلمون نحو أربع مائة ملايين والباقي على مذاهب
و ديانات شتى ويتبعها في قسم آسيا أرض بونديش-يري وكار بكال وماهي وبناون
وشاندز نفور كاهافي شطوط الهند كما لها يدعون في كوشن الصين وعدد سكان الجميع
نحو المائتين ألف و لها في أمريكا جزائر صان-بي-يروميكلون ومارتينيك وكوغادلوب
والفيان الفرانساوية وسكان جميعها نحو المائتين ألف أيضا ولها في الاقيا فوس جزر
مركيز و قاييتي وسكانها نحو المائتين والخمسة وسبعين ألفا جميع السكان والممتلكات نحو
اثنين وأربعين مليوناً

الفصل الخامس

في اجمال تاريخ فرانس

مطلب

في تاريخها القديم

كانت هاته الممالك تسمى قديماً غاليا أو غالة ويجهل الحال في تاريخها القديم أعني
ما قبل تاريخ الميلاد بألف وستمائة سنة ومن هذا الوقت عرفت أحوالها فكان أهلها
تجسسا حاربوا من حاورهم ولم يخضعوا للدولة الرومان الا بعد مائة سنة ثم استقلت فرانس
عنهم باستيلاء أمة الافرنك في القرن الخامس وذلك انها خضعت لعدد رؤساء متحدين ثم
خضع الجميع لملك سنة ٤٢٠ مسيحية وأول عائلة معروفة من ملوكها تسمى الميروقيين
وفي مبادي القرن السادس تقاب اسم قبيلة الافرنك على جميع الالهالي لانه صارها على
جميعهم ثم قلبت إلى كاف سينوا وصارت فرانسوا ذلك لقب أطلق عليهم ثم مأخوذ من
فرانكس أي شعبان ثم اتسمت إلى عدة ممالك واتحدت عدة مرار وكانت شوكة
الملوك ضعيفة فيهم والنموذ إلى جميعات الاعيان التي تجتمع كل سنة وتختار الملك وتعين
السيرة

السيرة في الادارة حتى كان للالهالي حرية تامة بل قد تخرج عن الاعتدال إلى التهور فقد
ذكر وانهم كانوا يقدسون النماذج ويعطون الملك حصة كاحاد الجيش فلما انتصر وافي
احدى الوقائع وقد انتهوا فيها كنيسة كان من جملة ما فيها انهم ذهب طلبه الملك
من الجيش برضاهم فبئس ما يصدر اجابته واذا باحد هم تقدم وضر بالاناء بباطمه
وقال له بأعلى صوته ليس لك أدنى شيء سوى ما يخصك بالفرقة ولا نقر لك بامتياز وأول
تدين ملوكهم بالديانة النصرانية كان في أواخر المائتين الخامسة مسيحية وفي أواخر هاته
الدولة أعني سنة ٧٣٢ وقعت الحرب مع العرب الاندلسيين الذين تغلبوا على قسم كبير
من جنوب فرانس حتى وصلوا إلى اليون وخرجت تلك المستعمرات واتحدت مع فرانس
وبقيت فرانس على نحو ما ذكر الى ان استولى عليها كارلوس الكبير ويعرف أيضا
بشارلمان المعاصر للرشيد العباسي وقد ضم إلى فرانس عدة ممالك من أوروبا حتى تسمى
بامبراطور المغرب وانتقل تاجه إلى فروغ من العائلة التي انبثقت في المانيا التي
كانت إحدى ممالك واستقل بها أحدا حفاة عنه دما قسم ابنه ممالك على أولاده
فذلك بذكره على جرمانيا والثاني على فرانس والثالث على ايطاليا وضعف ملوكهم
بأسنادهم الامور إلى غير أهلها فكانوا يقدمون خدمتهم إلى أعلى المناصب والالقاب
بدون جدارة فاستقلوا على ساداتهم وراثتهم الامم وتناسروا إلى ان خربت العائلة
واستولت على فرانس العائلة الكاريتيانية ومن مشاهير ملوكها فليب الثاني الملقب
أوغسطوس الذي اتحد مع ملك الانكليز الملقب بقلب الاسد على حرب المسلمين المعروفة
بحرب الصليب الثالثة لكنهم الما وصلوا إلى صقلية تنافروا واقتربا ثم بعد درجوعه من
الشام بوقائع صلاح الدين أثار الحرب على الانكليز واستخلص منهم بعض ما كانوا ملوكه
من فرانس ومن هاته العائلة صان لويز الذي أسرى بصرومات بتونس وله تذكار
معروف قرب قرطاجنة وذلك في حدود سنة ١٢٧٠ ومنهم فليب الثالث الذي حدد
للأعيان سلطتهم على العامة بمجلس الشورى لكن اضطر ذلك بليب الخامس
إلى الاعيان وأشرفت فرانس على السقوط وتدخلت فيها الدول المجاورة ونشأت مع
الانكليز الحرب المعروفة بحرب المائتين سنة وكان مبدؤها سنة ١٣٣٧ وانتصر الانكليز
في كثير من الوقائع وتماكروا كثير من الجهات حتى ذات باريس مع التناصر الداخلي
في فرانس ثم ظهرت بنت لاجد الفلاحين تسمى جان دارك فادعت علم الغيب والتأييد
الإلهي لانتفاذ فرانس وساعدها الملك بتأييدها على الجيش وأظهرت شجاعة غريبة

وافتمت من الانكاز عدة جهات وفي حصارها المدينة كميان أخذت أسيرة وحكم
عليها بالحرق لانها ساحرة ثم عقد الصلح مع الانكاز سنة ١٤٤٤ ولم يبق بأيديهم الا
الجهات البحرية ثم أعيدت الحرب ولم تخلص فرانس الا سنة ١٤٥٣ فرتب الملك اذ ذاك
كارلوس السابع الجيش المستمر تحت السلاح وقد كانت العادة من قبل ان الاعيان
المالكيين للملكة بأهلهاهم الذين يقدمون العساكر للملك فسكر كارلوس شوكتهم
واعتنى بتربية الملكة في المعارف حيث كان مطالعاعا علميا وقد نقلت صناعة الطبع
الى باريس في أيامه وأنشأ مدرسة خاصة للطب وباستقامة سيرته نال من الفتوحات
والترقي ما لم ينله غيره من ملوكهم بالحروب ثم في أيام هنري الثاني سنة ١٥١٠ تعصب
به الكاثوليك وأغروا أمه به وقتلوا كل من ظفروا به في فرانس من أهل مذهب
البروتستانت في يوم واحد ويقال ان عددهم اذ ذاك نحو سبعين ألفا وقتل الملك يده
عددا كثيرا وهو واقف متللا في أحد رواشين قصر اللوفر ثم تعاقب على فرانس الصعود
والهبوط على حسب سطوة الملك واقتداره الى ان عظمت جدافي أيام لويس الرابع عشر
الملك باليكبير المتولي سنة ١٦٤٣ وفي أيامه وأيام والده حدثت الحروب المعروفة
بحروب الثلاثين سنة وانتقل لفرانس النفوذ الذي كان للفرانس في اورو با وظهور فيها عدة
مشاهير بالمعارف وهو الذي أنشأ قصر فرساي وبساتينه وقصر ليزان فاليد الملكة في
آخر أمره فقدت فرانس ما نالته في الداخل والخارج باسباب التعدي على الرعايا وضعفهم
وبعد فقدت فرانس المستعمرات الهندية وغيرها وان حازت كرسكا والاورين وكان
ذلك باتباع لويس الخامس عشر اشهراته وتحتكم النساء فيه والغشاة للشورى مع
مجلس نواب الامة وآخرا ملوك من تلك العائلة هو لويس السادس عشر الذي انتقم
من انكلا تيره باعانة أميريك على استغلالها وحدثت في أيامه الثورة العامة التي
قلبت حال التاريخ حيث كان يرجي منه اصلاح ما أفسده أبوه وجده لكنه كان
ضعيفا عن الوفاء بذلك فهو خاتمة التاريخ القديم

م طلب

في تاريخ فرانس الجديد

اعلم ان فرنسا وبينما انتشرت فيهم المعارف وعلومها لهم وما علمهم والوا من بعض
ملوكهم أحيانا انصافهم واشتهرت بينهم الصحف الخيرة بالمعانة بالحامد والمداوم وحدث

فيهم

فيهم أخيرا ما أشير اليه من الظلم انعقدت فيهم جمعيات سرية للتدبير العمل فيما يمكن لهم
به حفظ حقوقهم وممالكهم وتفتن لذلك لويس السادس عشر فكان مرة بعد مرة الى
معاودة الامة فيماتر يده ومرة يحجم الى عادات الاعيان والسيرة القديمة حتى خشي
على نفسه وفر مع عائلته لكن الاهالي أوجعوه غصبا وخضعت شوكتهم فحالف بعض
ملوك اوروبان أن يلحقهم ما لحقه بسبب فتح ابصار رعاياهم وقد كانوا اذ ذاك مستعدين
فتعاضدوا على اركاس الفرنسيين لاسيما امبراطور النمسا صهر لويس المذكور
فانه تولى كبر تلك الحرب غير ان الفرنسيين دافعوا عن حقوقهم بجند وانظم اليهم ملوكهم
المذكور وأجرى الجمعية الاهلية المسماة بالجمعية الوطنية وذلك سنة ١٢٠٧ هـ
١٧٩٢ م ثم بدلتهم منه الخيانة فقتلوه مع زوجته وطردها ابنته الى جده امبراطور النمسا
وذلك بحكم الحكومة الاجرائية التي حكمت بالغناء الملكية واثبات الجمهوريه وأعلنت
لسائر الامم انها تساعد على فحوصها وتسمت الحكومة جمعية اتفقا الامة وكان
من أكبر زعمائها بولتير الذي لادين له وهو أحد الذين ثاروا غيظ الامة بما ينشره
من الاقايل والكتابات ولما استتب أمر الجمعية تجاوزت حدود الاعتدال بمعاودة الاديان
وقتل رؤساء الكنائس وابدال أغلب العادات حتى الايام والشهور فجعلوا الاسبوع
عشرة أيام ومبدأ التاريخ هو عام انتصاب الجمهوريه وكذلك أشهروا الحرب على جميع
الدول وانتصر الفرنسيون على يونانيين تحت راية نابليون الاقل بونابارتي الذي كان أحد
أبناء العامة فتعلم الفنون العسكرية وساعده القدر بالانتصار الذي نال به أعظم
الشهرة فكان من أعظم رؤساء العساكر ثم عوضوا تلك الحكومة بحكومة الدركنوار
أي الحكومات المديرية مؤلفة من خمسة أشخاص وحدثت في أيامها الحروب العظيمة
مع سائر الدول ووافق نابليون البخت فانتصر على الجميع وملك ايطاليا ورنب فيها
حكومات عديدة جمهورية ثم استولى على مصر وأراد الشام بقصد التوصل الى الاستيلاء
على الهند انتقاما من الانكاز ثم عاضدت انكلا تيره الدولة العثمانية واسترجعوا مصر
وما أخذ من الشام وهيجت انكلا تيره دول اوروبا على الاتحاد على فرانس فاستعدوا الحرب
وحاربوها وكانت الحرب سجالا لكن نابليون الاول لما وصل الى باريس بعد ان كاد
أن يكون أسيرا في رجوعه من مصر وجد حكومة الدركنوار على شفا وأروبا منتصرة في
أغلب الجهات فاستعان بحزبه ورتب حكومة جديدة تسمى بحكومة القنصلات مؤلفة
من ثلاثة أشخاص يسعون قناصل وتبوا هورياستها وذلك سنة ١٢١٤ هـ ١٧٩٩ م

ثم تمهي قذسلا لمدياته وتسلم رياسة الجيش ورجع الانتصار المفقود والتفت عنه ذلك الى لم شعث الداخلية واصلاح الامور فسمي بمجلس الاعيان امبراطور سنة ١٢١٩ هـ ١٨٠٤ م ونال صيتا عظيما في الدنيا بانتصاراته على اغلب اوروبا فدخل فيينا وبراين وعقد الصلح مع دولتيهما كيف شاء وأمسك ايطاليا وكثير من جرمانيا تابعة لفرانسا وانتصر على الروسيا ايضا وعقد معها صلحا ومعاهدة سرية من شروطها اقتسام جميع اوروبا بين فرانسا والروسيا بعد الممالك العثمانية وان بلغها انها ايضا في القسمة حتى اغتياض السلطان لذلك كما سيأتي في محله ومن المستثنى من القسمة ايضا الممالك الانكليزية وكان ذلك سنة ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م وأتم تأليف قانون الاحكام الشرعية المعروف بكود نابليون سنة ١٢٢٣ هـ ١٨٠٨ م وهو عمدة احكامهم ونسجت اوروبا فيهما بعد على منواله وهو كتاب مقسم على ابواب المعاملات والجنايات وكل مسألة من الباب يعقد له فصل يبين حكمها بعبارة بيانية من غير بيان لدليل الحكم ولا لمل استخراجها سهولة التناول وكان من تأليفه جمعية علمية عولت في تنظيمه على ما يليق بالمعادن من احكام الشريعة الاسلامي واحكام الرومان وسنة ١٢٢٨ هـ ١٨١٢ م عاد لحرب الروسيا بالنزاع بينهما شروط الصلح المار ذكرها وانتصر عليها الى أن وصل قاعدتها مدينة موسكو وقد أعد واهل كيدا باحراق المدينة فلما وصلها وجدها قاعا صاففا وكان الوقت شديد البرد فهلك عسكره بردا وجوعا وعاد هو متذكرا الى فرانسا وجهز نفسه لمحرب الروسيا والماسانيا وبروسيا والنمسا الذين اتحدوا عليه بسبب انه كرهه فغلب اخيرا ودخلت النمسا كرا المتحددة الى باريس وما كوا على فرانسا لويس الثامن عشر وأسس كمنوا نابليون خيرة الاب على انه ملك عليها وذلك سنة ١٢٣٠ هـ ١٨١٤ م وبعد عشرة أشهر عاد الى فرانسا وفاقته الاهالي بالرحب لما نالوه من العظمة في أيامه فهرب لويس الثامن عشر الى مقره أولا باناكترة ثم اتحدت الدول ثانيا ومعه هم ان كاتره وقهر وانا نابليون فتنازل عن الملك لابنه بلقب نابليون الثاني سنة ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م فلم تعترفه الدول وأعادت لويس الثامن عشر وأمانا نابليون فطلب الإقامة باناكترة مدة ثمانين تحت احكامها فقبضته وعنفه داراة نزوله من السيف في الحربية الانكليزية الى البراءة بانه أسير للدول فسجل على ذلك ولم ينفعه ونفي الى جزيرة هيلانة في الاقياوس الثلاثة التي الى أن مات ونقلت جثته فيمانيه الى ليزان فاليد بباريس وانحصرت اذذاك فرانسا في

في حدودها القديمة ثم تبوأ ممالكها كالوس العاشر اخوها الذي اجلسه الدول وفي مديته استولى على الجزائر وأراد أن يحجز من حرية المطابع والقوانين فثاروا عليه وولى لويس فليب سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م فطاق الحرية وأجبروه لكتهم أسقطوه أخيرا الامتناع من اصطلاح قوانين الانتخاب وكانوا يميلون الى الجمهورية والى عائلة تونابارتي فاعادوا الجمهورية ثانية سنة ١٢٦٥ هـ ١٨٤٨ م ورأسوا عليها لويس نابليون ابن اخي نابليون الاول وورث مملكته حيث مات ابنه عن غير عقب وكان ابن أخيه مرسوما في ولاية العهد وذلك بعد أن نفي مرة الى أمريكا وأخرى الى ان كاتره وايطاليا وسجن مرة في حصن وفرم منه بتر يديه بزي أحد عملة النمسا بهد حلق شاربه وأشهره مدة تأليف تنووه بالحرية والفخر فعملوا له زمام الادارة وأبدى من المصالح الداخلية واستماله رؤساء الجيش اليه ما قدر به على الاعلان بامبراطورية سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وتلقب بنابليون الثالث وعاضد الدولة العلية وان كاتره على حرب الروسيا سنة ١٢٧١ هـ ١٨٥٤ م لتهادها باعترافه امبراطورا في مملكة امرو ولادوا على السياسية من الخوف من استيلاء الروسيا على الممالك العثمانية وعقد الصلح على معاهدة باريس سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م وانتصر الى ايطاليا على النمسا بدعوى القاعدة التي أسسها وهي اتحاد الجنسية كما تقدم في تاريخ ايطاليا الجدي حتى اتحدت ايطاليا سنة ١٢٧٦ هـ ١٨٥٩ م وحارب الصين مع ان كاتره سنة ١٢٧٧ هـ ١٨٦٠ م وانتصر عليه وافتخ الميكسيك من امر يكا سنة ١٢٧٩ هـ ١٨٦٢ م وملاك عليها مكيه ايان اخا امبراطورا النمسا وكانت اذ ذلك دول أمريكا المتحدة في حرب شديدة داخلية ولم يفسد حربيهم حتى قوا على فرانسا من تدخلها في قارتهم فقتل نابليون بعساكره وترك المكسيك حتى قتلوا من مملكته عليهم وذهب سعي نابليون سدى ومن ذلك الوقت ابتدأ ميل القلوب عنه لاستبداده باطنا وتصرفه طبق شهواته في السياسة بعد ان كان أوصل فرانسا الى ذرى المجد حتى كظمت اسائر الدول بعين الوقار وهرعت له لولا الدنيا الى باريس في دعواته للعرض وكانوا يفخرون باستمالته فحوهم حتى فضله كثير من عقلائهم على عمه لانه لما غرر بادة البخت استبد برأيه باطنا وأسرع الى التدخل في امر غيره ففعلت الاهالي من عمله ولما أحس بذلك أعلن به من الانتخابات العام له من سائر السكان بحيث لا يختص بأصوات الاعالي بل حتى العامة لانهم لم يملحوا في ذلك من حيث ان التملك انما هو على الفرنسا وبين مطلقا ولما كانت العامة محبين له لم يملحوا لاهلهم على مخفياته أو عدم

تضمنهم مع أنه محسن اليهم بحيث يؤثر نفعتهم ويوجد لهم أسباب الانتفاع عند المحل ثم ان خزبه يغيرهم - م بالمسالعة - لا انتخاب اذ كان نفق في من ذلك من أموال الدولة مقادير ذرية سمراتهم في ميزانية الدولة باسماء أنواع من المصاريف اللازمة فبذلك الوجه حصل أغلبية عظمية في ارتضاء الفرانيس به ملكا عليهم - م وانشئ اذ ذلك قانون الامبراطورية المؤرخ في سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م ونص تعريبه (الحكم الاول) لمجلس الاعيان مزبة وضع الاحكام والقوانين بالاشتراك مع الامبراطور ومجلس النواب وله أيضا البداة في وضع المعروضات واللوائح الا أن الامور المتعلقة بالمالية ينبغي أن تقرر أولا في مجلس النواب (الحكم الثاني) عدد أعضاء مجلس الاعيان يمكن زيادته حتى يبلغ ثلثي عدد مجلس النواب ماعدا الذين يحضرون فيه بالاستحفاق وليس للامبراطور أن يعين فيه في كل سنة أكثر من عشرين (الحكم الثالث) قد تعين الغاء المزية التي خص بها المجلس من جهة التشريع لمذكور في الحكم الحادي والثلاثين من القانون الذي تقرر في ١٤ كانون الثاني أي بنابر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م (الحكم الرابع) الترتيب التي ألحقت به ذات القانون وهي المشمولة في الاصول العمومية التي استقرت في ١٤ وفي ٢١ من كانون الاول سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢١ وفي ٢٢ من الشهر المذكور في السنة التي بعدها هي أصول المملكة وقوانينها الاساسية (الحكم الخامس) وهذه الاصول والقوانين انما يغيرها سكان المملكة بطاب الامبراطور (الحكم السادس) تعين الغاء الفقرة الثانية من حكم ١٧٥٢٥ و٢٦ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٠ و٣١ و٣٢ و٣٣ و٣٥ و٤٠ و٥٢ و٥٧ من تلك القوانين وكذا الاحكام المخالفة لهذا القانون (الحكم السابع) يبقى ما تقرر في قوانين ١٤ من كانون الثاني دجنبر سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفيما به - م ذلك معه ولا به ا هـ ثم ألحق بهذا القانون علاوة أخرى هذا نص تعريبه

الفصل الاول

الاول قوانين المملكة تعترف وتثبت وتكفل بالاصول المعظمة التي شهرت في سنة ١٢٠٤ هـ ١٧٨٩ م وهي أساس شرع لفرانيس العمومي

الفصل الثاني

وفي جزايا الامبراطور وملكه الثاني

المرتبة

المرتبة الامبراطورية التي خصت بلويس نابليون بونابارت وهونابليون الثالث فوضت اليه بحسب قرار رأي جمهور المملكة وفي ٢١ تشرين الثاني (نمبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وهي مزبة متوارثة في سلسلة ذرية التي كور الاول فالاول وباقي منها الاناث وذريتهم الغاء دائما (الثالث) اذ لم يكن للامبراطور اشار اليه وارث فله أن يتخذ وارثا من سلسلة اخوة نابليون الاول الذي كور وهذا لا يتخذ الا بإباح خلفائه ولا لورثتهم (الرابع) اذ لم يوجد له وارث حقيقي أو متخذ يخلفه في الملك البرنس نابليون وورثته الحقيقيون من سلسلة الذي كور الاول فالاول ويستثنى من ذلك الاناث وذريتهم استثناء دائما (الخامس) اذ لم يوجد وارث شرعي أو متخذ لنابليون الثالث وخلفائه فلمسكان المملكة أن ينتخبوا امبراطورا ويعينوا من أهله الوارث من الذي كور دون الاناث وفي مدة انتخاب الامبراطور تدار الامور بواسطة الوزراء القائمين بالوظائف بحسب اكثرية الآراء (السادس) افراد عائلة نابليون الثالث الذين تثبت لهم الوراثة وكذلك سلالتهم ذكورا واناثا هم من العائلة الامبراطورية ولا يمكن لهم أن يتزوجوا الا باذنه واذا تزوجوا من دون اذنه كان ذلك سببا في حرمانهم من حقوقهم في الخلافة وفي حرمان ذريتهم أيضا ولا يمكن اذا كان زواجهم عقيما ان يبرنس الذي تزوج حق في الخلافة وللامبراطور أن يعين القاب الباقي من العائلة ويعين حقوقهم وما يجب عليهم وله عليهم السلطة التامة (السابع) النيابة في الملك مقررة في القوانين التي نظمت في ١٧ تموز (يوليه) من سنة ١٢٧٢ هـ ١٨٥٦ م وفي الاحوال المشروحة في الفقرة الثالثة من الحكم الخامس ينقصد كل من مجلس الاعيان ومجلس النواب ويقرر أيهم على اقامة من ينوب في الملك (الثامن) كل من افراد العائلة الامبراطورية الذين تحقق لهم الخلافة يسمى برنساوا كبرأبناء الامبراطور يقال له برنس امبريال (التاسع) كل من يطلق عليه برنس يؤهل لان يكون من أعضاء مجلس الاعيان ومجلس الدولة بحيث يبلغ ثمانى عشرة سنة تامة ولا يمكن جلوسه في المجلس - م موقوف على رضى الامبراطور

الفصل الثالث

في نوع حكومة الامبراطور

(العاشر) الحكومة للامبراطور بمساعدة الوزراء ومجلس الاعيان ومجلس النواب ومجلس شورى الدولة (الحادي عشر) وضع الاحكام والقوانين يجرى بالاتفاق مع

الامبراطور ومجلس الاعيان ومجلس النواب (الثاني عشر) البداة في القوانين
منسوبة للامبراطور وللمجلسين المذكورين ولا يمكن كل تقرير يرسم فيه بوضع
الضرائب ينبغي الاقتراح عليه في مجلس النواب

الفصل الرابع

في احوال الامبراطور

(الثالث عشر) الامبراطور مسئول لامة الفرانكيس وله الحق في كل وقت لان يبلغها
استدعاه (الرابع عشر) الامبراطور هو رئيس الدولة وهو يحكم على العساكر
البرية والبحرية وله أن يأذن بالحرب ويجري معاهدات السلم والتجارة والاتفاق
والمحالفه ويعين جميع الوظائف ويثبت القرائيب والاحكام اللازمة لتنفيذ الشريع
(الخامس عشر) اجراء الاحكام القضائية يكون باسمه (السادس عشر) له الحق
في منح العفو والاعفاء (السابع عشر) وفي ان يعرل الاحكام ويشرها (الثامن
عشر) ما يراد بهد الا أن من تعدل الاحكام وتعريفات المكره وجعل البوسطة
على حسب الموافقة مع أم أخرى لا يكون العمل به واجبا الا بعد أن يقرر أي المجلس عليه
(التاسع عشر) الوزراء مرتبون بالامبراطور وحده وهم يتنزلون في مجلس يكون
الامبراطور رئيسه وهم مسئولون (العشرون) يصح للوزراء ان يكونوا من اعضاء مجلس
الاعيان أو مجلس النواب وان يحضروا في أحدهما ايا كانا وان ينصت اليهم حين
يتكلمون (الحادي والعشرون) يجب على الوزراء وأهل مجلس الاعيان ومجلس النواب
وضباط العساكر البرية والبحرية والقضاة وذو المراتب ان يحلفوا هذه اليمين وهي اني
أحلف بان أكون خاضعا للقوانين الملكية وامينا للامبراطور (الثاني والعشرون) الحكم
الذي صدر في ١٢ كانون الاول (دجنبر) سنة ١٢٦٩ هـ ١٨٥٢ م وفي ٢٣ من
نيسان (ابريل) سنة ١٢٧٣ هـ ١٨٥٦ م مما يتعلق بالمرتبة لمصروف الامبراطور يبقى
معمولا به أما في المستقبل فيكون مرتبة صاحب التاج مدة ملكه مقرر برسم من له
مرتبة وضع الاحكام عند اجتماعهم وذلك بعد نصبه

الفصل الخامس

في مجلس الاعيان

(الثالث)

(الثالث والعشرون) مجلس الاعيان يتألف من هم في مرتبة الكريدينال والماساريشال
والاميرال ومن الاعيان الذين يرقهم الامبراطور الى رتبة سيدنا تور (الرابع والعشرون)
لا يتغيرون ووظيفة منهم باقية ماداموا احياء (الخامس والعشرون) يصح ان يبلغ عدد هم مقدار
ثلثي أهل مجلس النواب ولا يصح للامبراطور ان يعين فيه أكثر من عشرين في العام
(السادس والعشرون) رئيسه ونائب رئيسه يكون تعيينهما من قبل الامبراطور وهو الذي
يعقد المجلس ويطلب مدة انعقاده ويكون المجلس فيه علانية ولا يمكن عنه طلب خمسة
اعضائه يصح ان تجعل الجلسة خفية (السابع والعشرون) مجلس الاعيان يحافظ على
الشرط الاصلي الجوهرى وعلى حرية العامة وله ان ينذرا كره على التقارير المعروضة
ويقترح على الضرائب

الفصل السادس

في مجلس النواب

(الثامن والعشرون) اساس الانتخاب سكان المملكة (التاسع والعشرون) اعضاء المجلس
يكون انتخابهم عاما (الثلاثون) مدة انتخابهم لا تتقص على ثلاث سنين (الحادي
والثلاثون) ولهم ان ينذرا كره على القوانين ويقترحوا على الضرائب (الثاني والثلاثون)
وان ينتخبوا رئيسهم ونواب رئيسهم وكتاب اسرارهم (الثالث والثلاثون) للامبراطور ان
يعقد المجلس ويؤخره أو يطيل مدة انعقاده وان يحله لانه عند حله بتعيين عليه ان
يعقد آخر في مدة ستة أشهر (الرابع والثلاثون) الاجتماع يكون ظاهرا ولا يمكن عند
طلب خمسة اعضاء يصح ان يكون خفيا

الفصل السابع

في مجلس الدولة

(الخامس والثلاثون) مجلس الدولة مكلف على حسب ارشاد الامبراطور بان يرسم
التقارير واللوائح والتنظيمات المتعلقة بالادارة الدولية وبان يحل المشاكل الناشئة من
معاونة الامور (السادس والثلاثون) وان يرسم باسم الدولة المذاكرة في المعروضات
واللوائح في كلا المجلسين (السابع والثلاثون) للوزراء حق في حضور المجلس والاقتراح
فيه اهـ فكان الامبراطور يرى ان هاته القوانين ترضى عنه جميع الاعيان

رجحان انتخبه من الجمهور وقد كانت اذذاك المشاحنة بين فرانسوا وبروسية في ازدياد كما تقدمت لاشارة اليه في اخبار ايطاليا باغية من فرانسوا على مآلاته بروسية من الشهرة والانتصار على النمسا مع وعد بروسياسر الفرانسابانها اذا تم قصدها فانهما تساعداهما على تعديل حدودها جهة نهر السين وتعدو عن حقوقها من وضع العسكر في لوكزنبورغ وادخالها عضوا في العصبة الجرمانية مع انها تحت تلك ملك هلاندة ولما حصلت بروسية قصدها ما طالت تلك الوعود السرية التلويحية فهاجت لذلك فرانسوا وكان من تخمينها انها اذا شهرت الحرب على بروسية تعاضدها النمسا عليها لانتقامهما حصل لها في سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م وبينهما الامر على ذلك واذابها الى اسبانيا خاعوا لمكتبهم وطلبوا ان يولي عليهم الامبرودوه هو هنرولن أحد قراة ملك بروسيا فاردت فرانسوا لذلك وأبرقت وقد اخذت انكلا تيرة في طاب ابقاء السلم لكن الامبراطور نابليون أبقى الحرب والافان الامير المطلب الى الولاية على اسبانيا رفض طلبهم ولم يقتنع بذلك الامبراطور بل ذهب سفيره في برلين الى ملك بروسيا في غير وقت وغير محل مع تادوا غاظ عليه الكلام بان يتعهده هو بان لا يقبل الامبراطور في المستقبل الولاية فالان له الملك الكلام لكنه امتنع من ذلك التعهد وهاجت المانيا جميعا على ما لحق الملك من الاهانة كما ان فرانسوا غلبت بطاب اعلان الحرب ولم يخالف الا قليل من عقلائتهم مثل تيرس فانتهز هانا بليون فرصة لاشتغال فرانسوا بالحرب عن الهيجان عليه اذ انه وان حصل على أكثرية الانتخاب لكنه كان على يقين من ان حزب النفوذ كاره له ومقتد عليه وكان وزير الحرب بفرانسوا اعلان للمجلس بان النمسا كرمستعدة كلها وانها تتجاوز المليون وان الحرب ولودامت سنين فلا يحتاجون الى زرة لباس وابتدأت فرانسوا باعلان الحرب وتقلد نابليون رياسة العسكر بنفسه واناب زوجه في الملك فاتحدت المانيا على الدفاع وبقيت الروسية معاضدة لالمانيا معني لاتفاقها معها سراف كانت بالمرصاد من النمسا لكي لاتعين بروسيا مع ما في نفسها أي النمسا على فرانسوا من اعانتها الايطاليا ومساعدتها من قبل لجرمانيا فلم تتدخل بشئ وما مضت تسعة عشر يوما من ساعة الاعلان بالحرب حتى وقع نابليون اسيرايه عدوه اذ في نفس الامر لم تكن فرانسوا مستعدة وكانت الاموال المعينة لمصاريف الحرب تصرف فيما يراه الامبراطور حيث كانت الوزراء مسؤلون له للمجلس الامة فيصرف بهم كيفية ايراد وكان يظن انه بمرعة الهجوم يحصل على مبرجة الانتصار ويجعل الى عقد الصلح لكن المانيا كانت لها

جواسيس من اعيانها في جميع دواوين فرانسوا وفي قصور رجالها على صورة خدمة وغبرهم مع كمال اسرعة اذها وتغرنا اهلها على الحرب اذهى دولة عكرية من قديم وأهالي فرانسوا غاب عليهم الميل الى التسليم فالتقى مركزا لجيشين في سيدان من عمل فرانسوا وحى الوطيس الى ان تيقن نابليون بالغاب وقوة قرنه عدة وعدة فكتب الى ملك بروسيا ماتعريه يا أخي حيث اني لم يتيسر لي ان أموت في مقدمة جيشي فها أنا أضع سبقي لدى قدميك اه ورفع من هناك اسيرا وسجنان الدائم عزه وملكه وهربت زوج نابليون واستقرت مع زوجاتها بلاندره الى ان ماتت بها وأما النمسا التي معها فطابت الاساس سلام على وجهه لا يحيط بشرفها وحيث كانت الخطاطبات الواقعة في هذا الشأن واقعة بين الرؤساء بالسلك البرقي ولها أهمية رأينا ان نبأها هنا نقلا عن كتاب ألف وطبع في باريس وهي (من الجنرال) دووميسين الفرانسوا الى الجنرال مونتريديس عساكر جرمانيا اريدان أعرف (ماهي) شروط التسليم التي يريد ملك بروسية ان يوجبها علينا (جواب) الجنرال مونتريديس شروطنا سهلة فان جميع جيشكم أسرى مع كل ما عندهم من الاسلحة والذخائر ولكن نترك للضباط موقوفهم علامة على اعتبارنا لهم وعلى بسالتهم ولكن يكونون أسرى أيضا كبقية الجيش (الجنرال) دووميسين هذه الشروط شديدة يا جنرال اذ الظاهر ان بسالة عساكر فرانسوا توجب مراعاة أكثر من هذه أليس من الممكن لجيشي ان يستحصل على شروط على هذه الصورة الاتية وهي ان أسلم لكم سيدان عساقيها من المدافع (وأما) العسكر فتتركوه يخرج بعائده من الاسلحة والاكحال والرايات بشروط ان لا يعود لمحاربة بروسية في هذه الحرب والامبراطور يتعهد بنفسه بهذه الشروط بالامانة وكذا أعيان ضباطه العسكارية ثم ينقل هذا الجيش الى احدى جهات فرانسوا التي تعينها بروسية أو ان شئت ينقل الى الجزائر الى ان يبرم بيننا الصلح (جواب) الجنرال دووميسين طلبكم هذا لا يقارن القبول (الجنرال) دووميسين الى وصلت الى هان من صحراء افريقية منذ يومين فقط وكان لي الى الآن شهرة عسكارية مرضية والا أن فوض الى رئاسة جيش في ميدان القتال فاصبحت مضطرا الى ان أقيد اسمي في الاذعان لصدية مثل هذه حتى اضطررت أيضا الى تحمل جميع المسؤولية بدون ان أكون قد أحدثت هذه الوقائع الحربية التي هي سبب في هذا التسليم وحيث انك جنرال مثلي يلزمك ان تشمر بحالي الحزينة واليكن يمكنك تخفيفها باشتراطك على شروطا أهون وأيسر والا فلا يمكنني قبول شروطكم وحينئذ اذع وجيشي الى شرفهم وخنق بهم

صفوفكم والا فابقى سيدان متوقعا (جواب) الجنرال ملك اعتماري لكم عظيم وشرح حالكم في محله ولكن أتأسف على أنه لا يمكنني فعل شيء مما طابتموه وأما حرق الصفوف ونحروجكم من سيدان فن الحمال وكذلك تحفظكم فيها نعم ان عندكم عساكر عظيمة ولا سيما المشاة فانهم على غاية من المهارة والاقدام وكذا فرسانكم وطوبجيةكم وقد أوقعوا بنا ضررا كبيرا فبران جل عساكركم قد فسدت اطوارهم وعندها اليوم من اسراهم ٢٠٠٠٠ نفر غير الجرحى فلم يبق عندهم الا ٨٠٠٠ نفر فلام يمكنكم اذا حرق صفوف جيشي فيلزم ان تعلم ان من جيشي حولكم ٢٤٠٠٠ نفر و ٥٠٠ مدفع منها ٣٠٠ على هيئة الاستعداد لاطلاق النار على سيدان والباقي اعني ٢٠٠ تكون على هيئة الاستعداد في فجر الغد فان شئت تحقيق ذلك فارسل احدا من ضباطكم الى وال الأرس له الى المواقع المذكورة حتى يشاهد بنفسه ما قلته لكم اما تحفظكم داخل سيدان فن المستحيل لان المؤنة التي عندهم لكم لا تكفيكم الا ٤٨ ساعة ولم يبق عندهم شيء من الذخائر (جواب) الجنرال الفرانساوي الظاهر ان من مصلحتكم حتى من المصلحة السياسية ايضا ان شروط التسليم لا تكون محلة بشر فبالا ان جيشي يستوجب ذلك ومرادكم عقد الصلح وما أظن الا انكم تريدون عقده بسرعة وأمة فرانسأ كريمة أكثر من غيرها ومستمدة للفداء وعلى هذا فهي تقدر مكارمكم التي تخلصونها بها وتراعى الجبل فان امكنكم ان تشترطوا علينا شروطا من شأنها مداراة خاطر الجيش فان الامة تحسبه ايضا فلهذا فيخفف عنها حرارة الانهزام وبشرط الصلح على هذه الصورة يكون على الدوام (أما) اذا عاينتمونا بالقساوة فلا شك انكم تثيرون الكراهة لكم والبغض في قلب كل عسكري وعزة نفس جميع الامة تعود وقد استعانت بذلك توقظون الاحساس الذميمة الذي افامه التمدن وتخاطرون بايقاد حرب لانهاية لها بين فرانسأ وبروسية فاجابه البرنس بسمارك قائلا برهانك يظهر بادي بدء انه على الجد وهو في الحقيقة كلام ظاهر ولكن كما انه لا ينبغي ان يعتقدا اعتقادا راسخا بمنونية الا تفراد فكذلك لا ينبغي ان تتوقع بمنونية أمة كاملة أو تركز الى بمنونية ملك ومراعاة الجبل معه وان شئت فقل مع أهله ايضا نعم انه في بعض الاحيان يمكن الركون الى عهد ملك ولكن اكرركم انه لا يمكن انتظار مراعاة الجبل من أمة ولو كانت أمة فرانسأ مثل بقية الامم ولو كان عندها تنظيمات ومبادئ راسخة ولو كانت مثل أممي تحترم احكامها وتنظيماتها ولو كان عندها ملك جالس على سرير الملك على أصول راسخة

ثابتة لا كنا نعتقد بمنونية الامبراطور وابنه أما فرانسأ فقد مضى ثلثون سنة وحكومتها قد تغيرت نوعا وجنسأ بصورة غير ثابتة فساد من الممكن ان يعتمد عليها فاما المال على مودة ملك فرانسأ فيكون من قبيل بناء في الهواء فاذا صدقنا ان فرانسأ تسامحنا عن ظفرتنا به سامع كونكم أمة سرية الهياج ومحبولة على الحسد والكبر الى النهاية فذلك جنون فانهم اعلنت بحرب بروسية منذ مائتي سنة ثلاثين مرة وهذه المرة اعلنت الحرب معنا حسدا كعادتكم اذ لم يمكنكم ان تسامحونا عن ظفرتنا في واقعة سددوه فهل يمكنكم ان تسامحونا اليوم في ظفرتنا في سيدان كالأثم كالأثم فان عقدنا معكم الصلح الا ان فبعد بضع سنين تعودون الى حربنا حين يتيسر لكم ذلك وهي المكافات على الجبل التي ترقبناها (أما) نحن فاخلقنا مخالفة لاختلافكم فاننا أمة صادقة ساكنة لا تحرض على الفتوحات وانما تحرض على ان تعيش بالسلم وقد كفي اليوم فيلزم ان تتأدب فرانسأ على تحبها ويلزمنا ان نطمئن على سلامة اولادنا لئلا يلزم ان يكون بيننا وبين فرانسأ حدود منيعة فلا بد لنا من ارض وحصون وحدود لئلا نكون دائما آمنين من هجومها (جواب) الجنرال الفرانساوي قد غلطت بأبيها الذات الموقر في حكمك على أمة فرانسأ فانك انما تتصور فرانسأ في سنة ١٨١٠ وتصور حالها في ايلات بعض الشعراء ومن كلام بعض الجرنالات وهي اليوم على غير حال فان مهمة الامبراطور صارت افكارها هامش غولة بالتجارة والصنائع والعلوم وكل واحد منهم يسر في تكثيره كاسبه وينظر الى منافعهم وكلهم يحبون الاخاء انظر الى انك كاترة مثلا فاني اليوم تلك الكراهة التي طالما أبعدتنا عنها أليس ان الانك انك اليوم اعزأ حبا بنا وكذلك يكون أهله المانيا اذا أظهرتم المكارم معنا (البرنس) بسمارك وقف هنا يا جنرال ان فرانسأ لم تتغير فانها هي التي اكرهتماء على الحرب ولا جعل خداع الامة حصاء على نفع آل الامبراطور ابليون الثالث أعلن بحربنا نعم اننا ندرى ان كثير من أهله فرانسأ هم العتلاء لم يريدوا الحرب ولكن تلقوا فكريا الامبراطور بالقبول والباقي هم الذين تحمسون للحرب حتى أصحاب الجنرالات ايضا فلهذا لا تقوم يلزم تأديهم ولذا يلزمنا ان نسير الى باريس ومن الذي يدري ماذا يقع بعده اذ من المحتمل انه ينشأ عندهم دولة من الذين لا يعفون عن شيء بل يحسدون أحكاما على حسب هراهم ولا يعترفون بشروط تسليم جيشكم فرجما الزوا الضباط نقض عهودهم نعم اننا نروم الصلح ولكن الصلح الذي يكون على أساس الثبات والدوام وشروط صارت معلومة لكم فيلزمنا ان نجعل فرانسأ

بصورة بحيث لا يعود ممكن لها ان تقاومنا فيما بعد وقد نذر الله ان تكون زهرة
عسا كركم أسرى عند مناخن الهوس ان نعيدهم اليكم ليعودوا الى محاربتنا بشأن ذلك
دوام القتال ومصلحة بلادى تأباه أيم الجنرال هـ ما يمكن من المصالح المختصة بذلك
ومهما يمكن من أفكارك عن جيشك فلا يمكننى الاجابة الى مطلبك أو تغية يرشئ من
الشروط التى أبلغتك اياها (الجنرال) الفرائساوى فلا يمكننى اذا ان أوقع شروط التسليم
على هذا المنوال بل يلزمنا ادامة القتال (جواب) الجنرال كستلان من أعيان الامراء
الفرائساوى الى البرنس المشار اليه عن دى ان الوقت قد حان لا لبلاغ ماذ كرتم الى
الامبراطور (جواب) البرنس بسمارك اناسا معون لكم (الجنرال) كستلان قد كلفنى جناب
الامبراطور ان أبلغ مسامح جناب ملك بروسية انه كان بعث اليه بسيفه بدون شرط وسلم
نفسه له بلا شرط وانما فعل هكذا أملا فى ان الملك يشعر بما يوجهه هذا التسليم فبقع
لديه موقع الاعتبار فيتساهل مع جيش فرائسا بتسليم أشرف لهم كما تسحقه بساكنهم
(البرنس) بسمارك أهذا كلاككم كاه (الجنرال) كستلان نعم (البرنس) بسمارك ماهو
السيف الذى سلمه الامبراطور هل هو سيف فرائسا أو سيفه الخاص به فاذا كان سيف
فرائسا أم يمكن تعديل الشروط ولكن يكون جوابكم الاخير ذابال (الجنرال) كستلان
السيف الذى سلمه لكم الامبراطور هو سيفه فقط (الجنرال) ملتك فعلى هذا لا يمكن تعديل
شئ من الشروط وانما يكون للامبراطور ما يختص به (الجنرال) دووميسين اذا نستأنف
الحرب (الجنرال) ملتك المهلة تنقضى فى فجر الغد وفى الساعة الرابعة أشرع فى اطلاق
النار عليكم (البرنس) بسمارك نعم أيم الجنرال ان عندكم عسا كركم شجعا فلأشك انهم
يظهرون غدا بسالة غريزية ويرزؤن منا ووقعون بنا الضرر ولكن ما الفائدة من
ذلك لانك فى مساء الغد لا تجد نفسك متقدما أكثر مما تقدمت اليوم ويبقى فى أعناقكم
دم عسا كركم بل عسا كركنا أيضا الذين سيف يكون دماءهم لغير فائدة فقد أخبركم الجنرال
ملتك ان مقاومة لكم لسا هوس (الجنرال) ملتك انى أو كذلك مرة أخرى ان خرق صفوف
عسا كركنا لا يمكن ولو كان عسا كركم على أحسن أهبة لانه فضلا عن كون عسا كركنا أكثر
عددا من عسا كركم فافى مستولى على مواقع تمكننى من احراق سيدان فى بعض ساعات
وهذه المواقع متسطة على جميع الجهات التى يمكنكم المرور منها وهى منبهة فلا يمكنكم
حوزها (الجنرال) الفرائساوى ليست مواقعكم قوية كما تذكرون (الجنرال) ملتك أنت
لاتدرى المواقع حول سيدان وانى أفيدك فائدة تبلغ من أمتكم المتكبرة وهى انكم عند

افتتاح

افتتاح الحرب بيننا وزعمتم على ضباطكم خرائط كان رسمها وطبعها فى المانيا فلم يمكن
لكم حينئذ ان تطالعوا على مواقع بلادكم اذ لم يكن عندكم خرائط لها فأقول لكم الان ان
هذه المواقع فضلا عن كونها منبهة فلاستبلاء عسا كركم من المحال (الجنرال)
الفرائساوى انى اغتنم الفرصة لارسال أحد من ضباطى كما عرضتم على فى مبادئ الامر
حتى يرى مواقعكم المنبهة وعند رجوعه أجاو بكم (الجنرال) ملتك لاترسل أحد فان ذلك
عبث اذ ليس لكم وقت طويل حتى تنسداد كروما يلزم فعله فالوقت الان نصف الليل
وبعد أربع ساعات تنقضى المهلة ولا يمكننى أن أمهل لكم بعدها ولودقيقة واحدة
(الجنرال) الفرائساوى ولكن يلزم ان تعلموا انه لا يمكننى بت الرأى على شئ وحيدى
فيلزم ان أشاور سائر رفقاءى الضباط ولست أدري أين أجدهم فى سيدان فى هذه
الساعة فلا يمكننى أن أعطيكم جوابا فى الساعة الرابعة فى الضرورة والحالة هذه اطالة
المهلة فعند ذلك أمر البرنس بسمارك الى الجنرال ملتك فى اذنه وأشار اليه بتطويل
المهلة الى الساعة التاسعة أعنى قبل الظهر بثلاث ساعات فلما حانت سلم الجنرال
الفرائساوى جميع عسا كركم فرائسا الذين فى سيدان على موجب شروط الجنرال ملتك
وبذلك يقبى حالة قوة فرائسا اذ ذلك واستعدادها فلذلك انقلب رأى الامة الفرائساوية
وجعلوا الذنب على نابليون وخلعوه وأعادوا الدولة لجمهوريته ثالثة وعاندوا المانيا الى
ان حاصرت باريس وأخذت مئات آلاف من عسا كركم فرائسا أسرى عنهم مائة وخمسون
ألغا أو ير يدون سلموا من غير دفاع فى قلعة متس تحت رياسة الماريشال بارين ثم عقدوا
الصلىح على نحو ما طلبت المانيا بأخذها ولاية الجاس وقسم من ولاية اللورين وغرامة
خمسة آلاف مليون فرنك مقسطة على خمس سنين وتزوج ملك بروسية الامبراطور على
المانيا فى قصر فرساي وحضر له ملوك المانيا ودخلت عسا كركم الى باريس على وجه
الانتصار بلا حرب ومن ذلك الوقت تغيرت السياسة الاروپاوية وصارت المانيا هى
معدلة الميزان لكن فرائسا استولى رياسة جمهوريتها الرجل الشهير بترس ولم شعبها بعد
حصول حرب أهلية هائلة من جمعية تعرف بالاكومون أى الاشتراكيين الذين يريدون
ان تكون الناس كلهم ثمر كفى جميع ما يمكن ان ينسب الى انسان وأضر وابعاريس
أكثر من أضرار المانيا بها وقد أظهرت فرائسا من الغنى ما لم يكن فى الحسبان ورفعت
الغرامة كما قبل ابنتها بأز يد من سنين ولم يؤثر ذلك فى مايتها أدنى خال فان المقدرم
خسائرهما وغرامتهما فى ذلك الحرب نحو عشرة آلاف مليون ومع ذلك فانها عند اداتها

استقراض ثلاثة آلاف مليون لدفع بقية الغرامة هرعت لها أبواب المال من كل فج حتى من المانيا واحضروا لها ما ينيف عن الخمسين ألف مليون وأقبلت على اصلاح داخلتها وعساكرها بما أرجعها الاعتبارها وأوحس غالبها منهم خيفة وقد أحدثت الفرانساويون في حديقة الشانزي لزي محلا حيطانه مرايا مكبرة بحيث يحس به الداخل بالاحيطان ويرى منه صورة حالة باريس من الحرق والهدم ووقت الحرب تذكارا منهم لا حياء أخذ التاروقد رأيت ذلك المكان وله منظرها نزل واستقرت الحكومة الى الآن جمهورية

مطلب

في السياسة الداخلية في فرنسا

قد تقرر الحكومة الجمهورية على القانون الآتي ترجمته (البند الاول) ان مجلس الاعيان ومجلس النواب يجتمعان كل عام يوم الاربعاء (الثاني) من كانون الاول ينابر الا ان يكون جمعهما قبل الاربعاء لارئيس الجمهورية فالجلاسان يذهب في أن يعقد جاساتهما أقله في مدة خمسة أشهر كل سنة وجاساتهما يجتمعان وتنتهيان معا وتقام الادعية الجمهورية لله سبحانه في الكنائس والمعابد بالناس المعونة منه تعالى في اعمال المجالس (البند الثاني) ان رئيس الجمهورية يختتم الجلسة وله حق أن يستدعي المجالس للاجتماع فوق العادة وينبغي أن يستدعيها اذا ما صار الطالب في اثنا الجلسة من أكثرية الاعضاء المؤلفه لكل مجلس على ان رئيس الجمهورية له أن يوجب اجتماع المجالس انما لا يمكن أن يطول هذا التأجيل أكثر من شهر ولا يحدث أكثر من دفعتين في جلسة واحدة بعينها (البند الثالث) وقبل ما ينتهي الاجل القانوني لاساط رئيس الجمهورية أقله بشهر واحد يجب ان تجتمع الاعضاء في مجلس الامة ايباشر والانتخاب الرئيس الجديد واذا لم يصرا استدعاء المجالس للاجتماع فعلى المجالس ان تجتمع من تلقاء ذاتها قبل نهاية سلطة الرئيس بخمسة عشر يوما واذا مات في رئيس الجمهورية أو تآزل عن وظيفته يجتمع المجلسان حالبا سلطانهما الخاص واذا ما وقف مجلس النواب حين ما يفرغ مسند الرئاسة الجمهورية تبعاً للبند الخامس من قانون ٢٥ شباط فبراير سنة ١٢٩٣ هـ ١٨٧٥ م تستدعي المجالس الانتخابية حالا ويجتمع مجلس الاعيان الخاص بمطابق سلطانها (البند الرابع) ان كلام

مجلس

مجلس النواب والاعيان اذا اجتمع في غير الوقت المعين للجلسة العمومية يكون باطلا ولغو ما طلقا ما عدا الحادث المنبئ عليه في البند السابق وما عدا ما اذا اجتمعت الاعيان للقضاء في الدعوى والعناية في هذا الحادث لا يحق لها الا مباشرة في وظائف القضاء (البند الخامس) ان جلسات الاعيان ومجلس النواب تكون مشهورة على ان كل مجلس له أن يقيم جمعية سرية في طلب عدد معلوم من أعضائه معين بالقوانين ثم تقضى بمرجوب رأى الأكثرية المطلقة اذا ما اقتضى إعادة الجلسة جهازا على نفس المشرع (البند السادس) ان رئيس الجمهورية يتخابر مع المجالس بواسطة رسائل يقرؤها أحد الوزراء وبحق للوزراء الدخول في المجالس والتكلم فيما اذا ما طلبوا الا صغاه لا قوالهم ولهم ان يستعينوا بجمعته من معلومين للبحث في انشاء قانون معين بحكم رئيس الجمهورية (البند السابع) ان رئيس الجمهورية يثبت السنة في الشهر الذي يلي تسليم السنة المقررة ثم ثوبا للحكومة وعليه أن يثبت في ثلاثة أيام السن التي حكم كلا المجالسين بوجوب السرعة في بثها على ان رئيس الجمهورية له في المهلة المعينة لاداءة السن أن يطلب بواسطة رسالية محممة ولا يرفض طلبه إعادة المناظرة في تقرير القانون والسنة (البند الثامن) لرئيس الجمهورية أن يخبر في المعاهدات ويقررها ويوقعها للمجالس حالما تسمع له ذلك صواب الدولة وأمنيتها اما المعاهدات المتعلقة بالصالح والتجارة والمعاهدات المترتبة على الدولة والمنوط بها الحالة الاشخاص وبحق للملكية المتبعة للدولة الفرنسية في الخارج فلا يحزم خزانها ثوبا الابتقرار للمجلسين ولا يعطى ولا يبدل شيء من الاراضى الفرنسية ولا يضاف اليها شيء الا بتقرير قانوني من المجالس (البند التاسع) ولا يحق لرئيس الجمهورية أن يشهر الحرب بدون رضى المجلسين (البند العاشر) ان كلام من المجالسين قاض في انتخابية أعضائه وفي أحكام قانونية انتخابية وله وحده أن يقبل اعتماد من يعين من وظيفته (البند الحادي عشر) ان رؤساء كل من المجلسين ينتخبون كل عام لمدة الجلسة بتمتعها ولكل جلسة فوق العادة تصير قبل الجلسة المؤلفه في السنة التالية وتنتهي اجتماع كلا المجلسين بجلاسة مجلس الامة تتألف رؤساؤه من الرئيس ونائب الرئيس وكتمة أسرار الاعيان (البند الثاني عشر) لا تقبل شكوى على رئيس الجمهورية الا من مجلس النواب ولا يحكم عليه الا الاعيان وتقبل شكوى على الوزراء من مجلس النواب بحماية ادراتهم كبرها في مباشرة وظيفتهم فيمنع ذلك تقام محاكمهم في الاعيان ولرئيس الجمهورية ان يقيم على الاعيان مجلس محاكمة بحكم يصدر في مجلس الوزراء محاكمة كل من تقدم عليه شكوى بذهب

يخل بأمنية الدولة واذا ما شرع بالاستعلام في محكمة العدلية المألوفة فيمكن أن يصدر
الحكم باستدعاء الاعيان للاجتماع الى حين استئناف الدعوى اليها او بتمام قانونا يعين
كيفية سماع الدعوى والاستئناف والحكم (البند الثالث عشر) لا تقام دعوى
على أحد الاعضاء من كلا المجلسين ولا يطالب بشكوى في شأن رأيه واقتراءه حال
كونه في مباشرة وظيفته (البند الرابع عشر) ولا تقام دعوى على عضو من كلا
المجلسين بمادة جنائية أو قادية ولا يباقي القبض عليه في مدة الجلسة الا باذن المجلس
الذي هو عضو منه ما لم يؤخذ في حال فعله ويتوقف ضبط أحد الاعضاء من كلا المجلسين
ومحاكمته في الجلسة وفي كامل مدتها بطلب المجلس اهـ فهذه القوانين يبين لك أصول
الادارة ورئيس الجمهورية الآن قد عينت لمدة الرئاسة خمس سنين وهو الآن البرت
اقربى وأما بقية تفصيل الادارة فهي على نحو ما تقدم في الكلام على سياسة ايطاليا
من انفراد الادارة العامة عن الاحكام الشخصية وتصرف رئيس الدولة بواسطة الوزراء
وكون الوزراء مسؤولين لمجلس النواب ومجلس الاعيان بحيث ان الحكومة شورية
حقيقة لا يصدر عنها الا ما يوافق عليه غالب الامة بواسطة وكلائهم يجرى ذلك في حق
الاشياء وعظيمة والوزراء ينتخبون من ثلثيهم اقلية المجلس لكي يضمن المجلس
بتصرفاتهم لان للباشرة في الاجراء دخل عظيم في نجاح الافكار ولان بعض الامور تفوت
بفوات وقتها فذهب ان الوزير مسؤول ويجري عليه العقاب باخلاله امكن منفعة الامة
عموما تفوت بفوات الفرصة ولذلك كان انتخاب الوزراء من تعهد المجلس عليهم
زيادة على شروط الاهلية الذاتية وهكذا بقية الادارات على نحو ما مر في ايطاليا غير ان
فرنسا لما كانت لها مستعمرات كثيرة فهي تعددهم مثل ولايات فرنسا واطنائها في
كيفية الادارة وكون مصدرها هم الوزراء المعهودون من غير تخصيص بوزير للمستعمرات
كما تفعل الدول التي لها مثل ذلك فهي من هاته الجهة تعدد مستعمراتها جزائرها لكنها
تكرمهم مما تحوزة اهل فرنسا من الحقوق والمنح كما تحري بتوقيع حق ادخال اعضاء في مجلس
النواب واطناء في مجلس الاعيان الى غير ذلك من الامتيازات المحصلة عليها اهل
فرنسا فذلك كانت مستعمراتها اسوأ حالا من غيرها فقد انهم حرمتهم الاصلية
وعوائدهم واستقلالهم مع حرمانهم مما للامم اعطاهم من الخصائص (وأما) ادارة
الاحكام فهي ايضا على نوع ما تقدم في ايطاليا ومن اهـ ما يذ كر فيها وجود حكم
الجوري وهم أعداد من مطابق الناس ينتخبهم العامة لمدة من الزمان لاجل مشاركة

مجلس الخباياات الشخصية في النظر بمعنى أنهم يحضرون المجلس المركب من رئيس
وعضوين ويعمل المجلس جميع المقدمات بحضرهم ثم يسألهم رئيس المجلس عما يرون
في المنازلة هل صاحبها مجرم أم لا ومن أي نوع جريمة هـ فيتمتارضون وما يستقر عليه
رأيه هـ يعلمون به المجلس ثم المجلس يطلق المدعى عليه حال ان رأى الجوري برأته
أو يعينه العقوبة من القانون ان رأى ذنبه والسبب في ايجاد الجوري هو زيادة
الاحتراس في المحاكم عن ميلهم الى محاباة الامراء والوزراء لان وظيفة المحاكم وان كانت
عمرية وهـ من منتخبون بشروط العفة والاهلية ووراء هـ احتساب مجلس الاعيان
ومجلس الامة ومن ثبت ارتشاؤه يعاقب أشد العقاب ولا تلجأ الى العقوبة بعفو
أو شفاء لئلا يكون ربحا أغرتهم هـ مع ذلك الدواعي بالترقي الى الرتب العالية التي هي بيد
الامراء والوزراء ويتعدى الاحتساب بمسيرت من الخيل فدفع هـ اذا عشاركة الجوري
الذين هم ليسوا بمتوظفين ولا خوف ولا طمع لهم هـ لئلا يكون في ذلك مفسدة أيضا اذ هؤلاء
الجوري كثيرا ما يكونون غير فقهاء ولا دراية لهم بالاحكام ولا يبرءونها ولا بالتحرى فيها
فيخبطون خبط عشواء ويضيع الحق بسببهم اذ لا تعقب البيرونة وبه يعلم مدرك الشرع
الاسلامي في اناطة الحكم بالعلماء اهل العدل القوم ادراك ما العادلة ومشاورة المحاكم
للعلماء وكون حكمه جهـ وبما هم ورأه احتساب اهل الحل والعقد الدخول في الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ومن المفاسد الموجودة أيضا عندهم في انتخاب اعضاء مجلس
النواب أو غيرهم من تنخبه الاهالي ان افرادهم يعدون أنفسهم لانتخاب يعقدون
مواكب ويدعون اليها الاهالي في أما كن فسيحة ويلقون عليهم خطبة يمينون فيها
أفكارهم ومقاصدهم هـ في سياسة المملكة وجدارتهم للقيام بالمناضلة عنها وثقتهم هـ
بالسامعين لان يكونوا من خربهم حتى يقع انتخابهم على الخطيب ومع ذلك يعطون الرشا
من له صوت في الانتخاب لكي يحصلوا بذلك أ كثرية المنتخبين فكثيرا ما ينجح سعيهم
ويحصلون على الوظيفة بذلك الطريق بعد ان تقع غوغاء وشائعات وسباب بين أخواب
المنتخبين فيدخل بسبب ذلك في الوظيفة من لا ترتضيه الاهالي حقيقة أو من ليس
جدير بها لكثرة أغراضه وغير ذلك وهذه المفسدة ولان كانوا لهم لاهساء لاجا وهو انه
بعد التمام المجلس المنتخب ينظر في المنتخبين هل هم مستكملوا الشروط أم لا ومن كان غير
مستكمل يفصل عن المجلس ويبعد انتخاب غيره لئلا يكون ذلك لا يفيد في أغلب الاحوال
لان الذي انتخب بميلته ورشائه قد يكون مستكمل الشروط الرسمية فلا يجحد المجلس

سبيل للقدح فيه لكنه غير مستكمل الشرط الاساسي وهو ارتضاء الامة حقيقة بمسالكه السياسية فان ذلك كان ينبغي أن يعتبر ان طالب الولاية والامانة يحرم منها فشرعنا الشريف ولله الحمد مزيج عن امثال تلك المفسدة وطالب الولاية وان كان عدلا متوفرا فيه شروط وظيفته فانه يحرم منها بحرصه عايناهم اذا وقع ضمن كتاب اقرم المسالك في معرفة احوال المسالك تفصيل ادارة هاته الممالك بما يحوز وجوده في غيره من حيث عن باع صاحب التأليف وبصارت في السياسة فمن أراد تحقيق الامور وتفصيلها فليرجع اليه

م طلب

(في السياسة الخارجية في فرنسا)

(اعلم) ان فرنسا لما كانت من اعظم الدول الاوروبية وفي طبيعة اهلها حب الفخر والوجاهة اكثر من غيرها هم كانت تحب التدخل في امورها اشد من سواها من يتقارنوا في بمساذكرنا في احوال نابليون الاول والثالث واسباب حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م شاهد على ما ذكرنا ذلك كانت فرنسا لها لا يطالبها ذكرنا في سياستها الخارجية وتزيد بتطلب النفوذ في جميع الجهات اذ جعلت فيها مستعمرات كثيرة فكل مملكة جاورتها ولو في مستعمراتها تطلب النفوذ لديها ولو بالاعتبار فيما اذا كان الجار ذا شوكة وشأن (اما) اذا كان ضعيفا في القوة والادارة فانها تلتزمه مهما سحت لها الفرصة في شأن طبيعة الدول القوية ودرنك ما وقع في تونس هاته السنة وهي سنة ١٢٩١ هـ مما يوضح هذا المقصد وهو الذيل الذي نهنا عليه في الباب الثاني عند الكلام على سياسة تونس الداخلية والخارجية

ذيل

(في تسلط فرنسا على تونس)

قدم في المطالب الثامن من احوال الادارة الداخلية في تونس حالة وزارة وزيرها مصطفى ابن اسماعيل وتصرفاته وما وقع في نازلة صانسي الفرانساوي التي كانت سببا في خوف هذا الوزير من الفصل ورام أن تبديله دولته وتقدم أيضا ما هي مقاصد فرنسا في تونس وانها تروم نيل الدرجة العليا فيها ولما رأيت سيرة الوزير المذکور لم تأمن وقوع ارتباكات مغايرة لما كانت راضية به بالبقاء عليه وخشيت ضياع الفرصة من سهولة

سهولة التوصل على يد ذلك الوزير الى ما لم يكن التوصل به على يد غيره من ذوى العرض والعقل فلذلك بينهما كانت مساعي الوزير جارية في ابدال القنصل واذا بالسمعية اليه قد غلبت مشربه حتى طمع في ولاية العهد بان يتولى هو الامارة بعد سيدة الوالي الحالي الصادق باشا اذا تم ادخال تونس طوعا تحت فرانسافرا كن حينئذ قدسها واحكم معاه المودة وصارت بطانة الوزير تأتي اليه معاملة بجميع اسرار الحكومة وسائر تصرفاتها واضم ابن اسماعيل الشمران كان أوعز اليه بان يتشكى من القنصل الى دولته ثم تفتن بذلك التواطؤ السري ونصح به بانه لا يتجمل له شيئا وعلى فرض الوفاء له بالوعد فانه لا يلبث ان يفاله ما زال الوزير العاقم في انقراض دولة بني العباس من بغداد واتفق ذلك الوزير مع القنصل على شروط ادخال تونس تحت فرانسافرا ان الوالي لم يساعف على لائحة تلك الشروط التي قدمت اليه سر بواسطة الوزير وخشى من الدول ومن الاهالي في البقي منه على الدولة العثمانية وفي تغيير حالة السياسة وجعل الوالي يسوف العقد من وقت الى آخر وجعل الوزير يسعي في احداث وجه لاندخل فرانسافرا نفاذا امرها فاكثرت من الرسل المرسلة الى الاستانة متطلبين ان يدعى هو اليها رسميا أو يرسل بعض الاسطول العثماني الى مرسى تونس مع اظهار زيادة التشجيع الى الدولة العثمانية حتى لا يتفطن الى مساعيه الباطنية فلم يساعف من السلطان الى مطلبه اذ لم يكن له من داع كما انه لم تفد في الدولة العثمانية الا ليقاطات الى دسائسه وعزمه حتى تسعي في سعة لدفع الغوائل المتوقعة اذ من الموم ان الدغل السياسي هو كل مرض المزمن الذي لا ينجع فيه العلاج الا تدريجا عند اول حدوثه سيما اذا كانت الدولة المعالجة محتاجة الى استعماله غيرها من الدول القوية الى معاضدتها على قرنها القوي ومع ذلك أيضا قد عكر الوزير ابن اسماعيل حالة الخلطة مع ايطاليا لعلها تعلن على تونس الحرب ومنح للفرانساويين منحا لم يطلبوها مما يزيد في نفوذهم والشحناء معهم كما تقدم ذكره في المطالب الثامن من احوال تونس ولما لم تنجح جميع تلك المساعي التي كان يمكن لفرانسا الاستناد عليها في وضع جايته على تونس احدثوا اقاويل في اهمال حقوق الفرانساويين بتونس وأظهر الوزير المذکور الاستخفاف بقنصل فرانسافرا مال عنه كل الميل ظاهر اورام ان يظهر التعطل في اجراء المنح التي انا لها الى الفرانساويين بوجه من الاعذار حتى اغريت رعايا فرانسافرا بتونس على ان تكتب تقرير بالتشكي من ضياع حقوقهم وطلب دولتهم للاندفاع لهم فلم يبرع الامم الا ان فرانسافرا اجتبت بخيلها ورجلها على حدود تونس معاملة

بان قصدها انما هو حفظ حقوقها من جهة الحدود وغيرها واستندت في عملها لما تضمنته
لائحة وزير خارجيتها الى سفراته وهذا نص تعريها بباريس ٩ مايس سنة ١٨٨١ أيها
السيد اتشرف بأن نرسل لكم مجلة رسائل في شأن تونس ونريد ان نحقق لكم المقصود
اجالا ونخبركم عن سبب ارسال العساكر الا كنوع النتيجة التي نرجو اتمامها فيكم
من مرة قد عرفت الدولة الجمهورية بدواعيها ومقاصدها وانتم تتذكرون ذلك خصوصا
ما صرح به السيد رئيس الوزراء في المجلس العام وهو لا يمكن ان يكون فيه ادنى شك من
جده وصدقه ومع هذا فاني اريد زيادة ايضاح لكم لانكم لدى الدولة التي انتم عندها
فمنقول ان سياسة فرانس في تونس ليس لها المقصد واحد وهذا المقصد الذي يكفي
لوضوح موضوع سيرتنا منذ خمسين سنة نحو المملكة هو الواجب علينا للحفاظ راحة
مستعمراتنا العظمى الجزائرية فن سنة ١٨٣٠ لم تزل دولة من الدول المتتابعة
وتركت هذه المهمة العظيمة وانما العمل الواجب علينا للحفاظ مستعمراتنا الافريقية
التي لا يوجد احد من اوروبا انكر علينا ذلك فيمما تحفظها من جارد وكثير الراجح
وقد كانت القبائل التونسية مخوفين ومحاربين حتى فيما بينهم وقد فاق على الجميع
قبائل وشدة واثقة والفراشيش وخبر ولا تعرف كمية المحاربين ولا كمية قوتهم فلذلك
التزمنا الا ان نرسل من العساكر عشرين ألفا وهذا ما يدل على قوتهم أي الاعداء
المتحصنين في بلاد منيعه تقر يما وكان الداعي الاول لارسال العساكر هو قهر قبائل
حدودنا الشرقية ولا يمكن لافاندة في تقرير الامن والراحة واعدائنا لازلوا يهددوننا
ونحن لا نخاف من الهجوم الكبيير المنسوب لباي تونس اذا كان منه وحده لا يمكن
النظر القليل في العواقب الوعظا التحري من اتحاد الباي مع غيره وهذه التشويشات
يمكن ان تأتي لها وقت وتلقا كثيرا في الجزير وتوصل حتى الى فرانس فيلزمنا بناء على
ما ذكرنا ان يكون لنا عند الباي محبة كبيرة راتفاق قاي ويلزمنا جار يعوضنا المحبة
التي لنا عليه ولا يسمع التشويشات الخارجية لضررنا واستحقاق قوتنا الراسخة وقد
وضحنا من نحو اربعين سنة بانه يلزمنا المحافظة فرانس الجزائرية ان نحصل في المملكة
على قاعدة راسخة ونحن نحترم بالتدقيق منافع الجانب وهم بقدر ان يتوسعوا بيات
مع فوائدها والدول يتحققون ان مقاصدنا من جهة هم لا تتغير والى هاته المدة الاخيرة
اتحادنا مع دولة الباي المفهم مستمر الا ما يحدث احيانا من الاختلاف في دفع تعويضات
لقبائنا المضربين ثم في الحين يرجع الاتحاد ويزداد ثبوتنا بعد هاته الاختلافات
الصغيرة

الصغيرة الالهاته المدة الاخيرة فانه باب يصعب الاطلاع عليها قد تغير ميل الدولة
التونسية اليها دفعة واحدة وكانت اذذاك الحرب ساكنة ثم لازالت تزداد الى ان
وضحت وتقوت ومبناها ضد كل الامتيازات التي حصلت للفرانساويين في تونس مع
شدة الارادة الرديئة الى ان وصلت لهذا الحال وهذا هو السبب الثاني لارسال العساكر
الذي كنا نود التجنب منه ولاكن بسبب السيرة الرديئة التي طالتنا ببرئنا عليها التزمنا
بها هو واقع ولواننا بها ضما الباي في المطالب الحقانية لانه انتم تعرفون بتونس كم مملكة
مستقلة وأما الحالة في الخلطة الا كن مع الباب العالي فهي مخالطة محبة وميل طبيعي
وبودنا ان لو كنا رأينا نازلة تونس في منظر آخر غير التي هي عليه الا كن ولاكن قد بان
ما يجب علينا ما ذكرناه سابقا واننا قد دران نستفهم من الباب اذا كان باي تونس هو وال
من قبلهم فلما ذالم بمنعوا سيرته التي فعلها تخوف فرانس من دعاءهين ولما ذالم يفتشوا الجمع
التحير الموجود الا كن الذي نحن منذ زمن طويل كنا نسعى في عدم ايقاعه ويلزم له هذا
التحير الذي نحن مجتهدون في حصره ان ينتهي بشروط تؤمن حدودنا من الهرج
المستمر والتشويش المغربي لباردواما من غيره أو من نفسه فهذان هما المقصودان
لارسال العساكر ولا نخف عندما نقول ان لنا في اوروبا الرضاء العام في جميع الجهات عدا
الجهات التي بها النظر الفارغ المطمس للعقول وهذه هي أيها السيد التي خيمت حول
الباب وحول تونس ومن كلا الطرفين فنحن مشمولون بالمحبة وجميع ما نرجو من الباي
هو ان لا يكون عدوانا ولوان المملكة تنظر لغواندها فتدري ان تحصل من اتحادها معنا
فوائد لا تحصى أكثر مما نحصله نحن منها ونقدري ان تأتي لها بكل خير من العمران
الحاصل عندما نفى سنة ١٨٤٧ فعلمنا فيها البريد وفي ١٨٥٩ وسنة ١٨٦١
فعلمنا المغرب وفي سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ فعلمنا الشمة فير الذي طوله ٥٠
فرسخا من حدود الجزائر الى تونس وفي هذا الزمان نفعل لها شمة فيرين جديدين
أحدهما ببريطونس بابن زرت من جهة الشمال وطوله ٢٠ فرسخا والاخر يربط
تونس بسوسة من جهة الجنوب وسنة تدي عن قريب في ابنة بدء عمل مرسي في تونس
نفسها لتدخل المراكب من الشط ومن حلق الوادي حتى الى ذات القاعدة ودين تونس
وان كان رأس ماله مشترك بين فرانسواي وان كان يزي وطلياني لكانه اذا اعتبرت النسبة
فيوجد ثلاثة اقسام لفرانسواي الحنايا النجيه لادريان التي تأتي بالمياه العذبة
لتونس قد أصلحها أحد المهندسين الفرانساويين ولما ترجع الخلطة الطيبة فانا لانزال

نفعل أشباه حسنة ومنازل على الشطوط وطرق داخلية توصل بين البلدان العسامة الناجحة ونبقى الأرض بالترع الكبريرة في البلاد التي بها أنهر كثيرة ولكن هاته البلاد أهلها ليسوا معتنين بتلك الأنهر وكذلك الغابات وكذلك نعمل استخراج المقايح الموجود بها كل نوع من المعادن وكذلك ترتيب الفلاحة في الأراضي الحسنة التي للأجانب في المملكة والتي لازدهارها إلى أيضا وكذلك استعمال المياه المعدنية التي اكتشفها الرومانيون واستعملوها وبالجملة أن مملكة تونس خصبة وغنا قرطاجنة القديمة يدل على ذلك وتحت الحماية الفرنسية يمكن أن تزال جميع المحجب عن المنافع الطبيعية في هاته البلاد وتنتشر بقوة وبشدة الترتيب الجديد نقدر أن نزيد أشباه أخرى وهي أنه إذا كان الباى يعتمد علينا في الترتيب الداخلي في المملكة فإنا نعمل تعديل لازما قارا وهذا الخبر الذي يسهل عليه ناعمله منه ترتيب كيفية قبض المدخول وترتيب الخروج وترتيب دفاتر الحساب على مقتضى ما نستهمله نحن في ماليتنا ومنه أيضا خبر عظيم وهو ترتيب العدالة على الأصول التي فعلمها الدول في ترتيب العدالة في مصر وفائدة هاته الترتيب لا ترجع لفرنسا وحدها بل أن المملكة يرجع لها النفع وكذلك لجميع الدول المتقدمة التي نحن منها ومن غير فتح ولا حرب فلا شيء يمنعنا من عملنا في تونس مثل الذي فعلناه في الجزائر والذي فعلناه في الجزائر فإنا نعلم أن كل تيرة في الهند إذا نحن جعلنا الباى تونس متمكنا فلا يحط ابننا الحقانية فهو دأبل على ما نحسبه دائما من أن تونس مملكة مستقلة من غير أن نراعي بعض آثار التبعية بالاسم فقط لبعض أسيا قد تروها منذ عدة قرون وقد تظهر تلك التبعية نادر أو لو تحسب المدة التي هي فيها مستقلة لمكانت أكثر من مدة التبعية ففي سنة ١٥٣٤ أخذها المشهور بباربوروس خير الدين أربع أو خمس مرات بانه صار على الاسبانيول وفي العام الذي بعده أخذها شارل كين وكذلك في سنة ١٥٥٣ ثم أخذها داى الجزائر سنة ١٥٧٠ ثم أخذها دون جوان النمساوى سنة ١٥٧٣ ثم في طول القرن السابع عشر كانت تحت ظلم الانكشارية من غير حكم ورأساؤهم الموسومون بالدايات كانوا اذذاك أربعين فقهوها تقر بربا كالماليك الذين قسموا مصر ثم في سنة ١٧٠٥ كان أحدهم المسمى بحسين بن على الذي اصله كريكى أو كرسكى صار مسلما وكان هو أحدهم فمعرفة كيف يشدهم وقتل جميعهم واشتهر بالباى وبعضيات العساكر أقام العائلة الحسينية ومن ذلك الوقت لم تزل الامارة فيهم على هيئة السيادة الاسلامية والآن سنة ٢٠٠٠ تقر برباؤهم مستقلون والرابطة الحقيقية بينهم وبين

وبين الباب العالي هي رابطة دينية وهم يعترفون بالخليفة الانهم ليسوا تحت السلطان ومما يوضح هذا أنهم لا يدفعون له اداء الا انه عن دولاية كل باى يرسل هدية غنية تعظمها الرئيس الديانة القاطن باله طنطينية وفي باقي مدة الولاية فلا مستلة سياسية يمكن أن تذكر غير هاته التحية الودادية فليس لامير المؤمنين حق آخر على باى تونس والمملكة تعقد شروطا كدولة مستقلة مع الدول الاجانب وتعقد معهم اتفاقات ويكون لها قوة وذلك برضاء الباى فقط وعلى هذا النمط وقعت معاهدة مع فرنسا في سنة ١٧٤٢ وكذلك في العام الثالث والعام العاشر وفي سنة ١٨٢٤ وهكذا صارت المعاهدة المهمة في ٨ اغسطس سنة ١٨٣٠ التي تمنع ملك العبيد والتلصص في البحر ولا يلزم التكلم على المعاهدات الباقية كالتى في حق صيد المرجان وان الباب لا يحكم على الولاية الا حكاما وقتيا وهو راض باستقلالها ومما يؤيد هذا انه في القرن الثامن عشر لم يقبل تشكيك دول اروبا من التلصص البحرى والسعى البربرى وليس له حكم عليهم وهو ليس مولاهم وهو لم يضمن السرقات التي فعلوها مخلة بتجارة البحر المتوسط وان دول اروبا عملوا الحرب عشرين مرة مع المملكة من غير عقد الحرب مع تركيا وفي سنة ١٨١٩ كانت معاهدة اكس لاشبيل قد حكمت على تونس بمنح التلصص البحرى من غير أن يطلب من الباب التداخل على انه متسدد على تونس وفي سنة ١٨٣٣ جعلنا كمناسرينا ونابلى عملا الحرب مع تونس من غير عناية مع الباب لانهم يرون مثل ما ترى ان تونس مستقلة ثم ان علاقة تونس مع فرنسا من وقت أخذها الجزائر على النحو السابق من غير واسطة تركيا ولما قدم اليها أحمد باى في سنة ١٨٤٣ اقبل بكل ما يلزم من التعظيم للملك والباب العالي لم يتوجع اذذاك من عملنا التعظيم للملكى المذكور وكذلك جميع اروبا لم تلم على ذلك لان رأيا موافقا لرأى اللورد آبردين الذي يقول في تسجيله ضد أخذنا الجزائر المكتب بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٨٣١ ان الدول الاروپاوية من مدة طويلة يفعلون المعاهدات مع الدول البربرية مثل الدول المستقلين وخصوصا تونس فانهم لا تحسب نفهم الا حرة والدليل الواضح الحق الذي لا ينكره أحد هو عمل القوانين في تونس المسماة بويورلدى وحلف عليها البساى الموجود بمونس محمد الصادق لما جالس على الكرسي في ٢٣ أيلول سنة ١٨٥٩ مثل ما حلف اسلافه فان قانونا واحدا منها وهو المسمى بالقانون النظامى لمملكة تونس قد احتوى على مائة وأربعة عشر مادة وانتشر بالعربى والفرنساوى في تونس وفي بونة ولم يصرح فيه ولا بكلمة واحدة

ثقل السلطان ومما لا يقدران يشك أحدهما في استقلال الباي ما نشر في الصحيفة الرابعة من المقدمة في ذلك القانون ونصه ان المتوظفين الكبار التونسيين اختاروه بكلمة واحدة ليكون رئيس الدولة على مقتضى قانون الوراثة المعروف في المملكة وفي ذلك القانون فصول تامة شرحت الحقوق والواجبات للملك وحالة الامراء من العائلة الحسنية وحقوق وواجبات الرعايا وكيفية خدمتهم الوزراء وترتيب خدمتهم والمجلس الكبير بالمملكة والداخية والحساب ولا شك ان من يطالعها يباين يقدر ان يجد ذلك البيان غريباً اذا اراد ان يقيد على رأينا الاوروبى ومع هذا فهو دليل واضح على استتقلال المملكة تونس وانها ليست تحت دولة اجنبية وجميع المعاهدات التي بين الدول الاوروبية ومملكة تونس منذ مدة الثلاثة قرون الاخيرة لم تقل ابد الا بمملكة تونس ومملك تونس ومنها خمسة عشر أو عشرين معاهدة امضيت بفرانسا فيها ذلك القول وفي سنة ١٨٦٨ المعاهدة التي وقعت مع ايطاليا عند كور فيها مملكة تونس وتونس أيضاً لم تسم نفسها في قانونها النظامي الا الاسم الذي أطلقته عليها جميع الدنيا وهي ارادت ان توضح المزية التي لها بالاستقلال والقدرة الموافقة له فبما على ما سبق من الادلة القطعية والمتعددة فالباب العالي لا يقدر ان يتعجب من انكار فرانسسا سيادته على تونس مهما طلب هو ذلك حتى الى الآن ونحن نقر بان الباب شدد في طامه من مئة وخمسين سنة وفي سنة ١٨٣٥ ادخل تحت سيادته طرابلس بعد ما مضى التحير لها ثل هناك وأراد ان يعيدهم سيادته على تونس الان قوة فرانسسا المضادة له من مئة من مقصده وبعد عشر سنين أى في سنة ١٨٤٥ اتانا بمنجى السلطان الى تونس ومعه فرمان ليقاد الباي منصب الولاية الا انه لم يقبل منه ثم مضت عشرون سنة من غير تجربة جديدة ولكن في أواخر سنة ١٨٦٤ رجعت التجهيزات القديمة وانما هاته المرة كانت المملكة بنفسها هي التي طلبت التقليل دولاً لكن هذا كان من الغريب اذ وقع من الامير الذي هو حتى لذلك الوقت بعينه وهو يظهر المدافعة عن استقلاله وهذا انما كان من الاشارات القوية التي خوفت الباي من حالته امام الباب فارسل لذلك امير الامراء خير الدين الى القسطنطينية ليعرض ويأبى بالفرمان وهاته المرة أيضاً فرانسسا عارضت في ذلك وعوضا عن فرمان السلطانى فالباي ومستشاريته التزموا بالرضا بمكتوب وزيرى متضمن لما في فرمان ثم اغتنتهم والفرصة وقت مصيبتنا في سنة ١٨٧١ وتموما كانوا ممنوعين منه سواء كان في مدة الوى فليب

الذى

الذى كان غالباً سيطر له يمنع الاسطول التركى من القدوم الى تونس أوفى مدة الامير بطور الذى لم يقلد من العزم المشار اليه وفرمان ١٥ تشرين أول سنة ١٨٧١ الذى اتخذوه تحت ظل مصيبتنا اشتهر في ١٧ تشرين ثانى في باردو واعان به خيرا الدين باسم السلطان وقبلة الباي الذى كان طالبه له مع شئ من الغضب وفرانسسا على كل حال سيجتبقوة وحسبت فرمان باطلاً او كانه لم يقع ومن مدة عشر سنين لم تبطل شيأ من عملها عند ما يقتضى الحال ومع نجاح الباب هو بنفسه له شك في اجراء حق فرمانه بتاريخ سنة ١٨٧١ الذى ضرب اسـ استقلال مملكة تونس المتقادم وهذا فرمان انتشر قليلاً الا انه عند الغالب لا يعرف ما عند بعض الدول الذين لهم فوائد نوافى ترتيب فرمان المذكور ان تونس تكون جزء تحت الباب مع ان حكم باي تونس باق كما كان يعرف من منذ مائتي سنة غير ان باي تونس صاروا الى اى والبايعا على ايلة تونس وعلى موجب ذلك فالوراثة في الحقيقة لم تكن مستمرة في العائلة الحسنية خـ لافا لما ذكره فرمان بل الوالى يعزل بارادة السلطان ومن الممكن ان يعرف الباي ضرره وضرر مملكته وحرية وحياته التي هي غاطة كبيرة حسبما اشاروا عليه بها ومحمد الصادق ليس له خوف من جهة فرانسسا ولومع ما عمل من الشر معها ومع هذا فليس يستبضده لالذريته ولا لذاته ولا لدولته وأما من جهة الباب فهو بالعكس وله الخوف الكبير منه لانه يمكن أن يبدله بحسب الحال انتهت لاشعة وزير فرانسسا واذا تأملها المتدبر وقدير مع انهما يجدها مخالفة للواقع في كثير من الامور سيما بعض الاحوال النار يخبة كما يتبين من مقابلة كلامه بما ذكرناه في تاريخ تونس وسـ ياستها وصالحات الدولة مع المكاتب الرسمية التي نقلناها حرفياً حتى من متوظفي فرانسسا ويؤكد ذلك ما تراه في لوائح الباب العالي الآتى بيانهما فان الحالة لما بلغت الى درجة هجوم العساكر على الحدود تظاهروا الى تونس بان أرسل اذناك الى الباب العالي مكاتب في التشيكي من فعل فرانسسا وأرسل الى نواب الدول تسجيلاً على ذلك أيضاً ولما تحقق الباب العالي الاحوال الرسمية أرسل عدة لوايح الى سفرائه مستنجداً بالدول لمحافظةهم على معاهدة باريس التي أشرنا اليها سابقاً وعلى معاهدة برلين ومما يفصح عن مقاصد الباب وحقوق اللائحة التي أرسلها وزير الخارجية بالدولة العثمانية الى سفراء الدولة ونص تعريضها القسطنطينية ١٠ مايس سنة ١٨٨١ ان اعلاماتى المختلفة عرفت فطانتكم الوقائع التي صارت في المسئلة التونسية وقد نسبت بمجموع بعض القمائل البدويين جهة الجزائر ولهذا الهجوم

فالحكام التونسيون أعلنوا بانهم حاضرون ليضبطوه من غير تراخ فالدولة الفرنسية
حكمت بانه يلزمها ارسال عدد وافر من العساكر الذين قد استولوا على جزء كبير من الولاية
ولم يعدوا عن المركز الا بعض فراسخ في غير التفات الى ما كنا أكدنا به على حضرة
الباشا الأخذ بالتدابير اللازمة لتمهيد الراحة في المواضع المتأثرة بدولة الجمهورية
لا تريد أن تنظر للمخالطة الاقتراعية بتونس مع السلطنة العثمانية التي هي محسوبة
جزءا منها للسلطنة المذكورة وأظهرت بانها لا تقبل قولنا للاتفاق الودادي معها لقطع
الاختلاف الذي وقع وترتيب حقوق الباب العالي مع منافع فرانسافي ذلك المحل وترتيب
الاشياء الموجودة من زمن قديم ولا نقدر أن نزيد في ايضاحها كما يلزم وهي زيادة
السلطان التي ليس فيها اختلاف على هاته الولاية وهي سيادة لا تنكرها ولا دولة عموما
وهذا الحق بقي الى الآن صحيحا ولم يقطع من زمن فتحها وهو اذالك سنة ١٥٣٤ بخير
الدين باشا وفي سنة ١٥٧٤ تقاليج على باشا وسنان باشا وكانت الدولة العلية أرسلت
الى تلك المواضع قوة عظيمة برا وبحرا ومن زمن ذلك الفتح فالتأسيسات التي فعلها الباب
العالي هي ان جميع ولاية تونس يتوارثون الولاية من ذرية الوالي الاول المسمى من
السلطان ويتقلدون الى الآن المنصب منه وفرمانات الولاية تبقى في خزنة الديوان
وكذلك جميع المكاتب التي تأتي منهم للباب العالي فانها تارة تكون في شأن مخالطتهم
مع الدول الاروبية وتارة تكون في شأن احوالهم الداخلية والتي لها صلة المدة
الاخيرة فان الباب العالي من استخفاظه على حقوقه زيادة على كونه يسمى الوالي العام
فانه يرسل من القسطنطينية الى تونس قاضيا وباشا كاتب الولاية ولم يكن الامن ترحم
الدولة العلية ان منحت الوالي ان يسمى هو بنفسه هذين المتوظفين وايضا فاتباعا للذهب
وخصوصية سيادة السلطان فان الخطب يذكرونها اسم جلالته ويضرب على السكة أيضا
وفي وقت الحرب ترسل تونس الاعانة الى التخت وعلى حسب العادة القديمة يأتي الى
القسطنطينية دائما أناس رعيون ليقدموا تعظيمات الوالي وخضوعه لاعتاب
السلطنة وليقبلوا أيضا الاذن اللازم من الباب العالي لامور عظيمة في الولاية ثم ان الباشا
الموجود الآن والاهالي التونسيون طلبوا زيادة في التفضل ولأعطى ذلك لحضرة
السامية بالفرمان المؤرخ في سنة ١٨٧١ وتعرف به جميع الدول والآن قد استغاث
الوالي بجده سيده الحق ليعينه على الحالة الرديئة التي وقعت فيها تونس الآن وهاته
الاشياء التحقيقية لا يذكروها احد فهل تريدون أن تعرفوا الآن تقريرها بالتاريخ
وبالمكاتبات

و بالمكاتبات الرسمية هو سهل لكن تقتصر على المهم منها لا يطول الكلام في هذا
التعريف ففي المعاهدات القديمة التي بين تركيا وفرنسا تعدد ألقاب الحضرة السلطانية
ويكون منها لقب سلطان تونس (فانظر مثلا) معاهدة ١٥ صفر سنة ١٠٨٤ هـ
١٦٦٨ م وفي هاته المعاهدات أيضا وجوب ان كل المعاهدات التي بين
الدولتين تجرى أيضا في تونس وفي نصف القرن السابع عشر أي في ١٥ صفر سنة
١٦٦٨ أرسل السلطان فرمانا للباشا والحاكم الكبير بالولاية في رضاء الباب العالي
بان قنصل فرانساي يجمع خدمات قنصل الدول الذين لم يكن لهم اذ ذاك نواب
بالقسطنطينية كالبرتغال وكاتالوني واسبانيا وفي نيسا وفرنسا وغيرهم والقنصل وكالته
هي حماية السفن تحت الراية الفرنسية في المراسي المشهورة بالولاية والفرمان يمنع
تدخل قنصل الانكليز والهولندي وغيرهم من التدخل في خدمة نائب فرانسوا وذلك
سند منع التدخل بين الباب العالي والتمسالمؤرخ في ٩ رمضان سنة ١١٩٧ هـ
المتقرر بمعاهدة ستوفا في ١٢ ربيع الاخر سنة ١٢٠٥ فانه يأذن بحكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب بان يحموا على اسم السلطان السفن المتجربة لسلطنة الرومان
الفخيمة وايضا فان الاتفاق الذي تقدم هذا السند وتتم في ١٥ شوال سنة ١١٦١ هـ
بالاذن من السلطان وكان هذا الاتفاق وقع بين الحكام المذكورين والسلطنة
المذكورة فان الوالي العام بتونس وهو اذالك في رتبة بكاريك ونال اسم على باشا
يذكر في مقدمة كل مكتوب مضي عليه منه هاته الكلمات بعينها وهي (مولانا السلطان
الغازي محمود) وعلى ذكر واقعات ذلك الزمان استطرادكم الاذن الصادر من الباب
العالي في ١٥ ربيع الاول سنة ٢٤٥ هـ ١٨٢٧ م لحكام الجزائر
وتونس وطرابلس الغرب فانه يأمرهم أن لا يتدخلوا في الخلاف الواقع بين سلطنة
التمسا وملك المغرب وكذلك الاذن الصادر من القسطنطينية لوالي تونس في ١٤
صفر سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣٠ م فانه يأمر بترتيب العسكر النظامي بالولاية
على نمط الترتيب العسكري النظامي العثماني وايضا قد أتى مكتوب معين بالطاعة من
الباشا التونسي لجلالة السلطان في سنة ١٨٦٠ وذلك الباشا هو الذي سماه السلطان
واليا طاما وقد انتشر هذا المكتوب في جميع صحف أروبا من غير أن يعارض ولا من جهة
واحدة ونزيدكم شيئا آخر وهو انه في سنة ١٨٦٣ في واقعة القرض التونسي الذي
وقع في باريس من غير رضاء الباب العالي كان رسيود واروان دولويس وزير خارجية

الامبراطور نابليون الثالث قد أعلن رأيه بناء على شكايات الدولة العثمانية وقال انه يلزم اما الباشا بتونس أو المصرف الذي يريد عقد القرض معه أن يطلب رضا الباب العالي ليصبح هذا القرض وللاذعة عن حقوق الباب العالي فان الوزير الفرانساوي أرسل يقول هذا الكلام للمصرف المشار اليه وهما نحن نضع بثبات الكلام السابق لدى ميزان العدل والحق الذي للدول المعضين على معاهدة برلين وانما المتحققون بان فكر الدول محبط بدلائل كثيرة في الواجبات العمومية التي يقتضيها المؤتمر المحترم وانهم يريدون أن يفصلوا بالعدل قولنا الذي قدمناه وانهم يحتفظون على حقوق الباب العالي الاخرى المحفوظة بالمعاهدة المذكورة ويصلحون الحال بين الدولتين فرانساً وتركيّا في علائقهما التي لها في هاتين الولايتين المرفوف بها التونسية الممتدة للسلطنة العثمانية والمرغوب من جنابكم ان تتكلم مع وزير الخارجية في مضمون هذا التلغراف وتشرح له ما تراه نافعا ولكم الاذن بان تعطوا نسخة من هذا الجواب الوزير اذا طلبكم اه (الامضاء مصطفى عاصم) ومن تأمل هذا اللائحة مع ما قررناه في سياسة تونس الخارجية ومقاصد فرانسافيها لا يشك في أن فرانسالم تكن تنازع قط في أن تونس من ممالك الدولة العثمانية وانما غاية دعواها هو ان تلك الولاية لها امتيازات جارية تحافظ هي عليها لاجل منافعها ويصدق ذلك تصريح وزير فرانسادواروان دولويس في مجمع فيينا آخر حرب القرم لما سأل وزير روسيا عن تعيين الممالك العثمانية للجهل ببعضها ومثل بتونس وانه يترأى فيها نزاع فأجابه الوزير الفرانساوي بان لا شك ولا نزاع في كون تونس من الممالك العثمانية وان كانت لها امتيازات تخصها وكذلك المعاهدات المعقودة بين فرانساً وتونس حتى التي وقعت بعد الاستيلاء على الجزائر بمدة طويلة يصريح فيها بان سائر المعاهدات المعقودة مع الدولة العثمانية تكون مرعية الاجراء في تونس ولا يعزب عن عاقل ان ذلك التصريح لاتحاد تونس بالممالك العثمانية ومع هذا كله لم يفد استصراخ الدول لان فرانسالم تعلن بمعادها الا بعد ان لمست أفكار أغلب الدول الكبيرة فوجدتهم غير معارضين اليها لان دولة انكلترا متول زمامها حزب الاطلاق الذي لا يرى نفع دولته في المحافظة على الدولة العثمانية بعد ان طال تجربتهم لها في الحث على الجربان على مقتضى نصائحهم ولما كنهم لم يروا العمل ودونك ما نشر في الكتاب الازرق من المخاطبات التي وقعت من الحضرة السطانية ورئيس وزرائها ومع سفير انكلترا بالاستانة حسبا

اخبرهمها وزيره بعدة تلغرافات تنبى عما تقدم فيها تلغراف من موسيو غوشن (سفير انكلترا الى وزير خارجيتها) بتاريخ ١٩ نيسان سنة ١٨٨١ هاته ترجمته اني وجدت جلالته (أى السلطان) مشغول الفكر بهذه الافعال وبناء على ما عندي من الاذن أعلنت له بان الدولة الانكليزية تريد بقاء الحالة الموجودة في تونس والنائب الانكليزي بتونس له الاذن ليرشد الباي اذا استشاره بان يعين فرانساً في تقرير راحة الحدود وانى أرجو ان جلالته يشير على الباي أيضا بذلك فالسلطان سكت بعض دقائق ثم ظهر على وجهه الغضب وقال انه فهم من كلامي ان الدولة البريطانية تريد بقاء الحالة على ما هي عليه في تونس ولها نفع في ذلك وفهم أيضا اننا اشمرنا على عهد الصادق بان يعين العساكر الفرنسية فذهبت عظمتهم باي ما قلت ان الدولة الانكليزية تنفع ببقاء الحالة الموجودة ولكنها تظهر رغبة في ذلك فقط على هذه الكيفية ونحن نتأسف كثيرا من فتح مسألة جديدة في الشرق وانما لا نفقه كراهة توجب فوائده خصوصية لانكلترا بوطنة باي كيفية كانت في احوال تونس فعندهذا أجاب السلطان بانه لم يركب كيف يجمع بين رجائنا في ابقاء حالة تونس على ما هي عليه ومع ذلك يشير على الباي بان يعين العساكر الفرنسية فيه فهاذان الشيطان لا يتوافقان لانه على رأيه يكون دخول العساكر الفرنسية الى تونس ناقضا للحالة الموجودة وفي تلغراف آخر من موسيو غوشن أيضا يقول فيه ان الجلسة التي وقعت بيني وبين باش وكيل كان يطلب فيها صحة انكلترا وقال ان الدولة الانكليزية تقدر أن تعمل مع الدولة العثمانية المعروف وان الباب العثماني يكون ممنونا اذا كانت انكلترا تريد أن تفعل مع ذلك فقلت له ان ما كنت قلته لكم قد وقع والذي كنت تقوله دائما هو انه بأى زمن تكون فيه تركية تزد كرامة بان صحة انكلترا لها لازمة وقد تكلم على الحاجة الى كبرية الآن وتكلم أيضا على ردمودة انكلترا فتبعته وقات ما هو دليل المودة الذي أظهرته تركيا لانكلترا منذ بعض سنين وفي أى وقت اتبعتم اشارتنا وفي أى وقت قبلت استشارتنا النافعة للسلطنة التركية نعم ان الترك قد عملوا غاية جهدهم ليركوا المودة التي في رأى العموم في انكلترا ورجوعها الآن ليس بسهل فحضرتة العلية أجابت بان جميع الاشياء الآن تتغير من غير ان يظهر على وجهه الغضب من الكلام الذي قلته له قصدوا استمرار طلبه الا عانة وانما شرت له بان نازلة تونس مثل الفوازل الاخر الشرقية ولا تقدر انكلترا على اتمامها وحدها ومع هذا فليس لنا فائدة خصوصية وسياسة مناسكة بالموافقة الا ربنا وولاد دولة ترق يد قدام

عسر جديد قبل ان تتم الاعسار القديمة وكل دولة تكون حازمة اذا كانت تفتش كل واسطة لحصر المنازلة التونسية في حدود ضيقة اقل ما يمكن لئلا تقوم نازلة تدخل فيها الدول برأى مختلف فنهاه العالي يقدر يفهم من جملة كلامي بان ليس لي اذن لتقرر الرجاء بان تكون الدول العظام الاروپاوية يظهر انهم مختلفين على نازلة محظية بين الباب العثماني وتونس والطلب الخصوصى من انك كثره ليس بموافق لحالة الباب العثماني منذ بعض سنين مع الدولة المشار اليها فهو هذا الخطاب كاف في بيان الحال مع انك كثره وهي وان أظهر بعض أهل شوراها التتديد على سياستها وطلب المحافظة على تونس وابقائها للدولة العثمانية وبين ما ينشأ لانك كثره من المضرة عند استيلاء فرنسا على مرسى ابن زرت وعلى قمر بها من خليج السويس ورجحان كفتها في البحر الأبيض لكنه لم ينفذ كلامه حيث كان من حزب المحافظين الذي هو مغلوب حينئذ واحتجت عليه الوزارة بان خربه هو الذي فتح الباب لفرنسا فان الورد صاسبري الذي كان وزير الخارجية عند ذلك دموثري برلين لما شاحته وزير فرنسا على استيلاء انك كثره على قبرص أجابه بأنه لا يعارض فرنسا اذا أردت الاستيلاء على تونس فاذا يكون استيلاء فرنسا بوعدا انك كثره وقد غفل المستند لذلك عن كون الوعد من صاسبري كان في سياق ان ترضى بذلك الدولة العثمانية صاحبة الملك مع الرضى العام لا اغتياالا ومع ذلك فلا انك كثره مقاصد على تونس مخفية في مصر فرائد ان مساعدة فرنسا على تونس تلائمها في مقاصد دهاهي في مصر عند الحاجة اذا ساعدتها فرنسا ولها لم تعترف بالمعاهدة الجديدة مع تونس رسميا حتى ان وزير فرنسا الاول أعلن في مجلس النواب بان انك كثره وافقت على معاهدة مابها استنادا منه لما دار بينهم من الكلام فيها فأعلن وزير خارجية انك كثره حالا بتم كذب ذلك الادعاء وماذا لا التحفظ على ما يريد لدولته حتى اذا لم تساعده فرنسا في مصر وآل بينهم الامر الى المشاحنة الحقيقية كان لانك كثره وجهه في نقض ما حل بتونس وأما دولة روسيا فلا شيء كالانها يسرها كليا يضعف الدولة العثمانية ولا فائدة لها في مشاحنة فرنسا ولذلك كان جوابها بمثل محصل جواب سابقتها وأما دولة المانيا فاجابت خصوصا بان الاولى للدولة العثمانية الاضراب عن هاته المنازلة وانها هي لا تتعرض لفرنسا بشئ والباعث لها على ذلك وجوه (اولها) اظهار عدم التجاني عن فرنسا التي لها عابها حتى اذا أخذ النار (وثانيها) جذب أعداء ومضادين الى فرنسا كالدولة العثمانية

العثمانية وايطالييا حتى اذا أعلنت الحرب يوم ما بين المانيا وفرنسا تجد المانيا الظاهر على قمرها بما لذلك الظاهر من الباعث الذاتي (وثالثها) اشغال فرنسا بفتوحات جديدة في اراضي فسيحة وخلق كثير في افر يقيار بما طال اشتغالها بهم حتى يبردهم يبيب أخذ النار (ورابعها) اضعاف قوة فرنسا وقت الحرب اذ الامم الذين تريد التساط عليهم وان لم يكونوا كفؤا لمحاربة فرنسا الخلوهم عن آلات الحرب والاسلحة استعدادها لانك كثره لما كانوا مسلمين وأهل نجدة وشجاعة ومثافنة للحرب لا يلبثون دائما أن يحدد ثوابها ثورات سيما اذا علموا بوقوع حرب بينهم وبين اجنبي فتضطرب فرنسا في وقت الحرب الى أن تبقى قسما عظيما من جيشها محافظا على ذلك المستعمر وذلك يفيد المانيا بقصان قوة جيش خصمها في حربها (وخامسها) تمهيد السبيل اليها فيماتريد الانعاض به بينهم وبين النمسا لان المانيا ليس لها مرسى على البحر الا ينع عن وقت يدبقي من جنس الامان تحت المساعدة ملايين حول الجهات التي بقرب مرسى ترست فلو أخذت المانيا ذلك الباقي من الامان مع تلك المرسى يكون ذلك غاية امانها وليكن ذلك لا يحصل الا بحرب مع النمسا وقهرها أو بعمارة ذلك لها بشئ يرضيها من عمال تلك الدولة العثمانية مثل أخذها ولايات مقدونية ومرسى سلايك الموازي ذلك لما يؤخذ منها حسبما أشيع ذلك مرارا ولذلك كانت المانيا اول من بادر لامرئها في تونس باتباع سياسة فرنسا فيها وتبعته على ذلك أيضا النمسا لانها ليس لها سياسة تخصها في تونس وهي لها مع المانيا عقد محالفة اتحاد على الذب والاقدام ثم انها لها مطامح في جهة بحر الجزائر لئلا يمكن فيه بمواقف مهمة لكي تسلم في مرسى ترست الى المانيا حليفها حيث لم يكن لها مرسى في البحر الا ينع كما تقدم ذكره فلا تعارضها فرنسا عند العمل وأما ايطالييا فانها تجرعت من ذلك الغصص وطوت على الضغائن التي لا تزالوا كنهم الما كانت غير كفؤ بانفرادها لمعارضة فرنسا واتحادها مع الدولة العثمانية أيضا لا يجدى لاحياج كل الى المال مع ما فيه الدولة العثمانية من الحالة الداخلية والخارجية التي أعقبتها الحرب الاخيرة فلم يسعها الا السكوت وتحتل عرق القرية مع عظم الضغينة في عوم الاهالي والدولة اذهى حريصة على ابقائها كان على ما كان في تونس وكانت عند ملاحظتها مبادئ الشر عرضت بالسعي السياسي مع الدولة العلية فلم يكن من المقدر قبول الاقحام لما أرادت حتى أنكر الوزير العثماني على المأمور الطلياني التمسك معه

في تونس وقال له اننا نأبى -ة لنا ولا دخل فيها الا بدعوة -ة هجوم فرانسافار يتناق الى ذلك المأمور لكي تمد ايديا اليه فقل له مصداق المثل الصيف ضيقت الابن وبما تمهد عبرت عساكر فرانسافار حدود تونس معلنة بانها تريد تأديب قبيلة تيج -ير من أعراب الجبال الشمالية عن حدود الجزائر ولم يتعرض لها أحد بالمصادمة لان حكومة تونس قد تقدمت حالتها الباطنية من التوافق مع فرانسافار مع ذلك فليس عندها تحت السلاح ألف عسكرى ولا اقتدار لها على معارضة فرانسافار بالقوة واستندت ظاهرا الى أمر الدولة العلية بارتكابها سبيل الملاينة وأظهر الوزير التونسي اذ ذلك التزام العمل برأى مجلس الشورى حيث فات الابان مع ان جميع ما يتفاوض فيه يقرره الى تابعه على ابن الزى ليا وهو يقرره الى نائب فرانسافار كما أغزل المجلس غزلا نقضه لهم من هو بالمصاد منهم حتى تهبطوا من اطلاعه على جميع أحوالهم وتمكنت عساكر فرانسافار من بلاد الكاف وباجة وابن زرت وفي اثناء تلك المدة كانت الحكومة التونسية لا تزال تسجل وتتسكى وانها مستعدة لترقية قبائلها الذين هم في نفس الامر انما اتخذوا وسيلة فقط ومع ذلك فقد أوعز الوزير بواسطة تابعه المشار اليه الى نائب فرانسافار لا واسطة مفيدة في الدخول تحت فرانسافار الا قدوم شريطة من العساكر الى قصر الوالى والاحاطة به اذا النسوة لما ترى ذلك تصعق بالخوف فيضطر الوالى الى الامضاء على الشروط ويجدد العذر عند الاها الى ومع ذلك أرسل خبرا بالملك السكهر بائى الى الباب العالي يقول انه قد علم ان فرانسافار تطلب عقد شروط ولا يعلم ما هي فذاذ يعمل فأجيب من الباب بان يحيل كلما يطلب منه على الباب العالي ولا يعضى شيئا وقبل ذلك أشاع أصحاب الاخبار ان في عزم الدولة ارسال خير الدين باشا الى تونس معتمدا في حسم المنازلة المعروفة بأحوالها وسياسة الاها الى والاجانب ولا لكي يكون عوننا على ابقاء الحالة المعروفة فأرسل الوالى تلغرافا الى الباب يطلب أن يكون المرسل غير المشار اليه وتجب كل غافل عن المقاصد الخفية من ذلك الطاب اذ تلك الحالة لا تدع مجالا للشخصيات سيما وقد سبق من خير الدين الى الوالى المشار اليه المجاملة وعدم الاكتران بما فعل معه عند حلوله بالاستانة وترقيته فيها لكن المطلاع على الباطن زاده ذلك تيقنا في التواطى على تلك الاعمال لان وجود مثل خير الدين في تونس لا يروج عليه ما يروج على غيره من لم يثاقن طبائع الشقين ومع مجازاة الباب العالي وتقليله لمواقع النزاع قدر الامكان لتأمين الوالى حيث أظهر الميل الى الدولة

فانه أى الوالى أسرع الى امضاء الشروط مع فرانسافار المحال ان مـذاذ الخـ بر من الباب العالي ينهي عن الامضاء لم يحفل ولا يخبر الباب به -م ذلك بشئ حتى سألته عما شاع من امضائه فاجابه بانه مكره عليه وكلما ورد بعد ذلك من الباب سلمه الى نائب فرانسافار مدعيا ان الشروط قاضية بذلك (وهذا نص تعريب المعاهدة) ان دولة جمهورية فرانسافار دولة باى تونس أرادوا أن يقطعوا بالمرة التحجير المخرب الذى وقع قربا في حدود الدولتين وفي شطوط تونس وأرادوا أن يربطوا بخالطتهم القديمة التى هى مخالطة مودة وجوار حسن فاعتمدوا على ذلك وعقدوا معاهدة في نفع الجهتين المهمتين فعلى موجب ذلك رئيس الجمهورية الفرانسافارية سمي وكيله موسيو الجنرال بريار الذى يتفق مع حضرة الباسى السامية على الشروط الآتية (أولا) المعاهدات الصلحية والودادية والتجارية وغـيرها الموجودة الآن بين الجمهورية الفرانسافارية وحضرة الباسى يتحتم تقريرها واستمرارها (ثانيا) ليسهل لدولة الجمهورية اتمام الطرق للتوصل الى المقصود الذى يعنى الجهتين العظيمتين فحضرة الباسى ترضى بان الحكم العسكرى الفرانسافارى يضع العساكر في المواضع التى يراها لازمة لتتقرر وترجع الراحة والامان في الحدود والشطوط وخروج العساكر يكون عندهما يتوافق الحكم العسكرى الفرانسافارى والتونسي على ان الدولة التونسية تقدر على تقرير الراحة (ثالثا) دولة الجمهورية تنعهد بحضرة الباسى بان يستند عليها دائما وهي تدافع عن جميع ما يتخوف منه لضررها ما في نفسه أو في عائلته أو فيما يحيط بدولته (رابعا) دولة الجمهورية الفرانسافارية تضمن في اجراء المعاهدات الموجودة الآن بين دولة تونس والدول المختلفة الاروباوية (خامسا) دولة الجمهورية الفرانسافارية تحضر فحوضرة الباسى وزيرها مقيما لينظر في اجراءاته المعاهدة وهو يكون واسطة فيما يتعلق بالدولة الفرانسافارية وذوى الامور والنهي التونسية وفي كل الامور المشتركة بين المملكتين (سادسا) ان النواب السياسيين والقناصل الفرانسافاريين في الممالك الخارجية يتوكلون ليحموا وأشغال تونس واشغال رعيتهما في مقابلة هذا فحضرة الباسى تنعهد بان لا تعقد معاهدة عمومية من غير أن تعلم بهادولة الجمهورية ومن غير أن يجعل على موافقتها من قبل (سابعا) دولة الجمهورية الفرانسافارية ودولة حضرة الباسى أبقوا لانفسهم الحق في أن يؤسسوا ترتيبا في المالية التونسية ليتمكن لها دفع ما يلزم الدين التونسي العام وهذا الترتيب

يضمن في حقوق أصحاب الدين التونسي (ثامنا) ان غرامة الحرب يعصب عليها القبائل العصاة بالحدود والسطوط وتعمل دولة الجمهوريّة مع حضرة الباي فيما بعد شروطا على كبتها وكيفية دفعها ودولة حضرة الباي تضمن في ذلك (تاسعا) للدفاع على منع ادخال السلاح والاتل الحربية في المملكة الجزائرية الفرنسية ودية فدولة باي تونس تمنع دخول الاشياء المشار اليها من جزيرة جربة ومرسى قابس وسائر المرسى الجنوبية في المملكة (عاشر) ان هاتاه المعاهدة توضع لدى رضاه دولة الجمهوريّة الفرنسية وترجع في أقرب مدة ممكنة لحضرة الباي السامية حرقي ١٢ مايس سنة ١٨٨١ بالقصر السعيد الامضا محمد الصادق باي والجنرال برياروالذي يؤكده صدق التواطئ من قبل ان الوالي طالب ظاهرا من نواب فرنسا وهاهما أميراليسا كروا القنصل أن يمهله مدة للتأمل من حالة الشروط فاجابه القنصل بأنه لا داعي الى ذلك حيث ان الشروط عند وزيرك من مدمدة وتامتها أنت وهو ولم يبق الا الامضاء ويؤيده أيضا ان رئيس المجلس البلدي السيد محمد العربي زروق أحد أعضاء مجلس الشورى أصر على عدم الموافقة على امضاء الشروط ونجح على الوالي بذلك عند جمعه للمجلس وأمر عسكر فرنسا منظر لا يبرامها ونهجه بان ما يخشى منه بعد عدم الامضاء سيقع لا محالة بغير الامضاء فالتمسك بالبراءة الاصابه أسلم وأشرف وعورض بأنه قد علم ان الوالي اذالم يجمع يولي الفرنسي عوضه أخاه الثالث (محمد الطيب باي) لانهم أكدوا ان له اتفاقا مع الفرنسيين فاجاب بان جميع الاهالي لا تطيع الوجه المذكور وعلى فرض قهرهم يكون الوالي على شرفه وورعما اضطررت الدول الى التدخل بوجه يحسن الحال فلم يلتفت لكلامه وعزل أثر ذلك من جميع وظائفه وجعلت عليه مراقبة في داره وحجر عليه مخالطة الناس وتحقيق مزيد الاضرار به الى ان احتجى بقذسلا تواله كلاتره وسافر عن وطنه وأقام بالاسبانية ويشهد صراحة للتواطئ ما صرح به البارون بيانك الفرنسي ساوي في نشرين لودسنة ١٨٨١ بما وقع في هاتاه المسئلة وانه كانت أرسلته دولته حيث كان أحدهما موري اوزارة الخارجية لاستقراء أمر تونس وذلك في كانون ثاني سنة ١٨٨١ وان الوالي أجاب اذذاك فرانس بأنه يقبل الشروط اذا كان الوساطة فيها هو فردينا ندلس لانه كان يؤمل بواسطة المذكور الحصول على شروط وافق له وان الشروط اذذاك كانت غير البني قررت الآن ومع ذلك كله لم تعلم الدولة العلية بشئ وبه يعلم صدق

صدق الكلام في اخمار الوزير التونسي الثمالة بالادولي بالخصوص حيث دافعت عن الحق ونهضته بما يقتضيه الدين والامانة ثم كانت فاتحة أعمال نائب فرنسا عند امضاء المعاهدة أن طالب من الوالي نفى على ابن الوي حلالا لكي لا يبيع بما وقع من الاسرار التي اطاع عليها فنفي الى حصن قابس ثم توجه الوزير ابن اسماعيل الى باريس في سفينة فرانسوية حربية شاكر الانعام فرانساً بتلك المعاهدة ومعلمنا لها بأنه يصدق في خدمتها أزيد مما كان بمذله سابقا كذا في عبارته الرسمية عند ملاقاته رئيس الجمهورية المنشورة في الصحيفة الرسمية فقلدته فرانساً بكبرنيشان لها مع الشريط الكبير ورجع الى تونس ولم يلبث بضع أشهر حتى ورد الامر على الوالي من وزير فرنسا بعزل وزيره ابن اسماعيل لان نائب فرنسا بتونس توجه الى باريس وتفاوض مع دولته فيما يسلكونه في تونس حيث ان الاعراب والجهات الجنوبية أعلنت وابلان الوالي لما بقي على الدولة العثمانية بدخوله تحت جاية فرانساهم لا يطيعونه لانهم بايعوا أمير المؤمنين سلطان الدولة العثمانية قديما وحديثا فلا يحل لهم الخروج عليه وهرب على الوالي جميع عساكره فاضطرت فرنسا لتعبئة الجيوش لتطويع الاعراب وكان من جملة التدبير عزل ذلك الوزير الذي توقعوا أنه أن يفعل معهم مثل ما فعل مع البلاد التي وصل فيها الى تلك الدرجة وتحقق الوزير بما ضرب من المثل بوزارة العلقمي وان كان هذا أي ابن اسماعيل قد احتار بجميع خرائن أمراء تونس حتى كان آخر ما بقي للوالي من مفاتيح الجواهر عقد لؤلؤ منظم سجد به سائمة حبة مع حلية زمرد محاط بها الباقوت الابيض فاعطاها له اليه عند سفره لباريس بعد العزل المذكور ورام بسفره ارضاء فرانساً عليه وارجاعه الى الوزارة وبقيت البلاد الى الآن في حيرة واضطراب ودخات العساكر الفرنسية الى قصبة الحاضرة والى عمارات العساكر في المدينة وأمام قنصلية فرنسا وسكن رئيس العساكر الفرنسية بدار المملكة في بطحاء القصبة وصارت الحكومة لا تتصرف في شئ الا بالامر الوزير الفرنسي سواء كان في الداخل او في الخارج وتفاقم الضرر بولايات غير الاهل في الوظائف بوسائل غير مرضية وعظم الكرب على القبائل والبلدان بما حصل فيهم من العساكر الذين أقاموا بالقبير وان وسوسة وهدموا صفا قس ونرجوا من قابس بعد دخولها وعادوا اليها ونسأل الله ان يتداركنا باطلاقه ويحسن العاقبة وعلما ينبغي التنبيه اليه هنا ان الاحوال السياسية التي أشمرنا اليها مع الدول سيما مقاصد المانيا لا يمكن ان تخفى على أمة عاقلة مثل

الفرانساويين فكيف مع ذلك قدموا على تبوء تونس مع كون القائدة التي تحصل لهم منها لا توازي ما ذكر سببا اذا كانت المعاهد مودة مع تونس التي ذكرناها تجري حقيقة على ظاهرها فالجواب ان كثيرا من عقلاء الفرانسييس قد تدبوا على دولتهم ولا زالوا في الاعتراض عاينها لكتنها بعد الوقوع في الامر المتسبب عن تهورهم بيمدهم مقالييد السياسة حتى اتهمهم مضادوهم من نفس الفرانسييس بان لهم في ذلك ارباح ذاتية من التجارة في الرقاق الدولية وهو راعى العامة بالانتصار لحفظ ناموس فرانساف بعد ذلك صعب على الدولة اهمال سعيها مع ما خسرت من الاموال المتجاوزة مائة مليون ومن الرجال الذين ماتوا بالحرب مع الاعراب وبالمراض المتجاوزين خمسة وثلاثين الفا فرأت فرانساف التحفظ على ما وقع مع السعي في حسن السلوك الذي يخفف أو يدفع عنها الغوائل المنتظرة ثم ورا ذلك أمرهم جدا الفرانساوي هو طوعها في احداث مملكة عظيمة في أفريقيا مثل ماللانكا في الهند فتريد ان تقدم من الجزائر الى ما جاورها شيئا فشيئا الى ان تصل الى دواخل أفريقيا والسودان وتصل بين شاطئ أفريقيا الغربي في سانيغال والشرقي في الجزائر وتونس حتى رسمت جمعية فرانساف بترسيم الخط الحديدي في ذلك ولو يتم هذا يكون لفرانساف شأن عظيم غير ان القياس على الهند الانكليزية هو قياس مع الفارق لانه جهة سياسة الفرانساويين في مستعمراتهم من حيث قابليتها الى عوائد الفرانسييس واناطتها الادارة في المكاتب والجزئيات بباريس ولان حيث اخلاق الامم المستوطنين بافريقيا والمستوطنين بالهندوان شئت الوقوف على برهان ذلك فانظر ما حررناه في احوال الجزائر وفي احوال الهندوساسة كل من الدولتين يتبين لك حقيقة الحال وبعاد كرهنا هنا بفتح الاعتراض على ما ذكرناه في سياسة تونس الخسارية من كون فرانساف لا تريد الاستيلاء عليها مع كون أعمالها ناقضت ذلك وشرح الدفع يؤل الى أن الحاصل لدولة فرانساف على مخالفة ما سبق من مقاصدها في تونس شيئا أن أحدها سياسي ظاهري والاخر خصوصي باطني فالباطني هو المشار اليه بواقعة من التهمة في نفع الافراد الذي يأتي له فزيد شرح في بحث الاحكام والظاهري هو أن الدول قد تغيرت أفكارهم بالنسبة لمحافظة الدولة العثمانية منذ عقد معاهدة برلين فدللت أعمالهم على ان من ناسبه شيء منها وكانت له قدرة على حوزة بادر اليه وغض عنه النظر بغيرتهم اذا كان المحوزا اكثر مناسبة بالخائن وقد علمت مقاصد فرانساف في تونس ورأت ان ايطاليا لها من المقاصد والمناسبات ما يبراجها ثم رأت سيرة ابن الساعي في وانه غير أمين

أمين فلا بد ان يفعل مع ايطاليا او غيرها من الدول ما فعلت معها الخوف او طمع مع تيسر اجراء الامور بواسطة فانهزت الفرصة خوفا على درجة نفوذها فبادرت قبل ان تبادروا من المعلوم ان السياسة تدور مع الاحوال الحاضرة ولله عاقبة الامور

الفصل الخامس

في عوائد أهالي فرانساف وصفاتهم

(اعلم) ان الاهالي أصاغرهم القديم مجهول غير انهم لما هبت القبائل الشمالية الشرقية من آسيا على اوروبا تسلطت منهم قبيلة الافرنج على فرانساف بعد ان اتاخدت في البلجيك ولا زالت تتقوى الى أن ملكت جميع فرانساف واتحدت القبائل الاخر معها بالنفس والاسم كما تقدمت الاشارة اليه في بحث التاريخ وكان لهم اذذاك شهرة بالشجاعة والتقدم بالحربية حتى كانوا اول من كثرت خلاطتهم من الاروبابو بين بالعرب وأهل المشرق ولذلك ترى ان اسم الافرنج يطلق على جميع أهل اوروبا بعد ذلك جميع المشرقيين والعرب وذلك بابدال السين جيما لان أصل الاسم افرنج فقلبت اليكاف سيدا عند نفس الامة ثم حرف في الترجمة في لسان المشرق وصار افرنج وذلك الاشهرار كاف فيها كان لتلك الامة من التقدم وحب الاسفار والتجارة ولا زالوا على ذلك الى الآن لكنهم يؤثرون الإقامة في وطنهم عن الإقامة الدائمة بغيره ولهذا تراهم أقول أهالي اوروبا استيطان في سائر الممالك اذ امر يكالاتي هي ذات ثروة وأمن وقليلة السكان بالنسبة لاتساع الارض يساهرون اليها سنويا من الانكليز والامان والاطليان وغيرهم خلق كثير يتجاوز مئات الالوف وأقل القليل من المهاجرين هم الفرانساويون بل ان ذلك حاصل ولو في مستعمراتهم في الاقاليم اذا جزائر الا أن تحت ساططتهم نيف او خمسين سنة ومع ذلك لا يوجد منهم فيها الا نحو مائتي ألف أو مئة قصون وانما بالغوا ذلك العدد بعد استيلاء المانيا على الجاس والاورين فرغبت دولة فرانساف الى ذينك الاقليمين لارتدادهما بان تعطيهما جميع حاجتهم مع الاراضي المخصصة بمدة الوسيعة في الجزائر وحيث كان في ذينك الاقليمين كثير من لا يريد الا انفصال عن فرانساف الى المانياها جروا الى الجزائر ومكة منهم الدولة بارزاق العرب الذين استأصات أموالهم بدعوى الخروج عنها والعصيان عليها ومع هذا الترغيب فانما كان عددهم ما أشير اليه لولوع القوم بوطنهم في السكنى وان كانوا يشرعن في سائر الاقطار للتجارة والسباحة كما انهم لهم ولوع زائد بالتجارة بدنة

باريس التي يحق لها الفخر ويسر كل فرانسواي مدحها وان لم يكن من أهلها وهذا
الطبع وهو حب التفاخر وان كان طبيعيا في البشر لا يمكن بعض الامم فيه أزيد من بعض كما
هو في الافراد فالفرانسوايون ذوو فخر ونشاط الى الاعمال وسرعة الى تبديل الاراء
والافعال حتى أورد ذلك فيهم كثرة الانقسامات في الاحزاب السياسية وقد ذكرت صحيفة
الدنيا مرة عدداً من الاحزاب في السياسة فاذا هي أربعة عشر حزبا أحدها طرفها حزب
الاشتراكيين أي الذين يريدون ان يكون الناس كسائر الحيوانات السائمة شتركين في
جميع ما يديهم ولولا النساء ولا يستأمر أحد عن أحد بشئ والطرف الثاني الاستعداد التام
لشخص ملك يتصرف فيهم تصرفه في الاثاث والمتاع وما بين ذلك درجات أقواها الا ان
حزب الجمهورية المضبوط على نحو ما تقدم في السياسة الداخلية وبلية حزب الملكية
القانونية وان كان في ذاته له عدة اقسام من اتباع عائلة بونابارتي واتباع عائلة أورليان
أو البربون الى غير ذلك ولا تغترأها المطالع بكثرة أولئك الاحزاب في ضعفهم مع نواياهم
من الخارج فانهم اذا رامهم أجنبي يكونون عليه يدا واحدة فاذا انفصلوا منه عادوا الى
الشقاق بينهم ولولا هذا الشقاق لزادوا قوة ونفوذاً وطبعا عن مذهب ومعارفهم متزايدة
وتجارتهم وفلاحتهم متقدمة للغاية حتى أقر لهم بذلك اضدادهم وهم ليمنوا الجانب
بشوشون في الملاقاة غيرانهم يتجبر قسم منهم على من تسلطه الفرانسوايون عليه
وفهم كثير من المؤتمنين الناصحين العقلاء مثل من رأيناهم قدموا الى بلادنا متوظفين
وأحسنوا السيرة والانصاف والتصحح الى وطمنا من الانصاف الوفاء لهم بالذكر الجليل
فن هؤلاء صاحب رتبة الوزارة فيليت الذي قدم الى تونس بصفة محتسب عام مالي
عندما أنشئ الكومسيون المالي فابدى من نصخ الوطن والوقوف على حقوقه
ودفع الغوائل عنه مالم يصله كثير من أعيان أبناء الوطن مع العفة والصديق وسعة
المعرفة وعلى قدمه من أتى بعده بتلك الوظيفة وهو بلان ومثله كاي الذين شهد لهم
كل أبناء الوطن بالاستقامة والانصاف بحيث يصح ان يقال ان دولة فرانسوا انما اخترت
لوظيفة الاحتساب المالي من هو جدير بها ولا مطعن فيه اذ كل من الثلاثة هو من
متوظفي دولة فرانسوا في الاحتساب العام المالي وعلى نحو هؤلاء صاحب رتبة
الوزارة قال الذي قدم الى تونس بوظيفة نائب سيمامي سنة ١٢٩٠ فابدى من
أوجه الانصاف ومساعدة الحكومة والاهالي على حقوقهم ما لم يفت به السن الثمانية عليه
من جميع أبناء الوطن وقيل بدمه لولا لطفنا التحامهم عن المقاصد السيئة

واتباعهم

واتباعهم للانصاف فدولتهم تنقسم بمهم على وظائف داخلية وأمن مشاهير رجال
سياستهم في عصرنا من اجتماعت به وله صيت بين الامة الفرانسواوية كنبية ارئيس
محاسن النواب ومن أدركناه أيضا زيادة على نابليون الثالث الرجل الشهير بالسياسة
والمعارف تبرس وقلمنا تحدث أفراداً له وان كانت المعارف والتقدم حاصله الى العموم
ومع ذلك فلا يزال في فرانسوا خلق كثير على السذاجة والجهل ودونك حكاية ظريفة
تقديس عليها ما يقرب منها في سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م كان أحد أصحاب العمل
باليد مشغلا جهة باريس وكان له ابن مشغول جهة برودو فلم يوفرا الابن من كسبه ما يشترى
به حذاء فأرسل الى أبيه يشتري له القل ويطلب منه شراء حذاء له فاشتراه له وحمله في
الطريق وهو مغمى كرفي كنفية ابصاله اليه فبينما هو ماش اذ مر محاذ بالسلك الكهربي
فقال هـ ذا أسير طريق اني أجد له الحذاء وهو يوصله لابني فجاء الى عود السلك وعانق
فيه الحذاء وأسر الى العود بقوله أوصـ ل هذا الابن فلان في المكان الفـ لاني وذهب
مسرورا باطلاعه على مسلك سهل بلا مصروف ثم مر من غداة فقدما ففعل السلك بالحذاء
فوجد في ذلك المكان حذاء عتيقا فافسأه اللبس ففرح وقال ان ابني لعاقل حيث أرسل
لي الحذاء القديم لاستعين به على ثمن الجديد فانظر له سانه البلاهة التي لو صدرت من أحد
المشرقيين لشنعوا بجميع الجنس بانه وحشي بعيد عن المعارف وتهذيب الاخلاق واعلم
ان مثل ذلك الرجل كثير سيمافي القرى الصغيرة والجمال بل وفي أهل المدن كثير من
يعتقد بالحرفات الباطلة ويعتقد بالتأثير لا بحجج وجسادات ويتشائم بالاوقات فقد رأيت
في كثير من بلدانهم وبلدان الطليان وكذلك الانكليز طاقات في حيطان فيهما نارات
توقد لابلانزيت أو بالشمع العسلي تقربا الى بعض أوليائهم أو لجن معتقدين بحلول
المنقرب اليه بتلك الطاقة ولا ينورونها بغير ما ذكر من الانواع لان القسوس يقولون لهم
ان شمع الشحم أو الغار من الله يدع التي لا يتقرب بها وكذلك يطالبون بالبحث وقضاء
الحاجات من جسادات أو ما كن اعتقاد حلول ارواح فيها وقد ذكر من هذه النوع في
كشف الخبايا عن فنون أوروبا ما يتعجب منه المسامع مما ترى الاروبا وبين ومن تشكك
بشككهم وتباهي بتقليد هم يحملون عبثه على البلاء لاسلامية وحدها ويجعلونها
مضربة وينزهون أوروبا عن مآلها مع انها حواوية لشبهها ولا شدة منها بل رعا أسـ من ذلك
الجاهل أو المتجاهل الى ديانتنا الشريفة وحاشا لله ان تؤدي أو ترشد لمثل ذلك بل انها
هي المتهذبة والمنقذة من غياهب الجهل الى نور المعارف الحائنة على العلم وفتح البصائر وقد

أفردنا لهذا تأليفا خاصا واعلم اننا لا نقصد من ذكر ما مر من نسبة الجهل بالمعارف الدنياوية الى عموم الفرنساويين أو ترجيح كفة على كفة بل الحق ان الناس على ثلاثة طبقات فاهل الرفعة وأشرف القوم من ذوى البيوت العالية بالتوارث في الوظائف أو كثرة المال والترفع بأغلبهم مقتصرين على معرفة مبادئ العلوم ومحبين الى انفاذ الاغراض وزيادة علو الصيد والرعاع من أهالى الجبال والقرى والبرادى أغلبهم أيضا جهلاء ولا فـ كـرهم الا فيما ينفع كل فرد في خوصة نفسه والطبقة الوسطى هي مجال التمدن والمعارف والصنائع والتقدم وهم أيضا أصحاب الترجيح السيامى في فرنسا وهاته الطبقة هي المتقدمة بالنسبة لمشايخهم فبينما هم أريج ميزاننا وأهلها كثيرون بالنسبة لاهلها عندنا وبالذـ نسبة الى نفس أهاليهم أيضا فترى عدد أهل المعارف يزداد ويترقى يوما وأهل هاته الطبقة عندنا مشاكسون في الصفات لاهل الطبقتين الاخرتين كما ان أهل الطبقة العليا عندهم أوسع تبصرا ومعرفة منا عندنا (وأما بقية) عوائد الاهالى فهي على نحو من عوائد الطليانية في السلام والحياء والسمع والرمية والفرسية وغير ذلك وقد كانت فيهم تربية حسنة من التواضع بينهم ولين القول لكن منذر سخط الحكومة الجمهورية تظاهروا فيهم التهور شيئا حتى انى أدركت ذلك ما بين سنة ١٢٩٢ وسنة ١٢٩٥ فقد رأيت من اخلاق الطبقة السفلى من الناس كالكرازية والجمالين والسائين ما لم نعرفه منهم في السنة السابقة وقلت السائين مع انهم ينعون السؤال للفقراء لوجود أماكن المرحلة للعاجزين ومن يباح له السؤال تجعل له علامة تؤذن باباحته ولا يكون الاناقص عضوا وحاسمة وغيرهم يتحيلون على السؤال بعرف آله طرب أو اهداء باقة زهر أو نحو ذلك من غير الخاف في السؤال حتى اذا رأت الضابطية واحدا من الجماعة أو سجنته وفي السنة الثانية رأت تغاضى الضابطية عن ذلك وعن سوء معاملة الكرازية للركاب حتى يكون بعضهم سكرانا ويتركهم الكلام القاحش ولا يتعرض له أحد كما رأيت في هاته السنة عدة مواطن للتشاكس والتلاكم وبعضهم وقع فيه الضرب بالحد يدومات فيه المضروب وفي بعض الاوقات يركض الكرازي ركضا زائدا يمكن ان ينشأ منه الضرر بالمسيرة وكل هاته الاشياء ممنوعة ولم نر منه شيئا في المرة الاولى لكن الدعوى بزيادة الحرية التي تتبع الجمهورية أورنت ذلك الاهمال المفضى الى التهور والخروج عن الاعتدال كيف لا واحد احزاب الجمهورية يطلب المصير لمساوية الحيوانات الجحيم من الاشتراك وقد ذكرى انه كان وقع مثل ذلك الحزب

الحزب في إحدى مدن أروبا العظيمة وثار على الحكومة واقفهم منازل الناس وكان في تلك البـ لاد أحد الاغنياء المشهور بالثروة حاذقا فظنا فأخذ عدة كياس بالهبة الفضة وجاس عنه مدباب داره وكل ما مر عليه انسان أعطاه فرنكا فجاءه جمع من الثائرين فقال لهم انى منكم وقد حسبتم ما لى فاذا هو كذا كذا مليوننا وأهل الهبة مساوون الى هذا العدد فيصح لكل واحد فرنكا فكل من أتى أعطيته حصته ولا يسوغ ان أعطى لاحد مدمناب غيره فلم يسعهم الا الرضا وتخاص من نهب أمواله وتشتيتها ومن قتله يمه عن آلاف فرنك دفعها لاولئك الثائرين الى ان قهرتهم الحكومة واضعـ محل أمرهم ومن تفاخر الاهالى اتقان الاغنياء لا كراريس وبعضهم يجركوسـ ته أربعة أو ثمانية من الخيل بسائق واحد وبعضهم يكون هو السائق بنفسه وتجد بعض هاته الكرازيين تركب اثني عشر راكبا فاربعة داخلها مثل المعتاد وأربعة على سطحها على كراسى لازمة كل اثنين على كرسى مثل الاسفل غير ان ظهورهم لبعضهم واثنان على كرسى السائق واثنان على كرسى الخـ مدمة من وراءه وفي قعر الكروسة محمل لرفع ما خف من الماء كولي واللوازم فيركب صاحب الكروسة مع خواص عائلته وأحبابه وما يلزمهم لمتعة يوم ويذهبون لاحد الممتزحات خارج البـ لاد ومن عاداتهم أيضا انهم يتأقون في ظرافة اللبس والاثاث والبناء وتنظيمه وترتيبه وينشئون الممتزحات وأما كن الارتياح ليستترك في فائدتها الحقير والعظيم وان كان لكل جهة كالقهاوى فما كان منها الاعظم زاد في سعر ما يعطيه واثقن آتاه حتى لا يراحم الفقير الغنى لكثرة المصروف من غير تحجير حكى بحيث يصح ان يقال ان الملاذ والغزوة عند الفرنساويين ينال منها الحقير بحفظه وهي مشهورة بعرفها الوافد بادنى مهولة مع كثرتها وتنتهي الى قبول كل أحد

مطلب

في التجارة

(اعلم) ان تجارة فرنسا الهامة الرتبة الاولى في سائر أقسام المـ كونه ولهم براعة تامة في ادارة الاشغال وليكن الاصول في ذلك هي ما قررناه في ابطال الباغـ يرانها في فرنسا أقوى وأروج وتبديعها كثرة الثروة والغنى المفرط حتى صارت شركت تجارتهم لا يخلو عنها اقليم من العالم ونواجر يريدهم تخترق سائر البحور ودونك أغوذجا على ما لفرنسا من الغنى فان دولتها عادات المسـ كوكات الرابحة فيها سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م

فكانت كما ترى
فرنكات

صنف قطع فضة بخمسة فرنكات	٢١٠٩٤٧١٩٠
صنف قطع ذهباً الواحدة بعشرة فرنكات	٩٦٥٠٥١٢٩٠
صنف قطع ذهباً الواحدة بعشرين فرنكا	٦٩٦٤٠٨٠٣٦٠
صنف قطع ذهباً الواحدة بأربعين فرنكا	٣٦٠٤٢٢٤٢٠
صنف قطع ذهباً بخمسين فرنكا	٧٠٠٤٦٥٦٨٧٠٠
صنف قطع ذهباً بمائة فرنك	٤٠٠٤٤٣٤٦٤٠٠
صنف قطع فضة من نصف فرنك وفرنك الى الاربعة	١٩٠٣٦٧٤٧٧١٩٠
فرنكات وقطع نحاس لاتمام الكسور	

١٣٨٠٣٨٩٣٤٩٠

فذلك من عين السكة خاصة عدداً لاف الملايين من قطع الاوراق المعدودة عوضاً عن السكة من بنك الدولة وهاته الاوراق لها اعتباراً أحسن من السكة خلفه مؤنتها فتزيد في الصرف نصفاً في الالف وتروج في سائر الاقطار مرغوباً فيها لدى الصرافين وفي خصوص فرانسوا ويطالبوا وسفيسرا والمجيك يرغب فيها حتى غير الصرافين أما غيرها من الممالك فانها تعتبر برغم من عدم الصرافين فقط ويؤيد اعتبارها ما ذكرناه في غرامة حربهم مع المانيا وكذلك سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م طالبت دولة فرانسوا باستقراض ألف مليون فرنك فاحضر لها الصرافون وأرباب الاموال ما امكنته به عما تطلبه باخذها خمسة عشر فقط من كل مائة احضرت لها وأساس ذلك الغنى هو الامن الذي سوغ للاهلالي عقد الشركات باظهار أموالهم وترويجها والشركات هي الاساس الثاني مع حسن الادارة فاورث ذلك ما أشرنا اليه من أغودج الغنى وتبعه ثروة الدولة التي هي بيت مال الاهالي بعد ان كانت منذ مدة ليست بطويلة في غاية العسر والفقر من سوء ادارة حكومتها والحروب الاهلية والخارجية فذكر لي ان منذ نحو سبعين سنة كان لرجل منهم من اوراق دين دولتهم ما قدره عشرون مليوناً فرنكاً واحتاج ان يفطروا ولو ييضوا وخبرنا فلم يجدوا من يعامله ولو بالعشرين مليوناً التي معه مع ان دين الدولة الآن الذي يدفع فائدة خمسة في المائة تساوي المائة منه مائة وعشرين نقداً فانظر عجيب الفرق بين الحالتين في المدة القريبة وأحوال البريدي في أول درجة من الانتظام في هاته المملكة

برا

برا وبحرا ومواصله الطرق الحديدية والصناعية مع مجلات حمل الاثقال المختلفة الاشكال مع المتانة والحسن زادت التجارة وازدادت بحوث ان السلع وغيرها الاتحـمل الاعلى المجلات وفي المدن العظيمة لا تجرأ الا الخيل السليمة او البغال بقله وسفن البر يتصل الى أقصى ممالك المشرق والمغرب ومما يحسن ايراده عنونا عماعفـدهم من الغنى ان الحكومة المصرية مددة ولاية خديويها اسماعيل باشا باعت سهامها من خليج السويس لدولة انكلترا بمائة مليون فرنك كما ذكر في ذلك القيل والقال من جهة السياسة خوفاً من استيلاء انكلترا تيره على الخليج المذكور واهتزت لذلك فرانسوا زيدا مساواها فذكرت احدي صحفهم يوماً ان روجيه أحد الصرافين الكبار المشهور بالغنى قد أعطى لصهره اذ ذاك مائة مليون فرنك وخمسة وعشرين مليوناً مهوراً بنته ثم ذكرت على وجه التحس والدعاية بان المائع لو خطب هاته البنت لولد له وزوجها به لآخر مائة مليون لاحتاجته وزاد ربحاً خمسة وعشرين مليوناً مع بقاء السهام على ملكه وراحة العالم من التشويش والاضطراب

مطلب

﴿في الاحكام﴾

(الاحكام) في فرانسوا اصولها هي المذكورة في ايطاليا لان القانون الاصل في ذلك هو قانون نابليون الاول امبراطور الفرانسيس وانما بينهم بعض خلافات مبنية على اختلاف العوائد وادارة الاحكام منفردة عن الادارة السياسية ولا سلطة لها عليه بالمره ودونك مثلاً لذلك وهو ان رستان الذي كان قد سلا لفرانسوا وسعى في الانقلابات التي حدثت في تونس قد تكلم ضده وضد تصرف دولة فرانسوا كثير من رجالهم في المجامع العامة وكذلك تكلمت ضدهم مجلة صحف خبرية فرانسوية وغيرها واشد الصحف مضادة الى رستان وأعماله صحيفة لا تراسيحيان التي يطبع منها يومياً ١٥٠٠٣١ نسخة وصاحبها هو الرجل الشهير رشفور الفرانساوي وقدح في عرض رستان في المال والسياسة وصار لـ انكلترا مهزلة عظيمة حيث جعل استيلاء فرانسوا على تونس كان لفوائد خصوصية مالية لمن سعى في ذلك ولمن أعان وكان رستان أشد منهم فارد رستان تبرئة نفسه باقامة الدعوى على صاحب الصحيفة لدى مجلس المحكم وترافعوا وأدلى كل منهما بما توصل اليه من الحجج وكانت عدة رجال من الدولة الفرانساوية في الانتصار الى رستان حتى الوزراء السابقون

في الخار جية شهد واليه بانه منفذ لا وامرهم ولم يتحقق عندهم ما يدعي به عليه ومثلهم المنتصبون في الوزارة وحاولوا استطاعهم في نصرته لكن الحق بدا وغلب ولم يعمل مجلس الحكم لاهواه أحد ودو حكم على رستان وألزمه بأداء مصاريق التحاكم وبذلك صحت مقالات الصحيفة المشار اليها وخرج صاحبها صاذا قام مصورا وقد ترجمت جميع جلسات مجلس الحكم المشار اليه وأفردت بالطبع حتى باللسان العربي وبالاطلاع على ذلك الكتاب يتأيد جميع ما ذكرناه في الاحوال التونسية وأسباب انقلابها ويتأيد ما ذكرناه في السياسة الخارجية لفرانسا وفي السياسة الخارجية لتونس وما ذكرناه هنا من انفراد إدارة الاحكام عن إدارة السياسة سيما بعد ارجاع رستان المذكور لوظيفة في تونس بعد تلك المحاكمات مما يشهد لما قلناه في مباحث السياسة من أن سياستهم الخارجية ليست هي كانصافهم فيما بينهم في داخليةهم وهو مما يحقق أن الرجال المنتخبين للاحكام انما يكونون من أعف الموجودين وأنصفهم لا يتيل بهم الاهواء عن الاستقامة غير ان هذا هو الاغلب لا سيما في المدن العظيمة وفي المجالس الانتهاية (وأما) غيرهم فالارتشاء بينهم فاحش يكاد أن يكون مثل ما يصفونهم به بحكام المشرق وطريقة الوصول اليه عندهم أيسر بحالهم من اباحة خلطة النساء فالعطى للرشا يجعل الوسائل للتوصل الى احدى النسوة ذات النفوذ لدى الحاكم ويرشها فبأنه قصده بنفوذها بسبب قرابة أو واداد أو غير ذلك لدى الحاكم ورعا أو وصلت اليه حصنة من الرشا وعلى تقدير الاكتفاء بما أخذته هي فهو أيضا رشال للحاكم حيث مال بالحكم للجهة التي انتفعت منها من يريد نفعها وبهاته الوسيلة تكون خصلة الرشا عندهم مستورة نوعا ما لان ظهورها يوجب العقاب الشديد بالقوانين مع عدم وجود الشفاعة عندهم ومع ذلك يوجد في هؤلاء أيضا كثير متعفين وقد حضرت يوما في مجلس الحكم لروية هيئة الاحكام والحكام في باريس فاذا هو بيت كبير مستطيل له باب يدخل منه المتفرجون وباب للموظفين وباب للخصوم وفي صدره مسطبة عالية عليها ثلاث كراسي وأمامها مائدة مستطيلة عليها بكل كرسي دواة وأقلام وورق وعن يمين تلك الكراسي كرسي طويل يجلس عليه أزيد من عشرين شخصا وعن شمالها باب وأمامها في فحوص البيت درابزين حائلة بين المتفرجين والخصوم وللانفرجين كراسي يجلسون عليها بقرب الكراسي التي في الصدر كراسي سفلية أحدها الرئيس الكتاب والناسي لو كبل الحق العمومي الذي رتبته رتبة محتسب عام على الحقوق وله اعتبار كاعتبار رئيس المجلس وبعد هنيئة من دخول المتفرجين خرج من الباب

الباب الذي على الشمال رئيس المجلس ومعه عضوان كل منهم لباس جبة طويلة بأحكام واسعة جرا وعلى أكتافه منديل مقصب بالذهب وعلى رأسه شعرا بيض عارية له ذنب معقود على قدلم فوقف لهم المحاضرون وأومأ الرئيس بالسلام لهم ثم جلس الرئيس على الكرسي الوسط والعضوان عن يمينه وشماله وجلس كل من وكيل الحقوق والكتاب على مرتبة واحدة وكل منهم أم أيضا زى خاص يشبه زى الرئيس والاعضاء ثم دخل وكلاء الخصام الذين لهم ذلك الوقت دعوى واحدة كل منهم مثل ذلك الزى ثم دخل من باب خاص جمع من الناس باللباس المعتاد وجلسوا على ذلك الكرسي الطويل وهم الجورى فتم كلام الرئيس بالسؤال عن حضور وشاهد فأحضر واقفا خلف أمامهم ثم أدى شهادته وبعد سكوتة تسار الرئيس والاعضاء ثم خاطبه الرئيس لائتمان عن عدم حضوره في اليوم المعين له وعلمه بالبحسب عليه من العقاب عن ذلك فاعتذر بالوحدة فأعلمه بلزوم الحكم فيه فوقف وكيله وقال ان الشاهد مسكنه في المحل الغلاني وهو غريب وفقير عاجز عن اكرام من يستعين به فوجه الرئيس القول للشاهد مشددا بلزوم الحكم عن مخالفة القانون ثم سار العضو الذي عن يمينه ثم الذي عن شماله ثم أمر الشاهد بالانصراف وانه ان عاد لما أجازى عليه الحكم وانصرف ثم قام الرئيس والاعضاء ودخلوا من ذلك الباب الخاص ولحق بهم وكيل الحق العام وبعد نحو ربع ساعة خرجوا وأحضروا المحكوم عليه مع أحد أعوان الحاكم وقرأ الرئيس ورقة صغيرة بالحكم على الجاني ثم التفت الى الجماعة الجالسين عن يمينه وهم الجورى وسألهم عما ظهر لهم فوافقوه وانصرفوا جميعا وخرج المتفرجون اذ لم يكن ذلك اليوم الا تلك النازلة وقد أفهمني وكيل الحق العام أن الحكم كان مهيا من قبل لتمام النصاب بدون ذلك الشاهد غير أنه لما حضر تم شهادته والمحكوم عليه جاني بتزوير السكة وكان جميع من حضر سكتوا بغاية التوقير للمجلس وذلك الشعر الذي يضعونه عارية على رؤسهم الاصل فيه ان الملك لويس الرابع عشر كان ردى الشعر فاختذله عارية وكان اذذاك شيخا فافتدت به أمائل البلاد وسرت منهم الى غيرهم من الامم وان قل استعماله الا ان الافى المو اكب الحافلة والقضاة ومن أهم ما يد كرفى أحوال الادارة المحكمة تنبيه الضابطية وهم الحارسون للبلادان وشدة تنقيهم ومراقبةهم حتى يتم كمنوا بسهولة على الجناة ومعها تلك المراقبة والاحتراس الشديد يقع الاحتيال البليغ من الجناة لكي يتوصلوا الى غاياتهم وكتبوا ما يبلغون اليه اليك منهم أيضا كثيرا ما تكتشف أمرهم الضابطية وتنم كن منهم فقد ذكر ان

أحد الصبارفة الكبار في باريس كان جالسا يوم في محله واذا برئيس ضابطية باريس قد جاءه فأكرمه فقدمه ورحب به فآخذه برأسه الرئيس انه محتاج للمبلغ وافهم من المال لبعض المصالح غير انه لا يريد افشاء ذلك ولهذا أتاه بنفسه ليعرضه لمدة قصيرة ايها الضرورة المصلحة عاجلا مع رجوعها المتعاقبات وظيفته فافرضه ذلك المبلغ على نحو القواعد الجارية عندهم وكتب له خط يده فيه وانصرف فمضى الاجل ولم يأت المال اصاحبه فبعده ثالث يوم ذهب الصيرفي بنفسه الى رئيس الضابطية ودخل عليه وبعد السلام انظره الرئيس فيما يقول لانه من العادات المتأددة عندهم ان الزائر لا يؤخر الكلام في مقصد زيارته ولا يخوض في الفضول سيما اصحاب الوظائف لان الزمان مقسم كما انه لا يدخل عليهم اثنان معا ليس بينهما علاقة في نازلة واحدة لكن الصيرفي اعتمد على علم الرئيس فيما هو مطلوب فيه ولم يذكر له شيئا فلما مضت بعض دقائق سأله الرئيس ما هي حاجتك فنحجب الصيرفي وقال انها ذلك المال الذي أتيت اليه بنفسك ولذا لم أرسلك غيري فاستغرب الرئيس في سره وتلطف في السؤال بقوله ذكرني النازلة لانه علم ان الصيرفي من كبار الاغنياء المعتمدين ولا يقول كلاما مثل ذلك افتراء ويعلم من نفسه انه لم يذهب اليه فعلم انه لا بد لالامر من واقعة فبين له الصيرفي ما وقع منه الى ان قال له وكتبت خط يدك ففكر مليا وطاب منه التمهل بعض ايام اخر من غير كشف للسر الى ان يقع الخلاف فخرج الصيرفي ايضا فذكر فيه اراى من الرئيس وفي نفس الجواب لان ذلك مخالف لعادة الاقرضات ثم ان الرئيس اعمل فكره بان النازلة لا بد انها وقعت فيها احتيال على الرجل من انسان مشابه للرئيس ثم دعا ضابط مركز الضابطية الذي يقرب دار الصيرفي وسأله هل رأيتني منذ كذا يوما قدمت الى ناحيةكم فقال نعم فقال في أي وقت فبين له الوقت وهيئة الركوب بانها على الوجه الرسمي من الابهة والملابس والجملة فازداد تحققا لارتكاب الجملة ثم سأله والى اين ذهبت فاجابه بانه ذهب لدار الصيرفي الفلاني وبقى عنده حصرة كذا ثم خرج من عنده متوجها الى الجهة الفلانية فدعا الرئيس ضابط الجهة التي عندها الضابط الاول واخبره بمثل ذلك وانه ذهب الى جهة كذا فدعا ضابطها ايضا وهكذا اتبع الحال الى ان أخبره الاخير بانك دخلت الدار الفلاني ثم رجعت الجملة خافية وبقيت أنت هناك ولم تخرج باللباس الرسمي فدعا بدفتر من سكن تلك الدار لان كل محل سكن فيه انسان لا بد وان يقيده اسم عند صاحب الباب أو عند صاحب منزل المسافرين وأحضرت الناس الذي سكنه وفي الوقت المعين في تلك الدار فوجد بينهم رجلا

يشبه الرئيس في الذات والوجه فدعا منه فردا وقال له أين المال الذي أخذه باسمي وان لم تظهره بطيب نفس أظهرته منك عن غير ارادتك كما أظهرتك أنت فلم يسمع الا قراره ورجع الرئيس المال الى صاحبه معلما له بانه لم يسمع مقرض منه وانه احتيل عليه في ذلك ولهم من امثال هاته الاحتمالات في السرقات أمور كثيرة وساعدتهم على ذلك تيسر احضار الوسائل من لا ما عرف في كون السارق تيسر له ليس مثل ليس رئيس الضابطية ووجد ايضا عجلة ذات ابهة وخدمة مثل عجلة الرئيس الى غير ذلك لان تلك الامور موجودة بسهولة كراء وشراء ولا يمنع من استعمالها الا ما كان منها من مشاركات الحكومة الحماية أو غيرها فانه اذا كشف على المزور يعاقب ومع شدة الاحتراس والضبط على نحو ما ذكرناه فانك لا تكاد تجد رجلا بل وكثير من النساء يخرج بدون حمل سلاح صغير خفي كالحديد في وسط عصا الاتيكاء كالطباخية ذات الطلقات المتعددة موزوعة في الجيب الى غير ذلك وهذا جارح في نفس باريس وقد كنت مارا ليلة في عجلة مع احد الوجوه ومع زوجه ذاهبين لدعوة عند فردينا فلما بس فاشح خلع السوييس فسألتني المرأة عن نوع السلاح الذي معي فاجبتها تهجها بانى ليس معي سلاح وما الحاجة اليه وانافى وسط باريس فقالت هي وزوجها لا بد من حمل شيء فان الوقائع في باريس تحمى الافكار ولذلك لا يخلو أسبوع بل وأقل منه بدون وجود مقنة ولين سيماني نهر السين فانهم يجردون في الشباك الموضوع في أسفل النهر خارج باريس كثير من جنث المقتولين اما يقتل غيرهم أو يقتل أنفسهم وذلك لان كثير من الاهالي من يقتل نفسه لتسخط من أمر دينوي غير ان هذا الخوف في باريس لا يقع في الطرق الشبهيرة كالشائزى لزي والبلغار لكثرة المارة بها ومن عوائد حكمهم اغضاء النظر عن الزنى بحيث ان المومسات يتبرجن جهرة بلا معارض ولهن ديار تجمع اعددا وافرة وديار لبناء الزنى الذين تاقمهم امهاتهم واكثر التجاهر به في باريس وورثك شاهد اعلى تعا حشه فقد حرر عدد النفوس سنة ١٢٩٧ هـ ١٨٨٠ م فكان المتزايد في سائر فرانسا ٩٢٠١١٧ مولودا منهم ابنا وزنا ٦٨٢٢٠ مولودا

مطلب

في المعارف

(اعلم) أن المعارف الدنيوية في فرانسا قد تنهت لاعلى درجة من الاتقان والاجتهاد

ومائة قدم في أحوال باريس وما فيها من المكتبات والكتب وجميعات الفنون والحث عليها كاف في بيان ارتقاء تلك الفنون في فرنسا حتى أقر لها بذلك سائر الأمم في أوروبا وصاروا عابداً عليها في كثير من الفنون ومن ذلك فن الطب ومقدماته فان المعالجة بالمعادن بمجرد اللس التي ذكرنا طرفاً منها في الباب الأول عند ذكر معالجة مرضى كان اطاع عليها أحد الأطباء الكيمياء وبين من النساء والكنه لم تقبل منه حتى قدم الى باريس واطاع عليها الحكيم شاركو وبعد مدته لها واعطائه الشهادة والاجازة فيها اشتهر أمرها وتعاطتها الأطباء في سائر الاقطار ومن أسباب الترقى في المعارف عموم صناعة الطب وقد تقدم فيها الفرنسيون الى الذروة القصوى وعندهم من الصحف الخيرية السياسية فقط مما يطبع في مدينة باريس وحدها يومياً ستة وخمسون صحيفة يخرج من مجموعها يومياً ١١٠ ١٩٤٣ نسخة وهي منقسمة الى أخواب السياسة فن صحيفة واحدة تسمى لبتى جرنال يطبع يومياً ٨٣ ٨٢٠ نسخة وماعداه اقل كل على قدر رواجه ولا تكاد تجد سائق كروسة أو عجلة حمل بدون ان تكون عند صحيفة يومية يقرأها وقد أطنب الاطناب الحسن في بيان تقسيم العلوم وترتيب اقراءها وفادتها العلامة رفاعة بك رحمه الله ونجح في أراد الوقوف على التفصيل فعليه بمرجعة رحلة المذكور الى أوروبا والحاصل ان الفرنسيين يحصلون على الدرجة العليا في المعارف الدنياوية ولهم اعتناء بسائر الفنون فيترجون الى انهم كل كتاب في فن غير معروف أو غريب ويدرسون اللغات الاجنبية واللغات القديمة التي لم يبق من يعرفها أو توصلوا الى معرفة خطوطها بوسائل جيدة ليكن مما ينبغي في علمه أن مدرسيهم في الفنون التي يقصرون فيها يستعرضون قصورهم بعلمهم براءة فيه فترى مدرس العربيته مثلاً يخرج ياد في مناسبة لفظية الى علم الجغرافية ثم الى علم الاقتصاد السياسي ثم التاريخ ثم الهندسة ثم الكيمياء ثم واثم الى أن ينقضي الزمان من غير ان يفيد حقيقة المقصود من بلاغة بيت شعراً ومثل مما هو موضوع البحث وتخرج تلامذته مجتهدين من براءة شيخهم وانه علامة العربية مع انه لا يعرف مزية تقديم المسند أو المسند اليه بل معادات الضمائر لا يحسنها فضع الاعراب وذلك يوجب الجهل باصل الفن والغلط من العموم بظن تحصيلهم حقيقة اللغة العربية وقل جداً من يحسنها مع أن فيهم المتفانين بعلم الترجمة بل والمدعين بالتأليف فيها ثم ان التعامل لهم كاتبة على طبقات ابتدائية ووسطى وانتهائية وعلمها بالطبقة (الاولى) لا تكاد تجد دقيرة خالية عنها والثانية والثالثة انما توجد في المدن

الكبيرة كرسيليا (وأما الرابعة) فلا توجد الا في باريس واليه تؤول التلامذة بعد استكمال معارفهم على ان المثرين يؤثرون التعليم من البداية في باريس بل ولا يختص هذا باهل فرنسا فان الكثيرين مما لك المشرق وبعض غيرهم يرسلون ابناءهم لتعلمها وفضلاً عن الفخر بالعلم يفخر بالتعلم بها وهي جديرة بذلك لولا طيش في اخلاق غالب المتعلمين بها من الغرباء سيما المسلمين فانهم يحدث لهم فساد في اخلاقهم لخروجهم عن الطور والادب الداعي له العرض والدين وكان سبب ذلك رؤيتهم بها كثرة الخلاء والاطلاق والنفوس مائلة الى الخبائث نسأل الله التوفيق ومن أسباب ترقى المعارف كثرة الكتب وسهولة التوصل اليها في فرنسا ٥٠٠ مكتبة تحتوى على ٥٩٨٠٠٠ كتاباً من الكتب المطبوعة و ١٣٥٠٠٠ من كتب الخط ومكتبة الامة في باريس هي اكبر الجميع ففيها ٣٠٧٨٠٠٠ مجلداً

مطلب

في الصنائع

(الصنائع) في فرنسا مضاهية لما فيها من المعارف والفلاحة فمما تقدمت للغة علمها وعملاً بحيث ان لها مدارس عديدة تؤول اليها التلامذة من الآفاق لاخذ علومها بالتدريس والمشاهدة وكل مدرسة تحوى من آلات العمل وآلات العلوم آلية للفلاحة كالطبيعية جميع ما يحتاج اليه وهكذا سائر الصنائع بحيث أن مصنوعاتهم متقنة طريفة للغاية يرغب فيها في سائر الاقطار نظراً لظرفها وتحسينها ورونقها وان كانت بعض الاقطار أم من صناعة وفرنسا جامعة لكل الصنائع المعروفة في العالم حتى الخزف الصيني والمنسوجات الكشميرية يقلد عليها في فرنسا ويؤتى بالمصنوع مشابهاً للاصل وقد برعوا في الآلات بأنواعها سيما الكهربية وقد خصوا لها معرضاً سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م لامتحان ما أثمرت من الفوائد وقد رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م آلات غريبة كهربية مثالية يمكن بها رؤية ما في داخل المعدة بان تؤخذ قناة جيدة من الصطريك وطرفها زجاج وتدخل في الحاق الى ان تصل للمعدة ويجعل في أعلى الحلق مقابل المعدة مرة صغيرة ومقابلها على اللسان مثلاً ثم يدخل في القناة سلك معدني لين الى ان يصل الى الزجاج الذي في المعدة ثم يوصل بالسلك من خارج أسلاك الكهربية المضيفة فيبضي السلك في المعدة من غير احراق ويرتد خيال المعدة بما فيها في المرأة

العلماء يرسم مثله منها في الرأية التي على اللسان وينظر الطبيب بالمرآة المكبرة ما يريد
وعمل ذلك ينظر في الرحم وداخل الاذن والحنق ورأيتهم بصدد تجربة جوالا فقال
بالكهر باوروني آلة صغيرة تغلب قوة الانسان الجهد اذا كان قابضاً يديه فتفتحهما
والعكس بأسرع وقت فلا يبعدان تطال تلك الآلة على طريق مناسب وينقل بها
الاشياء من مكان الى آخر وان بعد ما مع تدبير في فظ الجسم من خرق الهواء في السرعة المحركة
وقد رأيت سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م سيررتل صغيرة للتجربة بالكهر رباع على وجه آخر كما
ذكرنا في احوال ايطاليا ورأيت في باريس أيضاً مساسك مصورة باشكال حيوانات
تتحرك أعضاؤها وعضونها بالكهر باع صغير جرمها حتى يوضع المساسك من الذهب في
رأس المرأة والآلة الكهر بائية تخفي في الشعر ويرى الحيوان تتحرك كما ومنه صورة فراش
بالوانه البديعة من أحجار الزمرد والياقوت الاحمر والايض وغير ذلك من الاحجار الكريمة
المطابقة لالوان أجنحة الفراش وهو يخفق بأجنحته الاربع فوق الرأس بالكهر با وهو
غريب بديع جداً

م طلب

في هيئة المساكن والطرق

قد تقدم في ايطاليا الهيئة العامة في المساكن وهما تلك الهيئة بنفسها هي التي عليها
الاهل في فرنسا غير أن باريس وحدها تنبذ وتقاها احتوت عليه من كثرة الطرق
المتسعة جداً وبكثرة التنظيم والتنوير في الليل كما انها تختص بان بعض طرقها
مستعوض عن تمليطه أو تحصينه بطاينه بنوع صمغ يسمى اسفالت بحيث يكون
بعد الجفاف رخوفاً ذمرت عليه الجملات لا تسمع لها الاهمسا وتسمع قرع حوافر الخيل
على الارض كالتصفيق المعطوط مع مزيد الهدول للركاب حتى كأن الجمل لا تتحرك فذلك
الطرق مروحة جداً غير انها لم تنجح لانها في الصيف تغش منها رائحة كريهة ولا نهاني
الطرق الكثيرة المرور تعطب فيها الجملات المارة بسبب عدم سماع حركتها واما كان
الغفلة من الجملية هذا (وأما) عموم البلاد القرى فان لكل منها محاسن بالبادية
التحسين والتنوير في الليل بالبخار الغازي أو زيت النفط وهو قابل للاستعمال أو
بالكهر با وهي أيضاً لم يزل التنوير بها قليلاً ولا يمكن لا تجديرة غير منورة الطرق
أو غيرها من نوعها على حسب اقتدار الاهالي فضلا عن المدن والامصار وكل طريق يسمى
باسم

باسم مكتوب على مبدئه وعلى كل باب عدد خاص ثم ان طريق الحديد يوجد منها كثير
حتى صارت فرنسا مربعة جميع الاطراف والواسط ببعضها وعلى حافتي الطريق
أخشاب شاخصة مربوط بها اسلاك حديدية علامة على حرم الطريق لكي لا يجتازها
الناس ولا حيواناتهم ولا زالوا مجتهدين في تكثيرها الطرق الحديدية ثم ان مساكن
الجهات الشمالية أحكم استعداداً للبرد من الجهات الجنوبية وان كان لها أيضاً نصيب
وأفر منها بحيث لا تجديبة في الجميع بدون موقد اما للطب أو للفحم المعدني أو البخار
الغازي بل وبعضهم يطبخون بهذا البخار وقد مران في باريس اخترعوا التدفئة للديار من
مركز عام في البلد ثم ان سائر الديار لا يملط منها بالرغام أو غيره من الاحجار الا الدرج
والمحازات الخارجية (وأما) بقية البيوت والمقاصير فانها مبطنة بالخشب المتين وتحسب فيه
وزن حافته تسع لحالة الدار وكل الطواق التي هي مثل الابواب في الارتفاع والانتها
الى الارض لها ابواب من خشب منجور ولها ابواب فحوتها الاسفل خشب وثلاثها
العلويين ذوي أطباق من الزجاج وأكثرت الطواق لها مع ذلك أيضاً ابواب من أضلاع
الخشب المنجور مقصبة يتحرك تقصيدها وكل تلك الابواب ذودفتين يفتحان بيمين أو شمالاً
(وأما المحامات) فهي عبارة عن ديار ذات محازات طويلة بها عدة مقاصير صغيرة
كل منها يحتوي على حوض من معدن أو حجر له منفذ من أسفل يخرج منه الماء الوسخ
وله أنبوب للماء الحار والبارد وتحتوي على كرمي ومسطبة ومراة ومشط وأرضها
مفروشة بزراعي والاغتسال اغما هو في الحوض وكل الاهالي يعتنى بتنظيم مفروشات بيته
على قدر سعته والاغنياء لهم ترف زائد في الاثاث والتحف وفي المدن الكبيرة يقيمون
اسواقاً في يوم خاص من كل اسبوع في الحارات المتطرفة وحوايته من خشب أو كتان
تنصب في الطرق الواسعة وترفع في يومها يباع بها أنواع الاكل من لحم وبقول وفواكه
وبعض تحف وثياب يشترى منها أهل تلك الحارات كما يتهم للأسبوع

م طلب

في اللبس

اللبس في فرنسا وفي ايطاليا مساواة عند الرجال والنساء وكذلك اللبس الرسمي والعسكري
الابعض شارات والوان في الملبوسات تختلف بينهم (أما أصل) الهيئة فواحدة وحيث
كانت الرفاهية في فرنسا وبين أزيد فتجد نساءهم أكثر تبديلاً في اللون واللباس وشكاه

ورفعته على الجبل كما انهم ازيد ايضا في وضع دقيق ابيض وأدهان أخرى على وجوههم
قصدا للترين وان كان ذلك يورث فسادا في البشرة وأكثر ذلك العمل في نساء باريس
وتراهن يتفاخرن بالتحول واصفرار اللون لانه كثيرا ما يحدث من كثرة السهر أو العشق
وكلاهما مدوح عندهم لان السهر ينشأ من اجتماع الاحبة والاجتماع يستمدح
المصاريف فهو علامة على الغنى بالوسائط كما ان من علامة الكبرياء ان تكون خدمة
البيتونات في المحافل يذرون على رؤسهم غبارا ابيض والاصل فيه ان بعض المغنيين كانوا
يغنون في موسم صان جرمان بخارج باريس وهم قارع فيضوار رؤسهم ليضحكوا الناس
فقد رجحت العادة شيئا فشيئا الى ان فشت سنة ١٦١٤ ثم في سنة ١٧٩٥ جعلت عليه
ضريبة للدولة واستمرت الى الآن

م طلب

في الاكل

هيئة الاكل في فرنسا هي الموجودة في ايطاليا على السواء وكذلك المأكولات
سواء غيران طعام الفرنسيين أكثر أشكالا وألذ طعما لجمعهم الابزرة في الطبخ أحسن
من الطليان ولذلك تجد طعامهم رائحة لذينة مثل رائحة طعام العرب (وفي المدن)
توجد انواع الخبز على مراتب شتى ولهم نوع يؤكل صبا حامع اللبن والزبدة جيد جدا صنعة
وصفاء وطبخا وفي خصوص باريس جميع انواع الاطعمة المتداولة بين الامم الشهيرة وان
كانت بأثمان غالية فقد أخبرني فيها بوجودة مطبخ خاص بالطبخة الترك والعرب وأوتيت
منه بسخن كبير ملوا كسكسوا اللحم الدجاج وصحن آخر بالبامية المعروفة في تونس
بالقناوية وثمنها مع أجرة الحمل اثنان وأربعون فرنسا وكاوهما يكفيان لشبع ستة أنفس
طبخهم الذي على نحو الاصل كما انك تجد فيه جميع الغلال من جميع الاقطار لا يوقت
كان بل قد أتوا بعشوش نوع من الخطاف في الهند والصين يصنع عشه بنبات بحري
ويطبخونه ويأكلونه أعني ذات العش بما احتوى عليه من زرق افراخ الخطاف
ويستلذونه ويعدونه وأغرب من ذلك انهم يأكلون الضفادع ويستهلكونها ايضا بحيث
يصح ان يقال انهم يأكلون كل ما يؤكل ولا يكون قتالا أو مضرا عاجلا غير ان الاكل العام
هو الدقيق من القمح ولحم البقر والفقرا لحم الخيل ايضا والضأن أقل استعمالا من البقر
وفي القرى وشبهها يأكلون الشعير والذرة والبطاطس والفقرا أكثر استعمالا للخنزير

من الأغنياء والاكل في القرى والبلاد الصغيرة أسلم من المدن والامصار من الغش بالمخاط
للأشياء المضرة كالقهوة مثلا لا تسكاد تجد قهوة في باريس مطبوخة غير مخلوطة
بالسريس وهو نوع من البقول ثم ان أهل المدن لا يصنعون الخبز في بيوتهم ولا يدخرون
الاقوات وكل شيء يشتري من السوق يوميا الا قليلا من السكر ونحوه ويشتري أسبوعيا
أو شهر يا واللحم المشوية أو المقلاة يجعلون في نوع منها قطعة صغرى بيرة من شحم الخنزير
بحيث يشاهد عيانا كالمسامير في اللحم وبعض الطيور يشوونها ويجعلون عليها انخورداه من
الشحم المذكور كما يجعلونه أحيانا في بعض أنواع المرق في ألوان الطعام الذي يكون مع
اللحم شيء من المرق وكيفية الذكاة في أورو باعومما حسبما علمت ان البقر بعد ان يربط
من قرونيه يمينها وشمالها ومن أرجله أيضا حتى لا يستطيع الحراك وهو واقف يضرب على
جنبه ببطرقة عظيمة من الخمد يد ضربا أو اثنين حتى يغشى عليه فيذبح ويجمع دمه
ليعمل منه نوع من الاكل في المصارين وبعضهم يكتفي بالقتل بالضرب على الرأس
لكنه نادر وقد أبطل في ايطاليا منذ سنة ١٢٩٨ والزم الحكم بالذبح بحيث لا يباع
غير المذبوح (وأما الغنم) وشبهها فتذبح بآلة يد (وأما الطيور) فلا وزود جاج
الهند وأشبابها هو طير العنق فيذبح ذبحا (وأما الدجاج) فيجذب عنقه
الى ان ينقطع النخاع فيموت ويختصر الدم نحو الدماغ فينجمد ويؤكل على حدة (وأما
الحمام) فلا كثر ذبحه وتارة يخنق وتارة يكسر ظهره مع قطع النخاع فيموت واذ اتقرر
هذا فلنذكر حكم طعامهم شرعا فطعامهم اما ان يكون من الخنزير ومثله الحيوانات
الحرمة عندنا كالسباع واما ان يكون من الحيوانات المذكاة أي التي هي حلال عندنا
وانما يتوقف أكلها على التذكية واما ان يكون من غير ذلك من المأكولات كالنباتات
والمعادن والسمك وكل منها اما ان يتخذ لإعادة كسائر المساكين كل المعقاة أو يتخذ لعبادة
كالمتخذ لخصوص أعياد أو يتخذ لخصوص هدية لمسلم فهذه تسع صور حاصلة من ضرب
ثلاث في ثلاث وكل منها اما ان يكون محققا العيب أو مشكوكا فيه فتنصير ثماني عشرة
صورة وها أنا ذا ذكرها اجمالا مع أحكامها ثم نورد أدلة الحكم

٤ مشكوك فيه لعادة مكروه ١ هـ	٣ هو هدية محقة حرام ٣ مـ	٢ هو عبادة محقة حرام ٢ مـ	١ الخنزير وشبهه محقة العادة حرام ١ مـ
٨ هي محقة لهدية مباحة ٣ هـ	٧ المأكولات غير المذكورة للعادة مباحة ٢ حـ	٦ مشكوك فيه لعادة مباح ١ حـ	٥ مشكوك فيه لهدية مكروه ٢ هـ
١٢ هي مشكوك فيها العادة مكروهة ٤ هـ	١١ هي مشكوك فيها الهدية مباحة ٥ حـ	١٠ هي مشكوك فيها العادة مباحة ٤ حـ	٩ هي محقة لعادة مكروهة ٣ هـ
١٦ هي مشكوك للعادة مباحة ٧ حـ	١٥ هي محقة لهدية مكروهة ٦ هـ	١٤ هي محقة لعادة مكروهة ٥ هـ	١٣ اللحوم المذكورة محقة للعادة مباحة ٦ حـ
١ م	١٨ هي مشكوك لهدية مكروهة ٨ هـ	١٧ هي مشكوك لعادة مكروهة ٧ هـ	١ م

فأما الدليل على تحريم المسائل الثلاثة الأولى فهو واضح لحرمته تلك الأعيان بالنص ولا حاجة إلى بسطه لمعلوميته للجميع ولما كانت أحكام الشرع كلها مناطة بحكمة في ادراكها قلنا أنه معقول وما لا قلنا أنه تعبدى مع العلم بأنه فيه مصلحة لمآلته نزه الباري تعالى عن الاحتياج وانما قصور عقولنا أو جبر عدم الادراك ومهما اجتهدنا ودققنا النظر الا زدنا حيرة وبصيرة بحكم الشرع فمن ذلك القبيل ما اكتشف بالنظارات المكبرة والتحليلات الكيميائية من أن لحم الخنزير حيوانات مضرّة قورث أمراضا مفضلة جدا وتلك الحيوانات مخرجة في لحمه لا تموت بالطبخ ولا بغيره فاذا أكل لحم الخنزير سرت تلك الحيوانات في دم آكله وأضرته وأهالى أوروبا اكتشفوا ذلك واحتج كثير منهم عن آكله (فحمده الله) على شرعنا القويم ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وأما دليل) مسائل الكراهة الثمانية وهى ٤ و ٥ و ٩ و ١٢ و ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٨ فاصل الحلية أما بصل الاباحة في غير المذكي أو باباحة طعامهم في المذكي على ما سيأتى وانما أتت الكراهة من حيث الاشعار بالتعظيم لشعائر الكفر في المتخذ للاعياد وكلما أشعر بذلك مكروه (أما) اذا قصد التعظيم فمقتضى الحكم إلى الكفر والعياد بالله والمشكوك داخل في ذلك كما سنوضحه والكراهة في المذكي المتخذ للهدية جاءت من الخلاف في حليتها حيث قال بعض العلماء ان النص دال على حلية طعامهم وما يتخذ للهدية لمسلم ليس بطعام لاهل الكتاب فلا يشمله النص وهذا القول وان لم يكن هو المعتمد عند غالب العلماء لكن مراعاته توجب كراهة التنزيه على ان لقائل ان يقول ان كل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة التي أهدتها لهم يهودية دليل على الاباحة وشمول النص للهدية فمقتضى الكراهة وهو مقتضى الطلاق النصوص الفقهية عندنا كما يأتى (وأما دليل) الاباحة للمسائل السبعة وهى ٦ و ٧ و ٨ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٦ فاما كان منها من غير ما يذكي فهو مباح بصل الاباحة التامة لان كل ما لا تذكيه لا يتوقف على شيء مبيح سواء عدم المضرة والطهارة فهو من المسلم وغيره على السواء والاصل الطهارة حتى يتحقق النجاسة والشك في كونه لا يتحررون من النجاسة غير عامل كما صرح به شيخ الاسلام بريم الرابع في جواب سؤال عن جواز التيمم في بلاد الحرب للشك في مياههم وأوانيهم من حيث عدم اتقاء النجاسة فقال بعد ذكر حكم التيمم وهذا كله مبنى على نجاسة مياه أو أواني القوم وأنى انما يذكيه مجرد احتمال عدم التوقى غير مفض

الى الجرم بالنجاسة بل لابد من تحققها أو غلبة الطن بها ومن ثم جاز تناول طعام أهل الكتاب واستعمال أوانيهم ولبس الثياب المجلوبة من بلاد الكفر بل المشتراة منهم بعد لبسهم لها كل ذلك على الأصل الذي هو الطهارة حتى يثبت ضدتها الخ وفي حواشي الدرر السيد ابن عابدين (رضي الله عنه) من كتاب الذبايح مانصه أقول وفي بلاد الدرور كثير من النصاري فاذبحي بالقريشة أو الجبن من بلادهم لا يحكم بعدم الحل ما لم يعلم أنها معمولة بأنفة ذبيحة درزي والافقد تعمل بغير أنفة وقد يذبح الذبيحة نصرا في تأمل الخ والأصل في هذا ما صرح به في قواعد الاشباه من قاعدة اليقين لا يزول بالشك والانيقن في أصل الاشياء الطهارة فلا تزول بالشك في المطعومات التي ليست بمحل للتذكية ويوافقنا على ذلك مذهب مالك رضي الله عنه فقد نقل عنه أنه سئل عن الجبن الذي يؤتى به من بلاد الروم وقد قيل انه يعمل بأنفة الخنازير فقال أما أنا فلا أحرّم حلالا (وأما) ان كرهه الانسان في نفسه فلا أرى بذلك بأسا فأنت ترى تصريحه بالحلية وتبريه من التحريم وانما جعل اجتنابه من الورع وهذا في المذكي فبالك بغيره ولا يرد على هذا قاعدة اذا اختلط الحرام والحلال غلب الحرام المحلال المذكي كورة في الاشتباه لان ذلك فيما اذا تبين وجود الحرام كاختلاط اشياء نجسة بأخرى طاهرة وكل منهما محقق الوجود غير أنه ليس معلوما بعينه واستويا أو كان النجس أكثر فانه تغلب الحرمة للجميع أما اذا كان الطاهر أكثر فيتحري ويستهمل ما غلب على الظن طهره (وأما) مسئلتنا فان موضوعها كون الذات المعينة التي أصلها الطهارة وقع الشك فيها هل طرأت عليها نجاسة أم لا (وأما ما كان) من مسائل الاباحة مما لا يحل أكله الا بالتذكية (قال الدليل) على الحلية فيه ما ذكر في الدرر في كتاب الذبايح حيث قال وشرط كون الذبايح مسلمانا لا لا خارج الحرم ان كان صيدا أو كناية ذميا أو حرييا الا اذا سمع منه عند الذبح ذكر المسيح الخ قال محشيه السيد ابن عابدين قوله الا اذا سمع الخ فلو سمع منه ذكر الله تعالى لم يكنه عني به المسيح قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة حاشا لله هندية وأفاد أنه يؤكل اذا جاء به مذبوحا غنابة كما اذا ذبح بالحضور ذكر اسم الله وحده والذي علمنا من حالهم الآن انهم لا يسمون شيئا بل واللحم يوجد في بلاد أغلب أهلها متدينون بالنصرانية سيما فقرائهم كالقصابين وفي مثل ذلك يحتمل على حالة الجواز لما قال في الدرر في آخر الحظر والاباحة من قوله فعلم ان العلم بكون الذبايح أهلا للتذكية ليس بشرط الخ ويؤيده تصريح محشيه فيما نقلناه سابقا في مسألة القريشة والجبن بل وسباني

النقل بجواز ما لم يسم عليه أو سمي غير الله تعالى اذا كان الذبايح كتابيا وفي تنقيح الحمادية أول الذبايح مانصه سئل في ذبيحة الذمى الكتابي هل تحل مطلقا أولا (الجواب) تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذبايح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم أو دعوى كالكفاي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله تعالى وتحل منا كتحته فصار كالمسلم في ذلك ولا فرق في الكتابي بين أن يكون ذميا يهوديا أو نصريا أو حرييا أو عربيا أو تغلبيا لا طلاق قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والمراد بطعامهم مذكاهم (قال البخاري رحمه الله) في صحيحه (قال ابن عباس) رضي الله عنهما طعامهم ذبايحهم - ولان مطابق الطعام غير المذكي يحل من أي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصه بالذكي وهذا اذا لم يسمع من الكتابي أنه سمي غير الله تعالى كالمسيح والعزير وأما لو سمع فلا تحل ذبيحته لقوله تعالى وما أهل به غير الله وهو كالمسلم لم في ذلك وهل يشترط في اليهودي أن يكون اسرائيليا وفي النصراي أن لا يعتقد ان المسيح اله مقتضى اطلاق الهداية وغنيها عدم الاشتراط وبه أفق الجدي الاسرائيلي وشرط في المستضي في محل من كتحته عدم اعتقاد النصراي ذلك وكذا في المبدسوط فانه قال ويجب أن لا يأكلوا ذبايح أهل الكتاب ان اعتقدوا أن المسيح اله وأن عزيز اله ولا يتزوجوا نساءهم لكن في مبسوط شمس الائمة وتحل ذبيحة النصراي مطابقا سواء قال ثالث ثلاثة أولا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز كما ذكره التمرناشي في فتاواه والاولى أن لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم الا لضرورة كما حققه السكال قال العلامة قاسم في رسالته قال الامام من دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة أكل ذبيحته وحل نسائه (وقد حكى) عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كتب اليه فيهم -م أوفى أحدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية فقد علمنا أن النصاري فرق فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم -م أن تزعم أن بعضهم تحل ذبيحته ونسائه وبعضهم يحرم الا بخبر ملزم ولا نعلم في هذا خبرا فنجمته اليهودية والنصرانية في حكم واحد اه وعلى هذا النحو وما ذكر في الهندية وغيرها والسند للفقهاء في هذا الحكم وهو قوت تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم والذي رأيته في الكشاف والبيضاوي وروح البیان وتفسير أبي السعود والرازي يفيد ما ذكر في تفسير فتح البيان اساطان به وبال معزادات مفيدة في هذا فانه نص على ما ذكر فيه قال والمحصل ان حل الذبيحة تابع محل المذكية والطعام اسم لما يؤكل ومنه الذبايح ذهب أكثر أهل العلم الى تخصيصه هنا بالذبايح ورجحه الخازن وفي هذه الآية دليل

على ان جميع طعام أهل الكتاب من غير فرق بين اللحم وغيره حلال للمسلمين وان كانوا لا يذكرون اسم الله على ذبائحهم وتكون هاته الآية مخصصة لعموم قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وظاهره ان ذبائح أهل الكتاب حلال وان ذكر اليهودي على ذبيحته اسم العزيز واليه ذهب أبو النضر راء وعبادة ابن الصامت وابن عباس والزهرى وربيعة والشعبي ومكحول وقال علي وعائشة وابن عمر اذا سمعت الكتابي يسمى غير الله فلا تأكل وهو قول طاووس والحسن ونسكوا بقوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ويدل عليه أيضا ما أهل به لعن الله وقال مالك انه يكره ولا يحرم وسئل الشعبي وعطاء عنه فقال لا يحل فان الله قد أحل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون فهذا الخلاف اذا علمنا ان أهل الكتاب ذكروا على ذبائحهم غير اسم الله وأما مع عدم العلم فقد حكى الطبري وابن كثير الاجماع على حلها لهذه الآية ولما ورد في السنة من أكله صلى الله عليه وسلم من الشاة المصالية التي أهدتها اليه اليهودية وهو في الصحيح وكذلك جراب الشحم الذي أخذه بعض الصحابة من خيبر وعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيح أيضا وغير ذلك الى ان قال وقال القرطبي وجهور الأئمة ان ذبيحة كل نصراني حلال سواء كان من بني تغلب أو غيرهم وكذلك اليهود قال ولا خلاف بين العلماء ان ما لا يحتاج الى الذكاة كالطعام يجوز أكله الخ فتحصل مما مر حلية المسائل السبعة المذكورة من الطعام وان الشك فيه مؤثر فيها فان قلت قد ذكرت ان بعض الطيور يخفقونها أو يأكلونها بلا ذبح وان بعض الاطعمة يجعل فيها شحم الخنزير فكيف المحرم في ذلك (فالجواب) أما الطعام الذي يتحقق فيه شحم الخنزير أو لحمه فهو حرام بالنص على نجاسة ذاته كما مر بطريق الوصول الى التحقيق اما برؤية ذاته من الأسكل فيما تنبئين فيه أو بغلبة الظن في الألوان التي جرت العادة بوضعها أو بأخبار الطائعات أو المأول بان يستلها الأسكل هل في هذا شيء من لحم الخنزير أو شحمه فان أخبر به بالوجود امتنع والاحل لان خبره مقبول في المعاملات وان كان كافرا كما نص على ذلك في كتاب المحظور والاباحة من دواوين الفقه وصورها بقول الكافر اشتريت اللحم من كتابي فيحل أو من مجوسي فيحرم رصروا بانها وان آل خبره الى ديانة يعمل به بخلاف ما اذا أخبر أولا عن حكم ديني كقوله هذا طاهر أو نجس أو حلال أو حرام لجهله بذلك بخلاف المعاملات وههنا السؤال انما هو على وجه الورع والا فالاصل فيما لم يتحقق فيه شيء من النجاسة هو الطهارة كما مروى ينبغي ان يعلم انهم لا يقصدون الا أن غش المسلم بأكله المحرم عليه كما يتوهم بعض العامة اذ عندهم الاخبار بذلك

بذلك كقولهم هو لحم وجاج أو لحم أوز ولا يعينهم أمر المحرمة والحل عند المسلم بل جهوزهم لا يدري شيء من ذلك (وأما) مسألة الخنق فان كان لجرحه شك فلا تأثير له كما تقدم وان كان التحقق فلم أر حكم المسئلة مصرجا به عندنا وقيل ما على التحقق تسمية غير الله انما المحرمة عند الحنفية وأما عند من يرى الحل في مسألة التسمية كما هو مذهب جمع عظم من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فالقياس عليها بغيره مد الحلية حيث خصصوا بالآية وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وآية وما أهل به لعن الله وكذلك تكون مخصصة لآية المنخقة ويكون حكم الآية بين خاصا بفعل المسلمين والاباحة عامة في طعام أهل الكتاب اذ لا فرق بين ما أهل به لعن الله وما خنق فاذا أبيع الأول فيما يفعله أهل الكتاب كذلك الثاني وقد كنت رأيت رسالة لاحد أفاضل المالكية زعم فيها على الحل وجلب النصوص من مذهبهم بما يثبت به الصدور سيما اذا كان عمل الخنق عندهم من قبيل الذكاة كما أخبر به كثير من علماءهم وان المقصود التوصل الى قتل الحيوان بأهل قلة للتوصل الى أكله بدون فرق بين طاهر ونجس مستندين في ذلك لقول الانجيل على زعمهم فلا مزية في الحلية على هاته المذاهب فان قلت كيف يسوغ تقليد الحنفي لعن مذهبهم قلت أما ان كان المقادير من أهل النظر في الأدلة وقلة الحنفية عن ترجيح برهان فهذا يقال انه لا يسوغ له ذلك وأما اذا كان من أهل التقليد البحث كما هو في أهل زمانه فقد نصوا على جميع الأئمة بالنسبة اليه سواء والعامي لا مذهب له وانما مذهبهم مذهب معتبه وقوله انا حنفي أو مالكي كقول الجاهل انا نحوي لا يحصل له منه سوى مجرد الاسم فمأى العلماء اقتدى فهو ناج على ان الكلام وراء ذلك فقد نصوا على الجواز والوقوع بالفعل في تقليد المجتهدين لغيره والكلام مبسوط في ذلك في كثير من كتب الفقه وقد حرر المبحث أبو السعود في شرح الاربعين حديثا النفوسية وألف في ذلك رسالة عبد الرحيم المالكي فليراجعهم ههنا من اراد الوقوف على التفصيل فان قيل قد ذكرت ان الخنزير محرم وان كان من طعامهم فلماذا لا يجعل مخصصا بالحلية أيضا بهاته الآية أي آية طعامهم واذا جعلت آية تحريمه محبة غير منسوخة فكذلك تكون المنخقة ولما اذا تقيسها على مسألة التسمية ولا تقيسها على مسألة الخنزير وأي مرجع لذلك (فالجواب) ان المأكولات منها ما حرم لعينه ومنها ما حرم لغيره فالخنزير وما شا كه من الحيوانات محرمة لعينها ولهذا تبقى على تحريمها في جميع أطوارها وحالاتها (وأما) متروك التسمية أو ما أهل به لعن الله والمنخقة فان التحريم أنى فيه لعارض وهو ذلك الفعل

(١٦٢)

ثم أتى نص آخر عام في كل طعام أهل الكتاب وأنه - لال فخرج منه محرم العين ضرورة
وبالاجماع أيضا وبقي المحرم لغيره وهو مسئلتان أحدهما مسألة التسمية والثانية
مسألة المختنفة فبقينا في محل الشك لتجاذب كل من نصي التحريم والاباحة لهما فوجدنا
أحدهما وهي مسألة التسمية وقع الخلاف فيها بين المجتهدين من الصحابة وغيرهم
وزهد جمع عظيم منهم إلى الاباحة وبقيت مسألة المختنفة التي يتخذها أهل الكتاب طعاما
لهم مسكوت عنها فكان قياسها على مسألة التسمية هو المتعين لا اتحاد العلة (وأما قياسها)
على مسألة الخنزير فهو قياس مع الفارق فلا يصح اذ شرط القياس المساواة وانما اطلقنا
الكلام في هذا المجال لانه مهم في هذا الزمان وكلام الناس فيه كثير والله يؤيد الحق
وهو يهدي السبيل

م طلب

﴿في المواكب﴾

(اعلم) ان المواكب الرسمية في أوروبا وعموما متشابهة وقد تقرر مذ كراتها في ايطاليا
فلا داعي لاعادتها هنا غير انه رعايا بشكل على القارى شئ وهو ان فرانس ليس لها
الآن ملك فمن هو مناط الملك الرسمية فاعلم ان دعواهم في الجمهور رية انها خالية
عن الملك هو امر مهم لان وظيفة الملك كانتا امر ضروري لا مندوحة عنه حتى وقع
الخلاف بين علماء الكلام هل أن الملك واجب بالعقل أو السمع فقط واحتج القائلون بأنه
واجب سمعا بان نجد أمما عاشون على وجه ما من الاستقامة بدون ملك وكل ذلك أمر
وهي ولا مجال للخلاف في المسئلة اذا قام الملك أمر طبيعي لا يمكن الاستقامة بدونه
وما ذكره المنج من وجود أمم الخ هو كاف في الرد عليه لانه - ترف بان تلك الامم أو
القبايل تنقاد إلى رؤسائها فالخلاف حينئذ انما هو في اللقب وفي تحديد السلطة أو
اطلاقها وكذلك حالة الجمهورية في بعض الامم الآن لان من يقيمونه رئيسا لها
ما هو في الحقيقة الامم عليهم مدة معينة وتصرفه مقيد بمحدد معينة فلا مندوحة لهم
حينئذ عن الاقرار بوجوب الملك والانقياد اليه وغاية أمرهم هو اختلاف اللقب وزيادة
الاهبة والعظمة أما أصل التوقير والسمع والطاعة والانقياد له فكأنه موجود عندهم
فوق رئيس الجمهورية يفعل جميع ما يحتاج فيه إلى الملك من مراسم المواكب وغيرها غير انه
أقل أهمية وضخامة من الملوك في اللبس والاعوان وأما بقية المواكب الاعتيادية فهي

كما

(١٦٣)

كما مر ذكره في ايطاليا وقد دعوني في سنة ١٢٩٢ للفرجة على موكب دفن اثنين من
الجنرالات ماتا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م في حرب الكومون أي الاشتراكين في
باريس وكانت جمعتهم مائة - برة في صناديق بكنيسة ليزان فاليد المدفون بها بونا بارتى
الاول وأعدوا لهما موكبا حافلا باحضار جم غفير من العساكر المشاة والخيالة والطبيعية
بمدافعهم وقوف في البطحاء الكبيرة أمام الكنيسة وغصت سائر الطرقات والميادين
بالخلائق المتفرجين وامتلاء داخل الكنيسة بالاعيان المدعوين وكانت فوائدها
موقودة والشموع الكهيرة مسرجة وكبار القسوس حول المعبد يدير طنونا بالحنان
وتنعمات تديده تمل إلى الحزن يتغنون واحد فواحد ولهم مكنت في الوسط يضح
فيها قوم من صغار القسوس جالسين في رواشن عالية محيطة بداخل الكنيسة
ويلعنون ترطينهم بانغام أيضا شبيهة بالساقين وهكذا إلى ختام أدعيتهم ثم خرجوا
الجنار بين المكسوتات بونتهم بألباس أصحابهم - ما الرسمى ووضعنا في محلات معدة لذلك
مزيينة بالازهار وتقصيب الذهب والفضة وسارت العساكر عدا فمهم في المقدمة ومن
ورائهم الجنسازتان ومن ورائهما بقية المشيعين ركوباني كراريس سود وسرج الخيول
أسود والخيل سود ولباس الركاب أسود وذهبوا إلى المقبرة وكانت المدافع تطاق بعد
كل خمس دقائق كل ذلك اظهار للعناية بمن نفع وطنه منهم ترغيبا لمن يسلك ذلك المسلك
وعلى نحو من ذلك رأيت سنة ١٢٩٥ هـ ١٨٧٨ م جنازة ملك الهانوفر الذي
أدخلت ملكته دولة البروسيا في ملكها ودفن في باريس وهو - وهو - من
ولامات حضرت جنازته امراء ووزراء المانيا واجعلت له دولة فرانس ابهة على نحو
ما تقدم ذكره غير انه أخرج من داره لامن الكنيسة ولقد كنت في تلك الكنيسة عفا -
ما شاهدت حركاتهم وهيئتهم قول يميننا صلى الله عليه وسلم الصادق الامين لتبعن سنن
من قبلكم شبرا شبرا وذرعا ذراعا حتى لو دخلوا حجر ضرب لدخلتموه قلنا اليهود والنصارى
يا رسول الله قال ومن اه كما ورد ذلك في الصحيح اذ علمت من ذلك منشأ وجود الكلا في
الجوامع وتغني المؤذنين والمقيمين فيها واجابتهم للائمة بالخان متسابة وتلمين الخطباء
والائمة في القراءة والدعوات إلى غير ذلك من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان وما هي
الا ضلالة وافساد وزيادة ونقصان في العبادة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وحيث كان أعظم المواكب الاعتيادية عندهم هو رأس السنة تذكروا موقع في باريس
في رأس السنة الاحجية الموافق لذي القعدة سنة ١٢٩٠ من حالة التزارر عندهم

فيهم لانهم يكتبون عن افعاب الزبارة بارسال أوراق الاسماء فيما بين المعارف وترسل بواسطة البريد أوجالين مع دين لقضاء الحاجات يقفون في الطرق وعلى صدر كل واحد قطعة من نحاس عليها عدد وسامان الحكومة بأنه أمين مجازله في تلك الصناعة فوزع بواسطة البريد فقط مليون وخمسمائة وتسعون ألف ورقة - داماوزع بواسطة الجمالين وأرسلت الى أهالي باريس مكاتب ثمانية من الخارج مليون وخمسمائة ألف وكان المرسل منهم في يوم رأس العام من المكاتب المضممة في البريد تسعة آلاف مكتوب ونسبتهم الغير المضمن نسبة واحد من مائة

مطلب

(في اللغة)

(اللغة) الفرنسية اوية فرع من اللغة اللاتينية ولهذا لم يزلوا يراعون في الكتابة أصول تلك اللغة حتى يكتبون أحرفا لا ينطقون بها بل وبعضها مجرد مراعاة الاصطلاح بدون فائدة أخرى ولا زالت في التهذيب والاعتناء بها ولها جمعيات علمية تهتم بها و قد اشتهرت اشتها را كليا في العالم من وقت ارتقاء نابليون بونا باري الاول الى امبراطورية فرنسا حتى وقع الاتفاق بين الدول الأوروبية على ان تكون هي اللغة المستعملة في المحاورات والمخاطبات بين الدول وصار من لوازم أهل السياسة معرفة تلك التكلم بها ولذلك وقع الاصطلاح فيها على ألفاظ تؤدي معاني سياسية منضبطة محرومة من مخمرة تحتاج في غيرها الى تطويل وإهمام وذلك الاتفاق على اجرائها في الخطابات السياسية لم يزل جاريا الى الآن حتى ان المانيا الماغلبت فرنسا سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٧٠ م حاولت نقل هاتيك المزية الى لسانها فلم توافقها انكلا تيره وقالت (اما) ان تبقى على الاصطلاح المتعارف على اللغة الفرنسية (واما) ان كل دولة تخاطب لسانها فابق الوجه الاول لان الثاني فيه من الصعوبة ما لا يخفى اذ يلزم رجال السياسة تعلم لسان جميع الدول ذات السياسة ووجود مترجمين في وزاراتهم لتلك اللغات بخلاف الاسستقرار على اللغة الفرنسية التي مر ما وقع فيها من التحريرو من اعتنائهم بلغتهم - اعتنائهم بالفصاحة فيها وارتجال الخطب المستطيلة أعنى الخطب على النحو العربي الاصلى بارتجال الكلام مع فصاحته وانسجامه لا كما يصنع الخطباء الآن من حفظهم ما ينشئونه ان كانت لهم قدرة على الانشاء أو حفظ منشآت غيرهم أو سردها من ورقة اذه - ذاخ - آلاف الاسلوب

العربي

العربي الاصلى وانما هو أى الاصل - الى استحضار معان مرتبة في فكرة الخطيب والقائنها عند الحاجة بالفاظ منسجمة فصيحة بايعة وذلك هو شأن كل أمة ترقى في سجايا الفخار فالفرانسايون توجهوا لهذا المقصد - اذ يضاو بلغوا فيه على حسب اصطلاح لغتهم - الى المبالغ الحسنة فترى خطباءهم يقف أحد - دهم خطيبا يتهكم ساعيتين وثلاثا بدون تلغثم أو مراجعة سوى البطاقة أحيانا مكتوب بهار اوس الفوازل التي يريد الخوض فيها وينقل من واحدة الى أخرى يربط المناسبة الى انتماء مقصوده - وقد يعترض له بعض اضداده أفراد او مجتمعين بالاستهزاء منه والسخرية من كلامه والرد عليه ولو بالضحج وهو مثبت في مسامكة ويحبب الراد عليه بالنسبة لان أغلب ما تكون خطبهم في السياسة مع تنازع الاحزاب فيها سيما في مجلس النواب والاعيان وكثيرا ما يوضع للخطيب فوق المساندة أمام منبره كاس بالماء والسكر والزهر لعله يحف لسانه من كثرة الكلام أو الغيظ هذا أصله لكني رأيت من يتخذ ذلك الشرب منه آلة للتفكير ومهلة للتدبير فيما يقول حتى أكثر من ذلك وصار يشرب كل ثلاث دقائق أو خمس وهو دليل عليه والحاصل ان خطبهم الآن شبه خطب أسلافنا العرب في الصورة ونشبهه الدروس المتقنة في ادائها من علمائنا القبول الآن مثلما أدركت من دروس شيخنا العلامة محمد الفيرالا كبر قدس الله روحه اذ استطاع الكتاب ان ينقلها من تقريره لفظيا وتصيرا ليغا جيدا وخطباء القوم الآن يحضرون مواظبتهم كتاب عارفون باصطلاح مختصر في الكتابة حتى يحيطوا بجميع ما يقول الخطيب وأكثرا لاسيما باب في طول خطبهم هو ادماج مسائل من فنون شتى فيها سيما علم التاريخ فبدأ في مناسبة يذكر تاريخ أدنى شئ بمجرب عنه وما وقع فيه من قديم الزمان وحديثه - فذلك كان فن التاريخ ضروريا لاهل السياسة وهو المعقول لان الوقائع الدهرية متشابهة متقاربة فمن أحاط علمها بالتاريخ عرف الاسباب والدواعي والنتائج والتخلصات والغايات فيتمتع في الحال الحسن ويحبب المضروب بخبرس بالقشاور واجتماع الآراء وذلك هو مقدر دور البشر والله يدفعه ل ما يريد وانما اجري سبحانه عادته بالاصلاح اذا جرى العمل على حسب التدبير والامر الالهى بالتخاذل اسباب على مقتضى حكمته لا رب سواه ومن قواعدهم في اللغة ان يخاطبوا الانسان بدون توقيفه بالسيادة الا لزوجة مع زوجها أو العكس والمخدوم مع خادمه ومع ابنه الصغير واذا كان المخاطب ذا وظيفة الوزارة يراد له لفظ بمعنى المرفع أو كان ذا خطة الامارة يراد له لفظ بمعنى المعظم أو كان ما كبراد له لفظ بمعنى صاحب الجلالة بحيث يهرون في ذل الغاية ويكثرون من

اعادته في الخطاب مرارا وليس هناك استعمالات أخرى في مزيدها في الخوض والذلة
في الخطاب والفاظ المكاتبات والخطاب سواء غاية الفرق هو الفرق الحاصل بين افراد
المتكلمين في البلاغة كما ان من عاينهم تاقب كل انسان بلقب عائلته ولا يذ كر اسمه الا
في المكاتبات أو اذا كان أكبر العائلة موجودا فالصغار منها يذ كر اسمهم لانه يرمع ذ كر
اللقب ولم تزل عندهم عناية باللقب الشرف وهي (كونت) و (بارون) و (دوك)
و (مركيز) و (ترنس) وغيرها لكننا قل استعملنا هذا لتقرر الدولة الجمهورية
وصاروا بكتفون بالفظ موسيواي سيد لتصوية الناس في نظر الجمهور

م طلب

في القوة الحربية المالية والتجارية في فرنسا سنة ١٨٨٠

فرنك

بلغ طول سكك الحديد فيها ميلا ١٣٨٧١

دخلها أى تلك السكك

٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

قيمة الداخل الى فرنسا من السلع سنة ١٨٧٩

٠٤٥٩٤٨٣٧٠٠٠

قيمة الخارج منها في تلك السنة

٠٣١٦٣٠٩٠٠٠٠

دخل الدولة سنة ١٨٨١

٠٢٧٥٢٧٩٤٨٣٠

خرجها فيها

٠٢٧٥٤٣٢٦٠٠

مأ على الدولة من الدين

١٩٨٦٢٠٣٥٩٨٣

عدد السفن المدرعة العاملة والاحتياطية

٠٠٠٠٠٥٤

جولته طونولا تو

٢٢٥٠٠٠٠

عدد عساكرها وقت الحرب

١٥٠٠٠٠٠

عدد الفرسان

٠١٨٠٠٠٠

قد انتهت طبع هذه الجزء من صفوة الاعتبار وهو الثالث بتاريج أوائل صفرا الحبر
سنة ثلاث وثلاثمائة وألف في المطبعة الاعلامية مؤلفه الامثل الاكرم الشيخ محمد
أفندي يرم وتحرر تصحيحه على يد الفقيه قيرالى الله تعالى مصطفى قشيشة الازهرى

وبله الجزء الرابع أوله الباب الخامس في قطر الجزائر

يجمع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ هـ

فهرست الجزء الثالث من صفوة الاعتبار

صفحة

٢ الباب الثالث في ايطاليا

٢ فصل في سفر المؤلف اليها وما رآه بها

٣ مرسى كالارى التى هى تابعة لاطاليا

٤ بيان هيئة هاته البلدة

٤ كيفية ملابس أهلها

٥ توجه المؤلف الى نابلى

٦ كيفية المنازل بهاته البلدة

٧ ذكر أشهر طرقها الحصنة الى بحيرة

٨ ذكر الملهى الكبير

٩ ذكر أكبر ماستان لهم

٩ بيان الاشياء التى استخرجت من بلدة بونى

١٠ دار الفنون التى يعلم بها فنون الطب وغيره

١١ ذكر كتيبة عظيمة بها مائة وثلاثون ألف مجاهد

١١ ذكر بلدة بونى وكيفية أهلها

١٣ بيان هيئة بنائها

١٤ بيان قصد المؤلف الى بالدرومة

١٤ ذكر قصر الملك فى بستان كازرتا

١٥ بيان كيفية وصوله الى بالدرومة واجتماعه بأشهر اعيانها

١٧ ذكر منزهها العمومى

١٧ ذكر مجلس النواب واعضائه

١٨ كيفية توجه المؤلف الى بالديفورنو

١٩ بيان هيئة او طرقها

٢٠ بيان مروره على بالديفورنو وكيفية أهلها

٢٠ بيان وصوله الى بالديفورنو وكيفية أهلها

- ٢١ قصر القلعة وعجائبه
٢٢ ترجمة الوزير حسين التونسي
٢٣ توجه المؤلف الى باريس
٢٣ ذكر بلديولونيا
٢٤ بلد تورين
٢٤ بيان صفة الترموى
٢٥ ذكر المنزه العموى وعجائبه
٢٥ وصول المؤلف الى فرانسا
٢٧ بقية الكلام على ايطاليا
٢٨ فصل في تعريف ايطاليا ووجوهها
٣٠ الكلام على طيورها وحيواناتها ومعادنها
٣١ ذكر ولاياتها الكبرى
٣٢ فصل في اجمال تاريخ ايطاليا
٣٢ مطالب في تاريخها القديم ودول الرومان وانقسام السلطنة الى شرقية وغربية
٣٤ مطالب في تاريخها الجديد واسباب الحرية والفرماسون
٣٧ ذكر وزارة الامير بيزمك
٣٧ بيان الاسلحة الحربية التي اعدتها بروسيا لفرانسا
٣٩ ذكر ما سمعه المؤلف من خرائب علوم المحدثان
٣٩ مطالب في الادارة الداخلية بايطاليا
٤١ كيفية الادارة في الولايات
٤٢ كيفية الادارة الحكيمة
٤٣ مطالب في معنى الملكية والقانونية
٤٤ مطالب في السياسة الخارجية لايطاليا
٤٥ فصل في بعض عوائد اهل ايطاليا وبعض صفاتهم
٤٦ صفة اهل القرى والبوادي
٤٦ صفة رقص الايمان مع النساء

- ٤٧ بيان غلط من ادعى ان ديانا تنمى من النمل لوجه المرأة
٤٧ كيفية استعمال اهل ايطاليا للوسيفي ذات آلات النفخ
٤٨ مطالب في التجارة
٤٩ احوال البنوك بايطاليا
٥٠ السكك الحديدية وانظاماتها
٥١ البواخر البحرية
٥٢ الاسلاك الكهربائية
٥٣ مطالب في الصنائع الفلاحية
٥٤ تقاسيم الارض ومنظرها البهيج
٥٤ الصنائع الضرورية والتحسينية
٥٤ دخول ملك ايطاليا المعرض مع رجال الامة
٥٥ مطالب في المعارف
٥٥ مطالب في هيئة المساكن والطرق
٥٧ مطالب في اللبس
٥٨ هيئة شعور رؤسهم ولحاظهم وشواربهم
٥٨ كيفية لبس نساءهن
٥٨ اللباس الرسمي لاصحاب الوظائف
٥٩ مطالب في الاكل
٦٠ مطالب في المواكب الرسمية
٦٠ المواكب الاهلية
٦١ موكب الماء ثم عندهم
٦٢ هيئة تكفين مرتاهم
٦٢ مطالب في اللغة
٦٢ مطالب في القوة المالية والحرية
٦٢ الباب الرابع في عمالة فرانسا وما رآه المؤلف فيها
٦٢ الفصل الاول في سفره اليها

- ٦٤ وصوله الى باريس
٦٥ اجتماعه بأشهر أطبائها
٦٥ ما حصل له من الخطر بسبب غلط المترجم
٦٦ الفصل الثاني في باريس وصفاتها
٦٧ اجمال وصف هاته الامة
٦٧ محيط دائرة سورها وتقسيمها الى عشرين قسما
٦٧ طرق البلاد وانما تزيد على ثلاثة آلاف طريق
٦٨ ذكر اجل الطرق الذي هو الباغار
٦٨ ذكر اما كن أنرا نيقه
٦٩ حديقة شانزلي
٦٩ ذكر قوس النصر
٦٩ جردان ماييل الذي يفتح ليلا
٧٠ حديقة التولري
٧٠ ابلاس فندوم
٧٠ افنودي لوبرة
٧٠ الاسواق المستقفة بالزجاج
٧٠ غيضة أبواد بولونيا
٧١ تدمير عساكر المانيا وفرانس الهاته الغيضة
٧١ ذكر غيضة أبوادى قدسن
٧١ جردان دي كايمانسيون
٧٢ ذكر الحيوانات الغريبة
٧٢ أسد البحر
٧٢ جردان دي بلانت
٧٢ ذكر العاين الهائلة المنظر
٧٣ قصر معرض سنة ١٨٥٧
٧٣ قصر اللوفر الضخم المتقن البناء

- ٧٣ قصر التولري
٧٣ ملهى كران لوبرة
٧٣ قصر اكسنبورغ
٧٣ دار الرصد العجيبة
٧٣ قصر معرض سنة ١٢٩٥
٧٤ بيان عدد القادمين من الانكليز كل يوم
٧٥ هيئة المساكين التي دعى اليها المؤلف من قبل الوزراء
٧٥ ماعينته الدولة لمصاريف المواكب
٧٥ مركز الالعاب
٧٦ القصيدة التي ترجمها رفاعه باشا
٧٨ الاحتفال الذي صنع بعرض الجديش
٧٩ احتفال الطرق واشتباها الكراريس على أصحابها
٨٠ احتفال يوم السباق
٨١ الدار التي أرسلها سلطان المغرب وكلها من خشت
٨١ الشطر الثاني من المعرض
٨٢ بقية أما كن و بناآت باريس
٨٢ بيان انهم لا يقصدون بالملاهي مجرد التلهي
٨٣ طلب مجلس الامة لعزل ولاية البلدان وما قيل فيه بأحد الملأهي
٨٣ بيان ان ملاهيهم كمالا تخلصوا عن فائدة فلا تخلصوا عن مفسدة
٨٣ ذكر أعظم هاته الملأهي
٨٤ ملهى البدروم الذي يلعب فيه بالخيول الهابا عجيبة
٨٤ النعجان الهائل الذي رآه المؤلف هناك
٨٤ ذكر معامل باريس
٨٥ حمامات باريس
٨٥ أحوال المعارف وترقي العلوم
٨٥ خزائن الكتب وبيان ما فيها

(٦)

مصحفة

- ٨٦ بواعث أنحرل لاجتها والتقدم في العلوم
 ٨٦ ذكر المطابع وما فيها من أنواع أحرف اللغات
 ٨٦ أما كن الموجة كاستشفيات
 ٨٧ بيان طرق المواصلات
 ٨٧ البحلات والمخيل بباريس
 ٨٧ رواج التجارة والساح
 ٨٧ مخزن اللوفر الكبير
 ٨٨ مخزن بومرشي ومخازن آخر
 ٨٨ الدهاليز التي تحت الأرض
 ٨٩ الفصل الثالث في بقية البلدان التي شاهدتها المؤلف
 ٨٩ بلد فرسال وموقعها من باريس
 ٨٩ القصور الملكية التي بها
 ٨٩ مجالس النواب بها أيضا
 ٩٠ بلد السيفر
 ٩٠ بلد صان اكلو
 ٩٠ بلدة فونتين ابلو
 ٩١ بلدة البيون والنفق المسمى تونيل
 ٩١ بلدة تارسيليا
 ٩١ قصرها التزيه
 ٩٢ مرساها البحرية
 ٩٢ بلدة طلون
 ٩٢ سفير الصين الذي قدم للمعرض
 ٩٢ بلدة نيس
 ٩٣ بلدة أباتشو
 ٩٤ الايبات التي سردها الفاضل محمد السنوسي على المؤلف عند رجوعه
 ٩٤ سفر المؤلف الى فرنسا مرة ثانية وثالثة

(٧)

مصحفة

- ٩٥ ما حدث في الوطن في سفرته الاولى ومسئلة الاجتهاد وانقطاعه
 ٩٦ الفصل الرابع في التعريف بفرنسا وجغرافيتها
 ٩٦ ذكر جبالها
 ٩٧ الانهار التي بها
 ٩٧ الترع التي بها
 ٩٧ بحيراتها
 ٩٧ هواؤها
 ٩٨ بردها
 ٩٨ نباتاتها
 ٩٨ حيواناتها
 ٩٨ الحيوانات التي تربي في الامصار
 ٩٨ ثعابينها وحياتها
 ٩٩ طيورها
 ٩٩ ذكر مدن فرنسا وان قاعدتها باريس
 ٩٩ ذكر المعادن
 ٩٩ بيان مراسيها
 ٩٩ بيان سكانها
 ١٠٠ مستعمراتها
 ١٠٠ الفصل الخامس في اجمال تاريخ فرنسا
 ١٠٠ مطلب في تاريخها القديم
 ١٠٠ تغلب اسم قبيلة الافرنك على جميع الالهالي وسبب اطلاق اسم الافرنج
 على جميع أهل أرو باقى المشرق
 ١٠١ ذكر فايب الثمانى الذى اتحد مع ملك الانكليز في حرب الصايب
 ١٠١ فليب الثالث
 ١٠١ بذت لاحد الفلاحين ادعت علم الغيب لتخليص فرنسا من الانكليز
 ١٠٢ انتقال النفوذ لفرنسا

- ١٠٢ مطالب في تاريخ فرنسا الجديد
١٠٣ تعرض امبراطور النمسا المقاصد الفرانسييس
١٠٣ تعويض الحكومة بحكومة الدركتوار وترجة نابليون بوناپار في الاول
١٠٣ ثميج انكنازه دول اوروباعلى فرنسا
١٠٤ ذكر تأليف قانون الاحكام من نابليون الاول
١٠٤ دخول العساكر الى باريس وتعليكهم لوبس الثامن عشر
١٠٥ قولية لوبس فليب
١٠٥ راسة لوبس نابليون على الجمهورية
١٠٥ تلقيبه بنابليون الثالث
١٠٦ قوانين الملكية التي رسم بها
١١٠ ذكر المشاحنة الزائدة بين فرنسا وبروسيا وحرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م
١١١ تعريب ما كتبه نابليون الى ملك بروسيا في خضوعه
١١٥ انقضاء الصلح بين فرنسا وبروسيا
١١٥ بيان ما دفعته فرنسا لبروسيا
١١٦ مطلب في السياسة الداخلية
١١٨ بقية تفصيل الادارة
١١٨ انتخاب الوزراء من تعقد المجالس عليهم
١١٨ كيفية ادارة الاحكام
١١٩ اناطة الشرع الاسلامي المحكم بالعلماء اهل العدالة
١١٩ المفاصد الموجودة في انتخاب أعضاء مجلس النواب
١٢٠ مطلب في السياسة الخارجية في فرنسا
١٢٠ ذيل في تسلط فرنسا على تونس
١٢١ ذكر أسباب ذلك
١٢٢ لائحة فرنسا في أسباب جهتها على تونس
١٢٧ لائحة الدولة العثمانية في اثبات حقوقها
١٣٠ اثبات اقرار فرنسا بان تونس عثمانية

- ١٣٠ أسباب تغافل الدول عن فرنسا
١٣١ تلغراف سفيرنا - كتيرة في عدم معاضدة الدولة العثمانية
١٣٥ نص المعاهدة بين فرنسا وتونس في الحماية
١٣٧ الحامل الباطني لفرنسا وترجيحه على مكائد الدول بها
١٣٩ الفصل الخامس في عوائد أهالي فرنسا وصفاتهم
١٤١ حكاية ظريفة
١٤١ مآراء المؤلف من اعتقاداتهم الهذيانية
١٤٢ بقية عوائد الاهالي
١٤٣ مطلب في التجارة
١٤٥ مطلب في الاحكام
١٤٦ الارثشاء في غير المجالس الانتهاية
١٤٦ صفة محل الحكم بباريس
١٤٧ نادرة عجيبية وهي من أهم ما يندكر في أحوال الادارة المحكية
١٤٩ مطلب في المعارف
١٥١ مطلب في الصنائع
١٥٢ مطلب في هيئة المساكن والطرق
١٥٣ مطلب في اللبس
١٥٤ مطلب في الاكل
١٥٥ ذكر أحكام طعامهم شرعا وهو مفيد
١٦٢ مطلب في المواكب
١٦٤ مطلب في اللغة
١٦٦ مطلب في القوة الحربية المالية والتجارية في فرنسا سنة ١٨٨٠

﴿تمت﴾

﴿طبع بالمطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣﴾

الجزء الرابع من كتاب صفوة الاعتبار بمسودة الامصار
والاقطار تأليف الفاضل المحقق والاستاذ
المدقق قدوة العلماء وصفوة الازكية

وحيد - دعوته وفريده - ره

الشيخ محمد دبيرم الخامس

التونسي نفعنا الله

به وبه لومه

آمين

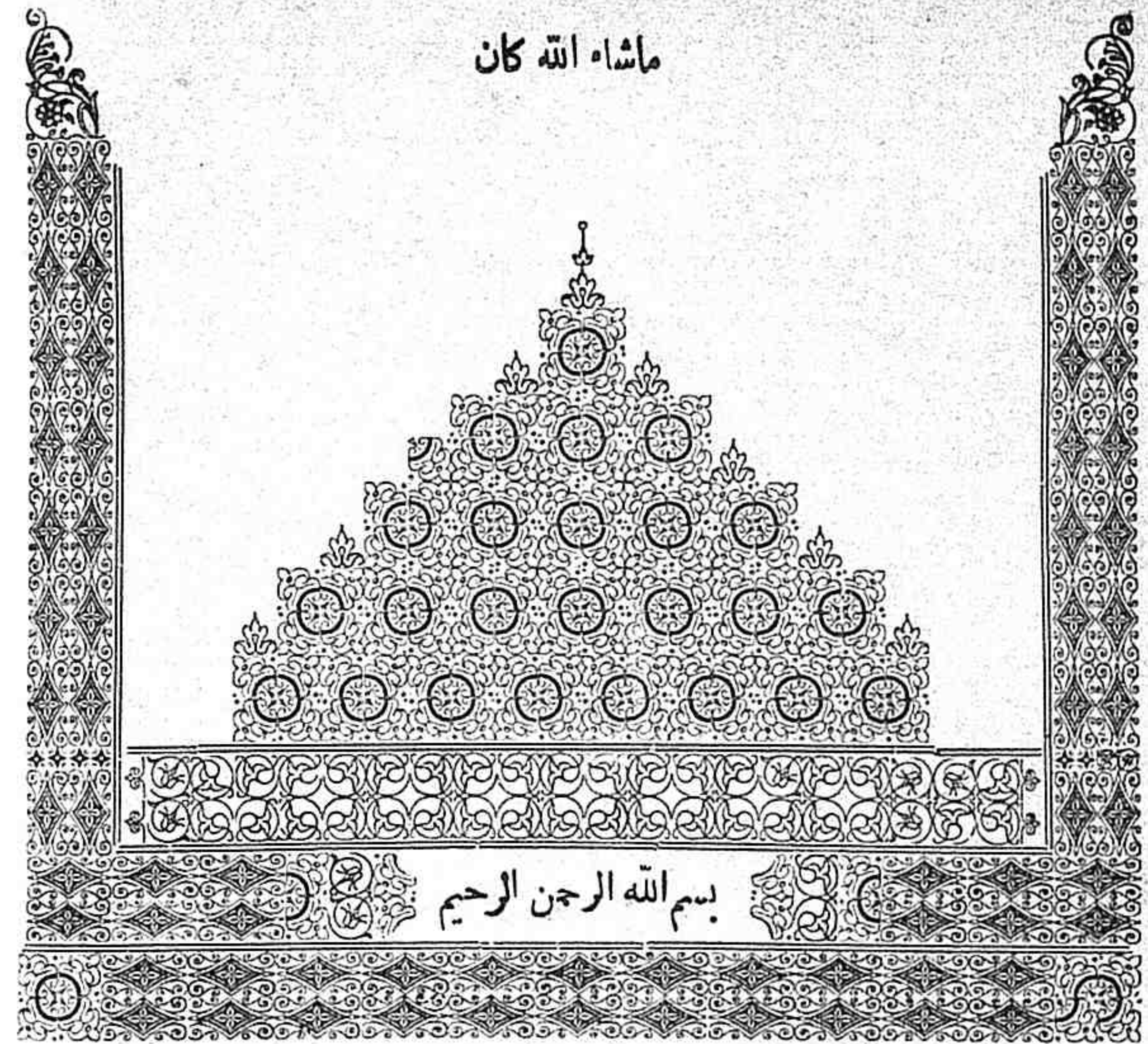
لا يجوز طبع هذا الكتاب الا باذن مؤلفه ومن
تجارى على ذلك يحاسب حسب القوانين



طبعة أولى

بالطبعة الاعلامية مصر سنة ١٣٠٣ هجرية





وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ال باب ال خام س ف ي ق ط ر ال ج ز ا ي ر ال ف ص ل ال اول ف ي س ف ر ي ال ي ه

قد تم دم اني لما رجعت المرة الاولى من فرانسا كان رجوعي بحرا ماز اعلى بلد بونه المعروفة بعنابه وهي احد فرض الجزائر فأرست بها الباخرة ص با حافى مينا صناعية واسعة متينة تصل البواخر فيها الى الرصيف في البر و يصل الرتل بطريق الحديد الى حذوفوه هاته المرسى الصناعية لكنه رتل للسلع خاصة وبهاته المرسى كثير من السفن والبواخر منها نحو ثلاثة بواخر شركة معدن الحديد الموجود بقرب عنابه فهذا المعدن هالك غنى ويستخرج بكثرة ويحمل في حوافل طريق الحديد وهي توصله الى ذات البواخر التي تحمله الى مرسى بابا وفي كل يوم تخرج من المرسى باخرة مشهورة به وتدخل أخرى خاوية

خاوية وفي مرسى بابا يصفى ويشغل لانهم وجدوا ذلك أرخص مصر وفام من جاب مفضل لتصفيته في مرسى له ولما ارسلنا رأينا البلاد من جهة الغرب متصاعدة في جبل وحول المرسى أبنية حسنة من النوع الارو باوى ثم نزلنا الى البر فوجدنا عجايب لا تال الى كروب لا كراما لكنهم اربعة وسبعة فذهبت لداخل البلاد فاذا فيها قرب المرسى بطحاء وطريق متسع وحواليه أبنية جميلة وقهاوى ومنازل للسافرين وحواليت لمبيع الحبوب والتحف الظرفية وفي وسط البطحاء حديقة صغيرة منتزه للمارة وفي وسط البلد بطحاء أخرى صغيرة يحيط بها سرادقات تحتها حوانيت وفي هاته البطحاء الجامع الكبير فذهبت الى الحمام الذى هو قرب الجامع حيث كان فرضي النعيم في السبعة فينة اذ لا حمام بها ولما دخلت الى البلد وجب الحمام فاذا هو على فحوصا مات تونس وسائر بلاد المشرق غير انه غير متقن النظافة وليس فيه بيوت منفردة للتطهير للانسان وحده وانما يتطهر الانسان به بالتنظيف في محله فيقع الحرج من التحفظ على كشف العورة امام المغتسلين ولذلك كان أكثرهم مكشوف العورة وهي مصيبة عامة في أغلب البلاد الاسلامية التي رأيتها على خلاف تونس فان حماماتها لها بيوت صغيرة ذات أحواض صغيرة لغرف الماء منها ولها أنابيب للماء الحار والبارد وللبيت باب يغلق ويفرد الانسان للتطهير ويروح منه بلا مشقة ولذلك كنت أختار الحمامات الافرنجية في أكثر اسفارى ولوفى البلاد الاسلامية لانها أبعد عن المحرم من كشف العورة وان حصل فيها تعب من جهة الاغتسال المعتاد وذلك ان هذتها بيت صغير فيه حوض كبير يحمل الانسان وله أنابيب للماء الحار والبارد وفي البيت مكان مسطحة ومعلق للثياب وأرض البيت مفروشة بزيينة فلا يمكن اخراج الماء عن الحوض وانما يغتسل الانسان في الحوض ويغتسل فيه بالصابون اما بنفسه او بخادم من الحمام ثم يجذب سائلا من قعر الحوض لجذب سداة فيخرج ما فيه من الماء ثم يجد له ماء ثانيا أو يأتى بمناديل من المكان مسخرة نظيفة جدا ينشف بها الانسان وهو منفرد وبابه مغلق لا يدخل عليه أحد الا باذنه فاذا أراد الانسان التطهير يزيل ما على بدنه من النجاسة في بيته ان أمكنه والا عند اتيانه الى الحمام يأمر الخادم بأن لا يملأ الحوض بالماء ولما ينفرد يقف في الحوض ويأخذ ذالك كاس الموضوع في البيت لاجل الشرب فيملؤه بالماء الحار والبارد من الانابيب ويزيل ما عليه من النجاسة ويغسل رجليه ويخرج من الحوض ثم يفتح له منفذ خروج الماء منه ويفتح أنابيب اندفاع الماء ويظهر أرض الحوض بالغسل ثم يسد منه هذا الخرج ويملأ الحوض

ماء على قدر ما يكفيه ويغتسل به ويتطهر فيه وهو ساخن على مذهبنا لان الماء لا يصير مستعملا الا بعد انفصاله عن جميع البدن والبدن كله في الاغتسال اعضاء واحد (وأما) على مذهب المالكية فهو أيسر وقد اضطررت في ذلك الحجام الى استئجار أحد خدمته ليستر زاوية من الحمام بمسك ازار في يديه حتى تيسر لي تطهر به ما تحت ازارى وهناك صعوبة أخرى وهي بعد الماء بحيث ان كل من غسل يأتى اليه بنحو عنزة مما يسمى برميل مملوء له ليمتطهر به ماء هذا التنظيف ثم خرجت من الحمام وانيت الجامع واذ هو نظيف محروس قائم الادوات مفروش بالحصى يرمن السماء على نحو ما هو بتونس ولما كنت لا بسا العمل كالحلف مما يصح المصحح عليه وهو نظيف دخلت به المسجد وصليت به وكان هناك بعض الناس فرأيتهم ينظرون الى شجرة منكرين الدخول بالنعاس الى المسجد ليكن لم يقل لي أحد منهم شيئا فلما فرغت من الصلاة خاطبني من بجني فقال لي أنت مسلم ولم تدخل المسجد بغيرك فقلت له هل تعرف الفقه قال نعم قلت ما هو مذهبك قال مالكي فانظر في مختصر الشيخ خليل في كتاب الطهارة فانك تجد فيه مسألة المسح على الخفين وان المسافر مسح عليهما ولا يزعما او يصلي فيهما وأنا مسافر وحتى المقيم أيضا له ايسر المسح عليهما والصلاة فيهما وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولم وهو مذكور في كتب الحديث وكان الصحابة رضوان الله عليهم هم أجمعين يدخلون المسجد ينعالهم بعد تنقيدها وتطهيرها ان كان بها نجاسة فهذا جائز شرعا وليس في نعل نجاسة ولا وسخ فرضي بذلك وأخبر الحاضرين جهره بأن الرجل مسافر وعارف بالحكم ثم خرجت من هناك وتطوّفت في البلد وقد فطرت في حافوت لطباخ مسالم أكلا عربيا واسم المذقة للغاية كيفما كان لاشتيائي للاعتاد سيما وقد كانت تلك السنة مرة هي أول سفراتي والاشياء الغير المعتادة تصعب على النفس أولا وأحسن ما في البلد سوق الخضار فانه على النحو المتقن في أوروبا من كونه واسعا ذاقبة من الزجاج محمولة على قطع حديد مرفوعة على أعمدة حديد والحيطان أيضا مثل ذلك مع النظافة وحسن التقسيم وليكن ليس فيه حوانيت وانما كل يباع يجلس في جهة ويضع مبيعته أمامه وبخارج البلد آثار قديمة للرومان من البناء والدهاليز تصعد للفرج وبخارجها أيضا بستان عمومي ويبيع منه الاشجار الصغيرة وليس هو معتقن والحارات القديمة في البلد وديارها على نحو ديار تونس وحاراتها الضيقة الطرق غير ان أبواب دور عناية بدفة واحدة وبناء الباب مقوس قابل الارتفاع وبخارج البلد أيضا جهة شاطئ البحر بعض من البساتين وجسمات من

الخشب على ماء البهر تنبت بها الناس في الصيف وحوطها قواوى تحوى في الصيف الغث والسمين وسافرنا من هناك المدة بعد الغروب قاصدين تونس وعدت اليها في سنة ١٢٩٥ في سفرتي الى فرانس اذ هابا وايابا واقمت فيها في الايام اسبوعا وكان الزمن صيفا وهي اصغرها وعدم وجود الحركة الكثيرة بها لا ينشرح المسافر فيها وفي هاته السنة أيضا مررت في الايام على مدينة الجزائر قاعدة هذا القطر وهي لها مرسى على نحو ما تقدم في عتابة والبلاد أكبر من السابقة ومنظرها من جهة المرسى أجمل وأضخم وقد انشئت بها طريق للترموالى يخترق البلاد من جهة المرسى ويذهب الى قرية تسمى مصطفي جهة الشرق من الجزائر وأبنية البلاد على نحو ما ذكر في عتابة وهي أيضا متصاعدة في جبل وليس بها عيون غزيرة بل المساء له خزانة في الجبل تحت مع فيها مياه الامطار من جهات الجبل ولذلك كانت الطرق الواسعة في الصيف محتاجة الى الرش لئلا مات ترش به وبها أربعة جوامع للخطب اثنتان مالمكان واثنتان حنفية والجوامع نظيفة مستقيمة وبقية ما كان بها من الجوامع هدمت وبدلت وبها حصون متينة وهاته البلاد هي مقر الحاكم العام لقطر الجزائر ومنظر البلاد من جهة البحر جميل لكثرة الديار والبساتين في الجبل فنحوت به درج يصعد فيها من أسفل البلاد الى أعلى الجبل كما انه به طرق صناعية قليلة الانحدار يصعد بها في الجبلات الى قمته وأمام دار الحاكم بطحاء صغيرة منظمة والدار من نوع أبنية الاهالي قديمة وأمامها محل اطائفة من الجند حرسا وفي خارج البلاد وداخلها مقامات للاولياء والعلماء محترمة منها مقام سيدي عبد الرحمن العالي رضى الله عنه خارج البلد في الجبل في مكان منشرح تزدواضريح الشيخ مهابة ووقار قلبي وحوانيت البساتين على نحو ما ذكرنا في تونس وبساتينها تسقى بآبار يسنى عليها بالذوايب وأغلب القصد منها الانتفاع بالغلال وأكثر ذوى اليسار يسكنون في بساتينهم في الصيف وتنور البلد ليلا بفوانيس الغاز وبخارجها بستان انتزاه عمومي قابل الجددى وبقربه سبيل قديم لا زال قائما وحذوه قهوة على النحو العربي لكنها قد ذرت بنائها بعض الناس ومنازل المسافرين بالبلد جيدة على النحو الاور ووباوى وقد أقمت بهاته البلدة لياليتين ثم سافرت بحرقا قاصدا عتابة ومنها الى تونس فمررت ببالدلس وهي قرية صغيرة على البحر لم نستطع الدخول اليها لشدة هيجان البحر وعدم مرسى أمين فيها ثم مررنا على بجاية ثم جلملي ثم اسكيد وكلاهما قري صغيرة الجدد من بناها على النحو الاور ووباوى والقديم على عادة أهل القطر والاهالي أغلبهم فرنساويون ارتحلوا الى هناك وأما اسكيد فبالبلاد

التي ديرة قد خست بها الارض والعياذ بالله وقد بنى على شاطئ البحر قرية جديدة منتظمة الطرق واسمها على نحو النوع الاوروبى ولم أشاهد تفاصيل هذه القرى لان الباخرة لا ترمى فيها الا قليلا واجمال حالهم يندمج فيما سياتى ان شاء الله تعالى ومن القرى التي رايتها قرية قالمة البعيدة عن عنابه نحو أربع ساعات في طريق الحديد في الجهة الجنوبية الشرقية منها وهي قرية مستحدثة يغلب على طبع أهلها البداوة وهي منتظمة البناء والطرق قليلة الماء وبها جامع وقاض وحاكم فرانسوى وعساكر وحصن وكنييسة وحديقة صغيرة للعامة

الفصل الثانى

في التعرف بالجزائر

هذا القطر واقع على شط أفريقيا الشمالى ويحده جنوبا الصحراء الكبيرة وشرقاً تونس وشمالاً البحر الأبيض وغرباً مراکش وهو قطر متسع ذو جمال شاهدة وأنهر عديدة وعيون دافقة وبه معادن غنية من الحديد والفضة والآن مشغولون باخراجها سيما المعدن الذى أصله تابع الى تونس قرب حدودها فى القالة وبها معادن أخرى عديدة منها المستعمل كالقصدير ومنها الذى لم يزل فى زوايا المخول وأما هوأوه وحيواناته ونباتاته فهو مثل تونس فى عموم مآذ كثرناه فيها والمجتمعات الشمالية هي ذات الخصب والشجيرة العظيمة والغابات ومدن هذا القطر وبلدانه أشهرها قاعدة الجزائر ثم وهران ثم تلمسان ثم قسنطينة ثم بونيه وغيرها كثير لا يبلغ مبلغ ما ذكره ومراسيم المهمة هي المدن المذكورة غير قسنطينة لان هاته متوغلة فى البر على قمة جبل وينقسم القطر بالنظر الى طبيعة الارض والسكان والادارة الى ثلاثة أوطان كبار (أولها) وطن الجزائر وهو فى الوسط ويعتمد من الشط شمالا الى الصحراء جنوبا (وثانيها) وطن وهران غربى السابق متمدنه كذلك (وثالثها) وطن قسنطينة شرقى الاول متمدنه كذلك ولكل وطن قاعدة هي المدينة المنسوب اليها وله فروع على حسب الاحتياج وعدد سكانه فحواليونين وسبعماية ألف وستون ألفا والمسلمون منهم مائونان وخمسمائة ألف والنصارى مائتا ألف وبنف واليهود نحو الثلاثين ألفا وقاعدة الجميع هي الجزائر عدد سكانها نحو خمسة وسبعين ألفاً منهم ثمانية عشر ألفاً مسلمون وتسعة آلاف يهود وثمانية وأربعون من النصارى من أجناس مختلفة وأكثرهم الاسبنيول والسكان المسلمون أصلهم من البربر

وهم

وهم أكثر سكان الجهات الجنوبية والجمال وباقي الجهات سكانها من نسل العرب والمختلط منهم ومن البربر وبعض من نسل الترك الذين استوطنوا هناك وكذلك الاندلسيون الذين هاجروا بعد استيلاء الاسبنيول على بلادهم (وأما النصارى) على العموم فأكثرتهم فرانسويون انتقلوا الى هناك بعد استيلاء الفرانسييس سيما بعد حرب المانيا معهم سنة ١٢٨٧ م ١٨٧٠ م وأخذها الاقليمى الاجناس واللورين فارتحل من أهالى ذينك الاقليم نحو المائتين والسبعين الفاسكنوا الجزائر وعانتهم دولتهم باعطائهم الاراضى الخصبة التي أخذتها من الأهالى الاصليين عقابا لهم على الثورات وغيرها وأغلب هؤلاء الفرانسييس سكنوا جهات الشطوط وأنشؤا فيها قرى (وأما المسلمون) فأغلبهم على مذهب أهل السنة فى العقيدة وعلى مذهب الامام مالك فى الفروع ونسل الترك على مذهب الامام أبى حنيفة وبعض السكان على مذهب الاعتزال كبنى مزاب ثم ان أهل السنة فى المدن والقرى يكثرون فيهم معرفة احوال الديانة وان حصل الا أن من كثير منهم تمارن كثير بالشعائر (وأما البوادي) فيغلب عليهم الجهل بالاحكام لكنهم لازالوا متصابين فى العقيدة الاسلامية سيما أهالى الجهات الجنوبية والوسطى

الفصل الثالث

في اجمال تاريخ الجزائر

مطلب فى التاريخ القديم اعلم ان احوال هذا القطر التاريخية فى القديم كانت فى الاغلب متحدة مع تونس وطرابلس والمغرب فسايناه فى احوال تونس كان شاملا لهذا القطر حتى فى زمن الفتح واستقرار الحكم كومات الاسلامية لانه فى أغلب الاعصار تابع لتونس لما كانت هي مقر الحاكم العام الاسلامى لافريقية ثم لما انفرد المغرب عن تونس كانت الجهة الغربية من الجزائر تابعة له ثم اتحد الجميع تحت دولة بنى حفص وعن تقهرها وانفرد المغرب انتشأت بعض حكومات منفردة فى الجزائر كملوك بني زيان من زبانه التي مقرها فى تلمسان ثم لما اشرفت الدولة الحفصية على الاضمحلال واستولى الاسبنيول على عدة جهات من شطوط افريقية وكانت الفرق المنقسمة اليها الجزائر غير قادرة على مدافعة دولة كبيرة مثل الاسبنيول اذ ذلك وكانت الدولة العثمانية رافعة على الحماية لاهل الاسلام واسطوطها يحجب البحار تحت عدة امراء وارست فرقة من هذا الاسطول تحت امره خير الدين بروس باشا واخيه عروج على

شروط الجزائر للبحث عن حالة الاندلس مع الاسبنيول ضج الى هذا الاسطول اهالي
الجزائر وطلبوا من الامراء حماية هذا القطر الاسلامي مادام فيه رفق قبل هجوم
الاسبنيول عليه وذلك أحق من تتبع الاسبنيول في الاندلس اذ لم يبق فيها مسلم فاجابوا
طلبهم بعد تصحيحهم للاتفاق ومن ذلك التاريخ استقرت الحكومة للدولة العثمانية
وذلك في حدود سنة ٩٤٥ هـ وجرى أعمال الدولة في الجزائر على نحو ما قررناه في تونس
لان المراد هو حماية البلاد الاسلامية واتحادها وجرى من الولاة الترك أولا الاستقامة
والعدل ثم لما تهورت العساكر اليه كشارية في جميع الجهات حصل منهم أيضا في
الجزائر ما ضجرت منه الاهالي وطفخوا في النصب والعزل للولاة من هولاء العساكر
حسب الشهوات وقوة العصبية ولم يحسن من هولاء الولاة الامثال لاوامر الدولة
العثمانية الى ان ولي حسين باشا الذي كان سببا في دخول الفرنساويين الى البلاد
والحكيم لله رب العباد

مطلب في تاريخ الجزائر الجديدي اعلم ان الدولة الفرنسية لما تفرقت في
المعارف والقوات سيم في العصر الاخيرة لازمها حب الظهور ووعدم تحمل الهوان
وكانت الدولة العثمانية في شغلها الشاغل من اعمال اليه كشارية وحروب الروسية
وثورات اليونان وضم الى ذلك طغيان ولاية الاقاليم وعدم اتمتاتهم للاوامر وكان حسين
باشا والى الجزائر مستقيما لم يمتدحها قليلا القليل والتدبر وحصل منه اهانة لقنسل فرانس
وذلك على ما في تاريخ ابن الضياء أحد التجار اليهود الاغنياء الجزائريين الملقب
ببقرى أبو جناح له خاطة مالية مع تجار من الفرنسيين وتداعوا في خسائر من الجهتين
وانتهصر حسين باشا رعيته بالاحاساح على قنسل فرانس في انصافه وآل الامر الى صلح
يدفع على مقتضاة التجار الفرنسيين الى التنازل الجزيري مالا وافر وواضح حسين باشا
أخذ المال لنفسه لما رآه ذريعا وراجعا رعيته وتلك عادة القوفا والمناقب دفع المال
واذا بتجار آخر فرانسايون قاموا على بقري المذكور بدین اوقفوا عليه المال الذي
يريد قبضه فاستاء حسين باشا من ذلك وطلب من القنسل رفع الايقاف وقال ان ارياب
الدين الفرنسيين الطالبين لرعيته يتبعون ذمة المدين بعد قبضه للمال بحيث لا يكون
للطالبين حق في المال الذي يدفعه الفرنسيون فامتنع من ذلك القنسل مستندا
الى ان المال المعقول مال المدين والغرماء لهم حق فيه الا اذا ضمنه من يرضون بذمة
وكان المدين نفسه مفر يا بهذا التدبير خوفا على ماله من الضياع باستيلاء الباشا عليه
فاعرض

فاعرض الباشا عن القنسل وكاتب دولة فرانس في غرضه فارسات المکتوب الى
القنسل وامرته بالجواب عنه ولما قدم القنسل الى الباشا بعض ما كتب خاطبه الباشا
في استبطاء جواب مكتوبه المشار اليه الى دولة فرانس فقال له القنسل ان المکتوب
ارساله الدولة الى امرتني بالجواب عنه فسأل عن سبب عدم اجابة الدولة له فاجابه بما فهم
منه احتقاره وكانت بيد الباشا منشأة يطرد بها الذباب فضرب بها وجه القنسل وطارده
وبقي أسفا على ما فاتته من مال بقري وتهددت فرانس الى والي المذكور على اهانة نائبها
وألمحت عليه بان يطلب منها الرضى ويعترف بالخطا في راسر مع امر الدولة العثمانية
له بذلك ومن النصائح المتتابعة له من الدول الاجانب وخوفا من الاهالي وقد كانت فرانس
في شغل من داخلتها في ذلك الوقت حسبا امر بك في تاريخها لان ذلك كان اثر حروب
نابليون الاول وكانت أيضا متوقفة المشاكلة مع العرب ومع الدولة العثمانية حتى
رضيت فرانس بان يكاف الباشا أى انسان كان في باريس يطلب الترضية لكي
تدفع عنها المعونة ولا تلحقه هو ومذلة بارسال أحد من موظفيه الى القنسل لاقوا الى
باريس وكان قصدها بذلك كله اجتناب الحرب بما يمكن لاشعة غاها بحروبها واخوابها
الداخلية فاصر الوالي على رأيه وارسلت فرانس اسطولها وحاربت بلاد الجزائر واستولت
عليها ووجل ذلك الوالي الى باريس ثم مات في اسكندرية وقد نسب المؤرخ المذكور منشأ
اعمال الباشا المشار اليه الى كونه لا غير له على الوطن من حيث كونه لم يكن من
ابناء ترابه ولذلك خاطبه الى ذلك الحمد مع علمه بالضعف والخلل عرى عصبية ونفوة
الاهالي من جورهم والحق ان مثل ذلك التعامل تأباه الشريعة على ما سيأتى ايضا حقه
في الخاتمة ان شاء الله تعالى فالجنسية الاسلامية واحدة ثم المشاهدة تماقض مقالته أيضا
فيكم شاهدنا وسعدنا من النار بنج ما ثبتت غير الوافدين على الاقطار ووفاءهم لها بشكر
نعمائهم اراء واجبات الديانة فيهما من التحسين والتحصين وكم شاهدنا وسعدنا ايضا ضد
ذلك من ابناء الاقليم ومن دعين فيها لتحقيق السبب هو ان الله اذا ناذن في امة بانحلالها
فسدت اخلاق اكبرها ففسد قواها ومن فسدهم اسناد الامر الى غير أهله فحق عليها
القول وساط عليها ما يدعها وذلك هو الدال عليه القرآن الكريم والمحدث الشريف
وهو المشاهد بالعيان والمعلوم من التواريخ في اضمحلال الدول وتقهقرها وحذاق
الناظرين في احوال الدول يفسدون كائنها لاصول منشأ الفساد وان طال الزمان
ويكون الذي انحل بيده الامر يظهر الحكام من الداء الزمن وهو مع ذلك مسؤول لله واهله

إذا كان يمكن له توقيف المرض فيعوض ذلك بزيادة مهيجات بحراناته فيكون أشد على الأمة من وقع الصواعق إذا الجسم العليل يتأثر بما لا يتأثر منه السليم وكفاه خزي في الدنيا والآخرة أن كان مظهر الأمر ورثاء الجزائر قد ابتعد أممنا من خرم أمرنا بكسار به في القسطنطينية التي هي مقر الدولة العامة ونشأ عنه ما نشأ من فساد الإدارة والولاية إلى أن أصبحت عدة جهات وباء حسـ بن باشا في الجزائر باثم الظلم والتخريب والتهور الذي كان أعظم النكبات وانتقلت حالة الجزائر بل وحالة السياسة في شطوط إفريقية إلى الشكالية إلى طور آخر وكان مبدأ استيلاء فرانس على الجزائر سنة ١٢٤٦ في مدة كارلوس العاشر ملك فرنسا وقد كان الفرانسييس أولاً من القاعدة وما حولها لكن بقية الجهات أصروا على الامتناع من الطاعة لفرانس لأنها لما رادت الانتقام من الوالي حسين باشا وقد حصل فالجهات الشرقية من القطر انفراداً بحكم فيها الحاج أحمد باي قسطنطينية والجهات الجنوبية والغربية تشتمت تحت رؤساء القبائل ورام الفرانساويون محاولة تطويعهم بالرفق بان يتولى الأمر في وهران والي تونس بارسال أحد دعاة الله أو أحد متوظفيه فارسـ ل والي تونس واحداً من جهته ومعه شريطة من الحرس فلم ينفذ أمره في مدينة وهران فضلاً عن خارجها ورجع من حيث أتى ثم اجعت الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة الرجل الوحيدـ لالة النـ ل المظهر الأمير سيدي عبد القادر بن محي الدين الحسيني وقام لله حق القيام وصحبته العصرة الالهية في كثير من الوقائع إلى أن كان في بعضها ما هو خارق للعادة من الكرامات كطفر فرسهـ الأزرق به ستين ميتر وحيث احاطت به العساكر الفرانساوية كالحلقة وراموا مسكه باليد فطفر به فرسهـ على رأس العساكر وأسلمتهم ذلك المدى ونجاوا كضالاً إلى منعه ودام محاربهم نحو سبع عشرة سنة واستقامت له حكومة شرب فيها السكة باسمه وأنشأ المدافع والبنادق ونفذ أمره وخشيته فرانساً ودعا الحاج أحمد باي ليتحدوا ويكونا بداو واحدة فامتنع تجبراً وطمعاً فأنشأ الامة إلى أن وهن أمره واستولى الفرانساويون على ما كان تحت يده وبقى الأمير سيدي عبد القادر مدافعاً ومهاجراً إلى أن سوت الغلطات النفسانية المخالفة للديانة الامـ لامية لسلطان المغرب الاتحاد مع الفرانسييس على محاربة الأمير المشار إليه وقطع عنه سلطان المغرب خط التجانيه جهات الصحراء فاضطر الأمير إلى التسليم للفرانسييس فاقبلوا بآر حـ والاكرام وحملوه إلى باريس تحت المراقبة فيها وكان اذذاك نابليون الثالث مقبوضاً عليه هناك فحصلت منه موادة للأمير ويقال

أنه

أنه وعده بالمساعدة لوي بفضي ملك فرنسا إليه وعندما استقر نابليون الثالث في منصبه الامبراطورية لم تساعد رجا ل دولته على إنجاز قصده من تولية الأمير المشار إليه على الجزائر فاهدى إليه رسالة في محاسن الشام وخبره في انتخاب محل لاقامته فاختر الأمير سيدي عبد القادر أرض الشام و قدم من فرنسا أولاً إلى الاستانة واكرم مقدمه السلطان عبد الحميد وأقام مدة في بلاد الترك ثم استقر في دمشق الشام أدام الله بركته للأمان وحاطه بالامن والسلامة في نفسه وفي آله الكرام وبعد خروج الأمير المشار إليه من الجزائر خف الخطاب على فرنسا لكن بقي جبل الزاوية ثائراً عليها تحت امره كبرائه فطوعته اخبر بثل ما فعلته في أغلب الجهات من انخداع الرؤساء بالمال وتسلط بعضهم على بعض كما انها حاربته في الجزائر أيضاً دولة المغرب بجيوش كثيرة خالية عن التدبير والتدريب الحربي فلم تغد شيئاً سوى ضياع ما جملوا معهم وكان البوادي المنضعين إلى الفرانسييس أشد على المغاربة من نفس الفرانسييس وذلك سبب الخذلان ولا زالت تقوى الثورات في الجزائر على الفرانسييس منذ دخلها إلى الآن تارة مشتدة وتارة خفيفة ولله عاقبة الأمور

مطاب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر اعلم ان ادارة الجزائر في الحقيقة منطقة بار باب الامر والنهي في باريس على ماهي قاعدة الفرانسييس من ارجاع كل الامور في محالكمهم ومستهملهم إلى باريس من غير التفات إلى بهـ ل المستعمرات أو قربها ولا إلى الجهل بأحوالها وأخلاق أهلها وعوائدهم فيضطروا أصحاب الحكومة إلى اعتماد أقوال المباشري في المستعمرات المبحوث فيه فيقول الأمر إلى ما تقتضيه حالة ذلك المباشري من الانصاف أو ضده مع أنه في نفس الامر غـ ير مسؤول عما يقع الا في الاجراء فلا يلزمه الاحتراس اللازم للمسؤول ومع ذلك فالاحكام والادارة كلها في الجزائر كانت استبدادية بحجة تحت الحكم العسكري فساهى الاجتهادات من المباشريين بالتعقب لحكمهم لان الدولة منعت الاهالي من الحرية السياسية ومنحتهم بعض الحرية الشخصية من التصرف في ديانتهم وأشخاصهم وأموالهم كيفما أرادوا فيما لا يضر بالدولة ولا بأحد في نظر الحكم والدولة تختبـ ح كما عاين أهل المناصب العالية من الفرانسييس ويولي حاكمها على الجزائر جميعها ويستقر في مدينة الجزائر وهي أيضاً تختبـ ثلاثة حكام اخرين كبار الفرانسييس تناط بأحدهم ولاية الجزائر وبالأخرى ولاية وهران وبالأخرى ولاية قسنطينة ويرجعون في النظر لحاكم الجزائر العام وعلى كل قبيلة قائد

والاغاب ان يكون من بني القبائل ويلقب كبراهيولا القباد بالاغ و يتصرفون حسب
اجتهادهم وحسب ما يلقنون به من الاوامر من الولاة وفي كل بلدة قسم من العساكر
ولكبرائهم نفوذ كبير في الاهالي وفي كل بلدة أو قرية حاكم فرنساوي والرسوم الظاهرية
في الجباية وان كانت محدودة مقبولة بأخذ الاغشار من المزروعات والزيادة على الحيوانات
في كثير مما تمد الايدي الى المكاسب من غير النقات من المتوظفين على أوجه شبيهة بالسريرة
حيث انه ليس عليهم احتساب حقيقي ثم للمتوظف مخلص عندما تقع به الشكاية بان ينسب
المأخوذ منه الى الثورة أو السعي فيها وبادي قول في ذلك تثبت التهمة وانما اتهام وقوف
على القرائن لدى المحاكم المستبد وكل من ثبت عليه شيء من ذلك يؤخذ جميع كسبه
للحكومة زيادة عن عقابه البدني الشديد ولا معقب لتلك الاحكام وقد ابدت ذلك العمل
منذ دخلوا الجزائر فان جردان بن عثمان خوجه الذي هو من الاعيان العلماء الاغنياء
العارف بالالسن الاجنبية اتهم بانه كانت الحكومة السابقة امنته عنده أموالا فخذماله
وسافر هو وشركا الى دولة فرنسا فأحاطته على مجلس شورا الدولة المسمى كونسيل دي تا
وكل أشهر اعارفين باحكامهم وعكف من انتظار الحكم ثلاث سنين صارفا أوقاته
في مطالعة الكتب وتأليف كتابه باللغة الفرنسية المسمى مرآة الجزائر الذي أودعه
اخلاق القبائل وحالة سيرة حكام الترك وما آلت اليه من مظالم الفرنسيين عالم يكن
يظن صدوره عن أمة متقدمة وقد قبل هذا التأليف في فرنسا بالاعتبار لكن حكام
الجزائر استأوا منه وزادوا كالا بكل من له علاقة بالمؤلف المذكور وبعد ما مر عليه ما مر
صدر المحكم من المجلس المشار اليه ان جردان المدعى بحق في دعواه لكن المارفعت الى
المجلس بعد صدور أمر الدولة بان لا تقبل دعاوى تلك السنة التي حصلت عليه فيها
المظالم فلا حق له حينئذ فاقا واسفير الدولة العثمانية واستقر بعد ما في الاستانة وكان ابنه
على باشا من اعيان رجال الدولة وعلى فحوز ذلك العمل تجرى الادارة السياسية في الجزائر
الى الآن فترى في صحيفتها الرسمية المسماة بالمبتدع على الاستمرار صدر الامر بوقف
أملاك فلان وهي كذا وكذا وأملاك فلان الخ لكن منذ سنة ١٢٩٥ أدخلت
المدن وبعض قرى تبقيها تحت الحكم المدني القانوني لكنه خال عن الحرية اللازمة
وانما هو أهون من الحكم العسكري الاستبدادي لبعض أقسام الناس وأما كثير من
البيادية وجهال العامة فانهم يريدون الحكم السابق العسكري ويرونه خيرا لهم لما يأتي
بيانه ولجموع ما تقدم ذكره مع التحالف في الديانات بين الاهالي والدولة المتسلطة

دامت الثورات وتعاقبت عند كل فرصة وعذرهم على ذلك منصفوا الفرنسيين حتى
سمعت من كثير منهم سسا كني الجزائر يتشككون من الادارة وما زالت صحفهم تطلب
انصافهم واستقامة ادارتهم واعطاءهم الحرية المقتضية بل ويطلبون المساواة مع فرنسا
في جميع قوانينها وعلى هذا الرأي قسم وافر من أهالي فرنسا ايضا بل ان نابليون
الثالث نقر عن أسباب الثورات وذهب بنفسه الى الجزائر مرتين ثانياتهما لتسكين ثورة
وقعت هناك وعلم ان أعظم أسباب ذلك من سوء معاملة الاهالي من الحكام فصنع في
الي شكايتهم وأزال عنهم كثير من المظالم وساعفهم الى مطالبهم فسكنت الثورة بدون
سفك للدماء ولا تشفي في الشاكرين كما صرح بذلك الامبراطور نفسه في خطبته عند
رجوعه الى فرنسا وكان توغل في دواخل الجزائر وأواسط القبائل الجسمية ذات السطوة
منفردا عن الحماية الفرنسية بعمدا على وفاء العرب وصدقهم وقد تعهدوا له بذلك
وقاموا له حق القيام من عامتهم وخاصتهم وفرحوا بقدومه لهم ومالوا اليه والى انصافه
وأظهروا له من الضاعة والتعظيم ما عاينهم مسرورا منهم موقنا بانصاف مطالبهم ومحبيا
خالصا وعاطفا خنوعا عليهم واختص منهم في باريس قسما من العساكر لمحرسة ذاته وأكرم
مقامهم ورفع من شأنهم واتخذ قسما من الفرسان في مصاحبته في ركوبه على ابلههم العربية
وكذلك العساكر يابسون العمامة ويسمون بالزواف وقد حاربوا في الدفاع عن
الفرنانيين في حرب سنة ١٢٨٧ هـ ١٨٧٠ م بحماسة أكثر من حمية الفرنسيين
أنفسهم وشهد لهم بالشجاعة والصبر والمعرفة والجرأة كل من الفرنسيين والالمان ولما
وقع انكسار الفرنسيين انهاء تلك الحرب حركت الدسائس أهالي الجزائر الى الثوران
فامتنعوا ووافعهم مع الامبراطور نابليون الذي أحكم معهم الصلوة ووعدهم بمزيد
المساعدة والتجاح قبيل تلك الحرب الى ان علموا خلع الفرنسيين له فثار بعضهم اذذاك
لكنه لم يجد نفعه التفرغ فرانس من حرب خصمها ولم ينفق الكلمة بين الجزائريين
ولا زال أهل الجزائر يثمنون على نابليون وعائلته لما شاهدوا وامنهم من انصافهم واعتبار
حرمهم حتى قال في خطابه الرسمي اني امبراطور الفرنسيين كما اني امبراطور العرب
وكان ذلك هو الذي أوجب لكثير ترجيح الحكومة العسكرية ظننا منهم انهم لا تسير
الاعلى نحو ما تركه سابق الامبراطور بنحو الاف غيرها من لا يراعي له مزمة حتى ان
العساكر مع ما مر ذكره لم يمنع لاحد ضباطهم ان ينال رتبة رفيعة في العسكرية فذلك
هو سبب المال الذي لا يباح من نفوس الاهالي وان جعل منهم بعض أعضاء في المجلس

الذي يدعوه الحاكم للتشاور في المصالح. لكنهم - أممهم صورية لان أغلب الاعضاء من
الفرانساويين مدافعون عن حقوق الفرانساويين المستوطنين هناك وهؤلاء لا يرون
أنفسهم مظلومين بالنسبة لأممهم في فرانسا مع عدم الدعي الى ذلك لانهم قد تحققوا ان
الاهالي اذا نالوا انصافهم وتصويتهم في الحرق يكونون أهلا لنيل سائر المنح الحائز لها
الفرانساويون وأهالي الجزائر الآن يعتبرون انهم في حماية الفرانسايس لان لهم الجنسية
الفرانساوية والفرق بين هذين هو ان من له الجنسية ينال سائر المنح الفرانساوية وعليه
ما على أفراد الفرانسايس من القوانين من الدخول في العسكر واجراء أحكام الزواج
المدني والتوارث على مقتضى القانون الى غير ذلك وأما صاحب الحماية فيجوز أحكام
ديانته فيما ذكر ولا يدخل له العسكر الا برضاه نعم يتخذ منهم نوع من العسكر الحياطة
يسمون بالسمبايس دون رتبة العسكر ولا أفراد ان يدخلوا في الجنسية باختيارهم بحيث
لا نصب فيها وقد دخل فيها كثير بعضهم للشهوات وبعضهم تعلقا كالهمود وبعضهم طمعا
في الرتبة العالية العسكرية وهو وان نال شيئا منها لكنه مهمان في اعتبار النفوس لما
يوجب ذلك من امتنانه لديانته في نظر العموم ولومن الفرانسايس ولما لا يمكن
لأهالي المساواة في الاعتبار بينهم وبين الفرانسايس ويظهر ذلك حتى بنظر العين
في المعاملات التكرمية والتوقير وترى اليهود أحز للحرية في معامل الفرانسايس
وخطابهم من المسلمين

(مطالب في السياسة الخارجية للجزائر) ليس للجزائر سياسة خارجية اذا السياسة انما هي
لفرانسا ولا ترى في قاعدة الجزائر ولا غيرها من اعتبار أوز كر لقناصل الدول الأجنبية
وما هم فيها الا كأممهم في احدى مدن فرانسا

الفصل الرابع

في بعض صفات الاهالي وعوائدهم

أغلب عوائد الاهالي وصفتهم في الجزائر هي مثل ما في أهالي تونس في السلام والحياء غير
ان الجيل الجديد في المدن تخلق أغلبه باخلاق مخضرة بين العادات الاصلية وبين
عوائد الفرانساويين ومن المعلوم ان النفوس مائلة الى التشبه بالغالب غير انهم اول
ما تسمى اليها الاخلاق الشريرة اما هم مدفانها فمما يحمل عليها العقل بالكافة ولهذا
فست ذلة الحياء في كثير حتى مري ذلك الى أبناء الفرانسايس الذين نشأوا هناك وقد

صاحبي

صاحبي في الغالب من الجزائر الى عنابة امرأه كما بلاد قالة مصاحبة لابنائها الصغار
وهم ثلاثة دون البلوغ كانوا يتعلمون الفنون في مكتب بلاد الجزائر ولما أurst البانوة
على مرمى جيجلي صعد اليها نائب اللجنة تلك البانوة فمقداد وكان حاضرا ذاك وقت الفطور
فجاس مع الكلب على المائدة وكان من جملة الحاضرين الابناء المذكورون وبعد الاكل
أنى بالقهوة ومن عادة الافرنج الاتيان بقندينة فيها نوع من المشروبات الروحية المسمى
بالكنياك ومعه كيسان صغار لمن يريد الشرب من ذلك مع القهوة فأخذ منه من أخذ
وامتنع من امتنع فعهد أولئك الصبية الى المشروب وأخذ كل منهم كأسا ووضع امامه
فتبسم كبار الحاضرين متبسمين من ذلك وأمههم فارغها العرق من الحياء ولم تكلمهم
شيئا وبعد غنيمة أخذ في نائب اللجنة الى ناحية منفردة وقال لي أرايت ما وقع قلت ما هو
فقال لا تهزهي لو كان أولئك أبناءى لألقيتهم في البحر فقلت لماذا هو عندكم ليس
بممنوع قال كلا فانه وان كان المنع عنه دنا ما حال كن انما هو ما يؤخذ منه مع الاكل
من نوع ماء العنب بقة مدار لا يفعل نشوة أما هذا فانه لا يستعمل الا بعد الاكل بخورد
النشوة والصغار يمنعون من ذلك بمقتضى التربية الحسنة ولا يمكن نحن قد خرجنا عن
طورنا وفسدت أخلاقنا وأفسدنا أخلاق غيرنا هؤلاء أبناء أحد حكام البلاد على هذا
النحو فبالك بغيرهم الخ وكان منذ هذا الفساد هو ان الحرية في الفرانسايس قد فطروا
عليها بقسمها أعني الحرية الشخصية والحرية السياسية لكنهم تحملهم في بلادهم الحرية
السياسية على الخلق بمحامد الاخلاق على قدر مستطاعهم وادراكهم وأما في الجزائر
فقد حرموها في أنفسهم من الحرية السياسية وكذلك الاهالي أطلقوا لهم الحرية
الشخصية وحرموهم من الاخرى فانه تمت القوات كلها الى الاولى مع ملائمة الطوائف
الفسانية فأقوا على كل ما يمكنهم التوصل اليه من الفسوق وقبائح الكلام والتزوج بين
كل متراضيين من غير نظر لديانة ولا صحة شرعية بل يقع حتى لبنات مسلمات الفرار من
آبائهن الى رجال من الافرنج أو غيرهم وبصاحبهم بدون زواج أو به ولا مانع عندهم من
ذلك وأضف الى ما تقدم من السبب ان المحاكم لما كانوا من العساكر مسقدين فتراهم
يشتمون بالكلام الفاحش وكأنه هو أول ما يتعلمونه بالصحة دفعة من لغة الاهالي ثم ان
السيرة العسكرية الاستبدادية معلومة في ان الغالب على الضباط الصغار فن دونهم هو
الميل الى الشهوات الطبيعية والانهمالك فيها ولا ينفك كون عنها الابازيع المحكي
أو العادي كما في بلادهم في فرانسا بالنظر للعادة وهاته العادة منفية في الجزائر لم يدم

اعتبار عادات الأهالي حق الاعتبار فنشأ في ذلك القسم زيادة الاطلاق وقادتهم
صغار الاهالي على قاعدة الناس على مذهب أمثلهم ومع هذا فلا زال في ذوى
البيتوتات وأصحاب الاصول مكارم الاخلاق الاسلامية وفضائل الطباع العربية
وان كانوا بالاصالة قليلين في المدن وأما أهالي القبائل من البادية والموغابن في الجنوب
ودواخل القطر فالاكثر منهم على الطباع والعادات الاصلية والقليل الذين لهم علاقة
بالحكام والتداخل معهم تغيرت عاداتهم الى نحو ما وقع في الكثر من أهل البلدان ومن
الاخبار الذين اجتمع بهم ومخوف في فضائل اخلاقهم التحرير العالم الشيخ علي بن
الحفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر وهو من تلامذة العلامة القطر الافريقي الشيخ
ابراهيم الياحي كما أخبرني بذلك عن نفسه وله فضائل كاملة وتقوى وسكينة واطلاع
والسعة في الفقه والحديث وذا كرم في الهجرة فذكرته بأن مثله قليل الوجود في ذلك
القطر وان بقائه فيه لتعاليم الفاسدين منهم أنفع للعامة وله عند الله من خروجه برأسه وبقاء
تلك الامة المسماة خالية عن مثله بل ورب عاجل خروج غيره من هو على شاكلته على
الخروج فبقى العامة بلا تعاليم لذيانهم وتضمحل منهم الديانة شيئا فشيئا والعبادة بالله
بخلاف ما ذابقي هو وأمثاله فانه تنتشر تعاليم العقائد والفقه وتبقى الديانة ان شاء الله
محفوظة في الاهالي وذلك هو المنصوص عليه في كتب فقهاءنا حتى ان الاسارى اذالم
يمكن فداءهم جعله فيؤخر منهم العلماء ومن الاخبار ايضا الاصيل الفهامة الشيخ أحمد
أبو قندوره المفتي الحنفي بالقاعدة المشار اليها وهو ذو تجرد في المعارف السياسية ومتقن
لغة الفرنسية وصاحب حجة في المدافعة عن أهالي وطنه وهو عضو أيضا في مجلس
الوالي وله مشاركة في الفقه والحديث وكل من الشيخين المومنيين - الامام وخطيب في
جامع بالقاعدة المشار اليها وقد زرت كليهما في مقصورة جامعة ودعاني ثانيا - والوليمة
اتخذها اكراما لي جازاه الله أحسن الجزاء وتوجهت معه الى بستانه في الجبل وهو بستان
ظريف جامع للشكاين العربي والاورب باوى وبنائه نظيف على النحو العربي
المتقن ومن أكارم من اجتمعت به صفوة الخيرة سيدي قدور الشريف نقيب السادة
الاشرف صاحب شمائل تليق ببجلالة نسبه ومنهم العالم المتقن الشيخ علي بن موسى
نقيب زاوية سيدي عبدالرحمن الثعالبي رضى الله عنه وهو صاحب ورع وديانة كان
ولي في احدى المناصب الحكيمة والمالكية الامتياز تصام واعتذر باصم فاعفى
ومخ نقابة الزاوية المذكورة فبقى ساكنا هناك ممتكفا على العبادة والمطالعة وله

أشعار

أشعار جيدة ومنهم الوجيه السيد الشريف الصفصافي وغيرهم من الاعيان كما اجتمعت
بثقات من كبار موظفي الفرانيس كالجندال شيريز حاكم هيران ونائب الحاكم العام
في الجزائر عندهم غيبه في وقت قدومى الى هناك وهذا الجندال زيادة على معارفه
العسكرية التي توصل بها الى رتبة الفريق فانه منصف عاقل عارف بأحوال سياسة
الوطن والسياسة الخارجية صدوق في الكلام بدون محاباة وبإتسار كرامتهم وظفهم
هناك مثله والذي أعانه على معرفة مصالح الاهالي هو معرفته لغتهم ودينهم أميرال البحر
الكابندان دى سان اندى وهو شيخ من منصف في السياسة ومن لا قيمته في غير القاعدة
الفقيه الغيبه الشيخ السعيد بن شاح قاضي بالقلم وهو مشارك في الفنون الاسلامية وله
اطلاع حسن في الفقه مع عفة واستقامة ثم ان الاهالي على العموم في طبعهم نوع من
الحمد والنشاط وذرية البربر في لونهم شقرة وصهوبة ولهم ولوع بالفرسية والملاهي
في المدن على نحو ما في اوردوبا وفي بقية القرى والبادى على نحو ما ذكر في تونس
مطلب في التجارة بالجزائر * التجارة مع خارج القطر أغنيها عن الفرانيس ثم
الاسبغبول والظلمان ثم غير كالبعض من الاهالي والاندكاز والنادر من غيرهم وفي
دواخل القطر مقسمة بين الاهالي والفرانيساويين وهي على نحو التجارة بتونس اذ لم
تحدث بها معامل ولا كبير حركة تجارية سوى بعض معادن كالتفاح في مدين الحديد
بعنايه رعمدين فضة في القالة على ان تصفيتها وصناعتها تكون في فرانسا وأصول
التجارة التجارية على نحو الاصول الفرانيساوية وعلى ما فيها من المعاهدات مع الدول
وأما البريد براو بحرافه ويبدشركات فرانساوية وفي الجزائر دار صرف تسمى بانكة
الجزائر لها أوراق مالية مثل البنوك المعتمدة في اوردوبا ولتسهيل طرق التجارة وان شئت
قلت لتسهيل الحركة العسكرية قدامت طرق الحديد بين الجزائر وهران وتلمسان
ثم أخرى بين عنابة والقالة وسوق هراس وقسنطينة واسكندرية وهم بصدد وصاها بطريق
تونس ووصل البقية ببعضها والمذاكرات جارية في مدعى طريق الحديد الى دواخل
افريقية والصحرى حتى تجمع بين شطوط افريقية الشمالية الشرقية من جهة الجزائر
وتونس وبين شطوطها الغربية من جهة سانية قال وتقر على ممالك السودان ولا يخفى
ما في ذلك الربح الباعظ

مطلب في الاحكام بالجزائر * الاحكام الشخصية منقسمة الى قسمين فإيرجى الى
الوقف والتمكك والاطلاق والارث عن المسلمين له قضاة مسلمون على مذهب مالك

وفي بعض المدن مفتون حنفية والقضاة من بن لهم المحكم بكتاب مختصر الشيخ خليل
ويجلس مع القاضي عدلان للشهادة على الخصوم وينوبه أكبرهم عند منفيه وأما ما يرجع
إلى سائر المعاملات والجنابات فله مجلس مركب من ثلاثة أعضاء فرانسوا وبين ويحضر
معهم عضو مسلم وهذا المجلس على نحو مجالس الأحكام في فرانسوا غير أن القانون الذي يحكم
به مترجم بين ما ترجم من مختصر الشيخ خليل وبين القانون الفرانسواي فإذا كان الخصمان
من المسلمين والدعوى من أنواع المعاملات الاختيارية فلهما الاختيار بين فصلها
في هذا المجلس أو لدى القاضي المشار إليه وأما إذا كانت الدعوى من قبيل الجنابات
أو بين مسلم وغيره فلا تفصل إلا بالمجلس كما أن للمجلس حق التحقيق على القاضي فيما يحكم
به في نوازل المعاملات وذلك جار في كل بلدة (وأما القضاة) في حكمهم القواد والاعوات
والقضاة ثم لما كان أعضاء المجلس في الأغلب غير عارفين بلغة القوم لزم إحضار مترجم
مع مراقبة العضو المسلم ومع هذا فلا يحصل الانتصاف المعهود في محاكم فرانسوا إلا من حيث
الأعضاء الفرانسواي فإنهم يتحرى في انتخابهم استكمال الصفات والاستقامة لكن
يحصل أطوار عدم إحسان الترجمة جهلا أو عدم عدم جدارة العضو المسلم فلا يجري
الانصاف وأغلب ما يكون ذلك في المحكم الذي لا يقيم المحكوم عليه وكبلا عارفا باللغة
الفرانسواوية ومتضلا بمعرفة الأحكام وقد حضرت يوما متفرجا في مجلس المحكم بعناية
الذي هو في الهيئة على نحو ما تقدم في باريس فأتى برجل في دعوى جنائية ويدها هو
ينغم في كلامه وإذا بالمترجم تكلم للحكم كان الرجل غم مقالة فصلا در المحكم حالا
بصفته وما أخرج من بيت المحكم الأول في من الحكم والاطم والسب من أعوان المجلس
ما نتجت من صدوره من فروع الامة التي كنت أشاهد في اعتدالها في فرانسوا وأولئك
الأعوان هم من الأهالي غير المثقاة ومنهم أيضا أعوان للضابطية ويتجسسون على من
يقدّم من خارج رجا يهيج الأعراب إذا توجه إليهم وبجهد التهمة يسافرون بالبلد وهم
لا يحسنون لا التجسس ولا الخطاب لعدم الأهلية في الانتخاب وعلى هذا النحو في عدم
الجدارة بجمع من قضائهم فلا يتقنون الارتشاء ولا يحسنون حفظ ناعوس المنصب حتى
شاهدت قاضيا في عنابة يتلاطم ويتخايق مع الخصوم ويجلس في حانات الأراذل مما
يتبرزه عنه أعضاء مجالس المحكم وكان ذلك في أصل القصد من عدم التحري في الانتخاب
لتفرا لأهالي من أحكام القضاة ويفضلون أحكام المجالس بل ورعا أدى ذلك مع

زيادة

زيادة جهل العامة إلى اعتقادهم الاختلال في الشعائر الدينية لما يرون من سوء حالة
القضاة وأحكامهم واعتدال المجالس وانصافهم
مطلب في المعارف بالجزائر المعارف فيها على قسمين الأول علوم الديانات والثاني
علوم الرياضيات فالأول قسمان أيضا الأول ما هو مختص بالديانة الإسلامية وله
مدرسون في الجوامع يقرؤون النحو والفقه وفي خصوص الجزائر من هؤلاء عشر مدرسين
والفقه هو المالكي وقيل من الدروس في الحديث أو غيره وأكثر الاجتهاد في هاته
العلوم في بلاد قسنطينة ثم تلمسان وفي الجهات الجنوبية يقرؤون العلوم في زوايا الطرق
ولاهالي هاته الجهات اعتناء بأخذ العلم فيرحلون إليه إلى فاس وتونس وقيل من منهم
يرحل إلى مصر فلذلك لم ينقطع في تلك الجهات من له اطلاع حسن ومشاركة جيدة وقيل
من يتضلع حقيقة التضلع لأنه ليس في أوطانهم علماء فحول وانما يقرؤون صفارا الكتب
وأكثر الانكباب في الفقه المالكي على حفظ مختصر خليل وتفهمه ومن تهر في العلوم
في إحدى البلاد الخارجية قداما يرجع إلى وطنه وفي كل تلك العلوم مدرسون في
الجوامع لهم مرتبات من قبل الدولة الفرانسواوية وهي القائمة بمصاريف إقامة الجوامع
وما فيها من قراءة الأخراب أو كتب الحديث لأنها استولت على جميع الأوقاف والمساجد
واقصرت في كل بلد على عدد مخصوص من المساجد تقوم به وغيره تصرف فيه بما
ناسهوا وحرم المستحقين من مالهم كأوقاف الحرمين والقسم الثاني ما يختص بالديانة
النصرانية ولا دخل للدولة فيه وانما القسيسون لهم مدارس لتعليم ديانتهم وقد كان
نوع من القسوس يعرف بالجوز ويت أنشأ مدارس للتعليم حتى لاهل العلوم الرياضية مع
الديانة ولهم اتقان في كيفية التعليم والترقية وقد كانوا في حدود نيف ومائتين
وألف احترازوا بكثرة من أولاد الأعراب وغيرهم المسلمين بنات وأطفالا ونصروهم وذلك
عند ما وقعت فجاعة شديدة بالقطر ولما بلغ مجلس النواب في فرانسوا ذلك العمل شدد
قسم منه الزكبر على الدولة في اطلاق القسوس على ذلك العمل لكنهم لم تنفعهم وعند
ما كبر البعض من أولئك الأولاد وعلموا بأن أهلهم مسلمون فرأوا إلى أهلهم ثم لما منعت
الدولة الجوز ويت من التعليم في فرانسوا استولت على مدارسهم ومكاتبهم في سنة
١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م عممت ذلك في الجزائر أيضا ونفقتهم من كل مال كمالا لكنها
أوصت بهم نوابها في الممالك الإسلامية بأن يحرمهم في حريتهم أي إذا أرادوا إنشاء مدارس
والتعليم فيها فليس للدولة الإسلامية منعهم وإن منعهم تعارضهم نواب فرانسوا مع أن

الدولة الفرنسية الا ان جمهورية وتطلق الحرية في كل شئ غير ان اسمايت حرية الجزويت في مال كها ولم يتيسر لها جايته في ممالك أوربا الا في اكثرها فعمل بهم مثل ما فعلت هي فكيف يسوغ مضادة ذلك في الممالك الاسلامية مع اختلاف الديانة فيها وأما في فرنسا فان ديانتهم متحدة لان الجوزويت نصارى من أتباع الكنيسة الكاثوليكية الخاصة للبابا غير انهم لهم مذهب في دقائق الديانة والتأويلات والفلسفة فيها جعل لهم نوع انفراد عن بقية القسوس بيد ان الدولة الفرنسية تستند في منعهم من التعليم بانهم ميمزون في تعليمهم الاحوال السياسية على الاصول الاستمدادية بما لا يوافق سياستها وتخشى من فشوه في الناس مع المكاتب التي يتخذونها تصير كالمذكرات تحدث منها الثورة ويأوى اليها الثائرون (وأما القسم الثاني) من أصل المعارف فهو سائر المعارف الرياضية وهاته لها مكاتب من الدولة في البلدان المتقدمة وهي على نحو المكاتب الفرنسية غير انما قاصرة عن العلوم العالية فبعد اتمام التلميذ فيها معارفه ينتقل الى باريس التي هي مركز سائر العلوم العالية والمكاتب بالجزائر فيها ماهول للولدان وفيها ماهول للبنات وقد حضرت بالاستدعاء في امتحان البنات بعناية ووقع الامتحان في اللغة الفرنسية وفي الكتابة وعزف البيانو وأنشدت المديرية خطبة في تحسين التعليم وأغاب المعلمين نساء في هذا المكتب كما حضرت امتحان مكتب الولدان من مسلمين وغيرهم وحضر كلا من الامتحانين وجوه البلد وحكامها

مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر * الصنائع بها احسنها الفلاحية وقد اتقنت في الجهات الشمالية على نحو ما هي في فرنسا (وأما بقية الصنائع) فانها على نحو ما بتونس مع الانحطاط في الدرجة لا في الكمية ولا في الكيفية عما في تونس الا بعض انواع من البرنس فلهم فيه مزيدا تقان كالمسمى بالعباسي (وأما هبة المساكين والطرق) فان الجديد على نحو ما في فرنسا والقديم على نحو ما في تونس لكن الطرق معتنى بتنظيمها وتوزيعها على كل حال كما في فرنسا (وأما اللبس) فالرسمي فرانسواي وقواد الاعراب الكبار يلبسون قفطانا طويلا مطرزا بسلك الفضة المذهبة وبقية لبس الاهالي على نحو لبس التونسيين سوى عموم لبس الرداء المسمى بالحرام حتى في المدن ويجعلون العمامة فوقه وكلهم يدخلون رؤسهم في فوهة البرنس ولباس النسوة احسن سترة منهن في تونس لانه متدلى وكذلك الاكل والواكب على انواعها فانها نحو ما في تونس الا الذين

الذين لهم مزيد اعتناء بقليل الارو وبأولين فقلادوهم في أشياء كثيرة وقد رأيت من العادات القديمة انهم لا يدخلون ديارهم نهالم بل كل من وصل الى السقيفة نزع نعله ولمس نعلها خاصا بالدار أو دخل حافيا ثمغفعا على النظافة والظاهرة وله من انواع طريقة متقنة في الاكل سيمما المتخذ من ورق العجين حلوا وماحسا (وأما اللغة) فهي ايضا عربية محرفة على نحو ما في تونس غير انهم اقل فصاحة في النطق ببعض الاحرف مع وجود كلمات غير معروفة في تونس كقولهم أدروك بمعنى انظر أو ما قاربها وفي جهات ذرية البربر لم تنزل لغات اسلافهم مستعملة كما في زواوة وبني مزاب

الباب السادس في ان لالات يره

الفصل الاول في سفرى اليها *

قد تقدم اني اقامت في باريس سنة ١٢٩٦ فحوشهر وحيث كنت علمت أغلب ما فيها ولزمني انتظار أشياء يتوقف عليها رجوعي الى تونس أحببت ان أقضى بعض أيام في رؤية انكلا تيره لشهرتها مع قربها من باريس فركبت الرتل السريع صباحا وذلك في رمضان الموافق لتهوز العجمي واستمر الرتل ساجحا بسرعة يقطعها نحو الخمسة والاربعين أو الخمسين ميلا في الساعة فرأيت من منظر شمال فرنسا ما يربوعن الجهات الشرقية والجنوبية انتظاما وعمرانا الى أن وصلنا الى بلد كلى التي هي مرسى على أضيق خليج بحر المنش بين فرنسا وانكلا تيره ولها عدة أسوار وخنادق متينة حصينة للغاية ودخل الرتل بين سورين الى أن وصل الى محاذات الباحة اللاصقة بالرصيف وكنا أخذنا ورقة الكراء الى ذات لندره فانتقلنا من الرتل الى الباحة وصادفنا باخرة عجبة الشكل اذهى مؤنفة من باخرة من ملاءة عريضة وسطحها متحد ولاكل آلة بخارية وبها بيت جلوس واسع جدا ذاتان بليخ وبها ايضا بيوت صغار لمن يريد الانفراد لكنه يز يد نحو عشرة فرنك في الكراء عن الطبقة الاولى وفي الباحة جميع ما يحتاج اليه المسافر لكنه له ثمن زائد عن الكراء والداعي لجعل الباحة كذلك هو صعوبة ذلك الخليج وشدة اضطرابه لانه مضيق بين بحرين ويمر فيه التيار بسرعة فباد في ربح يشتد اضطرابه مع تطلب الراحلة لاسا فاخترعوا ذلك النوع من البواخر لكي لا يمحصول فيه الاضطراب بكثرة عرضه فلم يقدوا اخترعوا نوعا آخر فيه أيضا وهو أن يكون بيت الجلوس منفصلا له عن الباحة من جميع الجهات ومعلقة فيها

على نحو الفوانيس بحيث اذا مال البانخرة لا ميل البيت حيث كان معالفا في تبع ثقل
 المركب فلم يندأ ايضا لانه اذا اشتد الميلان بلاطم بعض أجزاء السفينة حادط البيت
 ويتبعه في الميلان فاولوا أن يخرقوا طريقا تحت قعر البحر ووضعوا لذلك رأس مال
 قدره أربعة ملايين فرنك بين الفرنسيين والانكليز للتجربة أعنى تجربة معرفة الطبقة
 السفلى من أرض البحر هل هي صلبة قابلة للاستسك أو هي رخوة أما أصل إمكان
 النفاذ فقد جربوه تحت غمر الشمس كما سيأتي ذكره ولا زال العمل جاريا في هاتئ التجربة
 وذكروا أنهم وجدوا الأرض صلبة بان حفروا في شاطئ البحر بئر من أعنى
 محل في ذلك البحر فوجدوا طبقة الأرض صلبة فاجتهدت الجهاتين متوال في أحداث
 هذا الطريق وهذا ينبغي عن عزائم الامتين في العمل والمال ولا يبعد حصول المقصود
 في وقت قليل ثم اقلعت بنا البانخرة ولم تحمل الا الركاب والبريد وما خف من البضائع
 ورحل الركاب وأنعم الله علينا بان كان البحر في نهاية السكون ولله الحمد فكان في غاية
 الراحة غير اننا لانظر الا ما قرب من البحر للبانخرة لكثرة الغيم في الشطين وبعدد ساعة
 وأربعين دقيقة وصلنا الى مرسى دوفر من انكلانديرة التي هي أقرب مرسى في مقابلة
 مرسى كالي ووصلت البانخرة ايضا الى الرصيف ونزلنا الى الرتل الذي هو على أهبة السفر
 باصق البانخرة فسالني خدمة الرتل الى أين توجهي فقلت الى لندره فقالوا أي جهة
 منها فتجهيت هل هو لا لهم عجالات يوصلونني بها الى محل نزلي مع اني لم اتخذ ذمنا ولا غما
 كنت كتبت لاحد معارف في فيرالميتلاني في المحطة فاعدت لهم اني ذاهب الى لندره الى
 محطة سكة الحديد فقلوا أي محطة فتذكرت ما كتب لي المتلقي الى في المحطة من انه
 ينتظرن في محطة فيكتوريا وعلمت اذذاك فائدة تنصيصه على اسم المحطة وحينئذ
 ذكرت لهم اسم المحطة فعينوا الى الحافلة التي تركها او كان ذلك بعد تعجب في التفاهم من
 الجهل باللغات حتى كان الذي فرج الحال رجل يعرف الفرنسي ثم قفل الرتل سرعان
 ساجدا بسرعة أزيد مما هي في فرانس حتى لا يترك النظر من رؤية الاشياء
 القريبة وكان الرتل يطفر طفرا من تقارب مقاطع قضبان الحديد الجارية عليها
 من سرعة السير اذ هو يسير ستين ميلا أو ازيد الى الثمانين في الساعة الواحدة وكنت
 أرى على بساط الأرض آحاما من بعد من شجرة الدينار التي يضم ورقها الى الماء الشعير
 المتخذ سكر كالمعروفة بالبيرة ونرى كواما كالقمر المنثورة من الأجر المصنوع حتى
 تعجب من كثرة وكثرة معاملته ولا كفى عنده ما شاهدت بل انهم زال التعجب لان

الاجر

الاجر وحده هو مادة البنائن لما قربنا من لندره واذا بساط الأرض على نحو مد البصر
 كأنه شبكة صياد بقضبان طرق الحديد المتفرعة الى جميع الجهات والرتل وارادة صادرة
 كالخل الساحب فوصلنا الى المحطة وتناقنا في المنة نظرا الى ونفس عنى مللى بكلامه العربي
 وهو مستر امير في أحد أبناء الشام انقل الى هناك وسكن بلندره محترفا بصناعة التعليم
 للسان العربي وكان دخله من التعليم كافي له بعمره لعلوا الاسعار وكانت مدة السفر من
 باريس الى لندره تسع ساعات وثلاث اربع الساعة بين السير في البر والبحر وسكنت في
 الحارة المعروفة بهيت بادك واقمت بلندره يومين منصفين وثلاث ليال واليوم الوسط
 ذهبت فيه الى بلد ابريتن صبا حاورت منها ساء حيث انها على شاطئ البحر وبنت فيها
 أعينهم صيفا وهي من أعظم منتهاتهم وأبنيتهم مثل أبنية لندره وأحسنها في هاتئ البلاد
 ثلاثة أماكن (أولها) قصر الملك وبستانه فالستان جميل اجالا (وأما) القصر فقد بناه
 ملكهم ويلم الثالث المتولى سنة ١٦٨٩ الذي كان محبا بالصيد والخلاء محبا
 للانفراد فبنى قصر بريتن وكان مغربا بأحوال الصينيين فجعل بها ذلك القصر بعيدا عن
 القاعدة ليعيشه بالانفراد ثم أنشأ القصر على نحو قصور ملوك الصين وجلب اليه من
 هناك سائر الادوات والمفروشات وغاية الفرق بين هذا المقام والبنائن المعمورة انه
 لا يشع من الاطبقة بين والقباب كلها على شكل مخروط الوسط والمحيط والابواب كلها
 منقوشة من خرفة بالاشكال الصيفية وألوانها وتصاويرها والدرج ذات شكل غريب
 مرتاح وظاهر القصر من خرف وعلى زواياه وأبوابه شرافات وصوامع جيدة مزر كشرفة قد
 باعت الملكة فيكتوريا المتولية الآن هذا القصر بجمعية أهلية ليعق منتدى للعلوم في
 خطهم واجتماعهم وقد اتوا اليه عقب شرائه من سائر أقطار انكلانديرة وما زال
 هكذا مباحا للمتفرجين وقد شنت صحف أخبارهم على شمع ملكتهم ونهتها في المسال
 ببيعها ذلك القصر للاهالي وكان ينبغي لها أن تبيعهم اياه واطن ان الثمن لم يبلغ
 المليونين فرنكا (والمكان الثاني) في البلاد هو محل معرض أنواع السمك في أحواض
 من الزجاج ورائها الضوء مركوزة في الحيوط ينزل اليه بدرج على الشط وحوله مطاعم
 أنيقة وحدها دائق وفوقها قهوة وفي بيوتها هذا المعرض بيوت عديدة جميع حيوطها
 أحواض زجاج فيها أنواع الحيوانات البحرية ما لله به عليم ويستفيدون من ذلك كيفية
 حياة الحيوانات وتوالدها (والمكان الثالث هو دكة) على البحر طولها نحو نصف ميل
 مصنوعة من خشب متين مرفوعة على أعمد مبنية من الحديد عالية من سطح البحر

وحول الدكة وفوقها مقام - دومنازه وقهاوى وذلك هو منتهى المتزهين واللاعبين والمتسابقين في البحر وبقية البلد ليس فيها ما يستغرب وانما هي حسيمة ذاية له نظافة الطرق ولم تزل الاشغال جارية في احداث حارات جديدة فيها تم لما رجعت الى فرانسا بت ليلة في مرسى دو فرلان البانحة تسافر بالبريد مبكرة فاستمرت الذهاب اليها عشية لكي لا تعب بالركوب في الرتل لئلا للوصول اليها وتطوفت فيها فاذا هي مرسى حربية وحشة متينة الحصون كثيرة او مبانيها رديئة وطرقها وسخة ومنزل المسافرين الذي يتما فيه حسن متقن وطعامه رديء وليس في البلاد ما يبسط النفس فركبنا منها بركوى الصباح ورجعنا الى فرانسا في بانحة فرانساوية اعتيادية وكان البحر ساكنا مع الضباب الكثيف وحول شاطئ فرانسا كان الجزر حاصلا حتى خشي السفن من مصادمة الارض وكان قعر البحر يرى في بعض الجهات

الفصل الثاني

لما كانت هاته المصراع الممصرة هي قاعدة انكسار وفيها أغودج سائر الممالك يترجم ان تفرد بالذكور غير انه لا يخفى ما للمعادن من المعادن وقد ذكرنا من أوصاف باريس وتفاصيلها ما يغني كثير من عن اعادته في صفة لندره فلنقتصر على ما تفرد به هاته عن تلك وهكذا انساك في سائر المباحث بحيث نقتصر على ما يفيد وما يشترك فيه الجميع يعلم حاله مما سبق في الابواب السابقة فنقول ان لندره أكبر مصر في أوروبا وسكانها على ما تحرر سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ٣٤٨٩٠٠٠ نسمة منهم ١٦٣٣٠٠٠ ذكورا و ١٨٥٦٠٠٠ انثاوا ويخترقها نهر التيمس الذي يحمل السفن الكبيرة وعاليه جسور عديدة ضخمة جدا منها البناء ومنها الخشب ومنها الحديد الذي لا أعده له يقوم عليها في النهر وانما طرفاه على العدوتين ووسطه معاق بقضبان وسلاسل ممتدة الى طرفيه حيث يوجد أنبنة ضخمة مرتفعة تسمى أعلاها تلك السلاسل والقضبان ثم تنزل الى الارض بحيث تكون على شكل مثلث زاوية الوسطى قائم فيها ذلك البناء وتلك السلاسل أربع في كل جهتين من طرفيه اثنتان وبعض هاته الجسور - رعليها طريق الحديد وبعضها عاليه - جسور أخرى على طريق الحديد وقد خرقوا تحت النهر نفقا يمر فيه الرتل أيضا وطول النفق ألف ومائتا قدم وكان انشاؤه سنة ١٨٢٥ ثم طمى عليه الماء ثم جدد سنة ١٨٤٣ وكانت عصاريفه ١٥٣٥٠٠٠ فرنك بحيث ترى الطرق

عند

عند نهر التيمس في بعض جهاته - على أربع طبقات فالر تل تحت الماء والسفن على الماء والهجلات والدواب والناس على الجسر والرتل أيضا - على جسر فوقهم - هم والطرق أكثرها في عرض عشرين ذراعا والقليل أزيد من ذلك أو أقل حتى ان منها الضيق الذي لا تمر فيه عجلة والطرق قليلة النظافة حتى ان منها ما فيه الوحل - من الطين بقة - دار لا يستطيع مع هذه الهجلات على سير الخشب وبعض الطرق رقات مبلط بقطع من الخشب في شكل الحجارة ذات الشبر التي يبلط بها وذلك لقلّة الوسخ من الخشب مع قلّة الدوى وفقدان قرعة الهجلات وذلك انما هو في الطرق الكثيرة مرور الهجلات (وأما غيرها) فعلى النحو المعتاد والبناء آت غالبا من الحجر الا قليلا من أنبنة خاصة ضخمة متخذة من الحجارة وقيل أيضا من أساسات بعض الانبنة فهاته تحت لها الحجارة على شكل مستوى جميل المنظر وكثير من الديار عند أبوابها اسطوانات من المرمر محمول عليها روشن أو سرادق وعامة البناء ذر ثلاث طبقات والرابعة السفلى وكل دار تسكن عائلة فقط ولذلك كان منظر باريس أجمع الابعض حارات بنيت على نحو باريس فلم يستحسنها الاهالى و بقيت منفورا من سكانها وكل دار تجد على بابها روشن خارج عن حائط الدار وفي البلاد عدة حدائق رحبة جدا أعظم مما في باريس منها حديقة هيت بارك ولكل حارة تقريبا حديقة صغيرة خاصة باهلها وأعظم مكان في لندره هو الجهة المعروفة بالسيفين وهو طريق عظيم مشتمل على دار صرف الدولة وعلى دار حاكم البلاد وهو مركز شغال التجارة الكبرى ومحط ادارات أعيان التجار فتري فيه من الازدحام ودوى العواجل والحوافل والمخافل والوكلاء والساع ما يحير العقل والنظر واللب مع ان انبنة - ه وتحسيناته ليست مما يند كرو عادة أهالى لندره ان حارات الاشغال والحوافيت والمخازن لا يسكنها الا الصنف السافل من الناس وحارات السكنى تكون خالية عن جميع ذلك حتى يتعب الساكنون في جانب ضروورياتهم لولا التيسير الكثير في اسباب الانتقال من مكان الى مكان على نحو ما مر في باريس وتزيد لندره بان خط طريق الحديد يطوقها بدائرتين احدهما أوسع من الاخرى وبالجملة فقد انفردت لندره بعماريت يوسعت من مدن العالم بكثرة الحركة وهول الجهد في الشغل والاخذ والعطاء والسفر والازجوع ويرى أثر ذلك في محطات طرق الحديد كما أشرنا الى ذلك سابقا من رؤية براج شبكة القضبان مبسوطة عدة أميال وبحار العقل كيف لا يغلط مسير المرحلات وحراس مفاتيح الطرق بذهاب الرتل الى غير قصده ففي لندره ثمان محطات على نحو

ما ذكرنا في محطة فكتوري يا وقد أحصى في أحدها عدد الداخل والخارج من الرتل في مدة نصف ساعة فكان اثني عشر رتلا وليتس على ذلك وقد نظرت يوما من قصر الزجاج دخان المزجيات الصادرة والواردة جارة للرتل فاذا هي من الجراد المنتشر في كل الجهات (وأما بقية الأحوال فهي دون باريس في نظارة الخواص و بهجة البناء وعدم وجود محل للبول أو كنف في الطرقات وفي النظافة والتنظيم والتنوير ولذا ذكر بعض محلات لم نر مثلها في باريس فمنها قصر الزجاج وهو قصر عظيم جدا متخذ من قضبان حديد مصف بها قطع الزجاج وقد انشئ أولا مركزا معرض العام في لندره وهو أول معرض في أوروبا بعد انقضاء المعرض نقل ذلك القصر إلى ربوة حذر لندره واتخذ سوقا لبيع تحف وساع ظريفة ولوضع عجائب وآثار دهرية وصناعية للفرجة والتزّه وحوله حديقة نيقة ذات فوارات وقهاوى وعلى كل داخل أن يدفع شيئا زهيدا من المال لمجرد الدخول والفرجة وما يشتري فهو بثمنه وطريق الحديد يصل إلى هذا القصر من جهتين وهو ذو ثلاث طبقات ومقسم على عدة أقسام (وفيها) ملهى (وفيها) محل للرمية (وفيها) حديقة (وفيها) عدة فوارات (وفيها) عدة مطاعم (وفيها) قسم لمثال جراه غرناطة بالاندلس اعني مثال بعض جهاتها الشهيرة كوسط الحجراء والبيوت الكبيرة متقن التمثيل اعني تمثيل مجسم بحيث يدخل الانسان إلى قصره على شكل الحجراء فيما تقام وفي كيفية طلي البيوت وتوحيها بالذهب وما فيها من الكتابات النيقة بالخط الكوفي وذلك القصر هو على نحو الالبنة العربية لكنه فائق الاتقان والصناعة والتأنيق والتزييق وفي القصر الزجاجي (قسم) لأحوال الصينيين وصناعاتهم وأشكال اناسهم مجسمة تصاوير من الشمع وهيئة المكثرين منهم لاسيما أعمال الافيون وتأثيره القبيح في عقولهم وذاتهم (وقسم) منه لتأريخ بلاد بنمي من ايطاليا تار يخا بالمشاهدة لصورة أطوارها وقسم منه لحوانات غريبة منها الغول المسمى بالكورا الذي هو نوع من القرد الكبير وقدم ذكره في باريس وأنواع أخرى من القردة صغار شبيهة بالانسان الزنجي وفي القصر الزجاجي أيضا (قسم) لبيع التحف والبضائع الرقيقة وقد رأيت فيه نحو سبعة رجال من العرب من أهل الشام ومصر والمغرب متخذين محلات لبيع تحف بلادهم والطرقات (والمحاصل) أن هذا القصر الزجاجي جامع لأشتات الظرف والتزاهة (ومن الاماكن الشهيرة) في لندره أيضا التريفة المعروفة ترافا كرو وفيها عمود بلاس من المبنى من المرمر ارتفاعه ١٧٦ قدما انجليزي وعليه تمثال وحوله شرفات من النحاس اتخذت من

مدافع أخذت من الفرانسييس وحول العمود فوارتان بالماء أمامهما صورة الملك شارلس الاول وكان نصب العمود (سنة ١٨٤٣ ومنها أعمدة) أخرى (ومنها) الملهي المتعددة وقد شرعوا في بناء أكبر ملهى في أوروبا وأكثرها تأنيقا بامهات الملهي قران لوبرة في باريس لكنه لم يتم إلى الآن وأعجب ما رأيت في مملكتهم في محل التخصيص من اللعب أن يتناثر ترفع في الهواء إلى السقف وتغيب فيه وتارة ترفع إلى نحو نصف الفضاء تنسحب في الهواء طائرة إلى جهة اليمين من المتفرجين من غير أن يرى لها ماسك أو شيء تعاق به وقد خاضت صفتهم في ذلك ولم يقفوا على قول حقيقي في صورة ذلك غير أني شعرت بأنهم يقللون الضوء عند اعادة تلك اللعبة (ومنها) دار الامتحانات العلمية (ومنها) قصر الندوى وهو أعظم بناء في هاته البلاد ويمكن أن يقال في أوروبا أيضا هذا قصر الغات كان برومه فهذا القصر باندريه يشغل على ١٢٦ مدرجا وأزيد للصعود إليه وأكثر من ١١٨٠ بحرة و ١٩ ايوانا (منها) ايوان الاجتماع الرسمي الرحيب ويشتمل على اسرة ومقاع ومطاعم وقهاوى بحيث أن أعضاء الندوة اذا خرجوا هم الحال إلى اقامة أيام هناك فلا يحتاج أحدهم منهم إلى سوى الملابس يأتي به من محله ولما كان لبهم طويلا ويقضون أشغالهم فيه فكان في القصر من التنوير ما يعجب منه الناظر وكذلك أمر قد فتمته (ومنها) المتحف البريتاني الشامل للآثار العتيقة والذخائر الغربية وعلى نحوه ودونه عدة متاحف أخرى (ومنها) دار الصرف أي البنك الدولي وهو أعجب بنوك أوروبا كبرا وغناؤه من الذهب فقط عشرات آلاف الملايين مخزونة قطعاً كبيرة وصغيرة للدولة ولأن يؤمن ماله فضلاء المصوغ والفضة وللخزنة محل حصين محاط بالمياه خشبية الخريق (ومنها) البورس أي محل اجتماع التجار (ومنها) مجامع التجارة العديدة (ومنها) قصر الهند أي محل إدارة الهند المؤنق (ومنها) دار شيخ البلد (ومنها) الحصن العظيم المسمى توراف لندره (ومنها) منزل للمسافرين المسمى ريش مانت وهو خارج البلد على ربوة مطول على غياض ومرج ونهر ويتنابه الناس لئلا كل بكثرة والسكنى بقلعة وأكله أحسن من غيره (ومنها) بيتان الملك وقصره خارج لندره أيضا المسمى همبتون كورت وليس به من الغرائب الا عريشة عنب واحدة مغروسة في بيت من الزجاج لوقايتها من البرد حيث أن شدة بردها تكاد تبرئ من نبات العنب بها فكانت هاته الشجرة معني بها منذ أزيد من قرن وقد عظمت جدا حتى ملأت أغصانها جميع البيت التي طولها نحو الاربعين ذراعا وصارت ثمرها لافان العناقيد ولا يخرج منها

عنة ولا ابتد كرامة من عند ذات الملائكة ثم ادى بها من تحفه من الاقارب والاعيان وعلى تلك الشجرة قيم خاص وخدمة وتقصد للتفرج بانفرادها (والحاصل) ان لندره لا تؤنس الوارد بنظرها الاجامى ومحاسنها مخبئة يروق بها الاعالى من الناس ومن اكرمهم معهم حتى انها ليست بها قهاوى كما فى سائر اربوا وليس فيها الا حانات لا يدخلها الا السفهاء او حوانيت تبيع الخلو يات لمن يدخلها واقفا ومنها عمود مصر المسمى بالمسلة موضوع على عدوة نهر التيمس الحاوية للقصور المملوكية وسائر مهمات لندره وقد صرف على جابه من اسكندرية اموال باهظة تجاوزت عدة ملايين من الفرنك وأنشئ لجانبها سفينة خاصة بخارية وصاحبها المراقبة سفينة اخرى وتلقبت عند الوصول الى لندره باحتفال وركزت فى موضعها غير ان هذا الموضع وما حوله ليس مما يذ كرو بينه وبين مركز المسلة بباريس يون بعينه لو كان الانقلاز انما قصه دو اسم وضع مسلة بقاعدتهم لانهم ارادوا جالها وبهاها (ومنها تمثال) زوج الملائكة المحالة المتوفى سنة ١٨٦١ فاقم له تمثال فى غيضة هيت بارك من اعظم الهياكل بناء ورونقا واتقانا من انواع المرمر الملون المتخرف بقناطير الذهب وصرف عليه عدة ملايين من الفرنك (ومنها) المكتبات العديدة الحاوية للملايين الكتب وادها شامله للكتب التى غنمت من ممالك الهند التى استولى عليها الانكليز اسبيلاء ابانها وهاته المكتبة ليس بها قاعات واواوين كبيرة كغيرها وانما هى عبارة عن قصر ضخم كقصور السكنى الكبيرة فى باريس وفيه عدة طبقات وكل يشتمل على بيوت بها نوع من الكتب والفنون وعلى كل نوع مدير تحته عدة قيمين والكتب المجلوبة من الهند فى أعلى طبقات القصر فى عدة بيوت ضيقة غير مرتبة ولا نظيفة والغبار على أكثرها ووضعها فى الخزائن على ترتيب وضعها فى دفتر قيد اسمائها وهذ الدفتر انما ترتب منه مدعهم دقريب لان الكتب اتى بها من الهند فى ازيد من اربعين صندوقا كبيرا و بقيت متروكة على حالها زمانا طويلا ثم فتمت الصناديق ووجدت ملائكة بالكتب وضعت هناك زمانا طويلا من غنى يرتب ثم كاف بتنظيفها وكتب فهرس لها أحد المستعربين من جهات سور ية فرتبها على حسب حروف المعجم فى اسمائها من غير نظر لوضوعاتها ومعانيها فتجددها مجموعة ولا جامع الاحرف اسمائها ولم يمتها كلها بل قيد منها ألفا وخمسين مجلد وابقى غيرها غير معروف ثم ان الكتب المتخرفة والاوراق المذهبة تجمعت فى صناديق من الزجاج للناظرين فترى ورقة من مخيف كرم وبازاتها ورقة من تصاوير الصينيين الى

الى غنى بذلك وتشتمل هذه المكتبة على كتب غريبة قليلة الوجود او غير معروفة وقد طبعت ما تم من فهرسها واعطيت منه نسخة وليس هو مجرد اسم الكتاب بل يند كراسه وطالعت وخاتمة ومؤلفه وكاتبه وسنة بالعربى مع الترجمة للانكليزى ومما رايت به نسخة من التلويح بخط جيل صحيح أظنها بخط المؤلف حيث قال فى آخرها كتبت هذه النسخة للشاب العزيز منى وأنا العبد المذنب الغريب الموسوم بسعد التفات انا غفر الله ذنوبه وسع عيوبه وهو المحترم المكرم صاحب المروءة والكرام علاه الملة والدين بلغه الله أقصى ما يمتناه اه وعلى ظاهر هذه النسخة خاتم مدغم كانه خاتم تيمورلنك والله أعلم

الفصل الثالث

(فى وصف انكلا تيره)

سمى عاته الملائكة خيرتان كب برتان احداها أكبر من الاخرى واقعتان فى البحر الشمالى من اربوا بتندى من دقيقة ٥٧ ودرجة ٤٩ شمالا الى دقيقة ٥٠ ودرجة ٠٦ وفى الطول الغربى معتبرا من باريس من دقيقة ٣٤ ودرجة ١ الى دقيقة ٥٠ ودرجة ١٢ ويحدهما من ثلاثة جهات المحيط الشمالى ومن الجهة الرابعة الخليج المسمى بالمدش الفاصل بينهما واربين فراسا ثم يفصل بينهما فى ذاتهما خليج مارجرس وبحر ارلاندها كبرها تين الجزيرتين يسمى انكلا تيره وجهاتها الشمالية تسمى اسكوتسيا والجزيرة الصغيرة تسمى ارلانده ولهذا كانت هذه الملائكة معتبرة ثلاثة أقسام نظرا للتاريخ القديم ويسمى مجموعها الاكن بريطانيا العظمى وعلى الاجمال فأرضها خصبة جدا ذات مزارع ومراعى واسعة الاجهات الشمالية المسماة اسكوتيا فانها الشدة بردها كانت غير صالحة للزراعة وهاته الملائكة اراضها منبسطة بهاربات قليلة الارتفاع وكلها معمرة حسنة المنظر متقنة الصناعة (وأما الجبال) فهى منخفضة بها الا فى اسكوتيا فانها مرتفعة شاهقة وليس بها جبل بل كاني (وأشهر) مكان فى الجبال جهة الشمال على البحر فى اسكوتيا المكان المعروف بمشى الجبابرة وهو اعمدة صخرية مركبة على بعضها الى علو ٤٠٠ قدما بغاية الاحكام خلقة فكانت نزهة للناظرين (وأما أنهرها) فكثيرة وأعظمها نهر ساورن الذى يصب فى المحيط عند مدينة بريستل ونهر مرسى الذى يصب فى بحر ارلانده عند مدينة ليفربول ونهر التيمس الذى يحمل

السفن العظيمة الى مدينة لندره وبن هاته الانهر ترع هظيمة سهلة المواصلات وكذلك
 نهر شانون في ارلانده والترعة المائية بها الموصلة بين البحرين (وأما بحيراتها) فكثيرة
 أيضا وهي في اسكوتسيا البحر المحيط بها من المرج والجبال ولذلك كانت ممتدة الى
 الافنية في الصيف وأشهرها بحيرة نس وبحيرة لومند طولها نحو ٣٠ ميلا وكذلك
 بحيرة نياغ في شمال ارلانده وبحيرة أرن فيها أيضا (وأما هوائها) فهو على العموم بارد
 وفي الشمال أشد وسليم موافق للصحة لكن يكثر فيها الضباب صيفا وشتاء وكذلك المطر
 الذي يسقي حرور وعاتهم صيفا وشتاء ويوم الحو الذي يظرون فيه زرقة السماء يعدم
 حسنات الايام لان الضباب يتكاثر أحيانا الى أن يحوج الى ابقاء النور نهارا وربما
 كان غير مجد الا في البيوت والمسقفات أما في الطرق فالنور انما يقوم بنفسه ولا تخرق
 أشعته تكاثر الضباب وكاد المطر أن لا يفارقهم ثلاثة أيام متواليات وقد يشهد البحر
 في الصيف الى أشد من أقليم خط الاستواء سيما في دواخل القارة حتى يموت الناس في
 الطرق وذلك لانعدام النسيم وسكون الهواء سكونا زائدا في شتد الحر الى درجة عالية
 للغاية لكنه لا يدوم فها هو الا يوم أو بعض يوم وتعقبه السحب والامطار والبرد (وأما
 نباتاتها) فهي نباتات الاراضي الباردة والجهات الوسطى والجنوبية يتخصب فيها سائر
 الحبوب وان كانت لا تكفي السكان وأما العنب وما شاكلة من نبات الاعمال والحر
 فلا يوجد منه الا ما يجعل له بيوت خاصة معاملة بالتسخين الناري ومع ذلك فتجد الارض
 بهجة مخضرة بالنباتات لكثرة العلاج واتقان الفلاحة وتجرية المياه وغاباتها كثيرة
 بها الاشجار الضخمة الصالح خشب الانشاء السفن العظيمة فيها النساخ مجهزة لا غلب
 البقاع ونباتات المراعي خصبة جدا تسمن عليها الحيوانات (وأما معادنها) فالنقى منها
 الحديد والفحم الحجري بكثرة في أغلب الجهات وفيها الرصاص وغيره وهي أغنى مما نك
 أوربا في المعادن (وأما حيواناتها) ففيها كل أنواع الحيوانات الموجودة في فرانس
 وإيطاليا كما سبق ذكره والسباع منها منقطعة للاجتهاد في ازالتهما من قديم فان وجد
 شيء من صغار السباع فاغساها في الجبال الشمالية وذلك كالدب والثعلب وما شاكلها
 وأول من اعتنى بافناء السباع من المملكة الملك أدغر المتولى سنة ٩٥٩ فقد ألزم
 رعيته في كل سنة بأن تأتيه بثلاثة ذئاب واستمر ذلك الى ان فني ذلك النوع وقد
 كان مالكا أرضها مع خيمته الشديدة لان الذئاب الشمالية كالسباع الكبيرة في الجرة
 والاذابة كالشاهد الاثن في الروسية وخيلها جيدة للغاية وفيها من أجود الخيل العربية

اشدة العناية بحيلها وتوليدها وتربيتها حتى فاقت سائر أوربا في الخيل وكذلك غنمها
 أحسن أنواع الأغنام وضوفها مرغوبة للصناعات النفيسة لانها كادت ان تكون مثل
 الحرير (وأما مدنها فقاعدتها لندره) وقد مر ذكرها وبقية المدن كثيرة ومن أشهرها
 ليقربول وهي ثانية لندره (في التجارة) واقعة على مصب نهر مري في بحر ارلانده وفي
 مرساها من السفن ما يستغرب من كثرتها ثم (مدينة) مانشستر لها من الشهرة ما يناكب
 السابقة وهي شرقها على نحو (٣٢) ميلا ثم (مدينة) بيرمنهام ثم (مدينة) وشفيلد
 (ومدينة) كدرمنستر وفي اسكوتسيا (مدينة) ايدنبر (ومدينة) ابردين (ومدينة)
 دندي (ومدينة) كلاسكو وهاته أعظم اخواتها تجارة وحر كذا ومعارفها في ارلانده أربع
 عظيمة (أحدها) جهة الشمال وهي بلغاست (الثانية) جهة الشرق وهي دويلين
 (الثالثة) جهة الجنوب وهي كورك (الرابعة) جهة الغرب وهي غلوه وكل من هاته
 الأربع قاعدة للقسم الذي هي فيه وهناك مدن أخرى عديدة غيرها (وأما مراسي)
 هاته المملكة فثيت كانت هي جزائر بحرية فكادت مراسيها أن لا تعدوا كثرها محصن
 تحصينا جسيما حتى ان كثير من الحصون في المراسي الحربية صارت الآن مدرعة
 بصفايح الحديد الثخين الذي لا يهل فيه الكور من المدافع الجديدة وفي بعضها معامل
 للسفن المدرعة والخشبية ومن هاته المراسي ما هو مأمن للسفن بأصل الخلقة كما كثر مراسي
 ارلانده لان في شطوطها تعاريج كثيرة حسنة المنظر ومنها ما هو مأمن بالصناعة وتجي
 الى هاته المراسي التجارة في السفن والبواخر من سائر الاقطار وكثر سفن العالم انما هو
 لانها كما يراى توضحه ان شاء الله تعالى وقد تفر ران لها على شطوطها الهداية السفن
 ليلا أزيد من مائتي سفارة (وأما تقاسيم المملكة) بالنظر للادارة فهي في انكلتيرة
 الاصلية اثنان وخمسون مقاطعة وفي اسكوتسيا ثلاثة وثلاثون مقاطعة وفي ارلانده أربع
 مقاطعات فالجميع تسعة وثمانون مقاطعة لكل منها ادارة على نحو ما يأتى بيانه ان شاء
 الله (واعلم) ان هاته المملكة تتبعها جزائر أخرى صغيرة حوالها كثيرة أشهرها جزيرة مان
 وجزائر نورمونيا وذلك عد المستعمرات الخارجية لان ما ذكره هو قطعة من ذات
 المملكة (وأما أهل المملكة) فهم اثنان وثلاثون مائتا كلهم انكلزيون وديانهم
 نصرانية على مذهب البروتستانت الا البعض وهم أكثر أهل ارلانده فهو ولا على
 مذهب الكاثوليك ويوجد فيهم قليل من اليهود والديريين وافراد من المسلمين منهم من
 أهل المناصب العالية والبقوتات الكبيرة الملقبة بالورد كالورد اسقارنلي وهو من

الصادقين في الاعتقاد الاسلامي ولله الحمد دخل اليه عن رؤية وبرهان نسأل الله له مزيد
 * التوفيق والحماية وعلو الكعب والهداية ثم ان هاته الممالك كلها مستعمرات واسعة في
 جميع اقطار الارض حتى كانت اول دولة في العالم في اتساع الممالك وثاني دولة في كثرة
 الرعية اذ هي تالية لدولة الصين في كثرة الرعية لكنها الاولى في اتساع الممالك وعلو
 الشأن في اقطار الارض جميعها فاعظم مستعمراتها هو الهند وما معه وقد مر في المقدمة
 تفصيل ما رصفنا اليه من احواله ولها في آسيا ايضا جزيرة ههنا تسمى في الصين ومدينة
 عدن وباب المندب وجزيرة بريم في جزيرة العرب وجزيرة قبرس في البحر الابيض دخاتها
 معاهدة مع الدولة العثمانية سنة ١٢٩٥ وحماية على مسقط وبعض قبائل شطوط
 جزيرة العرب الشرقية ولها في اوروبا جزيرة الباغولاند في بحر الشمال وجزيرة
 * وغرني في بحر المانش وجزيرة صغيرة حول المنجمد الشمالي وجبل طارق الهائل
 التحصين في ارض اسبانيا على الخليج الموصل بين المحيط والبحر الابيض المسمى ببوغاز
 طارق لان طارق هذا هو الذي عبر البحر من افريقية واسم تلك الجبل المذكور للمسلمين
 فسمي به ثم افتتح بقية الاندلس وكذلك لها في اوروبا جزيرة مالطة في البحر الابيض
 وسبأني تفصيل حالها ان شاء الله ولها في افريقية شطوط من سانيغال وجبال الاسد
 في كينيا العليا وارض شط الذهب فيها وراس الرجا الصالح وجزائر سنين وموريس
 ولا سانبول وشطوط في جزيرة مدعسكار ولها نوع حماية او سلطنة على ممالك مسقلة
 في افريقيا ايضا مثل الزلوس وغيرها في ارض الكفرة ونفوذ في الزنجبار ولها في
 اماريكال برنيتا الجديدة في شمال اماريكال وكندا وبرنزويك وسكوسيا ولا برادور
 وكلها توصف بالجديدة وجزيرة الارض الجديدة وارض اخرى غربي شمال اماريكال
 وجزائر المنجمد الشمالي وجزائر الاندلس الصغار وجزائر جامايك وبعثان الانكليزية وما
 جبالان ولها في اسير الباشا الشرقي ومعظمها من بقية الشطوط وجزائر ترمينا
 وزيلاند الجديدة ونورفولك فاذا نظر المتأمل لاتساع هاته المستعمرات وافتراقها على
 جميع اقسام المسكونة علم مقدار اقتراد هاته الدولة وسبأني في فصل التاريخ ان من
 حسن ادارتها كانت هاتيك الممالك قوة لدوائها لاجابة لضعفها وهذا جدول لعدد
 السكان

سكان انكلترا	٠٢٢٧٠٤١٠٨
سكان اسكتلندا	٠٠٣٣٥٨٦١٣
سكان ايرلندا	٠٠٥٤٠٢٧٥٩
سكان الجزر التابعة لها	٠٠٠١٤٤٤٣٠
عساكرو بحرية خارجها	٠٠٠٢٠٧١٩٨
سكان ممالكها بالهند	١٦٢٠٧٢٧١٥
سكان بقية اماكن باروبا	٠٠٠١٦٠٣٩٩
سكان ممالكها بامريكا	٠٠٥١٣٣٧٢٢
سكان مستعمرات افريقيا	٠٠١٨٦٠٠٠٠
في استراليا	٠٠١٩٥٨٦٥٠
في بقية الجهات	٠٠٠٤٢٦٠٤٧
	٢٠٣٤٣٠٦١١

الفصل الرابع

في اجمال تاريخ انكلترا

*

مطلب في تاريخها القديم لا يخفى ان سائر اوروبا كانت في الاعصر السالفة على جانب
 عظيم من التوحش فلذلك كانت تواريخها القديمة عميقة مجهولة ومن ذلك تاريخ
 انكلترا ايضا وغاية ما به لم من احوالها ان قومها من الكنعانيين اى قدما الفرانسييس
 الذين مقرهم في فرانسايين نهر السين ونهر غارون عبروا الى اراضي انكلترا بقصد
 توسيع التجارة فلم يجدوا لهم ممانعا واستوطنوا هناك ثم لحق بهم فرقة من اهل البلطيك
 وبقوا جميعا على التوحش التام وحكمهم بايدي رؤساء القبائل بل العائلات حتى
 ان غير هؤلاءهم كالعبيد بايديهم ويدينهم كهان لهم سلطة على الجميع بما يتعلمونه خفية
 * من علم السحرة والطبوعات ليوهموا العامة بخرق العادة لهم حتى اعتبروهم كالهة
 وكانوا جميعا يعبدون الاصنام حتى انهم بقربون اليها دماء الانسان بالاضحية لها
 وفي سنة ٥٥ قبل التاريخ المسيحي عبر الى انكلترا بولوس قيصر بجيوش الرومان فلم
 يتمكن منها لمعارضة الاهالي مع هييجان عظيم في البحر ثم طاد اليها ثانيا واستملك منها بعض
 الجهات لكنها لم يسقط حالها ايضا وفي سنة ٤٣ بعد التاريخ المسيحي اعاد

الرومان الكثرة وافتحوا الجزيرة وارسلوا رئيس عصبتها الى رومة اسيراً ثم ازداد الرومان
تكنامتها بما وقع من التخاذل بين أولئك الكهنة الى ان ابادوهم غيرة انه كانت احدى
القبائل مترسة عليهم امرأة يقال لها بوديكيا فاستنهضت جميع الاهالي وقهرت
الرومان وقتلت منهم (سبعين) ألفاً ثم اعادوا الكرة وانتقموا من الاهالي حتى قتلوا منهم
ثمانين ألفاً وازدادوا عليهم العذاب المعروف من الرومان ثم عدلوا فيهم وكل اخضاعهم
بالعدل أحسن من السيف لكنهم شغبهم اهالي اسكوتسيا الساكنون في الجبال بغاراتهم
المتتابعة فبعثوا بينهم سوراً ثم آخر أعظم منه طوله ثمانون ميلاً وذلك في حدود سنة ١٢١
مسيحية وفي سنة ٦٨٧ استبد على الرومان احد قوادهم يعل الاهالي اليه وصاروا على
انكلا تيره ثم عادت الى الرومان بلا حرب لانه كثر الانقسامات الداخلية ودامت ولاية
رومانية الى القرن الخامس وفي مدة استيلاء الرومان التي هي أربعة قرون حصلت
الاهالي على معارف جيدة مما كان عند الرومان حتى كانت ذات مدن وحضارة
وصنائع وتجارة لما في الاهالي من النشاط الى السكندرية في سنة ٤٢٠ اضطروا رومانيون
الى تسليم انكلا تيره لاهلها ورفع جيوشهم منها لما وقع في ايطاليا من الحروب الاهلية
والخارجية فكان حفظ قاعدتهم أولى لهم من حفظ المستعمر غير ان اهالي انكلا تيره
وان حصلوا على ظم من التمدن بسبب المتسلط عليهم فقد فقدوا ما يوازي ذلك من
الحرية والشجاعة للهوان الذي جعلهم اياه فلم يستطيعوا الاستقلال بانفسهم لما حجة أهل
الشمال من جبال اسكوتسيا فاذلك استنجدوا قبيلة من الالمان مقرها على مصب نهر
الالب من اربو بالشمالية تسمى السكسونية لما كان بينهم من المودة والمخالطة وطلبوا
منهم الاعانة على دفاع الاعداء فأنجدوهم لكنهم استأثروا عنهم بفائدة النصر فخلوا
الاهالي كالعبيد لهم وتكلموا عليهم وعندما أرادوا دفاعهم شتموهم واستقلواهم بالبلاد
ورحلت فرقة من اهالي انكلا تيره فارة بحياتها الى اراضي فرانسارسمى المكان الذي
استعمروه منها باسم برنيطانيا نسبة اليهم حيث كانوا من اهالي برنيطانيا وكان مبدأ
استيلاء السكسونية من سنة ٤٤٢ ميلادية ثم قسموا انكلا تيره الى سبع ولايات
تسمى باسماء أعيانهم ولكل منها أمير ويرجع الجميع الى ملك وهو أحدهم ونشأ عن ذلك
منازعات في هاتيك السيادة دامت بسببها الحروب الداخلية وعندما فاز بها ملك ولاية
كنت أحد السبع المذكورة دخلت في الاهالي الديانة النصرانية وذلك سنة ٥٩٦
وامتدت الهوينا فيهم الى أن عمتهم وفي سنة ٨٢٧ زال استقلال سائر الولايات بدخولها

جميعاً

جميعاً تحت تلك الملك واسيكس وهو أغبرت وهو أول مستقل حقيقة بالجميع وأول ملك
لانكلا تيره جميعاً من العائلة السكسونية وتوارثت الولاية اولاده وفي مدتهم هجم عليهم
اهالي الدايمرك وتكلموا اولاً عدة جهات ثم عمت ولايتهم لكنهم لم تطل واسترجع
منهم الفريد الملك الاصل من العائلة السكسونية بعض الجهات ثم عقد معهم صلحاً ومعاهدة
على الذب والاقدام واشترط عليهم الدخول في النصرانية ثم التفت الى اصلاح البلاد من
جهة التمدن ومن جهة القوات الحربية وأدخل جراحاتها ورقاها الى أوج حسن ومع ذلك
كان منكم كماً على التأليف والترجمة فافاد أمته فوائد جسيمة وفتح لهم باباً من الحرية حتى
كان من جملة حكمه التي جرت عندهم مثلاً الى الآن قوله يجب ان يكون لانكلا تير حراً
مثل أفسكارهم ولما ذلك لقب هذا الملك بالفريد الكبير وكانت وفاته سنة ٩٠٠ ومن
مشاهير ملوك هاته العائلة حفيد المذكور اسكوتس الذي أتم استخلاص المملكة من
بقية الدغورك وورث قوته الحربية الى أن رغب في موالاته غالب الملوك من اربو فافقد
الصلح مع فرانسوا صاهر باخته ملكها وباخته الاخرى ملك المانيا ومن مشاهيرهم
ايضا ارغوتوا المستولى سنة ٩٥٩ فانه أبانغ القوات البحرية الى درجة لم تعهد لهم في ذلك
التاريخ حتى صارت سفنه أربعمائة سفينة وكان يتفقد بنفسه المملكة مرة في السنة وهو
الذي قطع الذئاب منها كما مرآ نفاو منهم ثم أيضاً الملك اثيريل الذي كان سبب استيلاء
الدغورك على المملكة بقتله جميع من كان فيهم منهم فافتحوها بحروب ذرية ذلك منهم
على انكلا تيره ثلاثة ملوك أشهرهم الملك كنفوت الذي عمم العدل والراحة حتى استطاع
السفر عنها لزيارة البابا في رومية وكتب الى عماله بما تعريه اهلها جميعاً الى نذرت
حياتي لله وأن لا أحكم في عمالي الا بالعدل وأن لا أفعل في كل أمر الا المستقيم فان كان
صدر مني وأنا في عنفوان شبيبي وعدم مبالاة ما ينافض ذلك فها أنا ذا قد عزمت بحول
الله على تعويض ما فرط مني ولذلك أرجو وأمر كل من قادته شيئاً من الامور يريد
خلاص نفسه وبقاء طاعته لي ان لا يظلم أحداً سواء كان فقيراً أو غنياً ولتسوا بين الاشراف
وغيرهم في انالة حقوقهم على مقتضى الشرائع التي يجب حفظها ولا يحولكم عن ذلك
الخوف مني ولا تطلبوا رضا الاشراف ولا الميل الى ملي خزائني المسالية فاني لأحب مالا
جمع بظلم اه وبعد وفاة هذا الملك ثارت الفتن بين أعقاب وأعقاب العائلة السكسونية
الى ان استولى منها اثنان في ارتيا كانت متواليه حتى انقرض الجميع سنة ١٠٦٦ وينما
كانت الاهالي في نزاع فيمن يملكه عايمهم واذا باحد امراء ولاية نورمندي التابعة

لفرانساقدهم عليهم وقهرهم جميعا واستقر ما كاعاما على انكلا تيره وعلى نور مندية
مع انهم حصلت له حروب في انكلا تيره جلته على الانتقام بالقتل لاهائها وفساد الزرع
حتى نشأت عنه مجاعة مات فيها نحو مائة ألف نفس ثم نار عليه ابنة الذي خلفه في نور
مندية وحاربه وانتصر عليه وبعد موته خلفه ذلك الابن في كل من المملكتين مع حروب
دائمة فيه وفي خلفه حتى استولى هنري الاول من احفاده وحاربه فرانسافي عدة لويس
السادس عشر لاستخلاص ولاية النور مندية وغلبها ونارع البابا في حق اعطائه وظائف
الديانة واستقل هو بها مثل سائر الوظائف ثم تعاقبت الثورات والحروب تارة داخلية وتارة
مع الولاية النور مندية في استخلاص نفسها ونزع في التملك الى ان ولي هنري الثاني
اول العائلة البلاتينية وهو اسم حشيشة كانوا يصنعونها في قلايسهم ففسدت العائلة
اليها وذلك سنة ١١٥٤ فاعمل هذا الملك خرمه في ازالة تعصبات الجهات وأزال ما فيها
من الحصون وخضع رشيما من شوكة الاعيان وأجرى نوعا من التسوية في الحقوق فهدأت
الحروب في مدته ومن مشاهير فروع في الملك ريكادوس الملقب بقلب الاسد المتولى
سنة ١١٨٩ وهو الذي اشترك في حرب الصليب ثم أسر عند النمسا وفداه أهله وقتل وهو
محاصر لاحدى القلاع في فرانسافولى أعوه يوحنا الموسوم باختلال العقل حتى خسر
مستملكات الانكليز في فرانسافولى ابن أخيه فثارت عليه الاعيان وألزموه بما يأتى
خبره وانتقلت حالة المملكة الى طور آخر

مطلب في تاريخ انكلا تيره الجديد اعلم ان مبدأ ظهور الحرية في جميع أوروبا
على الاصول المعروفة هي انكلا تيره ولذلك كانت هي أسبق ممالك أوروبا الى ذلك
وحصل فيها هذا الامر على نحو ما سياتى ولهذا اعتبرنا ذلك فهو تاريخ جديد الى انكلا تيره
لانها استمرت على أصوله وزادت بها ارتقاء الى الاتزان واعتبرت في الامناء توقعات
ومعارضات تارة تخضع شوكة القانون وتارة تزيدها الكن على كل حال قد نشبت أصوله
وأدركتها العقلاء وممرت منهم الى غيرهم الهوى ناشأ الاصلاح في كل شئ (وحاصل
هذا البناء) ان الملك يوحنا وبلغتهم جانسانتيرما تصرفات أضرت بالمملكة
والدولة تعصب اعيان المملكة وفرضوا قانونا مسموما بالشر الملك كبير وألزموا الملك بقبوله
وامضائه والعمل به وذلك في سنة ١٢١٥ فلم يسعه الا العمل بذلك وملخص هذا الشرط
الكبير هو ان الملك التزم في حق نفسه وحق من يأتى بعده بمنح الحرية الى جميع الانكليز
وان فرض الضرائب على الامة لا يكون الا برضا مجلس مركب من الاساقفة ورؤسائهم

وأهل

وأهل الخطط الدينية والاعيان من الامة أصحاب القاب البارون والكنوت والمتوظفين
في الدولة وان ذلك يجري أيضا فيما اذا اقتضى الحال جعل امانة مالية على مدينة لندره
مع بقاء حريتها القديمة وان مجلس الحكم العام لا يلزم انتقاله الى حيث ينتقل الملك وان
الملكين لا يراضى لا يلزمهم العقاب المالى لاجل هفواتهم وانما يكون العقاب على
الجناية ولا يؤخذ لاجلها الا بما يزيد على القدر الضروري للجاني وهكذا الباعة والسوقة
لا تمس رؤس أموالهم ولا تعطل حركاتهم التجارية ولو لجناية وكذلك الفلاحون الذين
تحت تسلط الملك أو أصحاب الاملاك لا توضع عليهم ضرائب العقاب عند الذنب الا بقدر
الطاقة بحيث لا تعطل أشغالهم وان جنائيتهم المزمومة لذلك لا تثبت الا بشهادة اثني عشر
نفسا ممن يرضون للشهادة مع العيدين وان يبطل عمل التفسير بأخذ جميع وانات الاهالى
ومجالاتهم لمحل ائصال الملك وان يتحد عيار السكيل والوزن والقيس في سائر المملكة على
عيار لندره وان لا يمس حق الانسان مطلقا في كل ما يرجع لذاته وماله وعرضه ولو من الملك
الا بقتضى القانون وحكم المجلس به وأن لا يمنع أحد من السفر الى أى مكان اراده برا
وبحرا ولا يمنع من الرجوع متى اراد مع التزام الطاعة على مقتضى القانون (الح) فن
تأمل ما لخصناه من ذلك الشرط يعلم ما كانت عليه الحالة سابقا بما يناقض الشرط المشار
اليها ثم خلف ذلك الملك ابنة هنري الثالث ورأى في الملك خمسة وخمسين سنة مع كونه غير
جدير بالتصرفات وانما عضدا بقاء العمل بذلك الشرط وزاد تأكيدها بالقانون المسمى
بتقرير اكسفورد نسبة الى البلد المنعقد بها او ملخصه ان مجلس البارلمان أى مجتمع
البارونات هو الذى يعين اعيان المتوظفين والحكام الدين يتبدلون في كل سنة ويحرس
قصور الملك ويجتمع ثلاث مرار في السنة ويبقى في بقية السنة لجنة منه مركبة من اثني
عشر عضوا يتفاوضون دائما مع مجلس الملك ويوافقون في كل مقاطعة أربعة أعضاء لقبول
الشكاية من الاعيان والمتوظفين ويعرضونها على البارلمان عند أول اجتماع (الح)
ثم تولى ادورداو الملقب بذي الساقين سنة ١٢٧٢ ودخات في مدته ابالة والس تحت
انكلا تيره وولد ابنة بها ولها هذا صار لقب ولي العهد برنس والس وبرنس دى غال نسبة الى
الى المكان المولود به من الاسمين المذكورين ثم تولى ابنة ادورداو الثانية سنة ١٣٠٧ بعد
حروب طويلة في مدة الملكين أفضت بالثاني الى الموت في السجن واستولى به ابنة
ادورداو الثالث سنة ١٣٢٧ وهو ابن اثني عشرة سنة وهو المبتدى للحروب المائة سنة
مع فرانسافولى استحقاقه تاجها لانه من ذرية البقات الاقرب من فليب غالوا ملكها

واسم تولى على كالي وبردو وبانون مع مستنبتاتهما من فرانسابع د حروب هائلة وفي مدته
 ظهر مذهب البريستانت الذي انتشأ في انكلترا من رجل فاسق متدين بالانصرانية
 ولازال يتقوى فيه. ثم ذلك المذهب والحروب مستمرة نارة للديانة وتارة لجور الملوك الى
 ان استولى الملك هنري الرابع سنة ١٤٠٠ وهو اول عائلة المسماة لانكستر نسبة
 الى دوك ولاية تسمى بذلك الاسم ودامت الحرب في أيامه الى أن خلفه ابنه هنري الخامس
 سنة ١٤١٣ الذي جمع تاج انكلترا وفرنسا بافتتاحه للامانية وعند موته توج
 ابنه في حضان مرضعته بمدينة باريس بالتاجين معالانه ابن تسعة أشهر ولقب به هنري
 السادس غير انه ضعف بأمه بانه لا يراه لمرزجته عنده دشيمو بيته فانتسبت انكلترا تيره الى
 قسمين أحدهما تابع لهذا الملك والاخر لاثمن من العائلة السابقة واتخذ الاهالي شعارا
 دالا على التبعية فأتباع الملك شعارهم وردة جراه والاخرون شعارهم وردة بيضاء ولهذا
 تسمى حروبهم تلك التي دامت ثلاثين سنة بحروب الورد وخرجت في مدتها فرنسا
 واستقلت وكشفت الحرب عن رجوع الملك الى العائلة السابقة فكاند وفظائع من الملك
 ادور الرابع الذي تسبب في ذلك ولم يطل الملك في عهده عند وفاته سنة ١٤٨٣ وغايته
 انتزاعه من ابنه الصغير الذي تحت وصاية عمه فاغتنم العم الامر الى نفسه بقتل الموصى
 عليه وأخيه معا واستبد به سنة ١٤٨٥ متلقيا بهنري السابع وأمه ماري ثمة تأسيس
 ادخال واسط القوم في ادارة المملكة بان ينتخب الاهالي منهم ثم فوابا في مجلس للمفاوضة
 في مصالحهم وأن لا تشهر حرب الا بعد تعذر طفاها رلو بتوسط أجنبي وسلم لفرنسا فيما
 بقي لانكلترا تيره بهامن ابالة بريئة انيا بعوض قدره أربع مائة ألف ليرة واغتنم من الاموال
 خزانة عظيمة حتى قيل انه خاف في خزانته الخاصة عشرة ملايين ليرة وارتقى الى ملكه
 بعده ابنه هنري الثامن سنة ١٥٠٩ وكان شديدا بطش لكنه نفع المملكة
 بالاصلاحات التي اجراها وهو اول مذهب بالذهب البريستانت وتبع له حتى
 أمر بقتل كل من لا يقبله وفي مدته دخلت ايرلندا تحت انكلترا تيره وصارت ملكا واحدة
 وعلى عكسه ابنه المتولية به ادخيا وهي مريم حتى لقبت بالدموية لقتلها أهل ذلك
 المذهب بل حرقتهم ايضا وخضعت شوكة القوانين ومجلس البارلمان بعزلهم من
 عارضها وتولية من يوافقها وخسرت مدينة كالي من فرنسا لبحاريتها اليها انتصارا
 لزوجها ملك ايجانيا ثم لما خلفتها اختها سنة ١٥٥٨ رفعت الاضطهاد الديني وزاد
 مذهب البريستانت انتشارا المال الاهالي من الحرية في سائر أطوارهم وحصلوا على

درجات من التقدم بالصنائع والمعارف من هاجر اليهم من المانيا وفرنسا وغيرهما من
 أهالي المذهب البريستانت لما وجدوا هناك حريةهم من القتل لهم في أوطانهم وفي
 مدتها عرف الشاي عندهم وعرفت الساعات وفي سنة ١٦٠٠ تشككت لجنة الهند
 التي تقدم بيان أعمالها في المقدمة وحيث لم يكن لها وارث عهدت الى أحد قرابته وهو
 ملك اسكتلندا تيمس الملقب بحس استوارد وبه اتحدت الممالك وكان وهو اول عائلة استوارد
 استولى سنة ١٦٠٣ وكانت أيامه على نوع من التقدم لانفاقه من الحروب وكادى
 مدته أن يحرق مجلس البارلمان بمن فيه بدسائس البسابة فوضع تحتهم لغم لكنهم تفتنوا
 له وولى بعده سنة ١٦٢٥ ابنه كارلوس الاول وتفاقم الخلاف بينه وبين الامة في
 حدود سلطته اذ أراد أن يبق في مجلس الدولة المسمى بالبارلمان صوريا وهو يتصرف
 كيف يشاء ويحمل المسؤولية على المجلس لاختصاص الامة وتبرئة نفسه فلما عارضه المجلس
 عزل أعضائه وانتخب آخرون لكنه كان كلما انتخب اناسا كانوا على غلط سلفهم في
 معارضته حتى تفاقم الخلاف واشتد الحرب بين الامة والملك وكان من خربه أغلب
 الاعيان وكبراء البيتوتات لما بهم من الخط من اطلاق الملك لانه كلما أطلقت يده
 انطلقت أيديهم أيضا فالحظ يقتسمونه بل يكون لهم منه القسط الا وفر حيث ان كلا
 منهم يجتهد في خصوص مرضات الملك وحواشيته حتى من التماق والتعظيم الباطل الذي
 يسخر منه العاقل ويضيف الى ذلك جزء من الاموال التي يذهبها رشاء لاولئك الافراد
 ثم يطلق عنان شهواته في ملايين من الناس على حسب ارادته يستعوض منهم كلما
 دفعه من المال والاعمال بل ورعا أنفذ أغراضه في أفرانه لما وقع بينهم من التحاسد
 والتشاحن فها هو الا ان يرضى تلك الشرذمة ويفتقم من ضده بالقتل على أوجه لا تحصى
 منها الجهرى بدعاوى من الزور وحكم بحال صورية تلقن ما تقول من الليل ومنها السرى
 بالقسم وغيره من أنواع لغدر أو يحصل التنكيل بدون القتل كالغريب والسجين
 مع أخذ المال كل ذلك باحتيالات صورية على ظاهر الاعيان ليقال انهم لم ينفقوا
 الغوازين حتى لا تنور العامة وأما مقبولى كبر خب الامة فهو البعض من الاعيان والكبراء
 وجهور الاوساط والرعايا فاما الباعث لهذا الجمهور على ذلك فهو واضح لانهم هم
 موضوع الاغتياال الواقع فيه المنافسة وقد كانوا علماء من السابق ما كانت عليه حالتهم
 ثم آلت اليه بعد تأسيس القوانين والاحتساب عليها وأما الباعث لبعض الاعيان
 والكبراء فربما اشكل مع ما قررناه في حق اغاثهم لكنه في الواقع بين وهو ان هذا القسم

ما قل ينظر في العواقب ولا يستغنى بالعاجل عن الاجل فعلم ان الزخرفات التي تحصل بالتسلسل لا تدوم لانها ما كملت الى انقراض الامة وضعفها فتعجز عاينها امة اخرى قوية وتصير اوائلك الاعيان كالسوقة (كما قال تعالى) وجهوا لواءهم الى اهلها اذلة وكذلك يفعلون وزعموا عاصدا السوقة وهم المجهور ذلك الهاجم الاستراحة مما هم فيه وايضا فان تلك الزخرفة التي يحصلونها الى الاعيان بتسلطهم مع قلة مدتها هي في نفس الامر غير مبرهنة لعدم الامن معها وعدم الاطمئنان عليهم المأشورنا اليه من كونها موقوفة على رضا شخص تتلاعب به أهواء حاشيته والمقر بين اليه لمجرد أغراض شهوانية وبضخاها معها فرصة للاضحية متى ما اراد الملك فلا يأمن المقرب من طبيعة الملك المفسدة للاخلاق فربما غضب عنه مقربه اليوم لشيء كان يرضى به عنه بالامس وايضا لا يأمن ديب سعايات أقرانه وحساد الغافلين عن كونها تجري عليهم مناهج حجت على صاحبهم كما قيل (من حلفت لمحبة جاره فليسكب الماء على محبته) ولهذا انضم القسم حتى عقلاء حاشية الملك والبعض من رجال الدولة اذ يتقنوا انه لا خير لهم في نعيم لا أمن معه لا على الدم ولا العرض ولا المال ولا المحريم ولا الذرية فأي نعيم يحصل لهم وهم على شفا جرف هار وكان مقدم هذا الحزب رجلا من اعيان البيوتات اسمه اوليفر كرومويل ذا بسطة في المال والعقل والشجاعة ووجرت حروب هائلة كشفت عن خلع الملك وحسدته ثم قتله بحكم مجلس على انه خائن للامة واستولى اوليفر على رئاسة الدولة بعد ان قارب بجنرال وكان يوم دخوله بالعسكر منتصرا الى لندره تلقاه الحزم الغفير بالهنا والفرح واثرت حبيب فقيل له ألم تر هذا الاحتفال من العامة بك أيها المحامي عن انكلا تيره وجعل ذلك لقبه فقال ان هؤلاء الرعايا لا يلتفت لاني تعظيمهم ولا الى تحقيرهم فهم تبع للغالب اذ لو كان هذا اليوم اخرجت فيه الى القتل لكانوا خرجوا الى النفرج على مناهج خرجوا الى لقاء الاثنى وبه يعلم ان تلك الحلة جارية في سائر الامم على السواء اذ هاته امة الانكليز التي قيل في المثل فيها يجب ان تكون حرة مثل افكارها قد قال فيها زعيمها المذكور ما سمعت وبقيت الدولة الانكليزية جمهورية بضع سنين الى وفاة الجنرال المذكور واستيلاء ابنه من بعده واستعفاؤه في مدة قليلة فأرجعوا ابن الملك السابق سنة ١٦٦٠ واتبعوه بكارلوس الثاني وسار على نحو ما كان يريد أبوه ونقض سياج القانون باستبداده على البارلمان متسترا باقامة نخبة من اكابر الاعيان لتدبير الامور ونفاذها بدون مراجعة الندوة وحارب هالانده وأخذ منها مدينة نيورك من امر بكائمه دمعا ومع السويد محالفه على

فرانسا

فرانسا ثم اتحد مع فرانسا على هالانده ثم خضع للندوة وبقى مضطرا الى ان مات وخلفه اخوه جيمس سنة ١٦٨٥ فزاد الامرات بها كاهن ايمار للذهب الكاثوليكي الى ان خلع ونودي باحد امراء هولانده لتزوجه بابنة ملك انكلا تيره الاسبق ولقب بويلم الثالث سنة ١٦٨٩ فاحيا اجراء القوانين واتباع اشارة الندوة وارتاح في نفسه حتى لقب بالصياد لاشغاله براحة وجهه الا نفراد بما هنتت به السياسة وذاته والمملكة وزادت الندوة أحكاما في شروط القوانين منها ان لا يتولى الملك الامن كان على مذهب البروتستانت واحتاجت الدولة الى اموال لاصلاح داخلتها في ايامه فاستقرضت من الاهالي وهراول دين على الدولة وتشكل لاجله بنك انكلا تيره أي محل اجتماع الاموال من اناس كثيرين لاجل الشركة في التجارة بذلك المال اولا جل ان يقرض المال على شروط وذلك البنك هو المعروف الى الآن وذلك سنة ١٦٩٤ وهو دليل على اجراء القوانين بعدم غصب الاموال من الرعية وترقت المملكة في ايامه بالصنائع والمعارف بزيادة من هاجرو اليها من فرانسا لمثل ما وقع سابقا من الاضطهاد المذهبي ثم خلفه الملكة يوحنا سنة ١٧٠٢ وفي مدتها استولت انكلا تيره على جبل طارق من اسبانيا واشتدت الحرب مع فرانسا وكان معاضد الفرانسا بافيري واسبانيا ولا انكلا تيره النمسا وهولانده ثم انقرضت العائلة له بموت تلك الملكة اذ لم يكن فيها من تتوفر فيه الشروط فنمادى الاهالي باحد قرابة العائلة وهو امير من الهانوفر من المانيا ولقبوه جورج الاول سنة ١٧١٤ وهو أصل العائلة الموجودة الآن واستقر امره بعد حروب مع فرانسا لارادتها اتمليك ابن من العائلة السابقة كاتوليكيًا وبعد استقرار جورج المذكور لم يسكن في انكلا تيره وانما لازم بلاده والتصرف بيد الوزراء والندوة ثم خلفه ابنه جورج الثاني سنة ١٧٢٧ ونشأت في مدته عدة حروب منها الداخلية لاجل الملك من بقايا العائلة السابقة ولم ينجحوا (ومنها) الخارجية واعظمها مع فرانسا حيث كانت الحرب قائمة بين ابروسيا والروسيا والنمسا لاجل الاستيلاء على بولونيا وكانت فرانسا ضد البروسيا معاضدة لخصمها فخالفت انكلا تيره بروسيا لاجل زيادة اشغال فرانسا فاحتاجت فرانسا لاجل قوتها من مساهمة امراءها باريكا لتقوية نفسها في اوروبا وعند ذلك هجمت انكلا تيره على مال فرانسا من امريكا وضمتها الى ملكها حتى صار لها اذ ذاك جميع ما لها الا ان في امريكا مع جميع المالان المتحدة الا ان ذلك بعد حروب هائلة ثم خلفه ابنه جورج الثالث سنة ١٧٦٠ واستقلت في مدته امريكا اعني الدول المتحدة وذلك لان دولة الانكليز لما امتدت املاكهم هناك

ورثته الملكة فيكتوريا سنة ١٨٣٧ وهى الملكة الحالية وأعانت الدولة العثمانية على إخضاع مصر واسترجاع الشام منها وعلى حرب القريم فخارت روسيا وآلت الحرب الى معاهدة باريس وحاربت الصين بالاتحاد مع فرنسا وأخضعت الهند من الثورة الهائلة بعبادة افغانستان وخرج الهند من وقتئذ من تحت الشركة التجارية الى الحكومة السياسية كما ترى المقدمة وتلقبت بامبراطورة الهند ثم استولت على افغانستان ثم جعلتها مستقلة تحت نظارتها بعد أخذ أجزاء منها وحاربت الزلوس من بلاد الكفر بافريقيا ثم صارت تلك الملكة تحت نظارتها وتدخلت في حرب الروسيا مع الدولة العثمانية عند عقد الصلح الى أن أفضى الى معاهدة برلين مع زيادة التقدم والغنى في داخلية الملكة الانكليزية

مطلب في السياسة الداخلية بانكلترا (اعلم) أن السياسة المستقرة الآن كن استتبابها سنة ١٨٣٢ وأما أصولها فقد عدها سبعا أشرفنا اليه في التاريخ وهاته السياسية مبنية على اعتبار تسلط الملك ونفوذ الاعيان واحتساب الاواسط من الناس فكل من السلطات الثلاثة مرتبطة ببعضها وينتج منها ادارة الملكة مما يرضى الجميع ولا يتجاوز كل منهم حدوده مما يضر بغيره ولهذا كانت قوانين الانكليزية على نوع مغاير لبقية ادارات الاروبا وبين من حيث الاشتراك في السطة وعدم التساوى بين طبقات الرعية في الاعتبار ونيل الرتب مع انالة الرعية غاية الحرية والامن وتفصيل هاته الادارة ومحل ارتباطها وانفرادها قد تكفل به كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لخبر الدين باشا التونسي بما يفيد عجائب أطوارهم واصغلاهم فليرجع اليه من أراد البيان وانما تقتصر هنا على الامام بكتليات الادارة (فبقول أما القسم الاول) من ذوى السطة فهو الملك وله حدود مضبوطة بقوانين من أهمها ان الملك وارث في ذرية الملك الذى هو من عائلة الهاوف من البكر الى بكره والا نـ شئ تستحق ذلك على شرط أن لا يوجد لها أخ ذكر والا فهو أحق بالتقديم وان كان أصغر منها (ومنها) التزام مذهب البرتيسمانت (ومنها) اذا اقتضى هذا التورات ان حاز التاج الانكليزى من له ملك أو أرض بما ملكه أخرى فان الامة لا يلزمها الدفاع عن ذلك مثل ما يلزمها عساير رجوع الى انكلترا نيرة ما لم ترض بذلك الندوة (ومنها) ان رئاسة الديانة للملك بحيث يوظف مناصبها مثل ما يوظف المناصب السياسية (ومنها) رئاسة سائر القوات والصلح والحرب الى غير ذلك مما ترى في ملك ايطاليا (ومنها) تلقبه بملك بريطانيا العظمى وامبراطور الهند حتى يقول في

طالعة مكاتبه الرسمية ماصورة فلان بنعمة الله ملك المملكة المتحدة من بريطانيا العظمى وارلا فده وامبراطور الهند محاميا عن العقيدة الخ والتلقيب بامبراطور الهند حدث سنة ١٢٩٢ بالتفاق المجالس وقوله محاميا عن العقيدة اشارة الى رئاسته الدينية (ومنها) ان اجراء كل حق للملك في التصرف انما يكون بواسطة رؤساء موظفين وهـ هم رؤساء الاساقفة والوزراء (وأما القسم الثانى) وهو سلطة الاعيان فهو لاء الاعيان هم المقبولون باللوردات وبالقرناتوسيا فى في محبت العوائد خصر صياتهم وهـ وامتيازاتهم والذى يتعلق بهم هـ انانه يتركب منهم مجلس اللوردات المشتمل (على) رؤساء الديانة (وعلى) عائلة الملك (وعلى) سائر لوردات انكلترا (وعلى) سبعة عشر لورد من لوردات اسكوتسيا (وعلى) أربعة لوردات من لوردات ارلانده ولوردات المملكة كمين الاخيرة من منتخبان من أمثالهم فى أقاليمهم لذلك المجلس لمدة حياتهم وينالهم هذا المجلس سائر الاحتساب على التصرفات وانشاء القوانين وتغيير العادات والحكم فى الموظفين بحيث لا يصدر عن الدولة شئ الا برضائه وليس لأعضاء هذا المجلس مرتب وعددهم غير محصور بل امر قد يبالغون زهاء خمسة مائة ولاعضائه اعطاء الرأى فيه بالمباشرة أو بارساله مع أحد أمثالهم كتابة والوزراء ينتخبون من هـ هذا المجلس ومن مجلس النواب والملك انما ينتخب رئيسهم فقط وهو ينتخب بقية الوزراء كما فى بقية أروبا وهـ عدد الوزراء تسعة الرئيس وهـ وزير المال فى الاغلب ووزير الخارجية ووزير الداخلية ووزير الهند ووزير المستعمرات ووزير رئاسة المجلس الخاص ووزير الحرب ولورد قاضى القضاة وهـ ورئيس مجلس اللوردات وموظف المحاكم القانونية ولورد المحاسبات وهـ لاء الوزراء هم المباشرين اسائر أعمال الدولة بعد اذن الملك وليس له مخالفتهم الا اذا وافقته أغلبية الندوة فحينئذ يستبدلهم بغيرهم وهـ وهـ لاء الوزراء يضم اليهم الملك أعضاء من بقية اللوردات فيتشكل منهم مجلس الملك الخاص ورؤساء ادارات الوزارات ولا يزيد مرتب الوزير عن مائتين وخمسين ألفا فرنكا فى السنة (ومنها) من له خمس ذلك فقط ووظيفة هـ هذا المجلس الخاص التدبير فى اجراءات الاعمال كما ان من حقوق الاعيان ان يكونوا هم حكام الولايات كل ولاية حكمها من لوردات او ليس للملك عزل أحد منهم من مرتبته اللردوية (ومنها) أيضا أعضاء المجالس العليا فى الولايات التى لها التصرف السكى

وأما القسم الثالث وهو سلطة الاواسط فهى بانتخاب الاهالى منهم من نواباءهم

لمجلس النواب للاحتساب على تصرفات الدولة وحماية حقوق السكان وما يقرر عليه رأيهم. م يجري اذا وافقهم مجلس اللوردات كما أنه يسوغ للملك أن ينتخب من هذا المجلس رئيس الوزراء ولهذا انتخاب بعض الوزراء من بقية أعضاء هذا المجلس ومدة انتخابهم لأعضاء المجلس سبع سنين وشروط العضو أن يكون وحيها غير محكوم عليه بما يشين العرض إذا دخل من أملاك في المملكة غير منقولة يبلغ مائتين وخمسين فرنكا أو صاحب معارف له اجازة فيها من المدارس العلمية وله هذا اختصاص هذا الاحتساب بأواسط الناس ولم يكن للأسافل فيه حظ وعدد أعضاء هذا المجلس بحساب واحد على العشرين ألف نسمة من السكان فيكون عددهم يتردد في زهاء سبعمائة ومجموع هذا المجلس مع مجلس الاعيان هو المسمى بالقمة مرة أي الندوة وعلمها مدارس اثر الاعمال في الداخلية والخارجية ومن أصر لها أن ميزان المال ليس بمحدد على حالة واحدة دائما بمعنى أنه اذا كان الدخل الموضوع يوفي بمصاريفها للسنة ويفضل منه يبقى الفضل في الخزنة أو يشتري به من ديون الدولة واذا كان لا يوفي يزداد في الضرائب الى أن يقع التسديد كما هو جار في الدول الاخرى بل ان قاعدة الانكليز هي جعل الميزان في كل عام بحسبه فينظر الى مقدار اللازم من المصاريف وعلى مقتضاه يجعل الدخل بحيث لا يكون للدولة فاضلا ومن الاصول أيضا اعطاء الحرية لكل فرد وجماعة في ما يكتبون بان يتكلموا في السياسة العامة والخاصة وتصرفات المتوطنين مطلقا وعلان آرائهم بالمدح أو بالمدح في الصحف وفي مجامع الناس ولهم الاستدعاء الى الاجتماع ولو اجتمع ملايين من الخلق من غير أن يتعرض لهم أحد بشئ ومن الاصول أيضا التي استقرت الا ان أنه انتشأ في الامة حزبان (أحدهما) يسمى حزب المحافظين يعني أنه يريد التحفظ على القوانين الموجودة والمجرى عليها في الداخلية والمساعدة على كل ما يساعدها في الخارجية وأن لا يتغير شيء الا ما تدعو اليه الضرورة (والحزب الثاني) يسمى بحزب الحرية يعني أنه يريد زيادة اطلاق الحرية في الداخلية وفي كل امالها ويساعد على قطع عوائق الحرية في أي جهة كانت بما يقتضيه حال الانكليز ولكل من الحزبين زعماء مشهورون بما يقولون ويكتبون للاشتهار وتشتمل عليهم الندوة ومهمامات أكثر يتها لا فكارا أحد الحزبين وجب أن تكون الوزارة مركبة من أعضاء ذلك الحزب فلا تزال تتداول الدولة بينهم ومن لازمها أنه كلما تغيرت الوزارة يتغير معها اسائر المأمورين الذين عليهم مدار الاعمال ولهم من علائق ذات الملك فان كاتب

سره وحواشيه الذين يخدومونه فيما يتعلق بتصرفات الدولة يلزم تبديلهم أيضا مع الوزارة خشية من افشاء أسرارها الضدها ومن الوشاية أو التراخي من جهة ما يتعلق بالملك مما يضر بالاجراء ونشأ عن هذا عدم ثبات السياسة الخارجية على طريق واحد أعني في الاجراء لتبديل المذهب بتبديل الوزارة وان كانت كل وزارة تولت تراعى اصل ما أسسته سابقة الملك كما تنهض به منحي لا يلائمها فلا يحسن الاعتماد عليه من الخارج ومن الاصول أيضا أن الخدمة العسكرية لا يدخل اليها بالغصب أو بالقرعة وانما هي بالاختيار لمن رغب فيها ولهذا نجد في عساكر الانكليز في الحرب كثير من الاجانب الراغبين في المال الذي يبذل اليهم هذا اذا كانت الحرب خارج المملكة أما اذا هاجم العدو المملكة فيجب على كل الاهل في الدخول في سلك العسكرية على قانون لهم في ذلك حتى ان النساء أراد بعضهن الدخول في ذلك وألفن فرقا لتعلم وكذلك العساكر اللازمة لحراسة المملكة يدخل اليها بالاختيار وهي عدا الضابطية التي تلزم أهالي كل جهة ومن أهم أصولها أن لا ينتخب اليها الا العفيف المرضي لشهادة حتى يكون كلامه حجة على ايجاني وذلك من الاصول العامة في أوروبا وبها تدير اسرارة لراحة لان حراسة الضابطية وفوق ذلك من أهم الوسائل الفعالة فهي أهم ما يعتنى بها ومن أصول الانكليز أن لا يتولى الراتب السامي في الدولة الا من كان على مذهب الكنييسة البروتستانت فتأمل في هذا مع ما يأتي ان شاء الله في أحوال تداخلهم في بلاد الاسلام بدعوى الحرية ومن عاداتهم قبول جاء العلمية منهم والاعيان في توظيف معارفهم وأقربائهم اذا كن فيه شئ من الأهلية مع اهـ مال غيره وان كان أحق من المقدم ومثل ذلك الرتب العسكرية لا تنال الا للاعيان والعالية والافراد العسكريين لا يستحقون ذلك مهـ ما فعلوا غير أنه قد حل منذ سنة ١٢٨٩ هـ ١٧٧١ م ابطال اشتراء الرتب العسكرية من ملازم الى أميرالاي بامر من الملك حيث أن أصل انشاء ذلك كان بامر من الملك لابقانون واغتياظ لذلك كثير من فدوتهم لكان المصلحة غلبت فصارت الرتب العسكرية مكرمة ماعلا لا تنال الا بالاستحقاق في المعرفة وبهـ هذا التغيير العسكري بهلم بالملك من الساطة وان خالفته الندوة بناء على حق قديم لهم مع موافقة الوزارة اليه

بحث ادارة الولايات قد تقدم في صفة برنيطانيا أنها تنقسم الى تسعة ومائتين ولاية فهاته الولايات فيها مدن ذات خصصرية بالامتياز بالشرف حسب عوائد قديمة ومدن كبيرة استحققت بكثرة سكانها ان تسمى عضوا او أكثر في الندوة ومدين يسكنها مطران

من كبراءد ياتهم ومـ مدن وقرى خالية عن الامتيازات المذكورة (فاما) الانواع الثلاثة
الاول فان لها ادارة خاصة لا تدخل في عموم الولايات التي هي (وأما) النوع
الرابع فهو مشمول بادارة عموم الولاية (والحاصل) في ادارة عموم الولاية هو انهارا جمعة
الى والى العام على الولاية وهو احد لورداتها المحصل على عضوية الولاية فينتخبه الملك
لذلك وليس له مرتب على هاتاه الوظيفة وهو ينتخب اثنين من اهـ ل ولاية هـ الاعيان
أيضا ل اعانتة ويوظفهم له الوزير الملقب بقاضى القضاة وليس لهم مرتب أيضا ومـ دار
أعمالهم حفظ الراحة ورعاية الولاية كالحفاظة والنظر في الاعمال العسكرية
ولهم أيضا مرجع الاحكام الشخصية والنظر في مصالح الولاية الادارية وحفظ
الطرق وانشائها الى غير ذلك من المصالح كما تنفرد البلاد الممتازة من الاصناف الثلاثة
المشار اليها سابقا (ومنها) مدينة لندرة بان يكون لها شيخ وهـ ورئيس المجلس
البلدى الذى أعضائه من الاهالى المنتخبين منهم والمجلس ينتخب رئيسه من أحد
أعضائه كل سنة ولا مرتب له ولهاته المجالس البلدية مرجع جميع المصالح المتعلقة
بالبلد ومنها ادارة الضابطة ولادخل للدولة فيها شئ وعلى رؤساء هاته المجالس أيضا
الاحتمساب على كيفية انتخاب أعضاء مجلس النواب فيما تحت نظرهم مـ لـ لى يكون
الانتخاب موافقا للاصول وهو الذى يرأس جمعية الانتخاب ويتصرف فى الاحكام
الشخصية كتصرف قضاة الصلح الا تى يباينهم ويوم توليه رئيس هذا المجلس
المسمى شيخ البلدي يكون فى لندرة موكب حافل من أعظم المواكب وله من الاحترام
والتوقير كما ل احد المـ لولك ثم ان متوظفى الديانة فى كل الجهات هـ مـ مرجع عدد من يزداد
أو يموت وهـ مـ المكفون بحفظ الكنائس والمقابر والفقراء والطرفات أيضا واعانة
الضابطة عند الحاجة هـ ذا (وأما) الاحكام الشخصية فان لها ادارة مخصوصة
رئيسها اللورد قاضى القضاة الذى هو رئيس ندوة اللوردات ثم نائبه ثم اللوردات قضاة
المجالس العليا فى الجهات الكبرى ثم حكام مجالس الولايات ومجالس الضابطة وكل
هؤلاء لهم مرتب وهناك حكام الصلح لكنهم لا مرتب لهم وكذلك حكام الجررى على نحو
الممالك التى تقـ دم ذكرها غير ان الامر الذى انفردت به انكالاتـ يره هو ان احكامها
لا تستند الى قانون خاص فشريعتها أصعب الشرائع لانها تستند الى مجموع أشـ بما وهى
ما يوجد من القوانين فى بعض أمور وما يوجد فى احكام سابقة صـ درت من مجالس
الاحكام القديمة وما فى احكام الرومان وما يقع عليه اجتهاد أصحاب الاجتهاد وهـ مـ

اللورد انت أهـ ل المجالس العليا وقاضى القضاة وقرناؤه وعلماء الاحكام وهـ هم المسمون
 بالابوكاتية فلذلك كان علماء الاحكام من أشهر الناس وأوجههم ومن غريب عادات
 المماليكة انه اذا وجد حكمة في احدي تلك الاصول لم يكن أصحاب
 اجتهاد هـ هم ظهر لهم ان المصلحة الوقتية قضت بخلاف تلك الاحكام لاختلاف الزمان
 فانهم يحجرون اجتهادهم لمكنهم لا يجعلون ناسخا لابق بل يبقى السابق ويبقى المحدث
 حتى تكون الاصول متنافضة ويبقى لاهـ ل الاختيار عندهم الخيار وبذلك يعلم مقدار
 النفوذ والسيادة للطبقة العليا من الناس عندهم لانهم هم الذين يكون منهم أهل
 الاختيار كما بهـ لم بهـ فساد اعتراض بعضهم على أحكام المسلمين بانها مشقة باخنة لاف
 الاقوال في كتب الفقه هـ مع خيار القاضى فى القضاء بها لاني وجب لهـ هم التحرز من
 الدخول تحتها لانها غـ ير معلومة للمحكوم عليه لان ذلك الاعـ تراض عـ لى فرض
 تسامحه كما هو فهو غـ د هـ هم أعظم مما بهـ ترضون به عليه ما ثم ان الاحكام المذكورة
 لها رتب فى تحقيقها من مجالس وراء مجالس الحكم باعتبار الخفيف منها والثقل وما
 يرجع الى المعاملات وما يرجع الى الجنائيات فالخفيف لا يستحق التحقيق الا اذا حصل
 ظالم فيقع فيه الاحتساب العام وأما الثقيل فينقل الى مجالس تحقيقه الى ان ينتهى
 الى المجالس الاعلى بالتمت رحمت كانت الحرية معاقبة والاحتساب فى رفع الظلم شفع الى
 كل احد برفعه الى مجالس الاحتساب ولو كان فى حق غيره مع اباحة نشر النوازل
 والافكار فى الصحف الخيرية وفى اعلانات ومطبوعات تنشر متى ما اراد الناشر وفى مجامع
 عمومية عانية كان التعدي على الحقوق من أصعب الامور عندهم

١٠
١١
١٢
١٣
١٤
١٥
١٦
١٧
١٨
١٩
٢٠
٢١
٢٢
٢٣
٢٤
٢٥
٢٦
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣١
٣٢
٣٣
٣٤
٣٥
٣٦
٣٧
٣٨
٣٩
٤٠
٤١
٤٢
٤٣
٤٤
٤٥
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩
٥٠
٥١
٥٢
٥٣
٥٤
٥٥
٥٦
٥٧
٥٨
٥٩
٦٠
٦١
٦٢
٦٣
٦٤
٦٥
٦٦
٦٧
٦٨
٦٩
٧٠
٧١
٧٢
٧٣
٧٤
٧٥
٧٦
٧٧
٧٨
٧٩
٨٠
٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٩
٩٠
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
١٠٠

للحكومة وكيفية استقلاله وتوزيعه الى غير ذلك من غير تدخل الانكليز معهم في شئ سوى انهم يشترطون عليهم ابطال المظالم والتعدي على بعضهم وابطال بعض العوائد القيمة بالعقل الرجعة الى ظلم الغير كحرق الاحياء تبعاً لما يمتنع من قرايتهم أو رؤيتهم وكنغريق الناس مثل ذلك أو ذبحهم مما يحرمه الخلاص منه جهو والاهالي ويبيع في المحاكم الانكليزية بمجاسه مراقبات الكليات ولما نفع الانكليز والاهالي حتى ان اعظم مستعمراتهم الآن وهو الهند له حكومة مخصوصة كما تقدم في المقدمة واعظم الوظائف فيه هو الحاكم العام وهو انكليزي لكن ثاني رتبة منه وهو قاضي القضاة هو مسلم من العلماء الاعيان وجميع احكام الهند راجعة اليه ومرتبه سنوياً أربعة وعشرون الف ليرة انكليزية وعلى ذلك المنوال بقية الامور ودخل تلك الحكومة خاص بها لا تأخذ منه الدولة الانكليزية شيئاً ومصاريفها كلها راجعة الى حكومة الهند وربما اذا حدث حرب جوار الهند مع حكومتها عانتها الدولة الانكليزية على مصروف الحرب لعود النفع اليها بواسطة بل ربما جعل اكثر المصروف عليها كما وقع منذ قريب في حرب الافغانستان كما ان انكلانديره تستفيد من عساكر الهند بدخولهم في امرها عند الحاجة اذا عادت حرباً مع دولة أخرى وكثيراً ما تبقى الممالك على حالتها بلوكها وامراتها وانما لها عليهم مجرد المراقبة والحماية وتلزم الملوك باجراء العدل في ممالكهم واجراء الشورى وبذلك يحصل من كل العموم اليها (فان قيل) اذا كان الامر كما ذكرنا فائدة للانكليز في هاته المستعمرات سوى تشويش الببال وخسائر الاموال في الحماية والثورات (فالجواب) ان فائدتهم عظيمة من وجوه (اولها) وهو لاهم رواج التجارة الانكليزية فان مائتي مليون من الخلق لا يجولون الا في الساع والبضائع الانكليزية له من الاهمية ما لا يخفى وبضائع بقية الممالك امان تمنع بما يوظف عليها من عظيم القهر في تلك المستعمرات أو يدخل منها مالاً وجوده عند الانكليز مما هو حاجي فاما البضائع الانكليزية فتدخل معفاة من الاداء فان تبور لهم بضاعة ولا تقفل لهم معاملة فينتجبه ثلاثون مليوناً من الانكليز من الصنائع يكونون مطعونين على رواجه في مستعمراتهم كل على قدر احتياجه من زيادة عن الممالك الاجنبية وكفي بذلك غنى لامة الانكليزية وأي فائدة اعظم لها من ذلك ودون ذلك مثلاً لهذا فان مستعمر الهند وحده كانت قيمة التجارة الصادرة والواردة اليه في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م ثلاثة آلاف وخمسة مائة مليون فرنك يخص الانكليز وحدهم منها الفان اثنان مليوناً والباقي مع سائر الممالك وأغلبها

الصين فهذه المستعمرات الهند وحده راجت تجارتهم فيه بذلك المقدار وليقتس عليه غيره (وثاني الفوائد) اشغال معلمهم في الفنون والصنائع في تلك المستعمرات الواسعة الكثيرة السكان بما يجدونه لاهالي على وجه الارشاد والتعليم والتمدين عن طبيب نفس منهم من المكاتب والمعامل وطرق الحديد وغير ذلك (وثالث الفوائد) حوز الاراضي الخالية عن المالك والتعمير لها باهالي انكلانديره الذين ضاقت بهم جزائرهم فصاروا يهاجرون منها الى كل الاقفاق التي تديرهم بالمعيشة والعمل فيها جرون الى مستعمراتهم أولى لهم حتى تنتشي منهم دولة جديدة كما وقع بالفعل في دول امريكا المتحدة اذ غالب أهلها أصلهم انكليز وكذلك ما هو حاصل الآن في اسبانيا (ومن اعظم فوائدهم) القوة الحربية التي تتمتع فيها انكلانديره من عساكر ذلك المستعمر مع ان المصاريف على العساكر من دخل المستعمر فاعظم بذلك من قوة الانكليز حتى ان عساكر الهند الذين تحت امرها اضعاف عساكرها المستديرة فهااته الفوائد اعظم وانجح لامة الانكليز من اخذهم ضريبة على سكان المستعمرات فتوجههم الى المحفد والثورة عليهم كما وقع في امريكا وأفيد لهم اضرار من جهة السياسة فان النفوذ والرهبة والوقار الحاصل للانكليز في جميع جهات المسكونة ليس بمحصل لاي دولة كانت اوروبانية وذلك أفيد للانكليز من ان يفيدوا ألفاً وعشرة آلاف منهم بما طلاق التصرف في احد المستعمرات فيكون أهلها تحت قبضتهم ويديرون فيها م قانون الانكليز بل يندره ويوظفون فيها من قضاتهم ويغيرون عوائدهم وشرائعهم لما يلزم لذلك من مصاريف تكثير القوات ويكون المحفد في المستعبد حتى ينتهزوا الفرصة لفك قيودهم متى ما ساحت الفرصة وبمثل هاته السياسة ومجساة الاهالي في مقاصدهم وعاداتهم واحكامهم وكبرائهم وديانتهم تيسر لها امتداد المستعمرات واتساعها وطول بقائها هانية بدون كثرة مصاريف فان الهند الذي هو اعظم المستعمرات وفيه من السكان ما ينيف عن مائة وستين مليوناً انما تضبطه دولة الانكليز بعشرين ألف عسكري انكليزي فقط وان كانت حكومة الهند لها نحو ثمانمائة الف من العساكر تحت السلاح لكانهم كلهم من الاهالي ماء د العشرين ألفاً المذكورة وذلك ما خلا للملوك والامراء المستقلين بالادارة في الهند من العساكر والقوات وما ذاك الا لجساة الاهالي بما لا يفرهم مع اجراء العدل فيهم والزام امراءهم وملوكهم بذلك وحريرتهم في سائر اطوارهم حتى انها تعظم لهم شعائرهم الدينية كما يعظمونها في انفسهم فاما ملوكهم

تطابق لهم المدافع في أعينهم - م وتعقيم - م من الاشغال في المواسم وتعريف الموسيقى العسكرية في أعينهم - م وكذلك تفعل مع المجوس وتصرف على الجميع أموالا باهظة في المعابد وأهل الديانة من دخل الهند وفي عيد الفاء جوزالكو كوفي نهر الهند يحضر أهل الاموال الحكيم من الانكليز ويأخذون ذلك الجوز من أبدي الحكمة ريباقونه في النهر بحجارة لاهالى (وحينئذ) تضر الرابات وتطابق المدافع من الابراج والسفن هـ ذا فالبلاد التي تحت ادارتها افضل عن البلاد المستقلة بالادارة فالاهاالى يوازنون بينهما فاتم - م من حالة الاستقلال وماهم عليه من المنافع التي لم تكن حاصلة اليهم - م مع موازنة المشقات والاهوال الخاصة له من اعلان الثورة لان الانكليز ايضا قساة وقلوبهم - م فظة غليظة عند الثورة يجازون بالفظائع التي تقصرونها جلود السامعين ويقول القائل ابن التمدن ورحمة الانسانية والشفقة التي تمتلى صحف - م بالتنوية بها وماهى الاسود على يياض يأمرهم بها غيرهم ولا يبرن منها شيئا سيما بما يستعملونه من القدر باغراض اقسام الاهاالى لانقسام وبذل الاموال العظيمة في ذلك فاذا حصل الانقسام وقع الانتقام من الكل على التدريج وربما حصل من بعض الاقسام لبعض اشياء مما يحصل من نفس الانكليز فلذلك آثرت اهل الى المستعمرات السكون والرضى بها هو عليه مستغنى ثمرة ذلك بدرجة لا يمكن بل ان بعضهم مكنتم دولة الانكليز من الاستقلال واعانت لهم بذلك ورفضواهم قبوله خوفا من تسلط غير هاعايمهم اضغفهم وربيعا ما هم المتسلط بما لم يعاملهم به الانكليز يون مثل ما وقع في جهة من استراليا من ذنحون خمس سنين ومع ما مر قتل ما يخلو وقت عن حدوث ثورة في احدى الجهات من المستعمرات المذكورة وفي الاغلب بعد حصول الراحة بالقوة أو باللين وهو الاغلب تزيح الدولة البواعث على الثورة حتى تعود المصافاة مع الاهاالى على وجه كانه راسخ وانما قلنا ان اللين هو الاغلب لاننا رأيناها لا تستعمل القوة لابعاد انفلال حدود اللين حتى انها في نفس حروبها مع الثائرين لا توجه عليهم - م قوة كبيرة من أول وهلة بل ترسل مقدارا غير كاف لاجساد النار اذا كانت مستعمرة بهيجان قوى وكثيرا ما تنكسر قوتها أولا وثانيا وثالثا لكنها لا تنكسر على عقبها الا بعد بلوغ اربها ما يجد اومة الحرب على النحو السابق مع تزييد القوة شيئا فشيئا الى ان تغلب أو بوقوع الصلح على ما يرضيها وترضى به الثائرة على نوع ما كان ذلك لعدم وجود قوة عسكرية تحت السلاح ولا حاضرة للدعوى متى أرادت الدولة لما مر من ان الانكليز لا يدخلون العساكر الا بالرضى وليس لهم الا مقدار حفظ الراحة فاذا ثارت

جهة لزم الدولة احضار العساكر برضاهم - م وذلك لا يتأتى عاجلا مثل ما يأتى للدول المرتبة العساكر وايضا بعد حضورهم تلزمهم معه التدريب ثم ان العساكر عندهم - م تلزمهم المصاريف أكثر من عساكر بقية الدول لان من قانونهم ان العساكر لا يتخدم شيئا سوى الحركات الحربية فيلزمهم من الخدمة رجل الاثقال ما هو اضعاف عددهم ولا يخفى ما في ذلك من المصاريف والكلفة المحوجة الى الوقت حتى ان عساكرها الذين وجهتهم - م على الحبشة منذ نحو عشرين سنة لزمها أن تجعل لهم طريقا حديدية وقنوات ليل الماء كلها موقفة وكان خادم العساكر ضعفي عدد العساكر وهو كذا اذا بها في حروبها وبناء على اتساع المستعمرات وانفراقها وبعددها عن مركز الدولة وكون الطرق اليها بحرية مع ان نفس مركز المملكة بخيرة لزم أن تذكر دولة الانكليز هي اقوى دولة في البحر من حيث السفن الحربية ومن حيث كثرة السفن التجارية ووجود البواخر والعارفين بفن البحر ~~م~~ مطاب في السياسة الخارجية للانكليز * اعلم ان ما تقدم من الاحوال العامة في الخارجية للدول العظيمة مما تقدم ذكره في ايطاليا وفرنسا وهو ايضا جار في انكلاتيريه مثل وجود السفراء والمراقبة لجهات المنافع الخ فالذي يخص انكلاتيريه هنا هو بيان محلات اهتمامها في الخارج وحيث قد تقدم ان لها مستعمرات في جميع اقسام الكرة المعروفة كانت عنايتها في الخارج اوسع من غيرها من بقية دول أوروبا لكن ليست الجهات كلها سواء في الرتبة بل هي متدرجة ففي أوروبا ليس لها من النفوذ في داخلة دولها شيء سواء كانت الدول كبيرة أو صغيرة لا بناء اداراتهم - م على قواعد راسخة مسلمة بين جميعهم مقرر بعماسها - م فان ترى حاكما انكلانيزيا سلطنة في برلين قاعدة المانيا واولا في موناكو التي هي دولة مستقلة في بلدة محاطة بايطاليا بعدد سكانها نحو أربعة آلاف نسمة والكل في الدخول تحت أحكامهم - م من رعية الانكليز سواء وانما نواب الدولة يراقبون الاحوال السياسية لا الاحكام الشخصية نعم لدولة الانكليز زيادة اعتبار في خصوص ملكة المليك لما اقتضته معاهدة سنة ١٨١٥ من استقلال هاته المملكة عند سقوط نابليون الاول وجعلها تحت حماية كبار الدول غير ان المراقب لتلك الحماية هي دولة الانكليز فهذا هو وجه زيادة اعتبارها هناك ومثل ذلك حاصل في دولة البرتغال لما تسبب عن حروب سالفة مع اسبانيا وفرنسا (وأما) بقية الدول فلا فضل عندهم لانكلاتيريه على موناكو في احوالهم سوى ما تجر اليه السياسة الا اني ايضا حها (وأما) امريكا فهي ايضا على ذلك المنوال (وأما) آسيا وافرقيقة فعلى وجه

أخرج دولها من حيثيتين (الاولى) سوء المعاهدات القديمة معهم التي لم يراع فيها
 الاحكام الراهنة اذ ذلك مع عدم تقييد المعاهدات بمدة محدودة فتغير الزمان وتغيرت
 الحالات وبقيت أحكام المعاهدات على ما هي عليه فلم يراع منها ان تكون لدولة الانكليز
 شبه دولة مستقلة في كل من هاتيك الممالك بحيث ان رعاياها غير داخلين تحت الاحكام
 مثل الاهالي بل يحكم في الاشخاصات قساسة لهم وحدهم أو بحضورهم أو حضور أحد
 من سفارتهم مع حاكم البلدولة الاعتراض على الحاكم في الحكم وفي بعض الممالك اذ كان
 الحكم في جنسية فاعا يغتد في احدى ممالك الانكليز الى غير ذلك مما يتعسر معه لاداهالي الوصول
 الى الحق ويحصل منه شبه حكومة مستقلة في وسط المملكة وليس ذلك بخبر خاص بالانكليز
 بل عام في جميع دول ارباع تلك الممالك وغاية الخلف هوزيادة التظاهر والتعظيم من
 أحكام البلاد من الدول القوية ذات الغرض في النفوذ في تلك المملكة وفقه ذلك من
 ليس له قوة أوليس له غرض (وثانية) الحيثيتين هو أن مستعمرات الانكليز في مدبران
 أهمها هو الهند فكانت نقطة خاضعة من كل ما يوهن قوتها فيه اما بواسطة أو قصد احتي
 صارت تحافظ على الطرق الموصلة اليه فكانت قبل فتح خليج السويس تتوصل اليه
 من المحيط الجنوبي وراء افريقية فاستقامت عدة مراكز في افريقية الغربية
 والجنوبية والشرقية مع عدن في آسيا كل ذلك لتكون لها قوات ومراكز تلجأ اليها عند
 الحاجة وبه يعلم ان ثمر المستعمرات ليست خاصة بالوجه التي أشرنا اليها بل منها أيضا
 أهمية المستعمر من جهة كونه مركزا حرييا فقط وذلك مثل جبل طارق ومثل مالطة
 وغير ذلك فبناء على ما شرعناه صارت سياستها الخارجية مع كل الدول القريبة من الهند
 والتي هي في طريقه والتي لها مصالح أو مطمح نظر اليه على نوع آخر من المشاغبة مع
 القوى والنفوذ مع الضعيف وتستعمل لذلك كلاً من الترغيب والترهيب فالدول التي
 لها معهم دائماً زيادة محاورات سياسية هي دولة روسيا من حيث انها امتدت في دواخل
 آسيا حتى اقتربت من افغانستان الذي هو في حدود الهند ومن حيث طموح نظرها
 الى الاستيلاء على الممالك العثمانية التي همها بقاؤها كما يأتي ايضا حده والدولة الثانية
 التي لها معها زيادة عنافية سياسية هي الدولة العثمانية وذلك من وجهين (اولهما) انها
 لا تريد زيادة نفوذها وقوتها خوفاً من امتدادها الى المشرق وارتباط المسلمين هناك
 بها حتى يلتحم بهم المسلمون الهندوي يعود الهند ما كان عليه من اللحاق بالخلافة
 الاسلامية (وثانيهما) الخوف على ان الضعف المفرط حتى تانقهما الدول المجاورة لها

فيكون

فيكون ان يجوز موقعها الجغرافي النفوذ والسطوة التي تخشى منها انكلا تير على قوتها
 قوتها واعتبارها المادي والمعنوي وبناء على هذا صار لها تدخل كلي في سياسة
 الدولة العثمانية الخارجية وجملة على ذلك التدخل مع بقية الدول الكبيرة الستة
 لمالهم من المساس بتلك السياسة سواء كانت قصداً أو بواسطة واضطر ذلك
 انكلا تير الى جانب ملاينة فرنسا لانها دولة بحرية قوية فهاستها ومواليتها أولى لها
 بمقاصدها سيما مع ابتداء سياستها على محاربة الحرب معها ما كان كما تقدم ذلك
 تستعمله حتى في الحرب مع الخارج حتى تستعين بكل الوسائل لقطع اسبابه مع التحفظ
 على حقوقها كما وقع منها أخيراً سنة ١٢٩٤ من التوصل بالسلطان العثماني لاميير
 افغانستان برسالة له رسولاً لكي يلاين انكلا تير ويقطع معها المشاغبة الداعية
 للحرب من عدم قبوله لسفير مقيم عنده في كابل وغير ذلك مما بعث عليه اغراء روسيا ولم
 يقبل التوسط حتى وقع في الحرب كما تقدمت الاشارة اليه في محله فذلك المباء دعاها الى
 ملاينة فرنسا كما تقدم في سياستها الخارجية طمعا في التسليم لها في الساطة على مصر
 أو في الاقل على تعاضدها معاً على ازدياد نفوذهما في مصر حتى تسخ الفرصة
 لانكلا تير في الحاقها بها حيث كانت الآن هي اقرب الطرق الى الهند بهد فتح خليج
 السويس مع ما في ذات مصر من الاهمية الكبرى فتمين (حينئذ) وجه زيادة اشتغال
 انكلا تير باحوال الدولة العثمانية وعلى الخصوص احوال مصر وما يجبرها من ذلك
 الى بقية الدول الكبيرة ومع بقية الدول التي تجاوز مستعمراتها على حسبها في القوة
 والضعف ثم اعلم ان سياسة الانكليز لما كانت مبنية في التصرف على مذهب الحزبين
 الذين مر ذكرهما في السياسة الداخلية وهما حزب المحافظة وحزب الاطلاق الحزبية
 كانت تخالف في الخارج على حسب مقاصد الحرب الذي يتولى ادارة المملكة فيؤثر ذلك
 في السياسة الخارجية أيضا تأثيرا ينفذ في تغيير السياسة يتعاقب على توالي الحزبين حتى
 يكاد ان لا تثق دولة بالاعتماد على سياسة الانكليز في مواليتهم الا انه ينبغي ان يكون حزب
 المحافظة جاثلا في الاحتراس على ما كانهم مهم بقاؤها وتمتددها على معاضدتهم واذا
 بحزب الاطلاق قد جلب أفعار العامة اليه فيصعد الى تحت الادارة وينقض غزل
 سابقه ويخذل من اعتمد عليه وسياسة كل من الحزبين وان لم تكن مياينة دفعة واحدة
 لسياسة الاخر حتى لا يتسمر له ابطال حرب مودة أو نقض صلح انبرم لكنه يسعى بقدر
 الطاقة في انهاء كل ما وجدته ودم انما حده حتى يبرهن الخارج على فساد ما سعى فيه

ساقه من غير أن يثبت عليه أنه هو الذي كان سببا في الفساد ولهذا صار كل من الخزيين
يجهده مستطاعه في عدم الدخول في حرب مدمرة لكي لا يجد ضده بابا لا تشذيع به عليه لأن
عاقبة الحرب مع الدول الكبيرة مجهولة وانبنى على هذا وسم دولة لانكاي من سائر الأمم
المتقلبة أنما درلة تجارية أنما تبحث على زيادة غنى أهاليها من غير بحث عن الشرف
والجاه لدى الأمم الكبيرة القوية وعند دخولي الى انكلا تيره وجدته رئيس الوزارة
هو رئيس حزب المحافظين وهو اللورد بكنسفيلد وانما حاز ذلك اللقب عندما هدهد برلين
سنة ١٢٩٥ حيث نجح سعيه في تغيب بريمهاده مدعيا ان استيفافوس بتلك المعاهدة
واستولت انكلا تيره على قبرس وكان هذا الرجل من نسل اليهود فلما ترقى في السياسة
غير دينه له دين الدولة حتى يمكن له الترقى للمناصب العالية واشتهر بتأليفه وأفكاره
وخطبه حتى سلمت له رئاسة حزب المحافظين وولى الوزارة مرارا (وأما رئيس حزب
الاطلاق) حينئذ فهو ستر كالدستون وليس له لقب شرف لكنه باتساع معارفه
حاز تلك الرتبة واستولى الوزارة مرارا

فصل في بعض عوائد الانكاي ووصفاتهم اعلم أن كتاب كشف الخبايا عن فنون أوروبا
للبلدغ اللغوي أحمد فارس قد اشتمل على تفاصيل في عوائد القوم يعز وجودها في غيره فن
رام الاطالاع على جزئياتهم فليرجع اليه وانما لم هنا بشئ كاف في التعريف بذلك
(وحاصله) أن أصل لاهالي كما تقدم من قبيلة من قدماء الفرائسيين اختلطت مع قوم
قدماء في الشمال وتتاسل منهم هذا الجيل وهم أقوياء بيض نصيح جرم من الدم يغلب
فيهم الطول وشقورة الشعر نساؤهم جميلات اجاعهم رزينة دفع الملاق الحرية فيهم
لا يطيئون عن حدود الاستقامة والانقياد الى الحكم حتى اذا تجمع منهم الحزم الغفير البالغ
لعدة مئات من الألوف وتكلموا في السياسة وهاجوا واضطربوا ووقع بينهم خلاف
في تلك الجماع احوجت الى الخروج من القول الى الفعل فها هو الا ان يصعدا كما ذلك
الصقع على مكان مرتفع ويقول سيدنا وحاكنا الملك يا هر كل فرد منكم أيها المجتمع معون
بالفرق حالا وأن يدخل كل منكم مسكنه أو محل صناعته تحت قيد الحكم الصادر في أول
سنة في دولة الملك جورج في قطاع المخرج والغوغا والله يحرم الملك حينئذ يتفرق
الجمع الا ما ندر فيحتاج الى اعمال القوة من الضابطية والحرس والعساكر بل وعلى كل مار
اعانة الحرس الا أصحاب رتبة اللورد فانهم غير مكافين بذلك ومن النادر القليل وجود
حالة مثل تلك بل الافراد الجناة يخضعون للحكم وينقادون الى أمر أعوان الحكم بمجرد

القول

القول وعلى فرض الامتناع فيخرج له العون عصبية على رأسها صورة تاج الملك فيطاطى
رأسه وينقاد وان لم يفعل وجب على كل من رآه اعانة العون على جبهه فاعانت هاتيك
الخلعة على اطلاق الحرية واطمئنان الدولة من المخرج وقد تقدم أن عدد السكان نحو
اثنين وثلاثين مليوناً وديانتهم الغالبة برتديستانت وقليل من الكاثوليك ثم اليهود ثم
الدهرية ثم الموحدين أي الذين يوحدون الله ويعترفون بالرسالة والعبودية والبشرية
لعييسى ويصدقون بالكتب فهم أقرب الى الاسلام ولا زال بكثرة ددهم سيما في المانيا
وأما ريك كايو جدا المنادى من المسلمين ثم ان عوائد الالهالي لا يمكن اطلاقها على الجميع
سواء بل بين طبقاتهم البون البعيد فهم على خمسة اصناف (الاولى) الدلية ولهم امتيازات
تقدم بعضها في السياسة ومن خاصيتهم أن لا يدخلوا في الاعمال البدينة التي تجب
على العموم ويمتنهون عن مخالطة غيرهم بحيث يكون كل منهم في داره عند سائر
ما يحتاج اليه ولا يحتاج في الخارج الى مجرد المشي في الطريق بل كان نزته أو صاحب
الذي هو من نوعه وعلى نحوهم نساؤهم وهؤلاء هم أصحاب لقب اللورد وغيره من القاب
الشرف كالمركيز والسير وغيره من القاب الوراثية والتي يعطيها الملك بموافقة مجلس
الخاص ومثل هؤلاء الامراء والوزراء وأصحاب المناصب السامية والاساقفة والبيكار
(الثانية) هم الاعيان الذين لهم أملاك تغنيهم عن معاشات شغل أو حرفة مع تنعم العيش
والرفاهية والاسراف لكنهم ليس لهم لقب مثل الاولى (الثالثة) العلماء والمثقفون
والقسوس والتجار البيكار (الرابعة) التجار وأصحاب العمل النبيه مثل الكتبة
(الخامسة) بقية الناس المتعيشين من كد أبائهم فالاولى والاخيرة بينهم ما التباين
والثلاثة الباقية لكل منها جهة تناسب بها من فوقها وجهة تناسب بها من تحتها ويمكن
على حسب التقريب ان يقال ان الثلاثة الوسطى في عاداتهم واطوارهم على نحو ما تقدم
في فرانسا واطالبا وأما الطبقة العليا فليس لها مثل في تلك الممالك لكن وعحصل حالهم
انهم على نوع من صفات ملوك الاسرة بداد في العظمة والكبرياء والفخرو المباهاة بالعب
واللهو والنكاح في الاموال والاولاد والقناطر والمقنطرة من الذهب والفضة والخيول
المسومة والانعام والحرف فترى للواحد من ملك الارض مائة يوم للراجل وملك الفرس
اربعة مائة الف فرنك ويعد دخله بالدقيقة فيكون له في الدقيقة ألف ايرة أوليرة
أو نحو ذلك ويفرش بيته بمنايع أهل المشرق والمغرب والمنسوجات التي قيمة ذراعاها
بخمسة مائة فرنك ونحوها الى غير ذلك من الاطوار التي لا يعجزها الا هو وعائلته أو من

وينفصل الامر فان لم يجب أحدهما للقتال صاوريا لا أمام الناس وص حبه وقدر صاحبه
 مهم الاقاه ان يمينه عباد له وهذا التقابل وان لم يكن مباحا بالاحكام لكن الحكومات
 غاضة النظر عنه بمعنى ان لا تحتسب عليه وان أضاع واحد شرفه بالشكاية فيه حكم له
 لكنه يمان فهو وان كان فيه ما ينبغي عن علو الهمة والشجاعة غير انه من أعمال الهيج
 لان الحكومات اغنا أقمت لدفع التمددات والغناء الاغراض الشخصية المضرة بالغير
 فبحسب البقاء هاته العادة في أوروبا بل والحب من ازديادها تدريجا ومن عادة الانكاز
 التطير بأشياء كثيرة منها صبايح المرأة الحولة ما لم تتكلم ومن الجهل العام لاسيما في
 عامتهم الى أقوال المتكلمين وأصحاب الحدثن وانزعاجهم من أخبارهم حتى يقتلون
 أنفسهم وكثيرا ما يقتلون أنفسهم وأولادهم خشية الاملاق وكثيرا ما تلد المرأة أربعة أولاد
 في بطن واحد وكثيرا ما يخلق عندهم في ازدياد حتى لا يجدون شغلا في بلادهم فتري مئات
 الألوف يهاجرون سنويا الى الآفاق لتحصيل الكسب ومع ذلك فعندهم في ممالكهم
 لا زال يزداد ودونك برهاننا على ذلك في أقرب وقت وهو ان عدد أهل انكلترا في
 المملكة الأصلية من الجزيرة الكبيرة وحدها كان في سنة ١٨٥١ لا يصل الى سبعة
 عشر مليونا ونصف والاثنان هوس سنة ١٨٨٢ أعنى في ثلاثين سنة تصاعد عددهم يناهز
 ثلاثة وعشرين مليونا فازدادوا خمسة ملايين أو تزيد مع كثرة من هاجر منهم الى ممالك
 أخرى ما يقرب من ذلك العدد ولجوعهم تغال في عقائدهم فمن ذلك محافظتهم على يوم
 الاحد بحيث لا يفتح فيه محل عمل سوى الاكل والشرب ومن فتح حانوته عوقب ولولم يكن
 من مذهبهم وهو غاية التناقض مع ما يطلعون من الحرية ولما كثرهم الحالية زيادة توغل
 في ذلك حتى حكى عنها الشيخ آجـد فارس انها عرض عليها أحد وزراءها أوراقا مهمة
 للمضاء في ليلة الاحد لكنه تالف لها بما كان تأخيرها للصباح فقالت كيف وهو
 يوم الاحد فقال هي مهمة للمحك فقالت اذا بعد الكنيسة فقال نعم وما رجعت من
 الكنيسة وكان الوزير مصاحبا لها أعلمته بأن الخطبة التي أعجبته هي بابعازها الى
 القسيس في المحافظة على يوم الاحد وبناء على ذلك فليأتها صبيحة يوم الاثنين ولوفي
 الساعة الثالثة قبل الظهر لتهضي له أوراقه وتلك الساعة عندهم من الجيب مباشرة
 الاشغال فيها لانهم مبكرو جدا حسب عوائدهم ومن عاداتهم الترحاق على الجليد ولهم
 مهارة في ذلك ولقد همم الفرنسيون وكثيرا ما يحصل العطب بانكسار الجليد وتغرق
 من عليه في النهر أو البركة أو البحيرة والحاصل ان اخلاق الانكليز عبودية ولا يلتزمون

بالاجنبي مثل ما يقع من الفرنسيين غير انهم اذا واد أحدهم أحدا من عيالتهم فانه
 يحافظ عهده ويدوم على ولائه ويحمون ذماره ولهم ولوع بالخيال وتربية وتنشئتها
 وغناهم بالنسبة لاطلين والفرنسيين ردي لتقطع أصواتهم وحصرها وبقية الصفات
 هم فيها مثل من تقدم ذكره من الممالك ثم يوجد في انكلترا تيره نوع من البشر يسمى
 عند أهل تونس بالزمازية وفي الاستانة جينة كاله وبالفرنساوى بالبوهمية وهم في
 الحقيقة وجودون في أغلب الاقطار شرادهم وفي كل جهة محافظون على عوائدهم
 وأهمها الجهل وعدم مخالطة الفل وتعاطى علم الغيب وسكنى الحيام وتعاطى
 الصنائع البسيطة الرذيلة مع الفقر ولهم لغة تخصهم وعن عادات أواسط الانكليز
 وعليتهم حسن تربية الام لا ولادها بحيث ينشئون على التثذيب والتفطن الى التعليم من
 غير تعب حتى انهم كثير ما يتعلمون الاحرف وهم يمدوا القراءة لجرد التربية فيما تدعو
 الام والمربية للصغير مع النظافة والابعاد عن الاخلاق الذميمة وكل أوربا على هذا
 النحو ولهم في النماء من التعليم الحسن

مطلب في التجارة بالانكليز * اعلم ان الاصول المتجربة التي مر ذكرها في الممالك
 السابقة هي جارية كذلك في انكلترا لكن لهؤلاء بادة بسطة وغنى على سائر الممالك
 بما بروج من تجارتهم في مستعمراتهم وغيرها حتى أحصى سنة ١٢٩٨ ١٨٨١ م
 ملك الانكليز من المنقولات التي لها دخل مثل اسهام سلك الحديد وديون الدول وغيرها
 فكان سبعة وثمانين مليا ردفرك والمليار ألف مليون ودخل ذلك في السنة أربعة
 مليارات فلو قسم على نسبة عدد أنفسهم أصح ليكل انكليزي (١١٠) فرنك منها ٥٠
 من خارج المملكة وذلك كاف في بيان مقدار غنى هؤلاء القوم وحرارة تجارتهم فان
 بريدهم يصل الى جميع جهات المسكونة وبواخرهم مائة للبحر وأعظم البضائع الخارجة
 من ممالكهم هو الفحم الحجري فقد أخرج من مقاطعة سنة ١٨٦٦ ما يزيد على ألفي
 مليون قنطارا والمقاطعة الموجودة في انكلترا من هذا الفحم ثلاثة آلاف ومائتان
 واحد وثلثون مقطعا وهو سبب عظيم اثر وتهم من حيث البيع منه للخارج واستعماله
 في الداخل ومن حيث توقف الاشغال الصناعية عليه لكثرة المعامل التجارية ولذلك
 اشتدت عنايتهم به حتى انه كان كثير من علماء الاقتصاد عندهم يبحث عن أحوال فراغ
 ذلك المعدن وما يتسبب عنه من الزيادة للانكليز وفي سنة ١٢٨٨ هـ ١٨٧١ م اشتد
 البحث في هذا الامر وعينت الدولة لجنة لتحقيق الامر وبعد مدة وأبحاث استقر رأيهم على

أنه يمكن بقاء هذا المعدن عندهم إلى مدة ثلاثمائة وخمسين سنة ثم يفرغ نظرا الحكمة ما يستخرج منه سنويا ونظر الصعوبة استخراجة فيمأسفل من طبقات الأرض وكثرة المصاريف عليه حينئذ ومن تلك السنة ارتفع ثمنه نظرا للاقتصاد في استخراجة ولازال البحث عما يعوضهم عنه من القوت أو وجوده يزد في مستعمراتهم ومن موارد تجارتهم الواسعة أيضا ما يخرج منهم من الحديد وأغاب الجلوب لهم المحبوب لأن ما يخرج منها عندهم غير كاف لهم وتجد في أفراد الانكليز الغنى الذي لا يوجد في غيرهم كما يوجد فيهم الفقر المدق بكثرة وقد انعقدت في خصوص اندر دشر كانت للتجارة والزراعة ٢١٢٥ شركة أفا من منها ٤١٢ شركة رأس مالها ٥٠٠ مليون فربك وذلك في خصوص سنة واحدة وهي سنة ١٨٨١

مطلب في الاحكام بان كلاً تيره قد مرت أصول الاحكام الشخصية عندهم في مهت السياسة الداخلية وانما نقول هنا أن قضاء الانكليز يضرب بهم المثل في أروبا في العفة وعدم الميل إلى الأغراض وفي متعلقات دولتهم وهناك مدن يقيم فيها القضاة ومدن تذهب اليها القضاة في أوقات معلومة من السنة فتعرض دايهم النوازل المهمة لهم من حكام الجهات والاحكام النقية له انما تصدر من القضاة بمحض الجوري وقد تقدم الكلام عليه غير أن جوري الانكليز يختص بانه على قسمين فالاحكام الخطيرة جوريا يتألف من فقهاءهم وأعيانهم وكل منهم ليرة على كل نازلة والاحكام الخفيفة جوريا من السوق وأصحاب الحرف مثل فرانسوا ويزيد جوري الانكليز بجور عظيم على نفس الجوري فان للقاضي ترفيفهم في محله منفرد بكان الحكم حتى يقع اجراءهم على رأى واحد من غير كل ولا شرب واذا وجد مع أحدهم شيئا من مواد المعاش غرم ما لا وهذا من عجائب الاحكام اذ كيف يلزم اتفاق آراء عديدة على قول واحد دائما أو يصعبون على ذلك فعوضا أن يكون ذلك وسيلة للعدل ربعا كان واسطة للجور كما أنهم صاروا يستحسنون تعويض المحكم بالاعمال الشاقة عن القتل مهما أمكن وذلك جالب لزيادة الشكر كما صرح به صنفهم المنصفه وكذلك صاروا لا يمكنون بحبس المدين وانما على الدائن اثبات مال له والحكم يوص له به ومن أحكامهم المبنية على العادات القديمة تغريتهم للوطى في وعاء من العذرة إلى أن يموت وهو من أشد الشناعات عندهم ومع ذلك فهو فاش في كثير منهم سراسيما العساكر البحرية وقد وقع عندهم منذ عهد قريب أن أحد الملاحى وجد فيه لاعبات جيلات جدا فدعا هن متفوههم واختلوا بين وبعد

مدة مديدة اكتشفت الحرس على أنهم في الواقع غلامان وشدد البحث عن حالهم فوجدوا بحكم الاطباء انهم مفعول بهم كثير المكن حكم فيهم أشد حكم ولم تتبع الجزئيات لكي لا يقع الافتضاح لبعض العلبة وقد ابتنى على عدم حصر احكامهم في عرض واحد طول مدة الحكم وكثرة المصاريف عليها أزيد مما يوجد من الطول في محاكم أوروبا التي تطول فيها النوازل جدا ومن احكامهم اباحة الزنى بالتراضى مثل ما في غيرهم لكن يمكن أن يقال انساء عاباتهم أعف من غيرهن في الممالك الأخرى ونساء أواسط الفرانسييس على ذلك النحور وما عدا هؤلاء فلا ترد احكامهن تعريض الاما قبل بل ورعافا تحت هي الرجل

مطلب في المعارف بان كلاً تيره لا يخفاء أن امتداد الثروة مبنى على كل من العدل والعلم فلم فعلى قدر ارتقاء ذلك نمو الثروة وما تقدم من اجمال حال ثروتهم دال على حالة المعارف عندهم وأصول المعارف هي الموجهة بغيرها من الممالك السابقة وتنقسم تعاليمها إلى التقاسيم الموجودة في فرانسوا وأعظم المدن التي توجد اليها من حيات الارتال لاقامة التلامذة بمدارسها هي مدينة كمبريج واسكس فور دوا كثر أبناء الاغنياء يقيمون بهاته المدارس ولهذا كن كل من البلدين غالى الاسعار اذ أغلب التلامذة يقضون أوقاتهم في التلهى والتفاخر والوسيلة اسم النعم لم يقل ما يبرع أبناء الاغنياء في العلوم لكن على كل حال لا يوجد فيهم الجهل المطبق وعمما اختصت به ان كلاً تيره وجود جمعية ديانبة لنشر مذهبهم البريتستانتى واتفاق النفقات المباهظة على ارسال الرسل لتتصير الناس في أقسام الأرض وحماية دولتهم ورأهم فيغرون الناس بالمال وبالاباحات الدينية وفتح المدارس لتعليم العلوم ودرس العقائد فيها وقد بذلوا استطاعتهم في الهند لتعديل عقائد أهلها وحصلت مع المسلمين مباحثات شهيرة وكان الانتصار فيها والله الحمد للمسلمين حتى انه أسلم بسببها كثير من الجحوس بل في هاته المدة أسلم أربعة قسوس من الذين تصدوا للنزاع والمجدل بسبب صدق الديانة الاسلامية ورسوخ العلماء هناك وتبحرهم في العلوم ثم ان أسباب تيسر نشر المعارف في ان كلاً تيره كثرة سهولة المناولة فقد حرروا في سنة ١٢٩٨ هـ ١٨٨١ م انه يوجد بلاندر دوا ٨٧١ مطبعة و ١٦ ماعلا صنع المكابس التي تشغلها الايدي فضلا عن معامل مكابس البنجار (وتسعة) معامل لآلات اعطاء الجبرلة روف و ٢٢ معامل صنع مكابس المطابع الجبرية و ٢٢ معامل لآلات الحرف ولوانها وكل مدينة فيها من المطابع والمكاتب

ما يناسبها وعدد المكتبات التي بانكلا تيره ٢٠٠ مكتبة فيها من الكتب المطبوعة ٢٨٧١٤٨٣ ومن الكتب التي بالخط ٢٦٠٠٠ وأعظم هاته المكتبة لندرة الكتب الكبرى وهي ثمانية لمكتبة الامة في باريس ومن أهم وسائط المعارف والتجارة والحريية عندهم الصحف الحرة وهي على أنواع في الموضوع ففنه الخاص ببعض فنون علمية كالطب والكيمياء وغيرها والجمع عام في الفنون والبعض جامع للآداب والفنون والتجارة وأعم صحيفة من هذا النوع صحيفة التيمس وكان أول انتشارها سنة ١٢٠٣ م وكانت لرجل خاص ثم صارت ذاتهم للشركيين ولم يزل حفيد منشئها حصص منها وصارت لها آلة تطبع منها ستين ألف نسخة في الساعة الواحدة مع طبعها على نحو كتاب ذي ثمان صفحات أو ثمانية عشر صفحة والورق الذي تطبع عليه يوتي به ما غرق على نحو اسطوانة فتأخذ الآلة وتخرج منه مطبوعا مطويا واول كل قطعة من الكاغد قدر ثلاثمائة أميال انكليزية ويوضع لها من تلك القطع من الثلاثين الى الاربعين قطعة بحيث لو وصلت ببعضها مائة تبالغ مسافة مائة وعشرين ميلا وهذا في طبعة الصباح وحدها وتارة تطبع ثانيا وثالثا ورابعا اذا تكاثرت الاخبار ولها خدمة لا تطبع والانشاء وغيره أربعة مائة عامل نصفهم لخدمة النهار والنصف لخدمة الليل ورئيس المنشئين مرتبه مائة ألف فرنك في السنة وزيادة على المنشئين الرسميين بالمرتبات كل من أتى بمقالة في أي موضوع كان وحسنت عند المدير فانه يعطى صاحبها اجرا عليها يبلغ الى الالف فرنك على المقالة الواحدة وله في سائر الاقطار كتابون بمرتبات وافرة ولهم أعوان وكتاب وادارة مثل سفارة لدولة من الدول ولهم اذن في صرف كل ما يلزمهم لاخذ الاخبار وابصارها للادارة زيادة على مصاريفهم الخاصة فيصرفون احيانا على مجرد خبر واحد بسلك الكه ربان لثلاثة آلاف فرنك وازيد بل ويرشون من يرشون من متوظفي الدبل لا عطايتهم الاخبار السريية وقد حصلوا في بعض الدول المهمة على لوائح رسمية قبل وصولها الى السفراء برشوة آلاف من الفرنك وهؤلاء المكاتبون يتقبلهم الوزراء والامراء مثل متوظفين ويحاورونهم في المواد السياسية وعند وقوع حرب فلادارة الصحيفة مكاتبون حاضرون ترسلهم الى ميادين الحرب في العسكريين حتى يخبروا بما يكون وتقبلهم رؤساء الحرب بالحرب غير انهم يشترطون عليهم ان لا يخبروا الا بما يوافقهم فحصل من الاخبار من الشقين ما يستنتج منه صحة الخبر وينال هؤلاء المكاتبين من الاخطار ما هو معلوم في الحرب غير انهم يتبعون عن مواقع الرمي

الرمي وكثيرا ما يكونون بقرب رئيس المعسكر ومن المعلوم ان لا يخاطر احد بهم بذلك الا لكمة مرة المال فادارة التيمس لها من الدخل والخرج السنوي ما يضاهي دولة من الدول الثاقوبة مع ان كل نسخة منه لا تباع الا بثلاثين صانتيما أي ثلاثين من مائة من الفرنك الواحد ولو اشترى الورق وحده أيضا لكان أغلى من ذلك لان ورقه هو من معمل خاص به فالرجع العظيم انما هو من كثرة الخرج مع كثرة الاعلانات وعدد نسخ كل دفعة نحو من السبعين ألف نسخة وعلى نحو منه في أصول الادارة صحف أوروبا الشهيرة كلها

مطلب في الصنائع في انكلا تيره اما الفلاحة فهي متقدمة للغاية وأكثر ما يستنبت هو القمح والشعير والبطاطاس وشجرة الديفار التي تستعمل منها السكر كأي البيرة وكل المستنبات لا تنكفي حاجة الاهالي فيجلبون من الخارج كثير الاشجرة الدينار وبقية الصنائع فاعظمها عمل آلات الحديد بأنواعها والسفن والمنسوجات القطنية وله فيها مهارة على سائر الممالك حتى صارت أرخص عندهم من غيرهم ثم المنسوجات الصوفية لاسيما المستخرجة من صوفهم الرفيع المشابهة للحرير وبقية الصنائع هي دون ما في فرنسا في الحسن والرواق لكن جميع مصنوعاتهم متينة

مطلب في هيئة المساكن في انكلا تيره المساكن في انكلا تيره على خلاف الممالك المتقدم ذكرها فان هيئة البناء من خارج على نحو ما في الاسمان من خروج جهات من الدار ودخول أخرى وكذلك الطوائف تنفتح أبوابها بالرفع الى فوق مع كونها غير كبرية مثل ما في بقية أوروبا وكذلك الديار كل منها لا يسكن الا عائلة واحدة ولا تزيد طبقاتها على ثلاث والبناء كله من الآجر والسقوف والدرج من خشب متقن الصنعة والا لصاق ببعضه ومن أحسن ما عندهم هيئة الكنف وانساعها ونظافتها وان كانوا يجلسون على اجلسا فاقدم في الابنية هو القليل والبقية ابنية الممالك السابقة ثم ان منازل المسافرين هي أيضا مثل الممالك السابقة غير ان أكثر الواردين اغنياء يكتفون في ديار منفردة يجدها الانسان حاضرة بجميع لوازمها وينفق في أكله على حسب ارادته والذي يقوم له بلوازمه هو صاحب المحل فيسأله عن مقدار ما يريد صرف يوميا وعن اجمال رقت أكله وما هو مشتهاه منه فيصرف له على نحو ما يريد وتخدمه خوادم المحل الذين هم في الاغلب من البنات الجيلات ومن أراد كراء بيت واحد فله ذلك وهذا الطريق أرفق بكثير من السكنى في منازل المسافرين لانها في انكلا تيره غالية جدا كأنها

معدة لارباب الترف خاصة ثم ان حارات السكنى لا تجد فيها حوانيت للسباع أو غيرها من
اللازم بل ذلك من عيب المسكن عندهم والطرق التي بها الاسواق وحوانيت البياعة
لا تسكن الا لاراذل بحيث يصح ان يقال ان عاداتهم في المسكن قريبة كثيرا من عادات
المسلمين في انفراد العائلات وحمايه الديار من التطرق وشدة النظافة في داخل الديار
تنظيمها كل على قدر سعته أما الفرش والاثاث فهو على نحو ما تقدم في الممالك السابقة
من أوروبا ومواقف الانكليز في البيوت اتقن من غيرهم وتلزمهم نفقة تضاهي نفقات
المعيشة لشدة البرد وطول مدته ولم أر أيت ان بلادهم كادت أن تكون كلها من الأجر
زال تعجب مما رأيت من كثرة معامله في الطريق (أما الطرق) في انكلا تيره فهي
دون غيرها من ممالك أوروبا والمتقدمة في الذكر من جهة النظافة والاعتناء بتنظيمها
حتى اني رأيت في ذات لندره طريقا لا يسع الا بعجلة واحدة لا تكاد البعجلة تتحرك فيه من
كثرة ما فيه من الوحل والطين مع كونه كثير المرور فيه (وهكذا) سائر الطرق كثيرة
الوحل قليلة النظافة سيما وقت نزول الماء الذي لا يكاد ينقطع ولهذا شرعوا في عمل
تبليط الطرق بقطع الخشب لانها انظف (وأما تنوير الطرق) فهو على نحو ما في سائر أوروبا
لا يمكن القرى الصغيرة في بلاد الانكليز هي اسوأ حالا من غيرها اذ كثير منها لا تجد
فيه حانوتا لبيع شئ الا ما ندر من بيع ما لا يسد من عوزة كفي عباد كره الشيخ أحمد
فارس في صفته في هذا الصدد حتى يكادوا يلحقوا بالوحشين نعم ان طررق
الحديد والترع والسفن هي هنا أكثر وأمن من غيرها ومن الابنية المعنى
بها السجون فهو عندهم بل وعند سائر أوروبا قسم على أنواع على حسب الجنائيات
وحسب الايقاف والحكم فمعدل الايقاف للمتهم حتى يثبت عليه الحكم أشبه بمنزله منه
بسجن ثم يدرج الامر الى الجنائيات الشديدة فيحبس الجاني في بيت منفرد يدخله
الضوء من أعلى ويتجدد به الهواء ويعطى شغلا على افراس انظف يادفع الحر والبرد وأكلا
سليم من طعام واحد ويخرج في وقت معلوم للتمشي في البستان الذي حول السجن
لكونه يمنع من الكلام مع غيره مطلقا فان خالف الاوامر سجن في محل مظلم بطال
واذا مرض عوج بالطبيب والدواء فسجنهم سجن لا مقتل

مطلب في اللبس في انكلا تيره لبس الانكليز من لبس الفرنسيين بل
والشباب المترفات عيال في الثياب على الفرنسيات وهن يؤثرن مصنوعات
الفرنساوين عن مصنوعاتهن في اللبس واللبس العساكر أحسن من لبس عساكر غيرهم

نظافة وشكلا وان كان على نحو واحد دولنا كانت الابخرة والدخان والضباب
في انكلا تيره يتكاثر جدا كانت الثياب البيضاء كالقمامان تحتاج الى التغيير بكثرة
تحفظا على النظافة فاحتاجوا الى جعل رقبة القميص ورؤس يديه وصدره مفصولة عن
القميص وتسلك به بواطة زرر حتى لا يلزم تنجس جميع القميص لمجرد ما يظهر
منه عدة مرار في اليوم وهذا وان كان موجودا في سائر أوروبا على السواء عندها واسط
الناس لا يمكن الذي خصت به انكلا تيره هو جعل تلك القطع من ورق مخين أبيض
حيث وجدوا ثمنه وان كان لا يصلح لازيد من لبسة واحدة أرفق من ثمن الثياب مع
دوامه لما يحتاج اليه من كثرة غسل الصابون والتشاة والتعليس بالمحيد المحمي
مطلب في الاكل في انكلا تيره الانكليز أكثر كلات من غيرهم حتى ان المقل
منهم لعددها بأكل أربع مرات في اليوم صباحا وقبل الظهر وفي الساعة السادسة بعد
الظهر وقبل النوم والاخيرة هي الخالية عن المطبوخ ومنهم من يأكل ثمان مرات
في اليوم وأكلهم على العموم بسيط اذ هو شورية ومحكم خالص مقل أو مشوي أو مسلوق
وبطاطس مسلوقة في الماء ليس الا ولا يضعون في الطعام شيئا من التوابل بل يأتون
بها في أواني أمام الأكل يأخذ منها غضة بدون طبخ بل حتى الملح كذلك عند بعضهم ومن
هنا التوابل الحريفة كثيرا كالفاغل وغيره مما يستعمله الهندويأتون الى مواثد
بقطع كبيرة من الجبن وهو الذجن رأيت كما ان اللحم أيضا يأتون به قطعة كبيرة جدا
بحيث يأتون بفخذ بقرة صغيرة كله قطعة واحدة كما أنهم أكثر كلات للخنزير من غيرهم
عن رأيت والمترفون منهم والمطاعم الشهيرة العامة يأتون بطباخين فرانسواوين وقد
رأيت باحدى المطاعم بلندن (قسما) لا كل الانكليز (وقسما) لا كل المشرقيين
(وقسما) لا كل الفرنسيين فيختار الاكل كل الجهة التي يريدونها وكان الداعي ببساطة
أكلهم ولوعه بالاغنياء كثرة الغش في الماء كولات بحيث لا تكاد تجد خبزا من دقيق
الحنطة حقيقة بل هو فيه أنواع شتى تركب باقتان حتى لا يفرق بينها وبين الاصل الا
بعمليات كيميائية وكذلك الزبدة فها هي الاشياء لا اللحم وقد ذكر في كشف الخبايا
ما يتعجب منه من خايط الماء كولات وغشها وجعل العموم بأنواع الطبخ وهم كثير والشرب
للسكرات الروحية وكذلك السكر كة أى البيرة لشدة البرد وقلة الخبز وغلاته حيث
لا ينبت بأرضهم العنب ويخاطون البيرة بورق التبغ حتى تصير شديدة التأثير ويكثر

منها حتى يغى عليهم بل ان أيام الاحد ترى النساء والرجال سكرى على الطرق ملقون ويتفوهون بالفحش وبعضهم أحيا نائمون من كثرة السكر وأهل اليسار يشربون الشاي بكثرة سيما في السهر ليل لا يدعوا لاجبة بعضهم اليه ويختلفون لشربه ويجعلون في أقذاح الشرب قطعاً من اللبون الحامض أو يخلطونه بشئ من اللبن ويأكلون معه شيئاً من الخبز والزبد وغير ذلك من المأكول الخفيفة لكنهم لا يضعون فيه العنبر أو غيره مما تصنعه المغاربة والمشاركة أكثر طبعهم في الأواني من الحديد لا النحاس لأنه اذا لم يبيض دائماً ينشأ منه الصدأ والقتال ولذا صار أغاب أروبا نغما يطبخ في أواني الحديد أو النحاس التي يجعل داخلها مطلياً بنوع من الخنزف بحيث لا يمس النحاس الطعام ومن عاداتهم في الأكل كل اللحم النتن سيما في بعض الطيور حتى يصير الطير يكاد يتحرك من الدود الذي نشأ فيه واذا أدخل الى بيت الأكل زكت أنوف حتى الكلاب من قبح نتن رائحته وهم يستأذونه على ذلك مثل سودان افرريقية ومن القواعد الجارية في عموم أروبا ان لحم البقر لا يؤكل الا بعد يوم من ذبحه في الأقل ومثله الطيور ولهمرى ان هذا لحم من جهة تلبين اللحم وقابليته للطبخ واللذة سيما في البلاد الباردة لكن لا يصل الحديده الى حدوث أدنى رائحة به فان هذا مضرب بالصحة فضلاً عن استنقاذه (أما لحم الغنم) وما شاكله فيؤكل في يومه وهو لذيل لكنهم ممنوعون من لذة أكل الخروف الصغير اذا لحكم بمنع ذبح الشاة دون سن العامين لاجل الاقتصاد بكثرة اللحم لان الشاة اذا كبر حجمها كفت أضعاف أضعافها وهي صغيرة نعم من اراد ذلك فله ذبح خروف لخصوصه و يؤدي عليه أداؤه زائد للحكومة بحيث لا يوجد الا بالاعتناء

مطلب في المواكب في انكالاتيريه المواكب عند الانكالاتيريه هي رأس السنة والاعباد الدينية واجتماعهم ل ما تقدم في غيرهم غير انهم عند ذبحهم للملكة يلبس الكبراء ذلك الشعر الأبيض العارية ويقبلون يدها على ظهر الكف ومنهم من يقعد عند ذلك على ركبة ورجل وتقبل يد الملكات جار عند غيرهم أيضاً وزوجة الملك تعامل معاملة الملكة في ذلك بل وبعض الملوك مثل المانيا العسا كرفها يقبلون يد الملك أيضاً ومن المواكب الشهيرة في لندي يوم دخول صاحب الملك المدينة رسمياً متوجهاً الكنيسة ماربولس متشكراً على ظفر أول افتتاح بناء مهم عام فحينئذ يأتي راجعاً الى البلاط ولا يدخل الى الامن باب قبل بار وهو في أول طريق السيتي الشهير فيعاق الباب في وجهه شيخ المدينة فيقدم الملك الى أن يصل للباب فينفخ أحد كبراء أتباعه

أتباعه في بوق ويدق آخر الباب وتقع مخاطبة بينه وبين شيخ المدينة ثم ينفخ الشيخ الباب ويقدم للملك سيف البلاد فيأخذ منه ثم يرجعه عليه ثم يسير الشيخ في ركابه الى أن يصل الى مقصده مع الاحتفال التمام وكل الازدحام ومن المواكب المشهورة يوم تولية شيخ المدينة في كل سنة في شهر تشرين ثاني فانه يجعل في الطرق حواجز لمنع مرور الجمال وتغص الطرق بالحاق فيخرج الشيخ من قصر كادها في موكب حافل ويركب عجلة مؤنقة ذات قيمة بليغة تجرها أفراس ويركب معه قاضي القضاة والكل باللباس الرسمي وتوضع أمامه آلات الحرب على عجلة مزينة بما تنبته الارض وعلى عجلة أخرى سفينة ذات شراع تجرها سبعة أفراس أيضاً وتنتشر في الطرق الشرط وتشي أمامه وتقف حول طريقه فرق عديدة منهم بعضهم يعزف بالآلات الطرب وبعضها ينفخ في ابواق وبعضها يحمل رايات مختلفة الألوان وبعضهم متدرع بالدروع العتيقة وفي موكبهم جميع أصحاب الرتب العالية وشيخ المدينة المعزول ويلاقيه في الطريق وزراء الدولة وأعضاء المجالس والندوة وسفراء الدول وعتد استقراره بالقصر الخاص به يدعو جميع الاعيان لولاية فاحرة تشتمل على ٢٦٣٧ صحن مع زينة المائدة باواني الذهب والفضة ويحضر أمامه صحن به سمك صغير من سمك نهر التيمس ويكون ذلك اليوم يوماً مشهوداً وذلك الشيخ من أعظم رجال الدولة مع أنه يمكن ان يكون سوقياً أو فراعساً كرى باعاً على حسب ما ينتخبه المجلس البادي وبقاؤه سنة فقط ومرتبته نحو عشرة آلاف ليرة لا يستغنى عنها لذاته بشئ اذ كلها تصرف في أهبة المنصب وولائه

مطلب في اللغة في انكالاتيريه اللغة الانكليزية مستحدثة متولدة من اللسان النودسكي القديم وهي لغة ضيقة سهلة التعلم يؤدون المعاني كلها بالتركيب وقد اشتهرت جداً في أمريكا والهند حتى صار عدد من يتكلم بها ثمانون مليوناً عدا من يعرفها وليس يستعمل لها اللغة وكانها لغة حلقية لان أغاب أحرفها حاق ولا تساعد على انشاد الشعر والغناء بالكلفة كبيرة

دخل الدولة الانكليزية عدا حكومة الهند والخرج مئة	٢ ٧٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠
سنة ١٨٨١ نحو	
دخل حكومة الهند والخرج مئة	١ ٦٣٠ ٠٠٠ ٠٠
عسا كبرية تحت السلاح	٠ ١٦٠ ٠٠٠
عسا كرا الهند تحت السلاح	٠ ٣٥٠ ٠٠٠
عسا كبرية وليس للهند منها شيء	٠ ٠٦ ٠٦٥ ٠٠٠
في وقت الحرب في الخارج تحضر بالاجرة كلما تريد وعند	
الهجوم عليها فاعلموا كلهم محاربون	
قوة التجارة المالية نحو	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠
عدد السفن الشراعية الحاملة للراية الانكليزية	٠٢٠ ٥٣٨
عدد البواخر الحاملة للراية الانكليزية	٠٠٥ ٠٢٧
عدد المعامل ذوات الآلات اسائر المصنوعات في بريطانيا	٠٠٧ ٢٩٤
امتداد سكك الحديد ايام الاجات من الركاب في سنة واحدة	٠١٨ ٠٠٠
سنة ملايين	
عدد البواخر المدرعة العاملة والاحتياطية	٠٠٠ ٠٦١
جولاتها طوفولاته وكل طوفولاته عشرون قنطارا ومدافعها	٣٦٠ ٠٠٠
على حساب المعدل الواحد طوفولاته ٣٧	

الباب السادس عشر في جزيرتهم طه

الفصل الاول في سفرى اليها

لما رجعت من فرانس الى تونس في اواسط رمضان سنة ١٢٩٦ ووجدت انقلاب الاحوال فيها باستيلاء فرانس عليها قد نشم ولم تغد نصا حتى الى وزير تونس مصطفى بن امعيل بل رأيت اضرى الشر حتى اوعز الى بعض الصادقين بعزمه على البطش بي ولو افضى الى القتل معتصدا برستان قنسل فرانس اذ كان خشية من فشوما طلعت عليه من عزمه - وحصول التعطيل لهم - حسمه مسبقا لاشارة الى طرف منه - في ذيل تسلط فرانس على تونس وفي اسباب سفرى ولم نجد مخلصا الا التخاص برأسى وطلبت من ذلك

الوزير

الوزير كتابة اعفاني من الواجب من الملاحة البدني فاجابني كتابة بالمنع فطلبت الاذن بالتوجه الى الحج فنهىني أولا فاستجرت اليه عن لم يسعه الا قبول جاهه فاذن لي فانهما بالاس - تراحمه منى وشافهني الوالى عنه - وداعه بما يشف عن غيظه الذى ملا به وزيره ص - دره فانه قدنى الله من شرهم وأخذت ورقة التجواز وسافرت اواسط شوال من تلك السنة الى الحج على طريق مالطة بحرا فوصلت اليها بعد سير بالباخرة البريدية نحو من يوم فاذا هي جبال فعلة ترى فيها حيطان من الحجر مرصوفات منتشرة على تلك الجبال ومرساها من أعظم مراسى البحر الايض اتقاها وصناعة وتحصينا واقعة على الجهة الشرقية من شاطئ بلاد فاليتا التي هي قاعدة الجزيرة فصعد الى الباخرة السمسرة لمتنازل المسافرين واتفقت مع سمسار المنزل المسمى أوتيل دى بارس على أن يكون سعر اليوم واليلة فيه عشرة فرنكات سكناوا كلالى ولتأبى والسكنى في حجرتين والاكل مرتين لانهم يسألون عن كمية الاكلات لما تأنساوا به من كثرة الاكلات الانكليزية فدخلنا الى البلاد ولم يطلب اليكرك الا الاداء على الماء كولات وذلك لان السفر الى الحرمين يلزم فيه قطع برارى ليس فيها مرافق فاحضرت معى من الماء كولات التي تدخر ما لاجده في البلدان التي غر عليها ومع ذلك كنت خفت ما استطعت ولم نعمل باشارة بعض الاحباء من جل كثير من اللوازم فانه منى انى أجدها في البلدان العربية هناك وكان الامر على ما قالوا كما سيأتى في محله ان شاء الله ولما كانت مالطة مرسى حرة لما يأتى في سياستها لم يكن فيها اداء على شئ سوى الماء كولات التي تؤدى الى المجلس البلدى لمصالح البلاد وحيث كنت لاحتاج الى تلك الاشياء في مالطة ابقيتها مأمونة في الكمرك وأخذت فيها حجة لكي لا تؤدى عليها اشياء بعد الاستراحة بالمنزل نظرت فاذا بالطبقة السفلى ملائمة بصناديق مكسوة بالجملد الجميل ومسامير النحاس ومعها بعض خدم وحشم والطبقة العليا فيها عائلته من المسلمين ومعهم رجل من اخذ السخريه صناعة له فقدم الى وحادثني بكلمات بعضها عربى وبعضها تركى ولم أكن اذذاك أفهم التركى فاعلمته به بانى لم أفهم فهدى الى العربى وأعلمنى انه من حاشية أحد الكتبة بطرابلس الغرب من متوظفى الترك وانه أرسل الى الاتيان بعائلته من الاستانة فصحها هو مع بقية الخدم وذكر في حديثه مقدار مرتب متبوعه فظننت انه هازل فحقق لي المقدار فاذا هو لا يبالغ ما تسمى فرنك في الشهر ففهمت من الامر كيف يكون صاحب تلك البدخلة مكتفيا بذلك المرتب ويتعب لاجله من الاستانة الى طرابلس الغرب مع شدة التباين في الهواء بالحر والبرد مع خلو الوظيفة عن مقام عال حتى يعمل لصاحبها برغبة في

الميت فدل على وجود ربح آخر على غير الوجه الرسمي مما يضر بالمال كنه والله لطيف
 حفيظ (وهاته) البلاد أعني فاليتا قاعدة مالطة متصاعدة في جبل حتى ان أغلب طرقها
 يصعد فيها بدرج وبها طرق رحيمة للجماعات أحسنها واحد يمر من الشمال الى الجنوب
 خارق البلاد الى طرفها وبعضه مبلط بالخشب لجود تقليد بلاد لندره والافلا باعث عليه
 لامن جهة الوسخ المتسبب عن عدم انقطاع الامطار ولا من جهة قرعة الجماعات
 المتكاثرة ولا من جهة رخص الاخشاب اذ مالطة على خلاف ذلك كله وهي على نوع
 البلاد الاروبى بالوية المتوسطة في الكبر والحسن غير انها متقنة نظافة الطرقات وان كان
 أهواها يبولون ليلا في الطرقات لكنهم يغسلون محلات البول كل يوم وبها قصرا محكما
 وفيه آثار عتيقة على قدر حالة البلاد وليس منها ما يذكروا المدافع من أول نوع اخترع
 وهي ورقات من نحاس معصبة بحبال ثم ملفوف عليها جلد غليظ مطلى بالقطران طول
 كل مدفع ثمانية أشبار وقطر داخله سبع عقدو بقية ما في البلاد ليس منه ما يفرد بالذكور
 غير انها حاوية لا غودج ما في المدن الحسنة مما يرجع الى التحسين على نحو ما في أوروبا
 فلانما يعلل باعادته (أما في التحصين) فهي من أول أقسام المراسي والبلاد ان الحصينة
 بما حولها من الحصون المعمرة بالمدايع الضخام جدا مع الكثرة وجعلها طبة فوق
 أخرى لما ساعد على ذلك من الجبل فهي حصون منحوتة فيه لا تخربها القنابر ولوم
 أعظم المدافع بحيث يصح أن يقال انها لا يمكن للهاجم اقتحامها أو أخذها الا بالحصار
 لا تحتاجها الى القوت من خارج نعم يلزم طول مدة الحصار لا يهاز كزمتوسط في البحر
 الابيض فتجئ اليها التجارة من البحر الاسود وغيره ويخزن فيها من الحبوب وغيرها ما يكفي
 أهلها عدة سنين كما انها تشتمل مرساهم على معمل مهم للسفن واصلاحها محتوية خزائنه
 على كل المواد اللازمة لها وبها مرسى أخرى تسمى مرسى موشيطو كنهها مرفعة عن مرسى
 الشط وهي مرسى الكرنينة أى مكان اقامة الواردين من البلاد المصابة بالامراض
 المستوبية وهي دون الاولى وحولها مساكن مقسمة على أقسام على وجه يمكن به
 الاحتراز من مخالطة السكان بعضهم ببعض وهي مساكن لا بأس بها كما هو جدي خارج
 البلاد مقبرة اسلامية محروطة يسورها باب مغلق مفتاحه عند امام الجامع وهو جامع
 ظريف والامام يشيم هناك والقائم بجميع الدولة العثمانية له كثرة ورود المسلمين الى
 هناك حجاجا وتجارا من المشرق والمغرب فاقم ذلك الامام للصلاة بالجامع وعلى من يموت
 اذ كانه عوضا عن سلوكه مسالك الديانة كان مقبلا على الخنا والجامع معطل ولله عافية
 الامور

الامور وعند مروري على حوانيتها وجدت بها أسيرة من حديد صغيرا خفيفة تفارق حتى
 يصير الواحد في طول ذراع وغلظ سبع عة - دوياف في المكان المخزن الذي يفرش على
 ظهره للنوم عليه فاخذت منها اثنين للرحلة في الحجاز وفتشت على معمل صغير يمكن حمله
 بسهولة للبلج فلم أجده هناك ولا وجد شيئا يحتمل أنى لأجده في غير ما فاكتفيت
 بذلك وسافرت منها بعد الاقامة بها ثلاثة أيام راكباً بخربة تجارية انكليزية متوجهة الى
 اسكندرية

الفصل الثاني

في التعريف بمالطة

مسمى هذا الاسم ثلاث جزر واقعة في البحر الابيض على دقيقة ٤٥ درجة ٢٥ من
 العرض الشمالي دقيقة ٤٤ درجة ٢٢ من الطول الشرقي الجزيرة الاولى تسمى
 فاليتا وهي خمسة عشر قرية أكبرها فاليتا التي هي القاعة والجزيرة الثانية
 تسمى (أدوج) بها ستة عشر قرية والجزيرة الثالثة تسمى ككونة وبقرها أخرى
 تسمى فالعلة صفة يرتان ليس بها سكان وانما يقدم اليها أهل الجزيرتين الاخرتين
 للفلاحة بهما واختلاف الجغرافيون في الحاق مالطة بنهم من جعلها من أفريقية ومنهم
 من جعلها من أرض بالقر بها الكل منهما (وكل هاته) الجزائر جبال صخرية غيران حجرها
 لين سهل النحت فاذا جف بالشمس تصاب نوعا ما فارضها غير جيدة لكن اشدة العمل
 والمعالجة صارت صالحة لزراعة كل النباتات التي بالبلاد الحارة (وأما جبالها) فليست
 بمرتفعة وليس بها بالكافي وليس بها غير الا ما يحدث عند المطر من السيول وليس بها
 بحيرة (وأما عيونها) فتوجد بها عيناان ضعيفتان (احدهما) بالجزيرة الاولى
 (والثانية) بالثانية ما رزها عذب شوب بشي يسير من الملوحة وأكثر شرب أهلها من
 ماء المطر الخزون في دها اليزوجار (وأما هوائها) فهو آميل للحرارة من المنطقة الحارة
 وتحدث فيها الاسحبة فجأة بامطار كافوا القرب مع رعود وبرق هائلة رتة كشف بسرعة
 ويحدث ذلك بهما لوصفها الا انه بقله فيه وأما في الخريف والشتاء فهو كثير والهواء حريف
 مضربا الصدر كثير الندى حتى يفسد الماء كولات وغيرها الخزونة في أما كن قليلة تغير الهواء
 (وأما نباتاتها) فينبذت بها سائر البقول وهي جيدة والقمح والشعير برود غيرهما من
 الحبوب ويحصل فيها خصب متوسط كما يندبت بها القطن والعنب والمان والايون وغير

ذلك من الاشجار التي تحمل الحمر ولا تحتاج الى كثرة الماء ولذلك لم يكن بها غابات وما
ينبت فيها من الشجر لا يرتفع على وجه الارض الا يسيرا فترى الخرنوب الذي يكون في
قونس الواحدة منه مثل غيضة شاهقة هوفى مالطة لاصق بالارض لا يكاد يبين
(وهكذا) سائر الاشجار ويعظم بها الصبار جدا (واما حيواناتها) ففيها المعز المحسن كثير
الحلب وبقية النعم يجاب لها من خارج ويغلف عافا لاقبلا من الرعي لعدم الرعي زبها
الحجر بكثرة والبغال والخيول بقلة (اما الحيوانات) الوحشية فليس بها الا الارانب ومنها
نوع انسي يعظم ويربى والسباع منقطعة والطيور الانسية كالأرنباء عندهم ويوجد
بكثرة العصفور الاصفر الحسن الصوت المسمى بالكانالو والبرية قليلة الا بعض الرحالة
كالسمان (واما المعادن) فليس بها الا الحجر ويصنعون الملح عند شاطئ البحر بمحلة
صناعية (واما مدنها) فهي قاعدتها المسماة بفاليتا والبقية قرى مجوعة أحدا
وثلاثون قرية أهم ما فيها الكناثس (واما مراسيها) فقد تقدم ان بها مرستين عظيمتين
جدا وماعداهما فاهما هو مراسي طيبيعة حول القرى للقوارب وماشا كلها (واما أهلها)
فعدددهم مائة وخمسون الفا كلهم مالطيون و بينهم قليل من الغليان تجارا
ومن الانكليز عسكر أو بعض متوظفين ومن العرب افراد تجارا أو مجتازين وأصل
الاهالي على غالب الظن من بربر تونس وديانتهم نصرانية على مذهب الكاثوليك ولهم
غلوشيدوناتهم في اعتقاد نرافات

الفصل * الثالث

في تاريخ مالطة

مطلب في التاريخ القديم أول من سكنها جزيرة الفينيقيون وسماها اجاجية
ثم عمرها الينا فيون وسماها ماليتة واشتهرت بذلك من قبل التاريخ المسيحي سنة ٨٢٢
ولم تنزل ولايات المسلمين على ايطاليا وتتوالى عليها ثم سلوها للقروطين ثم رجعت
لرومان ثم ألحقت بالدولة الشرقية رما ظلموا الاهالي واشتدت وطأتهم استغاثوا
بالمسلمين فافتتحها المسلمون بعبورهم البحر من تونس اليها والى صقلية في المائة الثالثة
هجرية ولاقوا من أهلها أحبا ناثورات شديدة الى ان تم الاستيلاء عليها ونقلوا اسمها
الى مالطة المعروف الآن وكانه مصحف من الاسم اليوناني السابق وبقيت بأيدي
المسلمين نيفا ومائتي سنة ثم ألحقت بصقلية تحت تلك عائلة النورمان ثم التحقت بمملكة

النمسا

النمسا الملقبة اذذاك امبراطورية جرمانيا ثم ألحقت بفرنسا ثم بنا بلى ثم استولى عليها
نابليون الاول وألحقها بفرنسا ثم عند حرب الدولة العثمانية لفرنسا في مصر وقهرزب
انكلادته الدولة العثمانية فاستولت انكلادته على مالطة

مطلب في تاريخ مالطة الجديده لما ساء الفرنسيون الى أهل الجزيرة بانتهاك
عوائدهم وكذا انهم ناروا عليهم ثم ثورة شديدة واستعبدوا الانكليز فاعانوهم وسلموا
الحكم اليهم وكان ذلك في سنة ١٨٠٠ ولم تنزل حكومة الانكليز مستقرة هناك وأغاب
الاهالي ماثلون اليهم عن طيب نفس

مطلب في سياسة مالطة الداخلية الحكومة انكليزية بمعنى ان الحصون والقفل
يديرها كرا انكليزية والمحاكم العام انكليزية مراعى للاهالي وعوائدهم حتى انه يتجرى
لهم أحيانا ويرسل لهم حاكما على مذهب الكاثوليك من اهالي ارلاندي وقد وقع ذلك مرة
عندما تعرض أحد الحكام البريتشانت لمادة لم في أحد أعيادهم فاشتد كوامنه
وعزلته دولة انكلادته حاله وعوضته بكاثوليك ولا تزال تراعى لم في ذلك وهو عندها
أحدى الكبر لمسا من قانوتهم وعوائدهم حتى في التعصب لمذهب البريتشانت
وذلك المحاكم يبقى في وظيفته خمس سنين ثم يبدل بغيره الا أن تطلب الاهالي ابقاءه ثم ان
تصرفه مقيد بشورة عشرة من أعيان المالطين في كل ما يعود على مصالحهم وحالة بلادهم
وكل المتوظفين في السياسة والاحكام هم من أهل مالطة الا الكاتب الاول للمحاكم العام
وجميع دخل الحكومة لا تأخذ منه دولة الانكليز ولا دانا واحدا بل كله يصرف في
مصالح الاهالي وعساكر الدولة تصرف عليهم من خزينة الامن دخل مالطة والاحكام
الجارية هي أصول القانون الانكليزي مما يجامى يصلح بالاهالي ومطابقا لعاداتهم حتى
ان احترام يوم الاحد الذي يلزم في انكلادته غلق جميع الدكاكين فيه لا ترى منه
في مالطة شيئا فلهذا ان الحكومة شورية قانونية والاحكام الشخصية منفردة عن
الادارة العرفية واسم الحكومة انكليزية وحقيقتها أهلية غير ان أكثر الوارد من
الانكليز سواء كانوا متوظفين أو غيرهم من كبار وكبار عظماء على الاهالي لاس تحقار
عاداتهم وبلادهم فأورث لك كره عاى الاهالي لهم وان لم يقدر واحد من الانكليز على
ظلم أحقر الاهالي

مطلب في السياسة الخارجية بمالطة ليس في مالطة من سياسة خارجية تعبر
اذهي لاحقة بانكلادته وانما في قاعدتها فافاسل لكل الدول الكبرية مراعاة لكونها

ماوى متوسط بين المشرق والمغرب فتأوى اليها السفن المارة لكلا الطرفين وليس
لاؤلئك القناسل من شئ سوى قضاء ما يحتاج اليه اتباع دولهم اذا لحقكم في البلاد جارية على
الجميع سواء من دون دخل لقنسل فالقناسل أشبه بوكلاء تجارية نعم لهم فائدة في الاعلام
بالحوادث السياسية ان حصلت هناك ولذلك كانت أغلب القناسل هناك أصحاب
وظائف شرف لا وظائف عمل فكثيرهم لم يترتب له وانما يكون من ذوى الثروة يقيم
برسم اشارة الحكومة المندوب اليها على باب داره لمجرد الفخر اذا لافرنج مطاوعة كافوا
من أهل الماطة أم من غيرهم لم لهم ولوع زائد بحجب الفخر فتراهم يتهاقرون على نياشين
الافتخار وعلامات الامتياز ولون دولة صان ماريو التي هي عبارة عن أربعة آلاف
نسيمة ليزينوا بها دورهم في المواكب أو ينبتوا في ستراتهم غرات على شكل الورد
ذات ألوان مشيرة الى ماعندهم من علامات الامتياز فاذا دخل الزائر مقلدا تلك الورد
قال من المزور زيادة المراعاة ولون جارية لندره وطغاة باريس ومن سخافة عقول
بعضهم أن يتخذ تلك الاشارات وسيلة للتدجيل على النساء حتى تعشقه للزواج وغيره
بناء على انه من عالية الناس وقد نشأ عن هاته الرغبة في النياشين ان بعض الدول صار
لا يعطيها الا بئمن لذات النيشان الذي هو أزيد من قيمته وزيادة على ذلك صار بعض
الدول يعين لسفرائه في الخارج عددا مخصوصا من كل طبقة من النيشان ليبيعه
ويستعوض بثمنه عن أخذ مرتب له من دولته وكذلك مرتب اتباع السفارة مع ما يحصل
له من رعيته اذا كان مقيما في مملكة يسوغ فيها تدخل السفراء والقناسل في الاحكام
مطالب في بقية عادات المسالطين وأحوالهم لما تقدم لنا الحكام في الممالك
السابقة على بيان أطوار الاروبا وبين وعاداتهم فلا داعي الى الاطالة بالاعادة على غير
فائدة لان مالطة قطعة من ملحقات أروبا واجال أطوار أهلها على العوم مثل أطوار
سفلة الطليان والاعيان منهم مثل أعيان أروبا سوى انهم يزدون عالمهم بكثرة لبس
الخواتيم في الاصابع ونساؤهم جميعا اذا خرجن في الطرق يجعلن على رؤسهن
رداء أسود مدلى جهة اليسار ويسكن طرفه اليمن بايديهن
وكذلك لغتهم مخالفة لغتها لانها اعربية محرفة

جدام دخول فيها كثير من الالفاظ

والاصطلاحات

الليانية

ال باب الثالث امن فى اى اطار ال م ص رى

الفصل الاول فى سفرى اليها

بعد أن أقمت بمالطه ثلاثة أيام منتظرا سفرا بخرة تو الى الاسكندرية حيث لم يكن بينهما
بواخر بريدية تو وانما البريدي سافر الى ايطاليا أو غيرها من جهات المشرق ثم يذهب
الى الاسكندرية ويلزم طول مدة السفر فلذلك أتيت باخرة تجارية من بواخر الانكليز
التي تتوجه الى هناك بكثرة فوجدنا واحدة مشحونة بالفحم الحجري أنزلت منه ما أنزلت
في مالطه وجات الباقي الى الاسكندرية والكراة فيها وفي أمثالها أرخص من بواخر
البريد لانه راجع الى السفن حيث إن أصحابها ليس لهم الامحولات التجارية التي هي
موضوع تشغيل السفينة فلم يكن بها الا الطبقة العليا والاخيرة للركاب وليس بها
المتوسطة وهم امثل طبقات البريد فركبنا الى اللان الباخرة عند تمام افراغ شحناتها سافر
من غير تأخير ولا كنهم لم تسافر الا صبا حبا بعد النروق وأسفت من ركوبها ما رأيت بها
من الوسخ سوى داخل البيت الكبير يرفاهه نظيف ومثله حجرات النوم ومن المعلوم أن
الجلوس به دائما مقلق لكنه ماضى من وقت السفر أربع ساعات الا وقد غسلى ظاهر
الباخرة غسلا محكما ونشف فصارت من أنظف البواخر والحق أن يقال ان بواخر الانكليز
مطلقا أشد نظافة مما يسمونها من غيرها أعنى كل نوع بالنسبة الى نوعه وذلك انى كنت
رأيت بواخرهم الحربية مجتمعة مع غيرها من البواخر الحربية للدول الكبيرة عند قدومها
الى تونس سنة ١٢٨٠ في الثورة العامة فاذا بواخر الانكليز أنظفها نظافة وكذلك
البريدية والتجارية ويلهم في ذلك الفرائسايون ثم استمر السير والبحر في غاية السكون
وكان معننا من الركاب في الطبقة الاولى انسان انكليزيان لهما معرفة بالتصوير فكدنا
أن لا نغرب شئ الا وصوراه من طير أو صحاب أو سفينة بل وكل من فى الباخرة حتى كان فيها
في الطبقة الاخيرة على ظهر السفينة أناس من المغرب وآخرون من صفاقس كلهم
متوجهون الى الحج وفي كل يوم عند ارادة غسل ظاهرا الباخرة يؤمرون بالانتقال من مكان
الى آخر مع حمل رحالهم فيكونون في أشد التعب مع الدوران الحاصل لبعضهم ببعض عرض
البحر فصوروهم على تلك المشقة والجهد الجهد ولما نظرت الى طلة هؤلاء الحجاج
شاهدت مصداق قول الفقهاء بعدم وجوب الحج على تلك الصورة لانهم لا يصلون وصلاة
واحدة مثل فريضة الحج وتركهم للصلاة يأتي من نجاسة أبدانهم من تعوطهم بلا

استنجاه ومن المياه الملقاة عليهم بغسل السفينة ومن عدم وجود مكان للصلاة لانهم يمنعون من تجاوزه مكان جلوسهم ومع ذلك يعللون معاملة الحيوانات الجحيم من الخريتين بالاهانة والسب الى غير ذلك وايضا يعترى بعضهم الدوار البحري فيبقى ايا في مكانه بل منهم من يتغوط ويبول فيه وتصل نجاسته لمن يجنبه فلما رأيتهم في سوء تلك الحالة ذهبت اليهم وأعلمتهم بالحكم الشرعي في وجوب الحج وشروط الاستطاعة فيه وسألتهم لما ذابوا مدلون عن ركوب الطبقة الوسطى في بواخر البريد وفي العاياتة مع أنها ليست بغالية وبعضهم تظهر عليه آثار الثروة فأجابوا بان ذلك العذاب لا يضر فيه لانه مدخول عليه في السفر الى بيت الله بل مهما زاد كان ثوابه أكثر وأصر واعي ذلك منهم مكرين على قولي فعدلت عن ذلك ولاطفتهم في المحافظة على الصلاة فقالوا كيف نصلي ونحن على هساته الحالة وأين نصلي فقلت لهم انكم مالكم كية ومذهبكم يرى صحة الصلاة ولو على ما أنتم عليه لان إزالة النجاسة تجب وقيل تستحب فقط مع القدرة والتذكير فقال لي واحد منهم اني أصلي كما رأيتني قلت نعم رأيتك تصلي والآخرون قالوا لو نجد مكانا ويتركونه انت تطهر فانتنا نصلي فتأطفت لرئيس الباخرة الى أن أذن لهم في التفسخ واستعمال الماء في المرحاض فقط لكن أغابهم مع ذلك لم يصل وقد سألتهم أيضا عن موجب كثرة رحالهم حتى ان بعضهم رافع جرة كبرى ملفوفة بشرطان الخلفاء لئلا يوقر به من اللادام والقديد الى غير ذلك فقالوا ذلك لقوتنا فقلت انكم متوجهون الى مدن ان لم تكن أكرم من مدنكم فهي نحوها ولا بد ان يكون لها ما يكفيهم فهل اوسعكم ماوسعهم وزاد الطريق في البراري يؤخذ من أقرب مدينة اليه فقالوا يلزم لذلك الثمن وهذا الذي عندنا انما هو من بيوتنا فقلت لو بعتم هذا واضفتم عليه كراهة له بحرا وبرالكان أرخص عابكم من شراء الزاد من الاماكن اللازمة فقالوا تلك بلاد لا نعرف أحوالها والاولى التزود من اماكننا وهكذا اجت العادة فعلمت ان تأخير العوائد أمر صعب جدا وفي غروب اليوم الرابع وصلنا الى الاسكندرية ولم يظهر لنا منها شيء لان أرضها منخفضة ولا جبال بها حتى يمكن رؤيتهم من بعد وحيث كان وصولنا بعد الغروب ومن الرسوم ان لا تدخل السفن اليها الا بهاديهما الطريق حيث كان قرب مرساهما صخرات لاتبين من البحر وتضر بالسفن اذا صادتها لزم حضور أولئك الهداة ليدلوا السفن على الطريق ولهم على ذلك أداء معين فلزم الباخرة ان تكون طول الليل غادية راسية في نحو ميلين ولم يظهر لنا من البلد سوى منارة هداية السفن وقرب الشروق ظهر الهادي في قارب قادم بالباخرة فاعرض

عنه السفن محترقة وابتدأت مشاهدتي لتعاطم الافرنج على المصريين وتبين ان السفن كان عالما بالاطريق لكنه انما توقف عن الدخول لمجرد الرسم فدخلنا المرسى فاذا هي ذات مأمون وذات مرسى صناعية فيها من بواخر الحكومة المنحازة الى جهة خاصة ثمانية بواخر كبار كلها خشب وفيها من البواخر التجارية الاجنبية ازيد من عشرين وفيها باخرة حربية اجنبية وبعد تمام الارساء وأخذ الاجازة للباخرة من مأموري الصحة في انزال ساعها ور كاهن الاذن للركاب بالنزول وذلك لان من القوانين العامة ان كل سفينة تصافر من مكان يلزمها ان تأخذ من مأموري الصحة به الذين لهم ديوان خاص صكها منصوصا به حالة البلاد التي سافرت منها من جهة الامراض العامة ومقدار ما في السفينة من الركاب وأنواع البضاعة التي بها فاذا وصلت الى مرسى مقصودة لها أول ما يتلاقها مأمورو الصحة فيطالعون ذلك الصك ويبحثون عن صحة الركاب وعددهم فان لم يوجد بها شيء مضر أذنت بافراغ ما تريد في تلك المرسى فاحاطت بالباخرة القوارب الغفيرة وثار عجاج الصياح من أصحاب المختاطين من أهالي وافرنج في النزاع على حمل الاثقال والركاب ولما رأيت الامر متفاقما ضم لي خريتيوا الباخرة عند دقات رحل وجلست حارسا لها في زاوية لان أصحاب القوارب كادوا يخطفون انزال شاه صاحبهم أم أبي من غير مسارمة لاجل ذلك خلة فيهم في أي بلد كانوا ثم بعد الوصول يطلبون الاجراض عافا مضاعفة ولما نزل جميع الركاب مع رحالهم لم يبق حول الباخرة الا قوارب السلم التي عهدتها على القموق دعت قاريه او اتفقت معه على أجره من وأعانني على ذلك ابن وكيل حكومة تونس الحاج علي الفيزاني رحمه الله حيث تلقاني في الباخرة بعد ان ورد تابعه سائلا عن وظائفه أحد أولئك القاريين تالقط خبري لان حركته لا تميز عنهم ثم لما وصلنا الى القموق طلبوا ورقة الجواز وكادت ان تحصل لنا اتعاب بمنع الدخول الى الاسكندرية حيث كانوا ينعون دخول من يريد الحج وانما جعلوا لهم خارج البلاد مكانا محالما بالعماسا كبر بحيث لا يسوغ للوارد الا الى كوب في البحر أو طريق الخديديتوا الى السويس وكان سبب ذلك كثرة من كان يرد من الاقطار الغربية للحج بالمال ولا زاد فيه كانوا يصر ويحلمون حكرتهم وأعمالها أعياهم فبقيت لهم اداعي اليه لا شرعا ولا عقلا لان أصل فرض الحج معان على الاستطاعة بنص القرآن الكريم فلا بد من الاقدام على السفر بدون شروطه نعم اذا وقع لعارض فقه المسافر لمال يقوم به في الرجوع لوطنه أو محل ماله أو اقامته ففي بيت مال المسلمين قسم معين بنص الكتاب لابناء

السيد بل فيعطون حاجتهم الى بلوغ مكانهم ولو كان ابن السيد يميل غنيا لكانه في ذلك الطريق لا مال له فتداركنا الله باطفه واذننا له كفاف بالدخول للبلد فنظروا الى حالنا وأرادوا التشديد في تفتيشهم ارقاب عاليها على سافلها مطلقين الاحسان اليهم فلم يسعني الا المتخاص من الظلم بدفع شيء من المال ارتكابا لخف الضرر من الخوف من تشييت رحلي والسمرقة منه مع التعب ثم قصدت منزل المسافرين الافرنجى المسمى أوتيل دى روبر في أكبر بطحاء البلاد بعد دمشق في الخالص من النزول عند وكيل تونس الذي لا داعي اليه سوى تحميله الكلفة بالضييف والمصرف عليه مع تكاليف بلزوم مراعاة أحواله وعاداته مما عساه لا يوافق حالتي وعاداتي اذ لم تكن لي معرفة به قط مع ما أنا عليه من المرض الملازم الذي اشتد منذ جوعي الى تونس بسبب الانفعالات النفسانية فيلزمى المساعدة لمزاجي في الاكل والنوم وغير ذلك مما يجعل مضيقا مشقاتا أو يضربني تركه فاكثر في ذلك المنزل بيتا واسترحمت به على ما ساعدني واغتسلت في حمامه وأكلت وغت ثم أكثرت عجلة وقصدت أخى في الله الصفة الخيرية عالى الاخلاق والاعراق سيدى ابراهيم السنوسى الحسينى وهو المحدث البليغ المتفنن في علوم العقول والمعقول والسياسة صاحب الاخلاق المطابقة لانتسابه العالى نشأ من بيته الاصيل بمدينة فاس البيضاء قاعدة مملكة المغرب وحصل من العلوم بالاستكمال به فخره ثم رحل الى تونس وأقام بها بضع سنين وامتزجت به أفاضلها وأعيانها سامة أنسب بعلمه وأدبه وكاد أن يتخذها قرارا لولا الحنة التي وقعت بها من سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٨٦ فارتحل عنها على ما دعته اليه مقتضيات الاحوال من فساد الحكومة واستقرار بالاسكندرية مشتملا على كماله وفضله وعفافه واتسعت نعم الله عليه لازل أهلالا لكل فضيلة فلاقيته في الطريق والزمنى بالاستقرار في مقره وحيث كانت الاسباب المشار اليها آتفا في التخلص من الضيافة مفقودة مع أخى الفاضل الموحى اليه لامن جهتي ولا جهته ساعدت مراده وأقامت عنده سبعة أيام ولاقيت أيضا أخى في الله التقي النقي الكامل رستم باشا التونسي وهو الفاضل العفيف الناصح روح المؤمن نشأ في بلاد الجراكسة من جبال القوقاس ووفد على تونس دون سن العشر فأدخل الى مكتب الحرب وحصل على القرآن العظيم ونصيب كاف من العتائد والعمادات والتجويد والنحو والحساب والهندسة وغيرها من الفنون الرياضية والحربية مع تحصيل اللغة الفرانساوية ومعرفة اللغة التركية وثان علم التصوف ثم تقلد الوظائف السامية في حكومة تونس فولى أمير لواء حراسة الأمير ثم مستشار الداخلية

ثم

ثم وزير فيها وعضوا في المجلس الخاص والمجلس الاكبر وكان من أشد المحامين عن العدل والشورى ولما وقعت النكبة العامة لتونس سنة ١٢٨٠ وما أشاعها من المظالم سافر المشار اليه الى أروبا ثم رجع الى تونس سنة ١٢٨٦ باستدعاء الحكومة وقلد وزارة الحرب مع توظيفه في كل من المدينتين بولايته عاملا على أعمال نيابة بحرية والاعراض وغيرها وسافر مرارا أميراً على المعسكرات لاقرار الراحة والامن في الولاية وفي كل ما تقلد به كان مستقيم السيرة والسيرة مشي عليه بالن خاص والعام ولما ابتدأت النكبة الكبرى الاخيرة لتونس ورأى مبادئها ترخص من الوالى السفر للبلاد فأقام في أروبا مدة ثم أقام بالاسكندرية فلاقيته بها في احدى المناسبات الكائنة بالرحلة وأنه مات من السهل الدموع لما توقعناه للوطن العزيز ولا حول ولا قوة الا بالله وهاته البلاد أعنى اسكندرية هي ثانی مدينة في القطر المصري وهي مناخ تجارته مع سائر الممالك التي على البحر الايض والمحيط الغربى وبها حصون حصينة وقشلات للعساكر ومكاتب عديدة لسائر الفنون وقصر للخدمى بقرب المرسى أنيق فاخر ومنزه عام خارجها بالمكان المسمى بالمحمودية وهو تزدنزيه جدا تذاذ به الموسيقى الرسمية في الشامية واكن أكثر من يرد اليه اغناهم الا جانب وفي المحمدية طريق وسيع صناعات حوله الاشجار العظيمة يتماشى فيه المتفرجون بهجلاهم وبقر به فرع من النيل وعليه آلات بخارية لرفع الماء وتصفية مياهه وتقسيمه صافيا على البلاد في قنوات وأغلب طرق البلاد مبطنة بالحجارة حسنة المنظر سيما حارات الافرنج التي بوسطها البطحاء الكبرى ذات الجنينة والفوارات وحولها القصور الشاهقة ومن تحتها الخوانيت المزخرفة وبوسطها صورة محمدي باشا بحمة ضخمة كأنه راكب جواده وأغلب طرق البلاد في حارات المسلمين ضيق وماعداها فهو متسع وبها من الجوامع الشهيرة جامع الامام البصري رحمه الله وهاته المدينة بناها السكندر المقدوني وهو الرومى اليونانى الذى نشأ في مقدونية المعروفة الآن بالرومية في بلاد فيلبس وهو لم يزد أرسطو الذى أشار عليه بتفريق ممالك الفرس عنه مدته عليه عليها سنة ٩٣٥ قبل الهجرة وقال له الحكمة الماثورة الى الآن وهي اقسم تحككم قال في الاقيانوس وليس اسكندر هذا باني سدياً جوج فان ذلك من الملوك المعروفين بالاذوام قبائل جيري بلاد اليمن وامه الصعب ولقبه ذو القرنين ولقبى ابراهيم الخليل وعانقه كما في الصحيحين واطال في ذلك فليرجع اليه من أراده وهذا مما يؤيد ما قلناه في الكلام على سور الصين في المقدمة ولله

الحمد وقد سماها الاسكندرية هاته البادية بالاسكندرية باسمه وكانت هي قاعدة الاقطار
 المصرية الى الفتح الاسلامي وكان تجارها خيرة يقال لها خيرة فارس فانصلت بالبر
 برصيف بنادب طليموس وهي الآن جهة رأس التين وفي الشمال الشرقي منها بنى المذكور
 منارة الاسكندرية الشهيرة وكان ارتفاعها أكثر من ١٥٠ قامة وأحد جوانبها يزيد
 عن ٥٠ ذراعاً وكان أنشأ عليها أحد ابن طولون قبعة من خشب فأخذ منها الرياح ثم
 أصح المنارة لتداع بها الملك الظاهر بيبرس وبنى عليها مسجداً تهدم بزلزلة ثم جدد ثم
 تهدم الجميع وبنى بمحلها القنابر الموجودة الآن من آثاره على باشا وقد كان أسس
 بها بطليموس الاول خزانة كتب بعد ذلك من عجائب الزمان تحتوي على ٧٠٠ ٠٠٠
 مجلداً وزعم بعض المفترين من المؤرخين ان أمير المؤمنين سيدنا عمر أمر بحرقها مع انها
 احترقت قبل الاسلام بمدة مديدة لان الذي أحرقها هو بولس قيصر الرومان عندما كان
 محاصراً بالاسكندرية ورامت أعداءه الاستيلاء على سفنه فأضرم فيها النار وكانت
 بقرب من القصر الملكي تحتوي على الخزانة المذكورة فاحترق الجميع كذا في جغرافية
 مصر لفرانسوا كرى قال ومن المحقق انه بعد مائة من الزمن كان انطوان الروماني أهـدى
 الى الملكة كيلوبطرية من كتب خزانة بروجام ٣٠٠ ألف أو ٤٠٠ ألف كتاب فوجد
 بذلك خزانة كتب عظيمة وإن كانت دون الاولى فأصاحبها الحريق مرتين ثم دمرت
 بالناس بواسطة المتعصبين للديانة النصرانية لازالة أفعى كبريى مدة الاوثان في مذهبهم
 فيودوس قبل الاسلام اه باختصار وسكان هاته المدينة الآن نحو من ٣٠٠ ألف نسمة
 وبها أزيد من ٣٠ ألف محل ما بين كبير وصغير وتشتمل على مهل فاجر للسفن واصلاحيها
 ومن غرائب البادية المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد الموصلة للرملة وهاته
 المسلة على نحو المسلة التي ذكرناها في باريس وإن دره اذا الجميع نقل من مملكة مصر ولم
 يبق بها الا هاته فقط وطولها ٦٤ قدماً في قطعة واحدة من حج عليها كتابة قديمة
 عمات مدة الملك موريس المثلث سنة ١٧٣٦ قبل الميلاد ومثلها غرابية عمود السوارى
 الشهير الواقع جهة مينة البصل وهو عمود على قاعدة عظيمة فوق تل عال ارتفاعه مع
 تاجه أكثر من ٣٠ متراً ومحيطه نحو ٢٨ قدماً يقال انه عمل مدة قبصرة الروم وبعد
 اقامته بهاته البادية سبعة أيام وتزودى منها ما يلزم لطريق الحجاز غير الخيام والقرب فاني
 أخذتها من مصر لانها هناك أرخص ثمناً وأرسلت الى جميع ذلك الى السويس وقامع الطباخ
 والخادم الذين استأجرتهم من الاسكندرية توجهت حينئذ الى مصر القاهرة راكبا حافلة

طريق الحديد ولم نجد بها مخدعاً خاصاً لأفرش ومرافق مثل ما يوجد في أوروبا وكان
 ركوبي بعد ذلك صرصة سار الرتل سيراً وسطاً ولم يقف الا ببعض بلدان كبيرة كان منظر
 الارض قرب اسكندرية ليس بها بحراً وانما توجد برارات وسبعة بالماء وكذا دروزع
 بها الارز لكن تغير المظهر بحسن النيات والزراعة بعد حصة ولم يطل بنا ذلك المنظر
 الجميل لارحاء الظلام سدوله فوصلنا الى القاهرة بعد سير أربع ساعات ونصف فتلقاني
 في الموقف النجيب الوحيه الحاج على الشماخي وكيل تونس واعتذرت اليه عن الإقامة
 بـ منزله بما روئزات في منزل المسافرين المسمى الخمارة الكبيرة مواجها للروضة
 الأزبكية وأسعار هاته المنازل نحو من أسعار أوروبا

الفصل * الثاني

في صفة مدينة مصر القاهرة

هاته المدينة هي قاعدة الاقاليم المصرية منذ الفتح الاسلامي غير انها اختلفت اسماءها
 وبقاعها على حسب اختلاف الدول والاعصار وان كان مركز جميعها واحداً فبعضها
 محاذ لبعض فاول ما اختطه الصحابة رضوان الله عليهم مدينة الفسطاط حيث ضرب
 سيدنا عمرو بن العاص فسطاطه في الفتح وعند ارادته التقدم جهة الاسكندرية التي
 هي القاعة اذ ذاك وجد بها ما قد فرخ على عمود فسطاطه فاجاره وأبقى الفسطاط
 الى أن رجع الجيش بعد الفتح واختط المدينة حول الفسطاط فسميت به ثم لما تغلب
 المعز الفاطمي على مصر على يد قائده جوهر اخطت القاهرة وصارت هي دار الامارة
 وهي مدينة رحيمة يمر النيل بمحاذاة اعاليها ولا تبحارية لرفع الماء وتصفيته وارساله
 في قنوات تفرق على جميع المدينة وعليه جسر حديد طوله مائة و٥٠٠ وعرضه يمر
 عليه ستة عجالات وعلى حافته طريقان للشاة وقد صنع سنة ١٢٧١ ر على حدودها جبل
 شاهق عليه قلعة حصنها وكانت مستقر الامراء وهي ذات حصون متينة صناعية مشحونة
 بالمدافع من الطرز الجديدة الضخم زبادة على تحصينها الطبيعي وتتلو منها اسوار المدينة
 وأربانها فترى عظم اتساعها وبها القلعة جامع ضخم ذو قبة شاهقة جداً ومنائر جميلة
 مرتفعة وبها اسطوانات من المرمر الملون ذات مناجاة وارتفاع عظيم وبها الحبيب متوضاً
 أنيق جميل وبنى هذا الجامع محمد على باشا كما انه اتقن قصر الحكم بها وهو ذو بيوت وسبعة
 وأربعين رحبة مشتمل على جميع الفرش ولا زال هو القصر الرسمي للوأكب المهمة

وان لم يكن فاحرام مثل القصور المحدثه التي يقيم بها الخديوى وبالقاهرة ايضا مسكرو ديوان
نظاره الحرب وبها بئر عميق جدا يدعى الجهال انه جب يوسف عليه السلام وكن الحامل
لهم على ذلك غرابية وجود بئر في ذلك الارتفاع فعدوه معجزة وبالقاهرة أسواق
كثيرة جدا بل ان لم أر بلدا أكثر منها حوانيتا في أسواق الجهات وأهم طرقها القديمة
هو الطريق الموصل من الاز بكية الى جامع سيدنا الحسين ويسمى بالموسكى فهو متسع في
بعض جهاته نحو ثمانية أو عشرة أمتار وفي بعضها نحو خمسة أمتار وأما بقية الطرق
القديمة فأكثرها لا تتر به البهلات وبعضها تتر به عجلة واحدة نعم ان الطرق الجديدة
التي افتتحها اسماعيل باشا في عشرة الثمانين والمائتين وألف في المحارة المنسوبة اليه
المسماة بالامام عليية هي على نحو الطرق الأوروبية تساعا واستقامة وهاته المحارة
كأما المحدثه ملحقة بمصر ومن محاسن القاهرة حديثة الاز بكية الجميلة الابنية المحاطة
بسياج من قضبان الحديد الجميلة وبها أبواب من كل الجهات على الطرقات المحاطة
بها وهي ذات عماش ورياض وأشجار وانوار وعشاء وقهاوى تنالها الموسيقى
الرسمية كل يوم عشية لكنها لا يحضرها غايبا الا الأفرنج وقصور الخديوى وأقاربه
وحواشيهم مائة المحارات الجديدة مبهجة لها برونقها وأهمها قصر عابدين أما القصور
التي له حول القاهرة فهي كثيرة مضاهية أو فائقة على قصور ملوك أوروبا وجمعت بين
مالا لأوروبا وبين التحسين والملائمة من التزيين والاسراف لكل منها حدائق
وعيون وحيوانات غريبة ومن هاته بستان شويبة وقصر ذوالبركة الرحبية الذي
أنشأه محمد علي بعدد اعن القاهرة نحو ثلاثة أميال وله طريق جميل هو متهدى أهل
التعمش والتزجيج لاتهم وخيلهم ماله من البهجة بلاشجار العظيمة ومن ورائها
البساتين والقصور المونقة لأهل الترف والمذخنة من الأوروبيين والامراء والوزراء على
جانبه ترعة من النيل وهكذا حارات الأفرنج والحارات الجديدة في تانيق البناء والقصور
وبمخرجهم من الظاهر فضلاء عن الداخل لكن ديار الاهالي ليس منظرها من الخارج
ما يسر النظر أما ما اشتملت عليه القاهرة من المقامات والاماكن العظيمة فالوفاة مقام سيدنا
الحسين رضي الله عنه وارضاه وذلك انه بعد الشيعة الشنعا بكر بلاه أيام يزيد سنة ٦١
حمل الرأس الشريف المكرم ويقال انه دفن بعسقلان الى ان نقله الملك الصالح طلائع بن
رزيك وزير الفاطمية سنة ٥٤٨ الى القاهرة في موكب عظيم ودفن بالمقام المشار اليه ثم
عمات عليه المقصورة من النحاس المـ وجودة الآن سنة ١١٧٥ وبني حوله المسجد

الرحيب

الرحيب وقد تشرفت بزيارة هذا المقام الشريف وصليت الجمعة وغيرها في مسجده والله
المحمد وقد صلى الخديوى محمد توفيق تلك الجمعة ههنا فلم يكن له من الابهة والاضخامة
الكبرى يا ثمة ما يذكر وانما معه بعض خدم وأعوان ومن المشاهد ايضا مشهور سيدتنا
زينب شقيقة السبطين رضي الله تعالى عنهم ومشهد سيدتنا رقية ابنة عيسى بن علي بن أبي
طالب ومشهد سيدتنا سكتة بنت الحسين السبط ومشهد سيدتنا نفيسة الطاهرة من
ذرية سيدنا الحسن الشهيرة بالزهد والصلاح المناقب الماثورة ومشهد الامام الشافعي
خارج القاهرة في القرافة وغير ذلك من المشاهد والمقامات التي لا تكاد تحصى رضي
الله تعالى عنهم أجمعين وذلك لان مصر محط رجال الصحابة والتابعين والعلماء والمصنفين
رحمهم الله أجمعين وكذلك الجوامع التي بها تكاد تفوق العـ ذوال مسجدين بها هو
الجامع العتيق ويسمى الآن جامع عمر وأسس سنة ٢١ عند الفتح الاسلامي ثم زاد فيه
مسلمة بن محمد الانصارى سنة ٥٣ وزوجه وقيل انه بنى به اربع منابر باركانه الاربع بامر
سيدنا معاوية وهو أول اختراع في ذلك وفيه بقول عابدين هشام الازدى
وكم لك من مناقب صالحات * واجـ در بالصوامع للاذان
كان تجاوب الاصوات فيها * اذا ما لـ لـ لـ بالبحـ ران
كصوت الرعد خالطه دوى * وأربع كل محططف الجنان
ثم الحجامع الازهر وهو أول جامع أسس بالقاهرة بعد الفسطاط أسسه جوهر القائل سنة
٣٦١ وجدد اتساعه مرارا وهو بقسم الى بيت وسبع ذى تقاسيم مرفوع سقفه على
أعمدة والى صحن وسبع محاط به اربعة يقيم بها اجاعات من الطلبة الجاورين لاختذ العلم
وهذا الجامع هو مدرسة العلم الجامعة في الاقطار الشرقية وفي القاهرة جوامع أخرى عديدة
ذات بناآت ضخمة أشهرها بناية البناء وضخامته وارتفاعه واتقانه جامع السلطان
حسن بن قلاوون ابتداء في عمارته سنة ٧٥٧ وأتمه في ثلاث سنين ومقدار ما صرف عليه
بمكة لوقت نحو ثلاثة عشر مليونا فـ كافه زدهى أشهر الاماكن بقاهرة مصر ومثلها
مدارس العلوم الرياضية وقد جمع بها خزائن الكتب التي كانت متفرقة وتشمل على نحو
مائة الف مجلد منها ثلاثون الف مجلد بخط اليد وفيها من نفائس الكتب تأليفها وخطها
ملا يوجد غيرها ومنها محقق كريم يقال انه بخط سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
وعصاف أخرى عديدة عظيمة الحجم مزوقة بالذهب الى غير ذلك من الكتب العتيقة
والنفيسة وذلك بقية ما فات الفرانيس من الكتب التي نقلها الى باريس عند سنة ١٨٠٠

على مصر مدة نابليون بونابارتي وكذلك المارستانات أى المستشفيات الجامعة للتداوى
وتعليم فنون الطب وقد شاهدت أحدها فاذها هو جامع اسائر أدوت الكيمياء والطبيعية
والاجسام المصبرة والمشرحة من بنى آدم وغيره غيرانى كانت مشاهدتى لها تارة فى
على شفا جرف من الاضحة لال لماسبأتى خبره مما عتري مصر أو اخره مدة خديويها
اسماعيل باشا ومن مهمات ما يدكر فى القاهرة الاهرام اتى بقرتها فى المكان المسمى
بالجيزة وقد ذهبت اليها كبا حجار الان العجلات لاتصل اليها الا بكلفة حيث ان الارض
حولها مرمله ولم تتصل الطرق الصناعية بها والاهرام بارض مصر كثيرة جدا منها ما هو باق
الى الآن وعددها بعضهم فقال انها ٢٧ هروما ومنها ما اندثر بالهدم وصروف الايام
وأكبر الموجود منها أهرام الجيزة المذكورة وهى ثلاثة أهرام أكبرها أو سطها ويعرف
بابي هرميس وأشهر الاقوال فى بانيه هو فرعون كيهوس أحد فراعنة العائلة الرابعة
من فراعنة مصر وعلى ما حره المؤرخون ان تلك العائلة لها الآن نحو ستة آلاف سنة
وكانت مدة ذلك الملك فى الملك ٥٠ سنة رخم بناء هرمه فى ٢٠ سنة وكان المشتغلون
فى بنائه ٣٦٦ الف نفس كل تلك المدة كانه جعل بحساب كل يوم من السنة الف نسمة
للاشغال وسلك فى بنائه طريقا عجيبا حتى صبر على تقالبات الزمن فقد وضع على شكل
مخروطا قاعدته مربعة وينتهى بقطعة ومن خواصه أنه يتساند على نفسه اذ مركزه نقله فى
وسطه ويتحمل على نفسه وليس له ما يتساقط عليه وقربات زواياه بهاب الرياح كي
لا تؤثر فيه لانها تنكسر وسورتها بمصادمة الزاوية بخلاف ما لو لاقى السطح وفى داخل هذا
الهرم عدة محلات يدخل اليها المتفرجون وان كنت فى نفسى لم أستطع الدخول اليه
لان المدخل ضيق مظلم يدخله الانسان حبوا ويدخل أمامه أحد السك كان هناك
بنور شمعة وأنا قائم فى ذلك المرض الذى يصيبه ضيق الصدر فلم أدخله ونفقت الكلام
فيه من جغرافية مصر للفاضل محمد أمين فذكرى وكذلك نفقات منها جلة مهمات تتعلق
بالاقطار المصرية فالمرى انه كتاب جامع افوائد قلمها تو جد بغيره مجموعة مع حسن
السبك والافادة والاختصار ومما قال فى هذا الهرم ان بوسنة حجرة تسمى حجرة الملك فيها
حوض بديع الصنة من قطعة واحدة وأخوى تعرف بحجرة الملكة ويرى الناظر فى
داخله ما يبهى العقل من كمال احكام تركيب تلك الاحجار الهائلة حتى قيل ان مفرد
الواحدة منها ما ثاقم مكعب وجميعها يرى كأنه قطعة واحدة وينتهى أعلاه من داخل
بسطح نحو عشرة أمتار يقال انه سقطت منه حجرة وارتفاع أعلى الهرم على سطح أرضه

١٤٦ أمتا طول سطح أحدها تاه فهو ١٨٤ وطول كل ضلع من قاعدته ٢٣٠ ميتر
والاهرام الاخر أصغر من هذا وقد اختلفت الاقوال فى الغرض من بنائه الاهرام
حتى قال عمارة اليمنى

تنزه طرفى فى بديع بنائها ولم يتنزه فى المراد بها فذكرى

اه باقتصار وأظهر الاقوال انها قبور لاصحابها بقرب هاته الاهرام صورة أسد جاثم
فخفى فى الحجارة رأسه رأس آدمى مسدول الشعر وهى أضخم ما يكون من الصور وأصله
من أعمال الفراعنة الاقدمين يسمى أباهول وبقرتها اطلال بنايات هائلة
سطا عليها الرمل ثم كشفت منها بيوت حائط كل بيت منها فى قطعة واحدة من الحجر
وسقفها كذلك حجرة واحدة ينفذه لرائى منها وكيف أمكن نقلها ووضعها
بمعالها وحول هاته الجهات أناس سكان كانوا لصناعة لهم سوى التفتيش على الاشياء
العتيقة من تحت الارض وبيعها للسواح والتطوف بهم لرايتهم غرائب تلك الآثار
القديمة مع ان الحكومة المصرية اعتذرت كثيرا بجمع الآثار العتيقة التى يمكن نقلها وحفظها
فى محل خاص بها هو من أهم أمثاله فى الدنيا مباح لكل قاصد سعى ان يكتسب خاتمه
وفى سائر الجهات المصرية عجائب من صنائع الاقدمين مما يدل على تقدمهم
التام فى المعارف والصنائع ومنها ما اندثر علماء الآن مثل الاقدار على جر
الاتقال وحفظ اجسام الاموات على حالها المسماة بالموميّة المصرية التى نقل منها
اسائر أقطار التمدن ونجح المنسوجات من مواد حجرية لمسهمة

وغير ذلك وأغاب ما يوجد من أمثال هاته الاشياء فى أقاليم الصعيد حيث كانت مقر
تخوت عمال الفراعنة وبعض البرفان والحامل انه يوجد بمصر من غرائب الآثار
القرينة ما لا يوجد بغيرها وكل ما يمكن أن ينقل ولم تعد عليه أيدى الدول الأجنبية
فقد جمع فى القاهرة فى ديوان الآثار والغرائب حتى ذكر ان بعض دول اوروبا رضيت
بشراء جميع ما فى ذلك الديوان بما على الحكومة المصرية من الديون وعلى تقدير عدم
صحة ذلك القول فانه ينبى عمالة الآثار من الغرابة والعناية حتى صبح أن يقال فيها
مثل ما ذكر وقد اجتمعت فى القاهرة باجلاء من فضلائها وأعيانها فقد زرت العلامة
النصر برشيخ المشايخ الشيخ ابراهيم السقا وهو طريح الفراش بمرض الفالج الذى ام
يقيم له من حرك سوى الكلام والنظر وثبات العقل وهو على جملة علماء وفضله
والتمكيد من ألمه على جانب عظيم من التواضع واللب الجان وحسن الاخلاق فاخبرنى

انه من تلامذة الشيخ سيدى ابراهيم الى باحى التونسي وأنه أخذ عنه واجازته عنه -
اجتياز به بصير للشيخ وسألنى عن ذريته ودعاهم بخير وأعجبه الذوق من اتبع التونسي
ودعا الى وللاسمين بسانر جوم من الله قبوله وأظن ان سنده نحو الثمانين سنة وكذلك
حضرت تيركا بدرس العلامة التحرير الشيخ محمد عايش صاحب القاموس الشهابية
ووجدته يقرأ في شرحه على مختصر خيال في الفقه المالكي اثناء كتاب العتاق بمسجد
قرب جامع سيدنا الحسين رضى الله عنه لانه لم يستطع الاقراء بالجامع حيث تكثرت فيه
الاصوات من المدرسين وهو اكبر سنده البالى نحو الثمانين سنة فضعف بدنه كان ينخفض
الصوت حتى انى لم يتمكن من سماع تقريره كما ينبغي لانخفاض صوته مع مزيد
السكون في المسجد ومع ذلك قد اطلال الدرس حسب معتاد المصريين فكانت فيه
ساعة ونصف وانصرفت وهو لا زال بصدد الاقراء وعليه من مهابة العلم والصلاح
ما يؤيد صيته الشهير وكذلك اجتمعت بالفاضل الصفوة الخيرة سيدى عمر السنوسى
أنهى صديقى سيدى ابراهيم السنوسى المتقدم ذكره في الاسكندرية وهو
ذو اخلاق مطابقة لماله من مجد الاعراق وغير هؤلاء من بعض الاعيان من الاهالى
والمستوطنين من اهالى الاقاليم الاسلامية كالفاضل الحبيب محمد الاحبابى من اعيان
تجار اهل المغرب ذوى الثروة وكشهم الهمام الزبير باشا الذى كان مائلا على قسم من حماكة
دارفور من السودان ودخل طوعا تحت الخديوية المصرية رغبة في اتحاد كلمة الاسلام
ثم عزله اسماعيل باشا وبقى مقيما بالقاهرة وهو رجل ذو فضائل جمة يتعجب بحاله من
كلماته مع انه من اهالى السودان وان كان أصله من نسل العرب الكرام فهو مذهب
الاخلاق عارف بالسياسة والحروب وبجغرافية دواخل افريقية وشطوطها الشمالية
غير على الملة كثر الله من أمثاله وقد دعت المقتضيات الى الاجتهاد بحضرة الخديوى
محمد توفيق باشا توجهت اليه وأضرت ألياتا تضمنت تاريخى ولايته اذ كان اذ ذاك قد
ولى منذ بضعة أشهر وتلقاهامنى بسرور فبيت القارىخ الهجرى هو قولى

في سماء الملك ابراهيم * لاح توفيق الخديوى

ويبت التاريخ الميلادى هو قولى ١٢٩٦

فانشد التاريخ صاح * قرنة تويج الخديوى

١٨٧٩

والصاعد تسعين لان ذلك هو حساب المشاركة فيها وأما المغاربة فهم عندهم بستين
وذلك

وذلك لان حروف أيجد بحساب الجمل وقع في اعداد بعضهم اخلاف بين المشاركة والمغاربة
وهاته الحروف نذكرها هنا تهمة باللفائدة حيث رأيت كتب برام من اهالى
القطرين يجهلون ما عند اخوانهم حتى انهم ربما جملوهم على الخطأ في العدد مع ان ذلك
مبنى على الاصطلاح الذى لا مشاحة فيه ودونك حساب الاحرف والذى فيه الخلاف نضع
حساب الشرق عن يمينه والغرب عن شماله وباقيها نضع له عدد واحد ا ب ج ٣
د ٤ هـ ٥ و ٦ ز ٧ ح ٨ ط ٩ ي ١٠ ك ١١ ل ١٢ م ١٣ ن ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨

الايض ويبتدى الحد الشرقى منه مارا على خط موهوم بين الشام ومصر ثم على شاطئ البحر الاحمر الغربى شامل بلاد النوبة الى أن يصل الى مكة الحبش التى يفصل بينهما جبال هناك فينطفئ الحد معها شرقا محيطا بها مارا للجنوب مارا مع البحر الاحمر فيمر ايضا معهما الى أن يجاوز باب المندب ومكة الحبش حينئذ يدخل في الحد كما ذكرنا لا تصل للبحر الاحمر كما ذكرنا مصر من شاطئ وطولها ثم يراى الحد مع البحر ويشمل مكة عادل المسماة بنزيع فيمر على شاطئ افريقية الشرقى على المحيط الشرقى الى أن يصل الى حدود مكة زنجبار ثم يبتدى الحد الجنوبي فيمر من الشاطئ مغربا الى دواخل افريقية السودانية وينطفئ الى الجنوب حتى يصل الى حد الدرجة الثالثة جنوبا وراى خط الاستواء ويشمل مكة دارفور ويصل الى حدود مكة وداى ويمتد الحد الغربى مع مكة وداى الى أن يصل الى الصحراء الكبيرة فينطفئ معها ذاهبا الى الشمال من غير تعيين لخط معين حيث ان الامر هو هل فلا حصر فيه وهو ذى الجهات السودانية الى أن يصل الى طرابلس ويمر معها الى أن يصل الى البحر الايض حيث ابتداء الحد الجديد وحيث كانت على ما علمت من الاتساع والكبر لا جرم ان كانت صفة أرضها مختلفة جدا (فأما مصر) الاصلية فالمعهور منها هو عبارة عن واديين سلسلتين من الجبال مارة من الجنوب الى الشمال يضيق نارة الى ثلاثة أميال ويتسع أخرى الى نصف وعشر بن ميلان كلها يسقيها نهر النيل وذلك كما في غاية الخصب والخصارة تتجدد أرضه سنويا بفيضان النيل ويخرج الله منها بركتها مما جعل به مصر غنية عاهرة وما عدا هذا الوادى فهو عبارة عن جبال تحلة لانبثاقها وأراضى يابسة مرملة لا ترى فيها الا الحصى (وأما بلاد النوبة الداخلة في مكة مصر وهى المحاذية لها من الجنوب فهى ذات صحارى وجبال خصبة وأراضى خصبة وبقية المال وهى وداى ودارفور وزيلع وغيرها فكلها ذات جبال وآجام وخصب (وأما جبال) مكة مصر فهى كثيرة ليس منها جبل بركافى ولا منها الزائد فى الارتفاع وأعلاها هو الفاصل بينها وبين الخمسة (وأما أنهرها) فأولها نهر النيل ونادرا ما النيل وهو غير يحمل السفن الصغيرة الى أول شلالته عندها الخرطوم وهو عنددهم ينقسم الى ثلاثة أقسام (أحدها) يسمى نيل السودان وذلك من منبعه الى الخرطوم (الثانى) منها الى قبلة وهى جزيرة فى وسطه قرب مدينة اسوان (الثالث) منها الى البحر الايض فالقسم الاول يتكون من نهرين يسمى أحدهما البحر الايض والاخر البحر الأزرق عبارة عن عظمها حتى ألحقا بالبحر والبحر الايض كأنه هو الاصل للنيل وهو يجتمع من عدة أنهر فى أواسط افريقية وهو

وهو أعظمها وأبعدها منبعه الا انه منبعث من بحيرة أو كبير فى المعروفه بغير كبريا على ظن آخر الجغرافيين الآن وان كان التحقيق انه مجهول حيث تبين ان تلك البحيرة تستمد من بحيرة أخرى ولكن الوصول الى اكتشافها صعب ولعله تحدثت أسباب لذلك وطوله الى حيث يجتمع بأخيه قرب الخرطوم ٢٣٠٠ كيلومترا أى نحو ألفى ميل (وأما) الأزرق فجعله نحو الثالث من السابق ومنبعه من بحيرة دميعة فى بلاد الحبشة ويمر على عدة شلالات ثم يجتمع بأخيه ويصير حينئذ القسم الاوسط فنصب فيه عدة أنهار غير معتبرة وذلك فى بلاد النوبة فاذا وصل الى أصوان حدثت منه الشلالة الأخيرة التى تمنع زيادة صعود الماء فمنها الانهامة مكونة من ارتفاع الارض فى المجرى الاعلى وانخفاضها فى المجرى الاسفل مع صخور مرتفعة فيكون له تحرير كالرعد القاصف يسمع من بعد بعيد فاذا وصل النيل الى أسفل القاهرة انقسم الى فرعين شرقى وغربى فالشرقى يصب فى البحر الايض عند دمياط والغربى يصب فى البحر المذكور عند رشيد وحدث من النيل فرع عديدة حتى صار يصب فى البحر الاحمر وروخايج السويس والاسكندرية وغير ذلك وصنعة الترع فى مصر كانت معروفة فى مصر باحسن مما هى عليه الآن حتى كانت تروى سائر رباهابل وجبالها أيضا ويرش ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجري من تحتي فكانت أرض مصر كلها حاضرة بالانهار وهاته الترع تحمل القوارب وتقع بها المواصلات وتبين مما مر أن فى مصر أنهارا عديدة عظيمة سيمى فى السودان ويجمع فى النيل ولولا عظمة المياه لتلاشت فى الصحارى التى ترعاها ومن غرائب النيل أنه يفيض فى وقت معين من كل سنة وهو وقت الانقلاب الصيفى ويستمر على ذلك الى الاعتدال الحار فى فياخذ فى النقصان الى الانقلاب الشتوى فيمتد فى مجراه الى السنة القابلة ويختلف فيضانه بالزيادة والنقصان واعتداله المطلوب للسكان هو أن يرتفع على المجرى الاعتدالى سبعة أمتار فان زاد أهلك بالغرق وان نقص أجف الناس بالقمط ولهذا الفيضان كانت مصر الاصلية لها منظر عجيب فى الربيع الذى هو شباب الزمان فى سائر البقاع تكون مصر عموما أقل رطوبة من نفسها فى وقت آخر وفى الصيف الذى تجف فيه المياه فى المعروف تكون مصر بحر من الماء العذب راسية فيه قرى ومدن وأما صاب يسلك من بعضها البعض فى القوارب وفى الخريف الذى يبتدى فيه فى غيها ذبول النبات تكون هى قد شب نباتها وازدخرفت ورتب وفى الشتاء تنبت أزهارها وتغرد أطيارها

ويحصد زرعها وتذخر أقواتها وتفيض على العالم محصولاتها فانفردت بذلك عن غيرها
 وليس هناك ما يشبهها الا نهر السند المار على بلوچستان فانه يقرب من ذلك من حيث
 فيضانه في الصيف ولما حدثت الآلات البخارية لرفع الماء من النيل زمن نزوله قل
 ضرره من القمح اذ لم يعمد أنه جف ماؤه الاسنة ١٢٧٨ وكان كبرها شديدا (أما ضرر) تفاقم
 فيضانه فقد اعان على تخفيفه الاخبار بالسلاك الكهربية حيث يأتي الخبر بتفاقمه
 مريعا من السودان ومصر العليا فتفتح له أفواه الخجان وترتفع الناس عن الاراضي
 المنخفضة ومع ذلك يحصل منه ضرر عظيم أحيانا وقد اختلفت الأقوال في أسباب فيضانه
 وأظهرها انه متركب من شيئين أحدهما ذوبان الثلج المتراكم على جبال
 الحبشة الشاهقة وعلى جبال أرواسط افرريقية بجزر أو انحرال يبع فتسيل مياهها ويظموا
 بها النهر الأزرق وغيره واطول امتداد النهر ما يصل ماؤها الى مصر الا في الانقلاب الصيفي
 (وثانيهما) ان جنوب خط الاستواء فصوله على عكس فصول شماله فالربيع عندنا هو
 الخريف عندهم والصيف عندنا هو الشتاء عندهم وقد علمنا ان النهر لا يفيض من منبعه من
 جنوب خط الاستواء بعدة درجات وان الامطار في الاقاليم الحارة تنزل كم دفعية سيما
 وقت الخريف والخريف في الجنوب هو ربيع في الشمال فما يصل ماؤه الا في الصيف
 في الشمال فيجئ من ذلك طمو النهر الابيض أيضا ويأتي باخيه وهما طامبان
 فيحدث فيضان النيل زمن الصيف في مصر (أما) بقية النهر في ممالك مصر في النوبة
 والسودان كثر من الانهار والجداول منها ما يصب في النيل ومنها ما يحف في الصحاري
 وليس منها ما يمس سوى النهر الابيض والأزرق المتقدم الذي ذكر في أرض مصر من
 صعيداها الى بحريها لا يوجد نهر أصلي سوى النيل لكن حدثت منه أنهار عديدة عظيمة
 تسمى بالترع حتى صارت أغاب الاراضي المصرية مخترقة بذلك الانهار الصناعية ومنها
 الكبير الذي يحمل السفن النهرية ومنها الصغير ومنها الدائم الامتلاء بالمياه ومنها ما يحف
 عند انتهاء انخفاض النيل والموجود الا من هاته الترع يزيد عن الستمائة وأحد
 عشر نهر اطولها الابراهيمية فانها تقرب من مائتي ميل ولا زال الاعتناء به كثيرا لترع
 المستلزم له كثير اراضي الزراعة حتى بلغت الآن الى ما يقرب من خمسة ملايين فدان
 مسقية مزرعة والفدان عبارة عن مساحة ٥٩٢٩ مبروم ربع وهو هذا المقدار وان
 كان كثيرا في ذاته لكنه لم يبلغ الى ما كانت عليه الترع في مصر قديما حيث كانت زمن
 الفراعنة تصعد مياه النيل الى أعلى رباهها وجبالها وتسقي جميع أراضيها حسبما نص

عليه في التاريخ ويشهد له قوله تعالى حكايته عن فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار
 تجري من تحتي فجعل الانهار والافقار بها بل والتعظيم الى حد دعوى الالهية قاض
 بانها كثر مرة جدا وبالغة الى حد خارج عن المعتاد في الكيفية كصعودها الى الاعالي
 والواسطة في ذلك اما ان تكون بواسطة آلات تحمل الماء من أسفل الى أعلى بكثرة
 حتى يجري في الانهار ثم من هاته تحمل كذلك الى ما فوقها الى أن تجري ومن ههنا أيضا
 الى ما فوقها - وهكذا ذاك الى نهاية الارتفاع والآلات اما ان يديرها الماء نفسه أو قوة
 أخرى جهات الاكن فيما اندثر من علوم الاقدمين أو تكون بواسطة هي تفرع الترع
 من أعالي النيل قبل الوصول الى الشلالات بأن يؤتى لأول شلاله قبل انحدار الماء منها
 فتفتح له فروع ذاهبة مع ارتفاع الاراضي بكيفية هندسية وبناء قناطر وحنايا لمرور
 الماء من الاعالي الى الاعالي ثم من شلاله أخرى بفعل هكذا وح تجري الانهار في
 الارتفاعات كما تجري في الانخفاضات ويحصل منها النباتات الجميلة ومناظرها البهيمة
 (وأما) بحيرات مصر فهي عشرة أربعة كبيرة وأكبرها بحيرة المنزلة ومحيطها نخوم
 مائتين وخمسين ميلا وتسير بها السفن الصغيرة وبها السمك دائما وموقعها شرقي مدينة
 دمياط ويحترقها اخليج السويس والبقية أغاب اخليج و ليس لها فائدة معتبرة
 سوى استخراج الملح من بعضها عند جفاف حافته صيفا وبعضها يحف تماما أما ممالك
 السودان ففيها بحيرات مهمة مثل بحيرات منبع النيل وغيرها ولاكنها قليلة الجدوى
 بالنسبة للمنافع مثل بقية ذخائر السودان (وأما) هوام مصر وما يتبعها فهو على العموم
 حار وغاية الفرق ان الجهات الشمالية على شاطئ البحر الابيض لطيف حار صيفا
 سميما عند ازدياد النيل (وأما) الجنوب وسائر السودان فهو حار جدا حتى اني كنت في
 مدينة مصر في شهر رجب بعد فيضان النيل ولم أكن أستطيع النوم بالغطاء بل للحر
 السكان ولاكني لا أستطيع أيضا فتح الطيقان لكثرة النمل المضر ورأيت مثل ذلك في
 اسكندرية أيضا التي هي مهرب السكان من الحر مع اني كنت بها في ذلك الشهر أيضا
 (أما) السويس والصعيد فلا تسأل عن شدة حرها نعم هي بعد الانقلاب الشتوي يحصل
 بها البرد الى درجة طاب التذثر والتدفق فيكون الهواء عموما معتدلا مع ابتهاج الارض
 بالنباتات (وأما) نباتاتها مع سودانها وجمالها فيصح أن يقال ان فيها كل ما يوجد
 من نبات الدنيا الا ما ندر حتى الاشجار التي تكون في الاراضي الباردة فانها توجد في
 الجبال الشاهقة في دواخل السودان ذات الثلج الدائم وفي السودان غابات عظيمة صالحة

أخشاب البناء الحسن والديار ولا أعمال الجيدة أيضا مثل البنوس وغيره لم يكن أرض
مصر الأصلية ليس بها من غابات طبيعية وغاية ماله بها منظر الغابات هو التخيل فالخاصل
أن أعمالهم مشتملة على كل ما يحتاج اليه من الزروع والحبوبية والاشجار ذات الثمار
وغيرها (وأما حيواناتها) ففيها الخيل بقله بالنسبة لذاتها لم يكن يوجد في السودان نوع
منها جليل يعرف بالكحيل والبغال قليلة والخير كثيرة ويركبها حتى الاعيان ولها اعتبار
ويحلقون شعرها وتصبر بالترية تفهم مقصد صاحبها حتى اذا قال المحارم يره صخرة
ظلمت وصارت تمشي على ثلاث مدام الشرطى ينظر اليها خوفا من تحت مدبجها للحكومة
بلاجر والابل كثيرة جدا ومنها نوع الهجن وهو نوعان في السيرة أحدهما متعب
لراكبه وهو الذي اذا سار رفع رأسه وعنقه والثاني لين لراكبه وهو الذي اذا سار دلى
رأسه الى الأرض ومد عنقه الى أمام وكلاهما من الابل المعتادة غير أن أصحابها يختارون
الجيد الاطراف الخفيف في الحركة ثم يمر نونه من الصغر على مداومة معرفة السير فيترقى
عليه او يبقى ناهلا فيكون عدة لا يحاسبه للوصول الى الامد البعيد في الزمن القريب
وكان عند الاقدمين عوضا عن طريق الحديد الآن غير انه لا يحمل الاثقال الكبيرة
ولقد رأيت من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يزيد القلب ايمانا وذلك في الحديث
الذي رواه الامام مسلم لم في صحيحه في الكلام على سيدنا عيسى عليه السلام وانه ترك
القلاص أى الابل بمعنى انه لا يستعملها وخاضت الشراخ في تطبيق ذلك والحق ما بينته
المشاهدة من الاستغناء عنها بالركل وطريق الحديد والله أعلم انه سيعم جزيرة العرب
ويصل الى مكة والمدينة حيث ان سيدنا عيسى عليه السلام ينزل هناك والله أعلم والبقر
قليل وهو نوع ضخم والجاموس كثير والفلاح من العامة الذي له بقرة منه تغنيه عن كثير
من الاشياء فيشرب ويبيع من لبنها ويأتم ويبيع من سمها ويحترث عليها ويوقد
بختامها ويستفتح أولادها ولذلك صارت البقرة عنده أعز شئ عليه في الدنيا (وأما) الغنم
فهى كثيرة في السودان والحيوانات الوحشية يوجد منها في السودان كل الأنواع التي
تألف البلاد الحارة كالاسد والنمر والفيل والزرافة وغيرها (وأما) الطيور فيوجد سائر
الطيور الالهية (وأما) الوحش فأنما يوجد منها بعض الرحالة كالسمان والخفاف
والحمادة كثيرة وكذلك الغراب ولقد شاهدت منه نوعا غريبا لان لونه أبيض وعليه
فنيكون الصفة في قوله تعالى وغرابيب سود هي صفة كاشفة لا مؤكدة حيث يوجد في
الغراب الاسود والاباق بعضه أسود وبعضه أبيض كما يوجد في السودان أنواع شتى من
الطيور

الطيور والغريبة كالبعفاذات الالوان الالهية المذهبة والمفضضة وغير ذلك من أنواع الطيور
(وأما) معادن مصر ففيها أكثر أنواع المعادن المعروفة فالذهب يوجد بكثرة في عدة أماكن
من السودان ففيه ما هو في معدنه ومنه القبر الذي يوجد في الرمال من سيول المياه وأشهر
معادنه في سنار حتى يعرف بالذهب السنارى وكذلك يوجد الفهم الحجري الغنى في بلاد
النوبة ويوجد أنواع المومر والرغام الأبيض والازرق في جهات من الصعيد وكذلك
المخ في عدة سماخ والجص والسيمان والرصاص في موضعين حوالى شط البحر الاحمر
والنحاس في عدة أماكن والحديد بكثرة في عدة جهات والكبريت حتى انه يوجد جبل
يسمى به (وأما) الفضة فهى قليلة وتوجد أحجار ثمينة وأهمها الزمردل كنه قليل ويوجد
الفيروزج والعقيق والذي يحق به الاعتناء هو حجر البلور اذ هو كثير ونقى يضاهى ما فى
بوهيمية النمساوية كثرة وصفاء وأكثرها المعادن متروكة اما لعدم العناية به
أولصعوبة نقله حتى رأيتهم يأتون بالحجارة ليلاط الطرق في الاسكندرية من بلد ترست
في مكة النمسا مع ما فى البلاد من الحجارة التي صنع منها القدماء تلك الاهرام والهيكل
والعواميد التي تنقل ذخائر في قواعدها الدنيا ولا شك ان العناية لتوجهت الى استخراج
منافع السودان لسهل نقل تلك الحجارة وسائر المعادن بأخذ الفهم الحجري للطرق
الحديدية التي تسهل اتصال الاثقال ومواصلة الاقطار اذ في السودان كنوز لا يحصى
الاخالقها وأعظم بكثير غاباتها وأخشابها المرغوبة كالشمشير والبنوس وغيرها حتى
لا يحتاجون لحطب أخشاب البناء وغيره من خارج المملكة فانهم يأتون حتى يحطب الوقد
وفيه من الخارج وذلك ضعف للبلاد (وأما) مدن مصر ففي مصر من القرى والمدن
ما يتجاوز الثلاثة آلاف بلدة وأشهرها قاعدتها وقدة تسمى صفتها اسم الاسكندرية
ومرذكرها ثم طنطا ورشيد ودسوق وأشمون والايض على وزن محمد قاعدة كردفان
وأبو حراز وتندلتي قاعدة دارفور سابقا وتسمى فاشم وغير ذلك وقد كانت بها مدن هائلة
في الصعيد تحتوى على بناآت عجيبة وصناعات غريبة وقد دثرت تلك المدن ولم يبق لها
من اعتبار سوى أن بعضها اصار محله قريات ليست بذات أهمية وتلك الهياكل القديمة
قد اكتشف عنها وتسمى بالبراني وتقصدها السواح للاطلاع على ما تحتوى
عليه من الاعاجيب والصناعات المنيرة ومن هاته البراني واحد في بلاد فو التابعة
لمديرية اسنى أخبرني في الرحلة محمد برادة أنه رأى بها ابونا كبريا منقوشا في الصخر على
حيطانه صور جميع المصنوعات المألوفة اذ ذلك وأنه رأى فيه بين رأسه صورة طريق

المديد بقضبان ممتدة وعليها حوافل ذات عجلات لكنهم يبدون مزجية أعنى الآلة المجارة كما رأى فيه صورة السلك الكهربائي يعنى صورة أعمدة على سلك ممتدة منتهى الى آلة ورأى صورة سفينة ذات عجلات وصاء دمن مدخنتها صورة الدخان وسعت من غيره أنه يوجد في جلة البرابي بيتان عظيمان أحدهما يحتوى على صور جميع الحيوانات والاشياء على صور جميع المصنوعات وان منها ما تقدم وكه نقش في الحجر ورأيت في جغرافيه فكري ذكر تلك البرابي واحتوائها على النقوش والصور لكنه لم يذكر خصوص ما تقدم ذكره (وأما) مراسي مصر فأولها الاسكندرية ثم برت سعيه ودومياط ورشيد في البحر الابيض والاسماعيلية والسويس في الخليج ومصوع والقصر وسواكن في البحر الاحمر وزيلع وغيرها في المحيط الشرقي وأما أهاليها فهم على قسمين الاول أهالي مصر وهم نحو ستة ملايين بعضهم من ذرية القبط أبناء المصريين القدماء وبعضهم أبناء العرب الفاتحين واختلط نسل من أسلم من القدماء بالثاني وصاروا جميعا مصريين ونسكائهم ددهم في هذا القرن أعنى حيث كانوا في أول دولة محمد على باشا لا يبلغون الا أربعة ملايين ولما امتد فيهم التهذيب والتحفظ على الهمة بتحصين الهواه والعلاج عافاهم الله من مصيبة الوباء والجدرى اللذين كانا داثمين فيهم فبان عددهم الآن الى ما ذكرنا والقسم الثاني منهم هم السردان وهم أيضا على قسمين الاول أهالي النوبة وكانت قاعدتهم سنار وهم من الزنخ وذرية الكوش من العرب ثم تساطت عليهم قبيلة الفنج ودخلت في الاسلام وبقيت هي المحاكم الى أن افتتحها محمد على سنة ١٢٣٦ وثاني أقسامها هو قسم دارفور وعدد سكانه خمسة ملايين وهم من نوع سوداني يسمى فور ووسميت البلاد بهم وديانتهم الاسلام ومعهم نوع يسمى المسبعات ولاكثره اختلاط الجميع بالعرب ودخول قبائل منهم فيهم حتى كانت عائلة الملك عربية صار الجميع بتكاملهم بالعربية وتلخص مما مر أن الاهالي على العموم أكثرهم عرب واللغة الغالبة والرسمية عربية وتوجد لغات أخرى سودانية وعدد الجميع بالمضافات ستة عشر مليونا والديانة الغالبة هي الاسلام وتوجد النصرانية على مذاهب شتى ومنها المختلطة بشئ من شعار اليهود وشئ من شعار الوثنيين كما يوجد كل من دينك الديانتين (وأما) صفتهم على العموم فأهل المدن الكبيرة يكثر فيهم النباه والعارفون بالمصالح العامة المشتركة والباقي على الاطلاق هم على السذاجة والجهل بالانافع الخاصة فضلا عن المشتركة واللون الغالب أسمر أو أسود وأهل السودان والعرب

من أصل المصريين شجعان (وأما) فلاحهم مصر فلما طال عليهم الاستيلاء الاسبق دأبوا بضعفت فيهم الشجاعة بالمرّة وكادوا أن يفقدوا الغيرة كما حكاه المقرئ

الفصل الرابع

في اجمال تاريخ مصر وملكاتها

مطلب في تاريخها القديم اعلم أن مصر أشهر بقاع العالم بمعرفة أصول تاريخها القديم لكنه في الواقع غير محرر ولا موثوق به وقد أطنب العلماء الاسلاميون وغيرهم في تواريخ مصر وعلومها وتاريخها فغاية ما نستطيع مع هذا انما هو الاشارة الى النموذج ذلك معرضين عما لبعضهم من المبالغات والخرافات ويدعي بعض المتأخرين ان المحقق عندهم في علم مبدأ التاريخ فيها المحقق هو قبل الميلاد بالفي ومائتي سنة والحق أنه غير محرر لان استنادهم في ذلك انما هو لورا التي بين أيديهم وهي كما علمت سابقا غير صحيحة سيما في محل التاريخ وقد أقر بعض متدينيهم بالغلط الفاحش في ذلك المحل سيما فيما يرجع الى التاريخ العام وانه مخالف للوجود من الكتابات المنقوشة على الاجار العتيقة جدا وغيرهما من القرائن الواضحة وتعال في تصحيح التوراة بان موسى عليه السلام لم يقصد تاريخا وميا للخليفة وانما قصده ذكر عمود نسبه ولا يخفى ان هذا غير معقول اذ كيف يذكر عمود نسبه في تواريخ مخالفة لنفس الامر لانه يلزم ان يكون قائم الا بان فلانامه لا بعد الطوفان بكذا ثم فلان بعد بكذا وفي زمن الملك الفلاني المتساقط في تاريخ كذا مع ان ذلك الوقت ليس مطابقا لذلك التاريخ فاهو الاعين الكذب أو الغلط المنزه عنه كلام البارئ تعالى والمعصوم منه الرسول فلا يحصى عن القول بالتحريف في التوراة التي بين أيديهم وماذا أضفت الى ذلك الميزان المعقول في حساب العمران وكمية التناسل من البشر بعد الطوفان ولوعلى القول بعدم عمومه في سائر الكورة ونظرت الى المدة التي ذكر ان ابراهيم عليه السلام أرسل فيها وما كان عامرا من الجهات التي لا نزاع ان الطوفان عمها وهي محل اقامة ابراهيم عليه السلام وقومه ومن كان معاصرا له من الامم الذين طغوا في البلاد وتجبروا علىهم من القوة والعدو والعدو والعلوم لاشك انه يستحيل عندك انهم كلهم نشؤا في مدة مائتي سنة من نسل أربعة من أولاد نوح عليه السلام وأيضا يستحيل ان تنسب وتنفرد بمحنة الطوفان الهائلة من عقول أمّة في قرنين اذ يمكن ان يكون بعض من

أدرك من أدركها لم يزل بقيد الحياة فكيف مع ذلك ينسى توحيد الله ويعبداله غيره ولا يتأني ذلك الا بطول الزمان ونسيان المجهزات وانقراض العلماء ومن عاصمهم في مدة مديدة ولذلك لا نعتقد حينئذ على تعيين أوقات ما تعرض له من الدول القديمة وانما نقول ان مصر قبل بعثة موسى عليه السلام كانت قامت فيها دول عظيمة ذات شأن وقوة وعمران وملوكها يسمون بالفراعنة تخرج فرعون وهي عبارة مصرية معناها نور الشمس وأول من يعرف الآن من فراعنتها هو منتر (أو) مصر ايم الذي حول بحري النيل و بنى مدينة منقيس ثم زادها خلفاؤه بهجة واتقاناً حتى كانت أعظم مدن الدنيا واتخذتها الفراعنة تختالهم ولو بعد انقراض عائلة فرعون المذكور وفي مدة أحفاد المشار اليه نشأت دول أخرى صغيرة في أراضي مصر وانقسمت على ثلاثة أقسام بقي أحدها تحت العائلة المذكورة والاخر يان تحت عائلتين أخريين الى ان تغلبت على الجميع العائلة الرابعة من الفراعنة ومنها فرعون الباني للهرم الكبير الذي بالجيزة وعز ذكره ثم انقسمت الى عدة أقسام كان منها العائلة الخامسة وتولى منها عدة ملوك أحدهم باني الهرم الثاني بالجيزة أيضا وكذلك العائلة السادسة وغيرها الى الثانية عشرة كلهم متفرقون على جهات من مصر الى ان قهر الجميع تحت حكم فرعون أوس- برطاسن (أو) سينوستريس ثالث ملوك العائلة الثانية عشرة وضم الى ممالكه بلاد الحبشة وغيرها من السودان وانقرضت عائلته بعده بقايل وغاية ما يعلم انه تداول مصر به ذلك عائلتان وهما الثالثة عشرة والرابعة عشرة وكان حوادثهما ليست مهمة فلم يوجد لهما اوقاف شهيرة (وأما) الخامسة عشرة والسادسة عشرة فلهما اخبار من جهة قوة الملك والترقي في الصنائع والمعارف وفي آخر الاخبار ابتداء تسلط الملوك الرعاة على مصر وتم استيلاؤهم على قسم عظيم منها أو عليها كلها لكن بقي للاهلين جهة من أعالي الصعيد ملكوا عايلها العائلة السابعة عشرة من الفراعنة ولم يكن لها أهمية في جنب مملكة الرعاة وهؤلاء الرعاة يغلب على ظن محققى المؤرخين انهم من العرب اجتازوا الى مصر وبقوا فيها مدة طويلة ذوى شأن وسلطان مهيب قوى وقال بعض الاخباريين ان دخول يوسف الى مصر كان في دولة هؤلاء الرعاة ولم يقضى على تلك الدولة بالانقراض كان الذي باشر قهرها فرعون أموسيس وانتشأت العائلة الثامنة عشرة ولها عدة آثار باقية الى الآن من المباني والصور والدلة على قوة الملك والتمدن كالمسلةين الموجودتين بالاسكندرية والقسطاطية وكذلك الموجود برونه

وقال

وقال بعض المؤرخين ان دخول يوسف عليه السلام انما كان في هاته الدولة ويستدل من الآثار ان عبادة الاصنام تفاحشت في مدة تلك العائلة ثم استولت العائلة التاسعة عشرة من الفراعنة وكان منها فرعون سينوستريس المشهور عند اليونان بذلك الاسم وامتدت مملكته من نهر الطونة في اوروبا الى نهر الكنك في الهند وانشأ في كل مملكة افتتحها آثارا تدل عليه وارتقت مصر في مدته الى غاية كبرى من المعارف والغنى حتى قيل انه أول من رسم خريطة لصورة ممالكه الواسعة وزادت ارتقاء ونفرا وانتهت في معارف الطبيعيات والهندسة والسحر في مدة حفيده فرعون زمن موسى عليه السلام حتى ادعى بملكه ومعارفه الالهية وكان من قصته ما هو مذكور في القرآن العظيم ومن غريب ما يستحق الذكر ان مؤرخي مصر القدماء لم يذكر واحد غرق فرعون ونجاة موسى عليه السلام ببني اسرائيل بانفلاق البحر مع انها حادثة كبرى وبناء على اهمالها أنكرها من لادين له من ممثري هذا العصر وأضافوا الى ذلك في الاسم تدلال ان قبر فرعون المذكور واسمه منقطا الثاني موجود بين قبور الفراعنة في الصعيد بالملك المعروف بباب الملوك فلو كان غرق لما كان له قبر وأجاب عن هذا بعض النصارى بان وجود القبر لا يدل على وجود المقبر كما ان وجوده يمكن ان يكون قبل موت فرعون على عادة أسلافه من احضار قبورهم بضمخة من زفرة وهو قد هبأ ذلك وان لم يدفن فيه ويحتمل ان يكون ايجاد القبر تعصبا من المصريين وعنادا في اخفاء الامر الذي احاط بهم دفعا للعار عنهم في الاجيال المستقبلة واستدل المجيب المذكور على ان فرعون موسى هو منقطا المذكور بان الذي ولي الملك بعده ابنته وتصرف بالنيابة عنها زوجها لانه لم يكن له ولد سواها وابن صغير قاصر فدل ذلك على حدوث أمر عظيم انقرضت به عائلة الملك حتى سلموه الى امرأ وزوجها مع ان جدهم القريب سينوستريس المار ذكره قد ترك من الاولاد نحو عشرين فهذه الحادثة التي انقرضت به العائلة ليس هو الا ذلك الغرق لفرعون وملائه اه ولا يخفى ان كلا من الجواب والاسم تدلال غير مسلم (أما) الجواب فان وجود القبر الاصل فيه ان يكون فيه مقبور مسميا اذا كانت عليه كتابة اسمه التي بها عرف انه قبره وتاريخ موته فانها لا ترسم الا بعد وضع صاحبه فيه واحتمال ان المصري بين أقاؤه وذلك القبر على تلك الكيفية قصد الاخفاء الواقعة في الاجيال القادمة احتمال بعيد كما سبقه لا يؤثر مع الباحث سيما وواقعة غرق فرعون مع ملائه ونجاة موسى ببني اسرائيل بانفلاق البحر من المجهزات

الباهرة التي لا يبقى معها المصري عناد بعده شاهدها وهلاكها كهم الذي كانوا
يعبدونه فلا تبقى فيهم بقية يفكرون بها عن الاجيال المستقبلة وأين هم من هذا مع
افتضاحهم لانفسهم وجميع معاصريهم ومن هو تحت علمهم من الامم المسالمة بين
الطونة والكنة فهم أشغل بانفسهم ولا تقياد الى الحق أو الى تدارك أمرهم الدنياوى فقط
فى الأقل بين أعيان الامم الذين ينظرون الى هلاك مدعى الألوهية مع امرائه ووزرائه
وجيوشه فكيف يخطر لهم فى تلك الحالة التعمية على أجيالهم مستقبلة مع ان سائر
معاصريهم ينقلون خلاف ذلك (وأما) الاستدلال فهو غير منتج اذ لا يلزم من تولية البنات
انقراض عائلة الملك كيف ذلك ونحن نرى فى التاريخ بل وفى خصوص تاريخ
المصريين عدة نسوة صرن ملكات مع وجود العائلة بل ولم يزل ذلك جاريا فى جهات من
الارض الى الآن فلم لا تكون ولاية البنات لان قاعدتهم كانت وراثة الملك لا كبرأولاد
الملك الاناث والذكور سواء وتصرف زوجها حينئذ نيابة عنها باختيارها لا لانقراض
العائلة وكانى أرى هاتيك التعميلات فى الجواب مبنية على إهمال علم السند والرواية أما
لو كانوا يعرفون ذلك وجرت عليه أعمال ديانتهم لما استحقوا المثل ذلك ولتخلصوا من
مهاومها لكأن مع ان علم السند والرواية أمر ضرورى بل طبعى لاخذ الاخبار الغائبة
عن المشاهدة واذا ثبت عليه الاحكام استقام الامر وخلص من الغلط والغش والكذب
وبناء على اعتبار ذلك فنحن المسلمون نقول ان الذى نقطع بوجوده هو غرق فرعون
مصر مع ملأته ونجاة موسى عليه السلام بينى اسرائيل بانفلاق البحر معجزة له أما كون
فرعون المذكور اسمه منفطاً أو غيره وكون مدته الى الآن كم هى فلا علم لنا به اول دليل
لنا علمها وذلك العلم حصل لنا بالنقل المتواتر فى القرآن من نبينا سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام الذى ثبتت نبوته وصدقه بالمعجزات المتكاثرة فاخباره لا شك فى صدقه
ويوافقنا على ذلك النقل المتواتر من أمه بنى اسرائيل منذ حصول الحادثة من شاهدها
منهم وهم أمة عديدة يستحيل تواطؤهم على الكذب الى من بعدهم منهم ومن غيرهم نقل
عنهم جيلا بعد جيل على تلك الصفة الى الآن وعدم ذكر الواقعة فى تواريخ علماء ذلك
العصر لا ينفى وقوعها لان السكوت عن الشئ ليس بنفى له وهناك حامل على عدم الذكر
لان المؤرخ انما يكون من علماءهم الذين هم أشد مضادة للديانة واذا شاهدوا شيا مثل
ذلك ولم يجدوا وجه القدح فيه وتخرج به على ما يلائم منهجهم يسكتون عنه على انه
مدمج فى زمره ما نسبوه الى أعمال القادحين فيه التى يذنبونها الى نوع من الباطل عنادا

أو جهلا والعباد بالله وانى لا أعجب من انكار ذلك من غير ذوى الديانات من أهل العصر
وانما أعجب من انكار النصارى واليهود الا ان معجزة نبينا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم وهى انشقاق القمر مستدلين على انكارهم بمثل ما استدل عليهم فى انكار
واقعة الغرق من عدم ذكرها فى التواريخ مع انهم يجيبون بمثل ما تقدم ونحن نقول ان
معجزة انشقاق القمر ثبوتها بين وأمرها أوضح وذلك انها وقعت ليل بعد مضي حصه منه
لان القمر كان ليله البدر أى الرابعة عشرة وهو فى كبد السماء كما تشهد به روايات
البخارى من ان نصفه بقى ظاهرا فوق الجبل ونصفه غاب وراءه والروايات وان اختلفت
لفظها فهذه امداد معناه ثم ان الحصة فى انشقاقه لم تطل وعاد ما كان عليه ولا ريب ان
حوادث السماء لا يشتغل بها العموم دائما الا اذا حدث العلم من قبل بها فتاقت اليها
الانظار أو تقع بحسب الصدفة سيما الامر الذى لا يطول زمانه مثل بعض الشهب المؤثرة
للضوء القوى أو غيرهما لا يطلع عليه الا افراد صدفة ولا يعلم بخبره فى جميع الجهات
والاشفاق وان ذكره بعض الناس فلا يثبت عند علماءهم المؤرخين لعدم تيقنه عند
لعدم ثقتهم باخبار الافراد القليبين فلا يكون سكوتهم دليلا على عدم الوجود على ان
وراء ذلك ما هو أوضح وهو ان الملك المتعمد اذ ذاك الحماوية للعلماء المؤرخين الذين
يمكن لهم رؤية القمر عند استقامته فى كبد السماء فى مكة المكرمة انما هم سكان ما بين
شطوط المغرب الى مبادى جبالهم لاى أما أهالى أوروبا فلم يكونوا اذ ذاك من أهل المعارف
والندوين سوى جهاتهما الجنوبية من بقايا الرومان (وأما) الصين وشمال آسيا الشرقية
فلا يرون القمر اذ ذاك لغروبهم عنهم أو قرب غروبهم فى ضوء النهار فهم وان كانوا
اذا ذاك متمدنين وعلماء لكن ذلك غير مرئى لديهم ثم ان الملك المذكور الذى يمكن لهم
رؤية القمر اذ ذاك هم فى انفسهم مختلفون فى الوقت فيكون الوقت اذ ذاك عند
الهندوبه نصف الليل وعند المغربيين عند غروب الشمس أو ما قارب ذلك فى كل
من المكانين وهاتيك الاقطار ما مضى عليها من وقت انشقاق القمر نيف وعشرون سنة
الا وقد أدخل خالد بن سمان قائد جيش المسلمين فى المغرب قوائم فرسه فى المحيط الغربى
وقال ليس لى وراهه ذاما أفقحه وقد بلغت فتوح الجيوش الاسلاميه فى الشرق الى
بخارى وسمرقند وأفغانستان وسائر تلك الجهات فعلماء هاته الاقطار عند الفتح الذى
كان يقرب انشقاق القمر لان الانشقاق كان فى السنة الخامسة قبل الهجرة والفتح ثم
فى ميدان خلافة سيدنا عثمان كأنواع على قسمين منهم من آمن وهو الاغلب ومنهم من

بقى على دينه (فأما) من آمن وألف فقد روى مثل سائر المسلمين الانشقاق اما رؤيته
أول رؤية أحد من يثق به من أهل وطنه مع التأني وبالرواية المستفيضة والتواتر
القطعي من الصحابة الذين شاهدوا ذلك وعلوه ونقلوه بالكلام الذي يتبع دون
بتلاوته ولا يرتابون في حرف منه وكذلك صار نقل كل من آمن من سائر تلك الاقطار
ولهذا تواتر النقل بغير ذكره عند واقعة ذكره على كيفية الوقوع وهو أيضا بالغ مبلغ
التواتر مع ان الاصل ثابت بغير احتياج للسند كما في سائر التواترات لانه اذا قال قائل
ان الكعبة في مكة المشرفة فلا يقال له عن ترويه - هذا لانه قطعي مع - لوم بالضرورة
وكذلك نقل الانشقاق لانه موثر بالقرآن في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر (وأما) القسم الثاني من علماء تلك الاقطار الذين لم يؤمنوا فانهم لما تحقق عندهم
ما تقدم عند المسلمين فمن ثبت ذلك عندهم منهم من قبل لاشكائه بضرب عن ذكره في
تاريخه لانه يكون حجة عليه وهو يتأول في وقوعه بماتش - يرله الآية الكريمة - فهو
حريص على عدم اثباته بالمرء لانه لما عارضه النقل القطعي سكت عنه ولم يتعرض له
بنفي ولا اثبات والا فبالله - لم يذكر أحد منهم - ان ذلك الزمان قد كان - فلان وفلان
يرصدون القمر أو السماء ولم يروا ذلك الحادث مع انهم حريصون على ذكر كل قاذح
في الدين فكان سكوتهم في الحقيقة هو نفس الاقرار بالوقوع ولا يتجمل مع ما ذكرناه
ان مجرد السكوت عنه حجة في عدم الوقوع والحال ما ذكرناه ويتأيد هذا بما لمالك
التي بقيت لم تنفخ وكان فيها بقية من التمدن وهي يمكن منها رؤية الانشقاق مثل بقية
مملكة الرومان الشرقية والغربية فانهم لما تقلص ظلمهم في تلك المدة القريية بدولة
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان من معجزاته انشقاق القمر وهم على دين
النصرانية وثبت ذلك عندهم قطعيا عن فتحوا أقطارهم وعلموا ان ذلك الانشقاق
حجة لخصمهم فعلى تقدير ان يكونوا رأوه واثبتوه في بعض تواتر يخبرهم عند وقوعه
فلا يبعد ان أضربوا عنه بعد بلوغ قصته اليهم انكي لا يكون حجة عليهم ولا بعد اثباته
عند من يأتي من قومهم سيما والملوك اذا نحت الانقياد للقسوس وكبراء الديانة
فربما انهم منعوا من ذكره كما منعون سائر ما يضر بدياناتهم فها هنا يأتي مثل هذا
التعليل الذي مر ذكره عن بعض النصاري في شأن فرق فرعون وهو هنا على نحو
ما أوضحناه أبين وأمكن فذلك قلنا باشهاد عجبنا من انكارهم له ولا يقال لهم
انكروه واستندوا الى عدم ذكره في التواتر من حيث وقوع الخلاف في وقوعه حتى

عند المسلمين لان رواية أحاديثه لا تخرج عن الافراد والاشارة - قد قال بعض
المفسرين فيها ان الفعل الماضي وضع موضع المستقبل تحقيقا لما سبق فلا يكون هناك
النقل بالتواتر للوقوع بالفعل والوجه في سقوط ذلك بديهي عند من تضاع بالفنون
الشرعية وبيانه انما قد هنا ان الاحاديث المروية في الصحاح انما هي في بيان الكيفية
والاسباب أما أصل ثبوت الواقعة فانه منقول تواترا محققا لان مدار جميع الروايات
البالغة حد التواتر على اثبات الوقوع فليس هي من الاحاد وكذلك صرح القرآن
قطعي فيه - هو ما ذكره بعض المفسرين ليس هو من كلام أحد من الامة اذ لا خلاف عندنا
في ذلك وانما هو من كلام بعض المحدث والمريد لادخال الشبهة كيفما كان الحال
على المسلمين وان نسب القول بذلك لاحد الامة فانما هو من التزوير والبهتان حيث
لم يثبت بطريق الرواية الصحيحة عن الثقة نسبة قول ذلك لاحد علماء الامة ولذلك لا ترى
كل من نقل ذلك من المفسرين الا وقال أثره ويرده قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا
ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر الاية فانه اذا كان المعنى
سينشق القمر لا يكون لقوله يعرضوا الخ من معنى لان ذلك الزمن الا في ليس فيه
من مدح لمجزة حتى ينسبوها الى السحر وأيضا قوله تعالى وكذبوا ناص صريح في
تكذيبهم بأن انشقاق القمر مجزة وانما ينسبوه الى السحر وقد جاءت قراءة وقد انشق
القمر بزيادة التاء كيد للماضي ولهذا نقل الاجماع غير واحد على ان الانشقاق قد وقع
وانه لا خلاف بين المفسرين في ذلك وكذلك الروايات في الوقوع قد قال الواقدي انها
متواترة بالقطع وبه صرح القاضي عياض وغيره من معاصري الرواية والحديث وقال
القاضي عياض أيضا ما معناه ان من يدعي عدم التواتر في ذلك انما هو الجاهل بل من
يغمض بهره ويقول مالي لا أرى الضوء وكذلك هو - اذا فان المعرضين عن الاطلاع على
الحديث والسيرة - الذين لا يعرفون تواتر الرواية في ذلك زيادة عما قدمنا من صراحة
القرآن فيه واجماع الامة على تفسيره بما لا يحتمل تأويل ولا شبهة ولم يقل أحد خلافا
سوى دسيسة المحدث المذكورة مما لا يروج على عالم وكان نقل كثير من المفسرين لها
لرد عليها هو الذي صير لها ذكر الحق ان كثيرا من المتأخرين الذين فسر والمبراعوا حق
القرآن في تنزيه تفسيره عن سفسات الافوال عما هو مردود بالبداهة وأصول العقائد
والاجماع كما وقع في هاته الآية مما جرحه - للقول ذكره وان لم يكن له من أساس ولا سند
ولا عجب لاحاد الملوك - دين ودساتيرهم في المعاني بما استطاعوا بل انهم طمعو حتى في

الالفاظ وأرادوا أن يدخلوا عليها الشك والتحريف مع العلم القطعي بتواتر كل حرف من القرآن في محله وحرور ألف وثلاثمائة سنة وعشرون سنين عليه ولم يقع الشك فيه ولا راج التشكيك على أحد من الأمة من عامتها فضلا عن علمائها ومن هذا القبيل ما رأيت عند كني لهذا المحل في تأليف جديد للغوى أحمد فارس سماه بالجلالوس على القاموس فهو وإن كان في بابيه من جهة اللغة حسن الموضوع لكن لما كان صاحبه غير متضلع بالعلوم الشرعية افتروا راج عليه ما يذكرك في بعض كتب أدبية لذوى مجون متعخرين بذكر ما يرونه من الطرف والظرائف لتفضية الوقت والتزلف لدى جهال الأمراء حتى قالوا إن بعض كلمات القرآن الكريم وقع فيها التحريف واختلاف الرواية في القراءة بسبب عدم وجود الشك كل والنقط في الحرف العربية في الزمن القديم وعدوا من ذلك جلة الفاظ حتى قال إن منها أنا قري أو ثانا وقضى قري وصى ويتس قري يتبين وعباد الرحمن قري عند الخ ولولا التحامل المقصود لهؤلاء لما صح لهم ذكر ذلك والأفاى ذى عقل يقول إن أحرف الكلمات المذكورة يشبه بعضها ببعض حتى يقرأ على ما ذكر في أين أتت الواو في أنا حتى صارت أو ثانا وكيف يشبهه القاف بالواو في وصى ومن أين أتت الألف في عند حتى صارت عباد وهذا كفي في بيان التمسك والافاق الحقيقة إن القراآت السبع كلها متواترة باجتماع أهل الملة والدين كما نص على ذلك علماء أصول الفقه وأصول الدين وسائر القراء وإذا قال أحد مدعى العلم في عصرنا إن التواتر يحصل به العلم العام فإلى لم يحصل لي حتى الظن بذلك فضلا عن العلم فنقول إن ذلك من الجهل المركب وذلك لأن المراد بالتواتر محصل العلم انما هو عند من علم التواتر وعند أهله أى أهل موضوع التواتر لا عند جميع الخلق ومثاله سهل جدا فانك إذا سألت أحد أهل السياسة وعلماء الجغرافيا عن وجود بلد تسمى استكة هولم اجابك حالا بانها موجودة قطعا وانها تحت ملكة السويد وأنه لا يرتاب في ذلك مثل ما لا يرتاب في وجود نفسه فاذا أتيت بجمهور علماء المجامع الأزهر وعلماء جامع الزيتونة وعلماء جامع القرويين وغيرهم من علماء الدين وسألتهم عن تلك البلاد لا تجد عند أحد منهم شعورا بها ولا يجيبك الا باني لا أعلم لهذا الاسم من موضوع فهل يكون عدم معرفة الجمهور العظيم من علماء الشريعة قاذفا في وجود تلك البلاد أو في خروجها عن كونها تحت تلك الملكة بثبوت التواتر لم يشاهد هاهنا أهل العلم بذلك كالأفلاك لا يكون جهل جميع الجاهل قاذفا في وجود التواتر بالقراآت السبع بل قال جمع من الأصوليين

إن القراآت العشرة متواترة فضلا عن السبع وإذا كان كذلك فلم يبق محل لدعوى التحريف أو التحريف في تلك الكلمات واشباهها مما ثبتت به القراءة وانما جاء ذلك من التشديد في الذي لا اعتبار له سوى التسويد في الكتب ليقل عنه من يرى أن العلم لم كاف فيه وجوده في كتاب مسود وسماني لهذا الموضوع مزيد بيان في الخاتمة إن شاء الله تعالى ولنرجع إلى تاريخ مصر فنقول أنه من عهد منقطعوا بفته لم يوجد في التاريخ شيء معتبر من أحوال مصر سوى استيلاء عائلات أخرى للملك إلى أن بلغت إلى العائلة الثانية والعشرين فكان منها فرعون شيشق الأول الذي حارب ملك الشام وهو ابن سيدنا سليمان عليه السلام وفتح ملكه وبعث تحت حكمه وصور فتوحه على هيكل الكرونك وكتب عليه بالنقش بحروفهم ملكة يهوذا في قبضتي ثم خرجت عليه الشام وحارب بها ابنه وانكسر ثم لم يكن نوافع مصر من أهمية إلى أن استولت عليها العائلة الخامسة والعشرون وهي من ملوك الحبشة وأولها فرعون سباتون وصارت من هاته العائلة عدة ملوك وحاربوا ملوك آشور التي كانت ملكهم بين الفرس والشام وعظمت ملكة مصر في أيام تلك العائلة حتى اتحدت بالحبشة وغالب أفريقية وصار فيها تمدن عظيم حسب ما دلت عليه الآثار ثم انقرضت الدولة وانقسمت المملكة المصرية إلى اثني عشر قسمًا ثم اتحدت تحت العائلة السادسة والعشرين وأولها فرعون أبساميس وترقت المملكة في أيامه وكان فيها ابتداء استعمال الحروف الأبجدية في الكتابة عوضا عن الكتابة بالصور التي كانت مستعملة سابقا كل صورة علامة على كلمة ومن مديته ابتداء التثبيت في التاريخ المصري وانجلى حاله نوعا ما عما كان من قبل في اثبات الزمن فكانت ولاية المذكور سنة ٦٦٤ قبل الميلاد وكان خلط بمعارفهم معارف اليونان وكثرت بينهم الخاطئة ثم استولى ابنه وفتح بعض أسيا ومنها بابل وأراد وصل النبل بالبحر الأحمر ولم يمه وخرج عنه أيضا بعض ما فتحه في آسيا كما أن الشام ثم استولى عدة من ذريته إلى أن فتح مصر بخت نصر وقتل فرعونها وأولى عليها أحد أعيانها فخالف عليه فخار بته ملكة فارس وتغلبت على جميع البلاد وصارت مصر ولاية فارسية حدثت فيها عدة ثورات من الأهالي لا تقاها أنفسهم من الفرس ولم تغن شيئا ونهاية خروج مصر من يد أهلها كان في حدود سنة ٣٥٨ قبل الميلاد ولم يتولاها أحد منهم إلى الآن بل كانت سائر دولها من المقلطين من خارج ثم بقي بعد تلك الثورات استقرار ملك فارس إلى أن ظهر أسكندر المقدوني اليوناني

وشمر ع في الفتوح فافتتح مصر وجعل قاع مدنها الاسكندرية كحمار وكان فتوحه سنة ٣٣٢ قبل الميلاد ثم استولى عليها بطليموس الاول من اليونان أحد قواد الاسكندرية عند اقتسام ممالكه بعد موته وانتشأت الدولة البطلمية موسمية التي تحفظت على ما أمكن لها معرفة من علوم قدماء المصريين وزادت بعسارف اليونان وقد فتح بطليموس المذكور الشام وجعله ولاية مصرية وأهلك من اليهود ما أبقا بهجت نصر حتى لم يبق منهم الا القليل النادر من الرعاع ثم لما تولى ابنه أعتق من وجده منهم ووردهم الى بيت المقدس مكرمين وهو الذي أمر بترجمة التوراة من سبعين رجلا من اليهود العسافرين باللغة اليونانية فترجمها كل منهم بانفراده وقوبلت الترجمة مع بعضها واستخرج من الجميع نسخة واحدة وهي المعروفة الآن بالسبعينية ومع ذلك فهي مخالفة الآن للعبرانية والسامرية ركان السبعينية أقل تحريفا للاتفاق عاينها اذ ذاك وكان تحت مصر اذ ذاك تونس وطرابلس وكثير من جزيرة العرب والشام وكثير من جزائر اليونان ثم تولى بطليموس الثالث وزاد في الفتوح الى ان دخل واسطاسيا ثم تولى الرابع وقتل اليهود في سائر ممالكه شرقتا وكان بطاشا وتولى بعده ذريتته ولكنهم لم يكن لهم من تقدم اجدادهم سوى اسم الملك اما الاعمال فهي قهرية استبدادية شهوية سنة الله في انقراض الدول حتى استولت منهم امرأة ذات جمال فائق واسمها كليوباترة فغاثت في البلاد والعباد وضعف مملكتها فقصدها امبراطور الرومان بالحرب وارسل لها جيشا ولكنهم لما اجتمعت برئيس جيوشه شغفته حبا حتى تزوجها بعد ان كانت تزوجت اخويها واحدا بعد آخر ثم أقام معها رئيس الجيوش الى ان أرسل اليه جيش آخر وقتل في المعركة ولما أيسست المملكة من النجاة مكنت حمية قتالة من يديها فنهشتها وماتت وقد رأيت صورتها في عدة أماكن من أوروبا والحيث في يديها وكان بذلك انقراض دولة اليونان عن مصر وابتداء استيلاء الرومان عليها فلم تنزل ولاية رومانية ياغب واليه بالمقوقس له لان النصر في ان جاءت البعثة وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك بالدعوة الى الاسلام فكان من الملوك المخاطبين منه عليه الصلاة والسلام المقوقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه باسم الله الرحمن الرحيم من (محمد) عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى (أما بعد) فاني أدعوك بداعية الاسلام أسلم تسلم يؤثك الله أجرك مرتين فان توليت فعليك انتم القبط يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذه بعضنا

بعضا

بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا باننا مسلمون اه فاجابه بالعربية بما نصه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرته فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت أظن ان يخرج من الشام وقد أكرمك رسولك وبعثته اليك بجارية بين لهما مكان من القبط عظيم وكسوة وأهديت اليك بغلة لتركها والاعلام فلم يكن فيه اجابة ولا انكار وانما هو يوحى الى قرب الاجابة ثم فتحت مصر في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ٢٠ على يد عامله سيدنا عمرو بن العاص في جيش عدده ثمانية آلاف وأمدته الخليفة باربعة من أسود الصحابة قال ان الواحد منهم في مقام ألف فتلك اثنا عشر ألفا وان يغلب اثنا عشر ألفا من قلة وتغلب في الفتح منها البقية أفر ببقية وحيث كانت أخبارها الى العائلة المحمدية العلوية مبسوبة في التواريخ لا يمكن استيعابها بقية مصر هنا على ذكر الدول وسنفيها وملاحظات في صفحاتها في جدول خاص هذا وأما بقية الملحقات السودانية وهي القسم الجنوبي من النوبة وما يليه جنوبا من بقية السودان وقاعدتهم مملكتهم تسمى سنار باسم المملكة فغاية ما يعلم من أحوالها انها قبل الهجرة بنحو ٣٧٣٥ سنة كان يسكنها قوم من الزنج لا تعرف أحوالهم ثم وردت عليهم طائفة الكوش من العرب وحصلت بينهم وبين المصريين وقائع اضطرت المصريين الى اقامة قلاع في الحدود وتفاصيل ظلمهم عما كان لهم في النوبة من النفوذ ثم تسلطوا على سنار العرب على مصر وهم الرعاة ثم خرجت عنهم كما سبق ذكره ثم دخلت في أهالي سنار وغيرهم الديانة النصرانية في القرن الرابع من الميلاذ ثم في القرن الاول الهجري افتتح العرب هاتيك الجهات وبقيت على الاستقلال بادارتها سوى التبعية الدينية للخلافة الى سنة ٨٨٩ فاقبلت قبيلة تسمى الفنج (أو) الفون ولا يعرف من أين أتت فتغلبت على تلك الجهات وتماكتها وكانت على الديانة الوثنية ثم أسلمت وصار منها علماء أجلة في عدة مدن وارتحل منها طوائف الى قواعد الاسلام لاختلاف العلوم فبرعت منهم فحول وكان مملكتهم من أقوم ملوك الاسلام الى أن حدث فيهم التنافر الداخلي والانقسام وتمازوا فيما بينهم فجعلوا بذلك وسيلة لجزارهم في التسلط عليهم فاعنتهم بها محمد علي باشا فرصة واستولى على جميع سنار بعد استيلائه على النوبة سنة ١٢٣٦ أما شطوط النوبة الشرقية أعني ما كان منها على البحر الاحمر فانه كان في أغلب الاوقات تابعيا لمصر حتى بعد الفتح الاسلامي وعند ما اقتضت الدولة العثمانية مصر بقيت هاته الجهة تحت ادارة خاصة بها تابعة للدولة

الى سنة ١٢٤٣ ففوضت ادارتها الى محمد علي وجعلت جزأ من الممالك المصرية والحققت بها أيضا بلادة أنصبا ومحقاتها التي كانت تابعة للعبدة فاستولت عليها مصر شيئا فشيئا (وأما) دارفور فغاية ما علمت من تاريخها أنها كانت من الممالك الإسلامية القديمة وأهلها من اخلاط السودان والعرب وآخر عائلته من ملوكها عربية سودانية يسمى أولهم السلطان عبدالرحمن توفي سنة ١٢١٨ وانتقل الملك في أبنائه الى ان تغلب على الممالك اسماعيل باشا سنة ١٢٩١ (وأما) زيباع وغيرها من بقية جهات السودان على شطوط أفريقية الشرقية فاحصل ما بلغت اليه انهم قوم من العرب اجتاحوا الى هناك من قبل الاسلام ثم أسلموا في صدد الاسلام ولما استولت الدولة العثمانية على اليمن وغيره من خزيرة العرب وأفريقية دخلت تلك الممالك أيضا طوعا في طاعة الدولة ولم تزل محربة لهم عواندهم ولها الحكم السياسي الى أن ألحقت ذلك بمصر بمقتضى فرمان منحه الى اسماعيل باشا وورثته وذلك سنة ١٢٩٢ (وأما) بلاد النوبة فكانت قديما مشعولة بمساذ كرناء في سنار الى أن استقر الاسلام بمصر فبقى أهل النوبة على الشرك حتى انه في زمن المأمون لما قدم الى مصر اشتكى اليه ملك النوبة من عاهل اسوان وأهلها بانهم ملوكوا أراضى في بلاده بالشرا من أناس والحال انهم أى البائعين عبيده فأحال فصلهم على قاضى اسوان ولم يقر البائعون بالرق فضغن عليهم ملك النوبة وبطش بهم ثم صار التعدى متواليما من النوبيين على أهالى مصر وكلما أغاروا وجه لهم حاكم مصر رادعا فيدعون ثم يعودون الى زمن صلاح الدين بن أيوب فالتجأ اليه ابن أخه ملك النوبة مستنصر على عمه فأعانه وأولاه ملك النوبة وضرب عليه خراجا وألحق بمصر نحو الربع من النوبة ثم لما ملكت الدولة العثمانية استقلت النوبة وكانت حدودها عند مصر مأوى للامراء أصحاب الفتن فيلجئون اليها الى أن استولى محمد علي فاستولى على جميع النوبة وغـيرها وصار أغلب أهلها مسلمين ودونك جدول حكومات مصر منذ الفتح الاسلامي

جدول حكومات مصر

التاريخ من الهجرة	أسماء الحكومات	ملاحظات
٢٠	سيدنا عمرو بن العاص وخلفاؤه	عمال للخليفة من الخلفاء الراشدين ثم الامويين ثم العباسيين
٢٦٤	أحمد بن طولون وذريته	سلطان مستقل بالادارة خاضع الى الخليفة العباسي قديما
٢٩٢	عمال العباسيين	مثل سائر العمال
٢٩٣	الدولة الاخشيدي ومنها كافور الاخشيدي	سلطان مستقل يدين بالتبعية للخلافة العباسية
٣٥٨	الدولة الفاطمية أولها المعز بن المهدي	خلافة مستقلة على مصر وسائر المغرب
٥٦٧	الدولة الايوبية وأولهم استقرت الاصلاح الدين وأخرهم شجرة الدر	مستقلين وتماكروا الشام وغيره وصاحب الدين هو قاتح بيت المقدس من أيدي الافرنج وصاحب الوقائع الشهيرة في حرب الصليب وفي مدتهم انتقل الخليفة العباسي الى مصر سنة ٦٥٩ وهو صوري فقط
٧٨٤	دولة الجراكسة أولهم المعز ايمنك زوج شجرة الدر المذكورة	مستقلان خاضعين لخليفة عباسي بالاسم
٩٢٢	الدولة العثمانية وعمالها ومنهم المماليك	عمال لآل عثمان لهم ادارة مختارة فوضي
١٢١٣	الفرنساويون	تقلب نابليون الاول وبقى الى أن أخرج بسيف الدولة العثمانية واطانة الانكليز

مطالب في تاريخ مصر الجديد المستولى الفرنسي على مصر وكان قاصدا للتوصل من هناك الى افتتاح الهند من الانكليز لما كان بينهم من الحروب والعداوة بل وكانت سائر اوروبا اذ ذلك ضد الفرنسيين حسب ما تقدم ذكره في محله فينته عاصدت انكلا تيره الدولة العثمانية على حرب فرنسا وأخرجاها من مصر ١٢١٦ وبعد استقرار أمرها للدولة استولى امارتها محمد علي باشا الذي اص له من الارناؤوط وقدمه كبريا مع عساكر الترك لاخذ مصر من الفرنسيين وكان كامل الاوصاف للرياسة فتقدم اليها بنفسه على بني جنسه وانقاد له الجميع وقررت ولايته الدولة على دفع خراج معلوم سنويا وذلك سنة ١٢١٩ فوجد مصر في نهاية درجة الفقر والبربرية والجهل بل حتى ان الامراض الوبائية من الطاعون قد كانت فيها واصار عادية تفنى من الناس سنويا خلتا كثيرا حتى قل الهرمان ولم يبق من ما اثر تقدم المصريين سوى الاسم في النواحي نعم وجد للعلوم الشرعية بقية آثار في الجامع الازهر من العلماء وذلك كله لما سرعها من تقلبات الدهر والظلم والجور والاساءة تبدادوا الحروب في الايام الخالية فشمع عن ساعد الجد ووافقه البحث وفتح مصر عصر اجدد فافتطم فيها جيشا نظاميا من أهلها ورتب الاداء على الاهالي على قانون غير مجحف وألزمهم بتعمير الارض وفتح الترع وانشأ المدارس العلمية للعلوم الرياضية والحربية واحضر المعلمين من اوروبا وأحيى الممارسات وألزم الاهالي بالنظافة وتوسيع الطرقات والمباني وأرسل التلاميذ الى اوروبا لتعلم الفنون واحيى غو العلوم الشرعية وسهل أبواب التجارة وانشأ معامل السلاح والسفن وترجمت ح الكتب النافعة في فنون شتى من لغات شتى الى العربية فانشأ في مصر جبل جديد وعصر جديد بسطت فيه طرق الهرمان والتمدن والقوة في مدة يسيرة فافتتح النبوة وسار واستولى على الشام والحجاز وافتتحة من الوهابي بل امتد بالاساءة الى قرب الاستانة في الانا طولي وخشيت شوكته من عصيانه على الدولة العثمانية فتعصب الانكليز الى الدولة في الظاهر لتوطيد أركانها وفي الباطن خشية من انتشاء دولة اسلامية شابة ذات قوة مثل تلك وكرها مصر فتخشي ان تمتد من هناك الى الهند الذي هو روح قوة الانكليز سيما اذا عاضده احدى الدول الاوروبية مثل فرنسا فلذلك حاربه مع الدولة العثمانية التي هي اذ ذلك على ضعف شديد من حرب الروس والتورانات الداخلية واستقلال اليونان وغير ذلك فقهر واحمد على ولكن لا تمام مقصد انكلا تيره لم تسمح للدولة بالاستيلاء التام على مصر مراعاة المقاصد المشار اليها ايضا

فكان الاوفق لها ابقاء مصر على شبه استقلال بضعف كل من الجهتين وبقى محمد علي واليا على مصر على أن تكون الولاية في ذريته من أكرالى أكبر ويؤدي خراجا سنويا للدولة ويعينها عند وقوع حرب معها بالمال والذين يبايعهم اربعة من الفا وكذلك يعينها بالسفن وان الرتب العالية في مصر يعين هو أصحابها وتواهم الدولة والسكة والخطبة تكون باسم السلطان العثماني والعلم عثماني أيضا وخرج الخراج عنه الى الدولة وكذلك الشام وبقى على ذلك الى أن ضعف بالسن فتنازل عن الولاية لابنه الاكبر وهو رئيس جيوشه وحروبهم ابراهيم باشا سنة ١٢٦٥ وكان على قدم أبيه وتوفي تلك السنة فتولى بعده ابن أخيه عباس باشا بن طوسون بن محمد علي سنة ١٢٦٥ فاخذ عتقوا النعمان في شئ من الانحطاط لصرف المداخل في الشهوات لكنه أحدث شيئا من المنافع كبعض طرق الحديد والسالك الكهربي وأحكم الصلة مع الدولة العثمانية ثم توفي سنة ١٢٧١ وولى بعده سعيد بن محمد علي فزاد انحطاط النعمان واتسع خرق الاسراف ومنح لجمعية لسياس الفرنسيين ففتح خليج السويس وكثر الدين على الحكومة ثم توفي سنة ١٢٨٠ وولى اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا فاعاد عصر النعمان والمعارف واتساع القوت البرية والبحرية وشدد الالتحام بفرنسا وانكلا تيره بمواجهته له آخذ طريق الاستقلال بالمرّة عن الدولة العثمانية وصادف ان كان في أيام ولايته حصلت حرب أمريكا المتحدة في بعض مفاصلها فاجاب القطن الى انكلا تيره واشتد طلبه من مصر وحصلت فيها ثورة لم تعهد مع امتداد طرق الحديد الى جهات شتى والى السودان ثم فتح خليج السويس في مدته ودعى له ملوك اوروبا فضره كثير منهم كمبراطور اوستريا وامبراطور فرنسا ورواية الامبراطور نابليون الثالث من غير توسط الدولة العثمانية مما زاد الشهرة في دعوى الاستقلال لكنه كانه تحقق من زائريه ان المقصد لا يتم له فغيرت سياسته من وقتئذ عاد لمصافاة الدولة العثمانية وقد قدم اليه السلطان عبد العزيز بنفسه الى مصر والى مقره في الاستانة وحصل منه على فرمان امتياز بانحصار الوراثة في شخص بنه من أكبرهم الى ابنه الاكبر وهكذا وزاد في الخراج للدولة واخذ منها ما يملكه من زيلع وفتح دارفور وكردفان وغيرها من السودان وزادت المعارف كلها شعشة في أبايعه وانشأ المحاكم المختلطة بمصر رافع حكم القناس وانشأ مجالس النواب عن الامة لكنه صوري وكذلك مجالس الوزراء الا ان الكلي تحت أمره وحده لا يمكن ازداد الدين على الحكومة بكثرة المصاريف

الداخية في انشاء القصور وغيرها كالترع والطرق وبكثرة المصاريف للدول التحصيل
مطلوبه منهم مما ذكرناه وانتقرا الاهالي من الظلم وأخذ أموالهم بالضرب وغيره
لخدمته غير معلوم ومع ذلك لم تقدر الحكومة على الوفاء بقائض الديون الأوروبية
وجعلت تزيد في القرض الى أن توقف المقرضون عنها فتمت ادخالات الدول في حفظ
أموال رعاياهم وأنشأوا وزارة فيها وزيران كوزيرى لاسال ووزير فرانسوا
للاشغال العامة وتحتش الوزراء غير الاجنبيين حينئذ في عدم الادعان لجرد
ارادة اسماعيل باشا وتغاب مرارا في تغيير الوزراء فلم يفده الى أن ثار الجيوش بالاعتراف
متفق مع مجلس النواب وأهانوا الوزارة المختلطة كلها بدعوى انها نقصت من مصاريف
الجيوش وعددها لكن المعاملة مع الوزير الفرنساوى كانت لينة وهو منقض عنهم حتى كان
السان الحال يدل على ان لفرانسوا باطنافوع اتفاق مع الخديوى يوافق قصده في التبعاعد
من انكلا تيره حتى تفتنت لذلك وأرسلت له رسولا خاصا يبلغه نصيحة شديدة ما لها
ان النافع لذاته هو الرفق بالرعية والكف عن الاسراف وان ركونه الى غيرها لا يفيد
عند تحصيل الحق فأجاب بالتخلص مما رعى به واشتد حنقه من التداخل الاجنبى الى أن
حصلت تلك الامور من العساكر فعزل الخديوى الوزارة فثار غيظ فرانسوا وانكلا تيره
وطالبوا من الخديوى أن يعزل عن المنصب فأتى وأحوالى أن كادوا أن يباشروا
بالحرب وكانت الدولة العثمانية اذ ذاك أثرى وجهها من حرب الروس التي قسمت بها
كثيرا من ممالك الدولة فارادت الدولة أولا أن تحمى الخديوى لئلا يكتسبها علمت أن
لامناس من عزله جمعاتها كما قيل بيدي لا يديده وحفظا لناموسها واساطرتها فاجتاحت بارسال
أمر بسلك الكور بالى اسماعيل باشا تعلمه بعزله وأمر آخر الى ابنه الخديوى الحالى محمد
توفيق تأمره بالولاية وتسلم زمام الامور ذلك سنة ١٢٩٦ ثم سافر اسماعيل الى ايطاليا بحريمه
وأبنائه وبقي ساكن في نابلي بقصر الحكومة ايطاليا ونصرف الخديوى توفيق في مصر
بواسطة الوزراء وجهه لرئيس الوزارة مصطفى رياض باشا وجعل لكل من انكلا تيره
وفرانسوا مقاما ليا يحضر مجلس الوزراء وله صوت فيه بحيث لا يضى شي الاماوافق
عاهه المواقبان وقسمت مداخيل الحكومة على تسعين أحدها للقائض الديون وقدر
تلك الديون نحو ألفى مليون فرنك ومقدار ما عين للقائضها واستهلك أصلها نحو مائة
وسنة مليون فرنك كاسنو وبالباقى من مداخيل الحكومة يدفع منه مخرج الدولة
العثمانية وبقيت مصاريف الحكومة وجرى النهر في الوزارة بدون مجلس النواب

مع وعد الخديوى عند ولايته بفتحها وأجرامة متضاه الى أن ظهر للوزارة ان تحدث قانونا في
رتب العساكر كان من مقتضاه ان أبناء مصر العارفين بالكتابة والقراءة لا يتجاوزون رتبة
رئيس الالف أى بين باشى والذي لا يعرف ذلك لا يستولى الرتبة رئيس عشرة وبقية
الرتب يتولاها الدخيلون في مصر كالترك والافرنج فامتنع من الامضاء على القانون في
وزارة الحرب عدته من أمراء الالايات معلمين بان ذلك خلاف الانصاف فسجنهم ثم وزير
الحرب فثار العساكر وأخرجوهم من السجن وأحاطوا بقصر الخديوى طالبين عزل وزير
الحرب فعزل وحصلت (حينئذ) طمأنينة لاتحاد العساكر وانصافهم وحياء المصريين
ونشأ في الامة حزب يسمى الحزب الوطنى زعيمه فى الكلام رجل يسمى عبد الله نديم
فصحح اللسان عارف بطرق الكلام وكثرت منه الخطب في المجمع والمواكب ومن غيره أيضا
في الحث على الاتحاد وأخذوا لشغل لائنة الوطن وكذلك الوظائف والخروج من ولاية
الاجانب الذين اشتد احتقارهم للاهالي واستبدادهم عليهم بالمرتببات الباهظة حتى انى
لما مرت بمصر كنت أسمع دوى غليان الاهالي من التشكى من كثرة توطيف الاجانب
الذين بلغ عددهم نحو ألف ومائتى متوظف يأخذون سنويا نحو أحد عشر مليوناً
فرنك كابع اقتدار الاهالي على الوفاء بتلك الوظائف ونقصان مرتبهم عن ذلك بكثير ثم بدا
للوزارة لزوم التفتيش من عدد العساكر فثار الجند وأخذوا بقصر الخديوى متسلحين
حتى بالمدافع بعد ان أرسلوا الى نواب الدول بالامن عليهم وعلى رعاياهم والاعلام
بمقاصدهم وكان رئيس ذلك الاتحاد رجل من أهل مصر في رتبة أمير الالفى فصيح اللسان
قبت الجنان اسمه أحمد عرابى فطالب هو ورؤساء الجيش الاجتماع بالخديوى فلما تبين
الخديوى جد طمأنينهم بواسطة خطاب قنصل الانكليز معهم تلقاهم فأعلموه بأن معظمهم هو
عزل الوزارة ولاية رئاستها الشريف باشا وجمع مجلس النواب واجراه قراره حقيقة وان
تكون له الحرية اللازمة لمثله وان لا يمس حقوق الاجانب وتعهدات الحكومة معهم
فلم يسع الحال الا لقبول جميع المطالب واجرائهم فعد لاوازداد عرابى نفوذا وانطلقت
الاسن بالحرية فلما اجتمع مجلس النواب ألف قانونه الذى تبنته عليه أعماله وكان من
جلته انه له الحق في الاطلاع على حساب الحكومة في الحال وله الرأى فيه مع ان ذلك من
خواص مأمورية المراقبة لفرانسوا وبالاكليزية فامتنعت وزارة شريف باشا من قبول
ذلك لما فيه من تداخل الدولتين في الامتناع حتى يفضى الى التداخل في السياسة
فأصر المجلس على طلبه وأظهرت العساكر التعصب الى المجلس فاستعفى شريف ووزارته

ومن هنا خرجت الاعمال عن القصد الجليل لما يوقعها في الزوال لان العاقل بنظر الجميع مقتضيات الحال ونسبة قوة الدول فيتعاضد عن موجبات الفساد ولا تطالب النهايات في البدايات كما هو القاعدة الشهيرة القائلة من طاب الشئ قبل اذانه عوقب بحرمانه وما باله من قدم قدر او اقداح ل الدولتين في عزل الخديوى السابق حتى تم مرادهم فكيف يفتح لهم باب التداخل وهم بالمرصاد منهم لم يكن سبق القدر فلم يتدبروا واستجلبوا قاصروا على طلبهم ففوض الخديوى انتخاب الوزارة الى المجلس مع انه من حقوقيه تطبيق الخطا لاهالى فاستولى رئاسة الوزارة محمد سامى واستولى وزارة الحرب عرابى وابتهره ايضا من هنا الاعتراض عايله من العقلاء في قبول الوزارة لان مقامه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يحجب بتلك الولاية ويصير له غرض خاص به من الارتقاء الى المناصب العالية سيما بعد ان رقى من كان معه من رؤساء العساكر الى رتبة اللواء وقبل هو من الخديوى تلك الرتبة بعد الالتحاق عايله فوافقت الوزارة رأى المجلس وكانت اذذاك السن الاهالى وصحفهم بنذبة مطلقة بالقدح في الاروبا وبين والتجسس عايله هم عايله مما أسف منه عقلاء المسلمين فهاجت ضدهم صحف اورو باجتماع واشدهم الفرانسويون والانكليزيون حتى أبرقت وأرعدت دولناهم متهددين بالحرب طالبين نفي عرابى وبعضهم من رؤساء العساكر الذين رفقوا الى رتبة اللواء وارجاع وزارة مشريف ودخول مطلب مجلس النواب في التداخل في امر المراقبة فوقع اضطراب وهيجان ظهرت فيه دعوى على بعض من العساكر الجراكسة بانهم قصدوا قتل عرابى باغرا آت سرية منها المنسوب الى طلعت باشا احد علائق اسماعيل باشا فنفى اولئك الجراكسة الى الاستانة وبقوا فيها تحت الحفظ مكرمين في احد البعثات السلطانية الى أن رجعوا بعد الحرب الا تى ذكرها فلما أصرت الدولتان على ذلك أعلن الخديوى بعزل الوزارة فثارت الاهالى والعساكر والزمو الخديوى بارجاع عرابى الى وزارته وقدم اذذاك مرخص عثمانى وهو المشير درويش باشا ومعه عدة رجال لاقرار الراحة في مصر بالوجه السياسى لان الاهالى ايضا اكثر وامن التنويه بانهم للدولة العثمانية ووردت منها افراد على الوجه المخصوص من قبل لراحة الاهالى وكان الخلاف بين عرابى والخديوى عن تقدم درويش باشا مشتمدا حتى ظهر الخبير بأن الاهالى قدموا مضبطة بطلب عزل الخديوى بل جرى الطمع حتى الى اخراج الخديوى عن عائلته حتى ادعى بالمرقة وطلب أن تكون مصر مثل البلقار في امتيازاتهم التي منها الاختيار الوالى وأن لا تتدخل فيهم الدولة

العثمانية

العثمانية بشئ في ادارتهم بل ربما تحرشت مصنفهم بانهم الوتر سل عساكر ضدهم فانهم يقاتلونهم كما يقاتلون سائر الدول وحينئذ اعلمت كل من فرانسوا وكلا تيره بلزوم ابقاء الخديوى ونفوذه وقطع مضادته بالقوة المجبرية غير ان فرانسوا تطالب أن تكون قوتها وقوة انكلا تيره هي الفعلية ولا تسمح للدولة العثمانية بذلك وانكلا تيره على ضدها تطالب بمبادرة عساكر الدولة العثمانية لذلك فرأت الدولة العثمانية ان فصل النازلة يتم بدون احتياج الى قوة وأرسالت درويش باشا ومن معه لذلك وحصل من قدمه ما أغاظ كثيرا من الاروبا وبين لانقياد العساكر المصرية والاهالى للسلطان وامتنال امره وابتدأ السكون والتوافق والرضى بالحصول شيئا فشيئا لكنه حدث في اسكندرية التي كانت اذذاك مراساها غاصة بأساطيل الدول الاروباوية حادثة شنيعة وهي قتال بين المسلمين والنصارى السكان بسبب مشاجرة عادية فطلب الاروباويون بذلك وزمروا حتى توجه الخديوى ودرويش باشا وعرابى الى الاسكندرية لاقرار الراحة وأقر الدول ان الواقعة عادية لا تدخل لها في السياسة غير ان اصل المسئلة من اصرار الدولتين على مطالبهم وامتناع اهالى مصر لزال على ما كان وفرانسوا أشد اقدا ما وتهديدا باعلان الحرب وعالبت انكلا تيره عقده مؤتمرا في الاستانة لما يجب من العمل قامت تحت الدولة العثمانية من التداخل فيه لما لها من حق السيادة وحدها على مصر فرأت ان ذلك من باب تداخل الدول في داخليةها لكنهم عقدوه ودخلت فيه الدولة العثمانية أخيرا وبينما هو في التفاوض كانت العساكر المصرية تصلى في حصون الاسكندرية حيث انها حرة ولا استعداد فيها لان الدولة العثمانية كانت هجرت على اسماعيل باشا تحصيلها عندها ما أحكم حصن أبو قير جوار الاسكندرية وحصون دمياط وغيرها لما سبقته الاشارة اليه في اخبار اسماعيل باشا ولسارات أساطيل الدولتين ذلك التحصين ادعوا انه تهديد لهم وطلبوا الاقلاع عنه فامرت الدولة العثمانية بالسكف من التحصين وادعى المصريون الامتنال وادعى رئيس أسطول الانكليز عدمه وطلب دخول عساكرهم الى الحصون فتفاقم الخلاف وأطلقت النيران من الاسطول الانكليزى على الاسكندرية فخربت في نحو عشر ساعات وتضررت بعض مدراعاته وانحازت العساكر المصرية الى مكان يسمى كفر الدوار وجيشوا هناك واستولت العساكر الانكليزية على الاسكندرية وبقي الخديوى فيها وانكشف الغطاء على مخافة العساكر للخديوى وكان معه درويش باشا المذكور فرجع الى الاستانة وبقي مع الخديوى الكاتب الثانى

السلطان واشتد المحاسن انكلا تيره على الدولة في ارسال العسكر ولم ترسل الدولة الى أن وقعت عدة محاربات برية كان النصر فيها للمصريين واستولت انكلا تيره على برت س. د. وسائر خراج السويس وكان أكبر العسكرات المصرية في التل الكبير بين القاهرة والاسماعيلية وتضايق الانكلا تير في لزوم قوة كبيرة لهم لانتقام قصدهم لان فرانسما فتح مجلس نوابها للاستشارة في حرب مصر انكلا تير ذلك أشد الانكار فسمحت أسطولها وبقيت على الحيادة والدولة العثمانية وان وافقت أخيراً على ارسال عسكرها لكن تشدد الانكلا تير في جعله تحت أمرهم وأن لا يتصرف الا على فحواشائهم وأن يخرج متى ما أمره بالخروج ألزم تأخر ارساله وكان تصرف العساكر المصرية بغاية الاحتراس من الافعال البربرية سوى ما صدر من افراد من العربان والفلاحين في جهات قليلة وبينما الامر على ذلك واذا بالدولة العثمانية ثمرت اهـ لانا حسب طلب انكلا تير بان عرابي وكل من انفحاز الى خزبه عصاة فلم يرض على ذلك بضع أيام الا وقد انفجرت عرى التعصب المصري ودخلت العساكر الانكليزية الى القاهرة راكبة في الرتل بدون أدنى حرب ولا معارضة مع ان الجيش المصري ومن انضم اليه من العربان وغيرهم المتجاوزون المائة ألف والمجسدين ألف محارب باتم قوات الاستعداد فتفرقوا جميعاً أيدي سباني بضع ساعات وسلم عرابي نفسه أسيراً الى الانكليز فرجع الخديوي الى مصر وأقيم وكيل مدافع انكليزي عن رؤساء العساكر المصرية رآل الامر حسب ارادة انكلا تير ان يحكم بعتاب عرابي لكن الخديوي عفا عنه لانه لم يفعل شيئاً الا عن وفاق من يقبض وأبقى له مرتبة للقيام بنفسه ونفى هو وكبراء رؤساء الى جزيرة سيلان في المنفى وذلك هو التعليق الباطني مع ان خزبا عظيماً من الانكليزيين ان جنانية أولئك العساكر السياسية لا توجب القتل فذلك حكم عليهم المجلس المحرري بالقتل لكن الخديوي عفا عنهم وأبدل القتل بالنفي ولم تزل العساكر الانكليزية مقيمة بمصر ورجاهم السياسيون هم مرجع الامر والنهي والوزارة تحت رئاسة نقيب باشا وناظر الداخلية الذي له كمال النفوذ يا ض باشا وانكلا تير بصدد ترتيب حالة جديدة للسيرة السياسية داخلية وخارجية مصر مع اعلا نهابان مصر تحت سيادة الدولة العثمانية على امتيازاتها المقررة بالفرمانات السلطانية وان الترتيب التي هي بصدد هذا التمس شيئاً من حقوق الدولة ولا معاهدات الدول الأجنبية وتقلص نفوذ فرانسما في مصر ولم تزل غير مسيطرة عليها لانكلا تير يرادها وللروسية ميل الى معاضدة فرانسما وهذا ما وقع الى الآن وهو المحرم سنة

سنة ١٣٠٠ وبه يعلم صحة ما كنا ذكرناه في استيلاء فرانسما على تونس وكتبناه سنة ١٢٩٨ وان يفعل ما يشاء ويختار وله عاقبة الامور

مطلب في السياسة الداخلية المصرية * اعلم ان مصر مملكة عثمانية لها امتيازات خاصة بينها الفرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد رفوق باشا وهذا نصه

الاستور الاكرم العالم الخديوي الانقح المحترم نظام العالم وناظم منازم الامم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متم مهام الانام بالرأى الصائب عهـ مدنيان الدولة والاقبال مشيد أركان السعادة والاحلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكل ناموس السلطنة العظمى المحفوف بصوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر المحاذير لرتبة الصدارة الجلية فعلا والاحمال انيشائنا الهمايوني الموضع العثماني ولنديشائنا الموضع الجيـ مدى وزيرى سمبر المعالى توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأيد اذ قد اذله واقباله انه لدى وصول توفيقنا الهمايوني الرفيع يكون معلوما اليكم انه بناء على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ وحسن خدمته كم وصداقته كم واستقامته كم لذاتنا الشاهانية ولنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا بان لكم وقفا ومعه لومات ناعة في خصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤا لخدمة بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة ولا صلاحتها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضى المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالفرمان العالى الصادر في ١٣ محرم سنة ١٢٨٣ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى كبار الاولاد وحيث انكم كبار اولاد الباشا المشار اليه وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهلها وسكانها اورقاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن أجل مرغوبة وناو مطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العالى الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائرة لها الخديوية المصرية قد عايننا منه الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة صارت بتبديت المواد التي لا يلزم تبديلها من هذه الامتيازات وتأكيدها وصارت بتبديل المواد المقضى تبديلها وتبديلها واصلاحها فقررنا اجراء الا ان هو المواد التي تبنيها ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني وحيث ان اهل مصر ايضا من تبعه دولتنا العلية والخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة الملكية

والمالية والعربية بشرط ان لا يقع في حقهم أدنى ظلم ولا تعدي في وقت من الاوقات
فخديوى مصر يكون مأذونا بوضع النظمات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها
بصورة عادلة وأيضاً يكون مأذونا بتعديل المشارطات مع مأمورى الدول الأجنبية
في خصوص السكر والتجارة وكافة أمور المأكلة الداخلية لاجل ترقية الحرف والصنائع
والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب أو
الاهالى والاجانب مع أمور ضابطة الاجانب بشرط عدم وقوع خلل في معاهدات
دولتنا العلية السياسية وفي حقوق متبوعة مصر اليها وانما قبل اعـ لان الخديوية
المشارطات التي تعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالى وايضا يكون
حائزاً لاتصرفات الكاملة في أمور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بتقديس تقراض من
الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما لا يكون مأذوناً بتقديس تقراض بالاتفاق مع
المداينين الحاضرين أو وكلائهم الذين يعينون رسمياً وهذا الاستقراض يكون منحصراً
في تسوية أحوال المالية الحاضرة ومخصوصاً ما وحيث ان الامتيازات التي أعطيت الى
مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصت بها الخديوية وأودعت
لديها لا يجوز لاي سبب أو وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها أو بعضها أو ترك قطعة
أرض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ ألف ليرة عثمانية
الذي هو الويركو المقرر دفعه في كل سنة في أوانه كذلك جميع النقود التي تضرب في مصر
تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ١٨ ألف لان هذا القدر
كاف لمحافظة أمننا الى مصر الداخلية في وقت الصلح وانما حيث ان قوة مصر البرية
والبحرية هي مرتبة من أجل دولتنا العلية يجوز ان يزداد مقدار عساكر بالصورة التي
تستلزم حالة كبر دولتنا العلية بحاراً وبنات العساكر البحرية والبرية
والعلامة المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونباشينهم وبياح الخديوى
مهران يعطى الضباط البرية والبحرية رتبة الى غاية رتبة أمير الألى والملكية الى
الرتبة الثانية ولا يرخس خديوى مصر أن ينشئ شيئاً فناء مدرعة الابد الاذن وحصول
رخصة مصر بجهة قطعية اليه من دولتنا العلية ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة
الذكر والاجتناب من وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادة السنية باجراء المواد
السابق ذكرها قد أصدرنا أمرنا هذا جليل القدر الموشح أعلاه بخطنا الهمايوني وهو
مرسل محبة افتخار الاعالى والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم على فؤادك باشا كاتب
المباين الهمايوني ومن أعظم رجال دولتنا العلية الحائز والحامل للنباشين العثمانية
والجديدة

والجديدة ذات الشأن والشرف حرر في تاسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من
هجرة صاحب العز والشرف

وبهذا تعلم أصول الحالة التي عليها حكومة مصر (أما) كيفية الادارة فلما قدمنا في
النار مع لا يتيسر لنا التصريح بالحقيقة التي يرسي عليها الحال لانها غير متقرة كما علمت
وانما نقول انها الآن لها خديوى بتصرف بواسطة الوزير اعلى نحو القاعدة الأوروبية
وماعداهـ مذاقهم وموقوف الى الآن وهو سنة ١٣٠٠ ومن الجب ان بقى الحال
هكذا على غير استقرار وكل حين يسمعونهم يريدون ان ينشئوا أساسات للادارة ولم
تظهر لوجود مع شدة النشك من الاهالى من الحالة لراهنه التي ما لمساعدتهم العلم
بجميع الامر وعدم تعيين المتصرف رسمياً وان القوة الحربية بيد الانكليز وهم
أصحاب النفوذ لكنهم مصرحون بانهم لا يتصرفون في الادارة وانما راجع الى
الخديوى وحكومته وهؤلاء أيديهم قصيرة اذ كل شيء مرجعه صاحب القوة لا سيما بعد
ان استعفت وزارة شريف باشا وتولية وزارة نوبار باشا الذي علم ان الاما من منجارية
القوى مع تفاقم الثورة في السودان التي كانت ابنة ذات أو انحرمة اسمعيل باشا بسبب
تعدي المأمورين على رجل منسوب للصـ لاجـ يسمى محمد أحمد كن شيخ طريقة وله
اتباع فغارت منهم اتباع طريقة أخرى فاغروا بهم عامل تلك الجهة وهي دارفور فارسل
اليهم بعض اتباعه فخالقوهم وقهرهم وتكرروا ذلك وكما ارسل اليهم قوة كسر وها
فصل لمجد أحـ دشيرة الى أن ادعى المهدوية وكانت الاعيان والامراء من السودان
في حرج من ادارة المصريين فانضموا اليه بتدبيرهم واموالهم الى ان استولوا على أغلب
السودان المصري وكسر والمصرعـ مدة جيوش عظام أحـ دهـ شـ لـ أز يد من عشرة
آلاف قتلوهم عن آخرهم واسـ تولوا على مهماتهم وفي اثنائه ذلك دخل عـ كـ
الانكليز الى مصر فاعلمت انكلا تيره بفصل السودان عن مصر واستقلالهم بامرهم
متعلقة بانهم لا نفع فيهم للحكومة مع ضيق مالها عن الوفاء بمهمهم وكان ذلك سبب استعفاء
وزارة شريف باشا فتمسك بان ذلك لا يصح بدون أمر الدولة العثمانية المسـ لم لها
السيادة ولضرب مصر أيضاً يمكن انكلا تيره أصرت على رأيها وأولت نوبار باشا
وقائدها من ذلك هي تضعيف مصر واستقالة السودان بموافقتهم اليها لكنهم كانوا أشد
عليها عما كانوا مع المصريين فارسلت اليهم انكليزياً كان مع امراهمـ مـ يـ هي غردون
كان متولياً كما عايناهم مدة اسمعيل باشا فاول تسكين ثورتهم فلم يقبلوا منه صرفاً

ولا عد لا قنصن ببلاد الخرطوم وطالب القوة من دولته وكانت الوزارة اذا ذاك يوم مدخوب
الحرية فاطهر وامن التناقض في القول والعمل ما يتوجب منه في ارسال القوة وأمرها
بالقدم تارة وبالتأخر أخرى الى أن فتح السودان الخرطوم وتم لهم جميع أمر السودان
وحصل من مجموع الامور الحالة الراهنة في تخضرم الامور وكثرة التشكي من الادارة
التي هي على غير أساس فعقدت انكلا تيرة التي زمامها حكمة ذبيد خرب المحافظين
اتفاقا مع الدولة العثمانية هـ ذانص تعريبه (أولا) ترسل كل من الدولة
العثمانية وان كاترانه دوبا عاليا الى مصر (ثانيا) يتدبر المندوب العالي العثماني
متفقاً مع حنا ب الخديوي أو مع من يعينه هو له ذالغرض المبين في الوسائط النافعة
لتسكين السودان ويتفاوض الأموران والخديوي في جميع التدبيرات التي يمكن بها
تعديل الاحوال المصرية عموما ويكون اجراءها برضاء الجميع (ثالثا) يباشر المندوبان
العاليان ومعهم الخديوي اصلاح وترتيب العساكر المصرية (رابعا) ينظر المندوبان
العاليان مع الخديوي في جميع فروع الحكومة المصرية ويمكن لهم أن يدخلوا
التعديلات التي يرونها لازمة في كل ما هو داخل في دائرة الفرامين السلطانية (خامسا)
يقع الاعتراف من طرف السلطنة العثمانية بجميع المعاهدات العمومية الاجنبية التي
عقدت مع الحضرة الخديوية وذلك اذا لم تكن مخالفة للاميازات المضمنة في الفرامين
السلطانية (سادسا) عند ما يرى المندوبان العاليان ان هناء الخديو واستقر
وصارت سيرة الحكومة المصرية مستحسنة وأمرها راسخا بقية دم كل منهما تقريراً الى
دولته ليعقد الاتفاق باخلاء العساكر الانكليزية بالبلاد المصرية في وقت مرضي
(سابعا) يقع امضاء هاتيه المعاهدة في ظرف خمسة عشر يوماً وتكون مبادلتها مضمضة
في القسطنطينية اه وقدم المرخصان المشار اليهما في الاتفاق وعند وصول المرخص
العثماني وهـ ومختار باشا احتفلات به الحكومة ازيد من احتفالها بالمرخص
الانكليزي الذي كان سبق صاحبه (وأما) الاهالي فاحتفلوا بالثاني فقط وعند ملاقاتي
معه للسلام مع جمع من الاعيان أنشدته هذين التارخين أولهما

الى الخليفة نهى دام منتصرا * قد احتفلنا ههنا أرخ بمختاركم

وثانيهما بشرى الهنا لموم أهل المصراذ * اصلاحتها أرخ بمختاركم
وبقي المرخصان بمصر وهما مباحثران الا أن لانظر في الاصلاح وتأسيس الادارة على
أصول راسخة فهذا ما وقع الى نارنج طبع هذا الحل وهو ربيع الثاني سنة ١٣٠٣

مطالب

مطالب في السياسة الخارجية * الأسباب التي بينهاها في إهمام الداخلية هي بعينها
جارية في الخارجية والامور بيد الانكليز وجميع الدول مسجلة بذلك الا فراسا
فمصرحة بالاعتراض وبمقتضى ما ذكرنا في سلطنة فرانس على تونس يظهر ان رجحان الانكليز
يتم في مصر سـ بما واهم متخذون طريقته في جلب الاهالي اليهم قلبا وقالباً بما عاينهم
لحريةهم وسائر عوائدهم وأصولهم كما هو يدبرهم في المال التي لهم فيها النفوذ لكن
الاهالي مصريون على المنفور لان التصرف الانكليزي كان في مصر على صورة لم تعهد
من أحد قط لانهم في الرسم معانين بانهم لا يأخذون مصر ولا يجعلون لها تحت جانيهم وفي
نفس الامر القويديدهم ولا يصدر شيء الا عن ارادتهم الى أن حصلوا على الاتفاق المار ذكره
في المطالب السابق مع الدولة العلية فحينئذ صار لهم حق المداخلة برضاء صاحب الحق
اقناعاً للدول لان بعضهم وهي ألمانيا أشارت بالتعريض مصر على انكايته بتصرفها
بالاستيلاء على مصر والنظام موافقة لها وايطاليا كذلك مع مزيد التحام بانكايته في
المساعدة حتى أدخلت عساكرها الى مرسى مصوع وأعانت بالاستيلاء عليها لكنهما
لاتمس حقوق الدولة العثمانية وهو كلام لا يعقل ولا مفهوم له الا عدم التصريح
بالاستيلاء وأغرب من ذلك ان الدول أجابوا الدولة العثمانية لمطالب منهم التدخل
مع ايطاليا في حقوقها حقوق الدول بانهم لم لا يتدخلون حيث صرحت ايطاليا بمراعاة
حقوق الدولة (وأما) الروسي فلم تبد عمانية ولا موافقة (وأما) فرانس فكانت مما نعت
للانكليز لكنهما منذ رأيت الدول الكبيرة موافقة على نحو ما رأيت وقد تكفلوا بان
تكون عليهم جميعاً كفالة قرض الى مصر قـ مدة تسعة ملايين ليبره ومع ذلك كله فان
الانكليز امتنعوا من الاستيلاء الرسمي أو وضع الحماية كذلك بل حتى من كفالة القرض
المنكوز وحدهم لخوفهم من كونهم اذا فعلوا ذلك فتحو ايا بالدول في اضرار بالدولة
العثمانية ويرجع ذلك الى عدم معرفة ما تأخذ كل دولة وترجع به ميزانها فربما رجوا
على انكايته ولذا لك مالت الى ذلك الوجه من التراضي مع صاحب البلاد وكان لها
وحدتها حق برضاء لعلها تتخلص من اضرار الدول بالدولة العثمانية الا انهم ابا بالضرر
أيضاً لكن الاساغة الى الطليان في الاستيلاء على مصوع مع تلك الدعوى التي أقرت
الدول بانها كافية في اقناع الدولة العثمانية هـ لي يبقى معه الدوا الذي ارادته انكايته
وهو ان تداهم اليه يكن الا بالرضى الظاهري فان كل دولة يسوغ لها ان تستولي على بلاد
الانحرى وتقول لها انها لاتمس حقوقها والكلام وحده سهل فالحاصل ان السياسة التي

وقعت من الدول في مصر وبالخصوص من الانكليز امرها عجيب واختراعها غريب
ولله فيهم علم غيب هم صائرون اليه

مطاب في بعض صفات وعوائد المصريين * أما أهل مصر الاصلية فهم مختلطون من
العرب الفاتحين وابناء القدماء المعروفين بالقبط وابناء الروم الذين امتلأوا مصر فحو
الستة مائة سنة ولون الجميع اسمر الا قليلا من ابناء الترك والمغاربة وغيرهم من الوافدين
الى هناك ولهم حسن اخلاق وظرافة وبشاشة في الخطاب واذا احتدت نفوس الرعاع
للخصام تراهم بذى اللسان لهم مهارة في اصناف السب حتى اذا بلغوا الى حد التضارب
قال احدهم للصاحبه (ما علمت) فتساحوا وعادا الى المصافاة ومن اخلاقهم حب
السمع لا كمنهم اختصوا بكثرة اظهار استخسانه بالتأوه مع رفع الصوت ولا يتحاشى من
ذلك حتى بعض اعيانهم بل انهم يستأجرون اناسا مدين لذلك لكي يصرخوا بالتأوه حتى
تجيب اصواتهم صوت الموي سقى والمغنين وتغنى الحصة كلها هكذا ومن عاداتهم
احضار قراء القرآن في بيوتهم ليلا لئلا تلاوة بالانعام ويعطونهم اجورا على ذلك بل من
الغريب ان بعض القبط ايضا يفعلون ذلك ومن عاداتهم في السلام انه اذا دخل الداخل
يقف له جميع الحاضرين فيدشرب يده للسلام هاوياهم سافحوا الارض ويرفعها الى رأسه
فيحيبونه بخوذلك ولا يقع منهم التقبيل الا ليد العالم على ظهرها او القاد من سفر يقبل
في كنفه وسلامهم مع الامراء والكبراء هو بالاشارة ايضا لكنه فيه تعظيم كبير بان يدخل
الداخل قابض يديه الى صدره ويقرب خطاه منه كساراسه مجللا بالخطا حتى اذا لصق
بالرئيس هو الى الارض كأنه يريد تقبيل رجله او ذيل سترته ويمسك الذيل ثم يجعل
يده على فيه ثم جميعه والمتواضع من الكبراء المسلم عليهم يضم ذيله اليه كأنه يمنع من
ذلك ويقول استغفر الله استغفر الله وغيرهم لا يفعل ذلك لكن أكثرهم متواضع وكلهم
يقفون للدخل كبيرا كان أو صغيرا الا الحقيير بالمرّة مع العظيم جدا ويتكرر الوقوف
الى الدخل مهمات تكرر دخوله الا اذا كان خادما أو صاحب شغل وأكثر كواب
المصريين على الحجير الا العرب فالحيل وتوجد في المدن الجبلات للركوب على انواع شتى
وسائقوها أسوء اخلاقا من أمثالهم في سائر البلاد وان كانوا في الجميع غير مستقيمين واذا
ركب أحدا لا عيان بحلة جعل أمامه رجلا يركض وهو لا بس لباسا مزركشا ويده
مصاصا وباله وهو في الرجل ويصيح بالمسارين ليستيقظوا للجهلة وما أصبرهم على الجري
وما أجراهم حتى اذا خرجوا من البلاد وقفوا وذهبت الجهلة فاذا رجعت الى البلد رجعت

جاء

جاءا امامها والمصريون أهل جد وكفى أشغالهم لا يعملون الى البطالة بل يقبلون على
أشغالهم من غير فتور ويوجد عندهم السؤال المحنون المخفون حتى انهم اذا رأوا من
أعطى سائلا يكادون أن يسلموه نسيابه غصبا من الخساح بل ربما أضروه في بدنه
فالاصلح بالانسان ان لا يعطى الاسر المن يعلم حقيقة محتاجا اذا السؤال صار صناعة لتلك
الفرقة ولهم رؤساء وعاليم أداءة قدر ولهم وقائع عجيبه في الغنى وكنمائه فقد ذكر لي
ثقة انه في حدود عشرة السبعين من القرن الثالث عشر كان أحد الشحاتين مارا في الطريق
فسقط منه كيس وكان يمرأى من أحد الضابطه فابقطه لذلك فلما علم به انه ضابطى انه كبر
ان يكون الكيس له فالح عليه الضابطى وآل الامر الى المشاحنة حتى بانخ الى رئيس
الضابطية فامر الشحات باخذ كيسه الذى وجد به عدد كثير من الايرات الذهب فامتنع
وانكر ان يكون له حتى جالده رئيس الضابطية جلدا وجميعا وهو مصر على انكاره فاطاق
سبيله وجماله شيخ الشحاتين ودواؤه من ضرب به وشكر صنعه كل بنى جنسه وأدوا له جميع
ما خسر في الكيس وزيادة لانه لم يظهر عليه م أثر الغنى لكي لا يحصل عليه م ضرر
ولكي لا تقسى عليه القلوب ولهم وقائع كثيرة من هذا القبيل مع أباد وصنوف في الخساح
والتضرع تقبى القلوب ولم أر في البلاد مثلهم قط ويغلب على الجميع الوسخ في الثياب وفي
البيوت والديار الابعاض الايمان ومن فحائل الخوالا فرنجى واكثر ذلك في الفلاحين وأصحاب
القرى بل ان هؤلاء لا يستحيون من كشف العورة نساء ورجالا (وأما) أهل النوبة وبقية
السودان والعرب فقد تقدم في التاريخ أصلهم وأما عاداتهم فالسودان وان كانوا قريبي
الطبع من الهج لكمنهم أحذق أنواع السودان وأقربهم للتمدن سيما من خالطوا العرب
فكانوا مثلهم وأما العرب فهم على نحو الصفات التي ذكرناها في عرب تونس ومن عادات
الجميع ان مبدأ توقيت الساعات عند الغروب فيجبون اذ ذلك عقارب الساعات في
الساعة الثانية عشرة وهي مبدأ الحساب عندهم وما يقابلها من الاثنى عشر ليس لها
وقت معين بل هي على حسب ما يصادف وهذا أول رؤيتي لذلك وعليه عمل جميع الجهات
الشعرية (أما) جميع الاقطار التي مر ذكرها كلها فانها تعدل على الزوال أى الزوال هو
الساعة الثانية عشرة وتنتهى الى نصف الليل فتبتدى الساعات الاثنتا عشرة التي هي تمام
الاربعة والعشرين ساعة المقسم عليها الليل والنهار ولا شأن باعتبار الزوال أصح في
التأقيت لانه لا يختمق عن زمنه سواء طال النهار أو قصر بخلاف الغروب وذلك لان
الزوال عبارة عن توسط الشمس في قوس النهار وخط نصف النهار يقسم جميع أقواس

النهار بالسواء أعنى أقواس طوله وقصره فلا يختلف الزوال عن وقته بخلاف الشروق والغروب لأن الشمس تنقل عن محلاتها كل يوم وبذلك يكبر قوس النهار أو يصغر فتجد الغروب دائماً مائة قدما عن زمنه بالأمس أو مائة أخر عنه حسب سير الشمس في طول النهار وقصره بحيث أنك إذا حرت الحساب تجد من زوال يومك إلى زوال غده أربعة وعشرين ساعة تامة وإذا حررت من الغروب إلى الغروب القادم تجدها أربعة وعشرين ساعة إلا دقائق في أوقات زيادة النهار في القصر أو أربعة وعشرين ساعة ودقائق زائدة في وقت زيادة طوله لا كمن كان عد دول المشرق بين عن الناقص الذي لا يختلف هو محاذة الشرع في اعتبار مبدأ اليوم من الغروب وإن لم يكن بينهما التزام مطاب في الأحكام بمصر **م** الأحكام بها الآن على ثلاثة أنواع (النوع) الأول الشرعي الإسلامي وهو في كل ما يرجع إلى الزواج والطلاق والوقف وغيره مما يرجع إلى أحوال الديانة في المعاملات وهذا كله قضاة ومفتون على المنهاج الشرعي وإن أحدث فيه مصر أرى يأخذها القاضي على الدعاوى مع بعض عوائد نجف بالخصوص مما أوجب التشكيك من ذلك والنوع الثاني بقية المعاملات بين سائر الأهل إلى لها مجالس سياسية (ومنها) الضابطة تحكم بحسب قوانين سياسية موافقة للشرع غالباً وتارة يحكم المحاكم باجتهاده كما في سائر الاقطار السودانية والنوع الثالث المعاملات التي بين الأهل إلى والأجانب فلها مجالس مختلطة من سائر الأجانب يحكمون بقانون علة إلى ملائم لعادات القطر وعلى الأجمال فاهل مصر لهم الحرية الشخصية فيما يرجع إلى الديانة وشعائرها حتى صارت المنكرات جهراً ولا يقدر الأب على منع ابنه من مثل ذلك بالحكم إذا بلغت سنائة لوماً أمابقية الحرية الشخصية وهي أمن الإنسان على نفسه وماله وعرضه إلا بحق فهذا كله موجود في العموم لكن إذا أراد الحاكم المخالفة فالحيل ممكنة وأما الحرية السياسية وهي مشاركة العامة للحكومة في الرأي فالتحقيق أنه غير موجود وإن كانت الصحف تنكح في السياسة لكنها مخصوصة بالسياسة الأجنبية أما القيد في تصرفات الحكومة فهو ممنوع نعم لبعض الصحف المستند أصحابها على خصوصيات معينة القيد في سيرة بعض أفراد النفقة خاصة والأمر موقوف على ما يستقر عليه الحال من الترتيب السابق ذكره في أحوال السياسة

م مطالب في تجارة مصر **م** التجارة بابها متسع جداً في السلع الوطنية والمهندسية والسودانية والأروبية وأغلب الأروبية في بلاد الأجانب (فاما) غيرها فبيد الأهل إلى

ولهم براءة في الأكتساب ولا كنهم قليلوا الأسفار فلا تكاد تجد منهم مخرج عما كنهم إلا النادر وكل من أقام بمصر من الغرباء ربح الربح الحسن من التجارة لأن محصولات الاقطار كثيرة فيخرج منها أنواع كالقمح والشعير والفول والتمر والعسل والذرة والارز والسكر وهو جيد كثير وقصبة والصمغ وفيه أنواع شتى والقطرون والصوف والافيمون والعصفر والجلود والمخصر والقطن وهو الغالب وفيه أنواع جيدة وبزره وكذلك سن الفيل وريش النعام والمنسوجات الكمانية وغيرها وهذا كله يصدر منها أما الداخل إليها فأهمها الجوخ أي الملف والخبر والشاشية والزراحي على أنواع والاختشاب للبناء والوقد والعنبر والنقل كالغزدق والجوز والاشربة والبن والصابون والدخان والورق والشمع والزجاج والنحاس وغيره من المعادن مصنوعة وغير مصنوعة والفرش الصوفية وغيرها بحيث أن مصر مسابقة لأروبا في الغنى بالتجارة وأنواعها مختلفة منها ما هو على النحو الأروباوي كالتيارة في الرقاع الدولية والتجارية ولها مخرج عظيم في الاسكندرية وكذلك البريد فيها على غاية الانتظام برا وبحراً خاص بالحكومة وتأتي إليها أيضاً برداً جنسية بحيث لا يخلو يوم من ورود بريد إليها من الاقطار مع السفن التجارية الكثيرة ومنها ما هو على النحو البربري من التجارة في القوافل إلى دواخل السودان والصحرى وأهمها القوافل السنوية وهي قافلة دارفور وقافلة الحبش وقافلة فزان وكل منها تاتي بتجارة ما والاها من دواخل إفريقيا ولو زاد تسهيل الطرق والاعتناء بها في السودان لاستغنت عن الخارج وزادت ثروتها للنهاية فإن في السودان كنوزاً كثيرة ودونك قيمة قوة التجارة مع الممالك الخارجية لتعلم منه ما يفضل سنوياً من المال في المملكة

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٦٠ قيمة الساع الخارجة فيها

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة السلع الداخلة سنة ١٢٨٩ نفوفرنك

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٠٠ المفاضل

فلولا قايض الدين الاجنبي الذي يخرج سنوياً إلى أوروبا بحيث كان أغلبه بيد الأجانب لمكان يبقى سنوياً في مصر ما ثمة مليون فرنكاً ولكن مع ذلك أيضاً فلا أقل أن يبقى فيها خسون ما يوتنا كل سنة هذا فضلاً عن حركة التجارة في داخل المملكة وبين أقسامها **م** مطلب في الصنائع بمصر **م** عنصر الصنائع مخطط بها نسبة لتقدمها وإن كان بها بعض المنسوجات الحربية والقطعية وغيرها كالفتخار والتجارة حتى في السودان لكنهم متأثرون

عما يجب لها نعم ان الفلاحة من الصعيد الى نهاية بحر - رال روم هي في غاية التقاد - دم
وللفلاحين معرفة جيدة بكيفية رى الارض حتى بالآلات البخارية الرافعة للآلات من
الذبل والترع وبكيفية ائارة الارض وتعميرها فلهم اليد الطولى في ذلك وترى الفلاح
بنسائه وبناته يشتغل آناء الليل وأطراف النهار وأصحاب الفلاحة من الاعيان لهم
منازل في اراضيهم لمباشرة الاعمال ولهم ثروة عظيمة من ذلك أما أنواع الفلاحة
فهى زراعة القمح والشعير والبول والعدس والحص والترمس الذى يتخذ منه الاشنان
والكتان وخس الزيت والحلم لساقيهم - مامن الزيت والبرسيم والجبلان والبله
والحلبة والقرطم وهو حب العصفور والخشخاش والخردل وغير ذلك من الخضروات
والحبوب والقطن على أنواع لذاته ولزهره يخرج منه زيت للصابون والتدبير
وكذلك قصب السكر الرفيع ويزرع أيضا التبغ المستعمل للندخين والبول السمارى
في كل من السودان ومصر وهو صالح للاكل ويستخرج منه زيت جيد لذيد لارائحة
له ولا طعم واذا شعل ليس له دخان مثل غيره (وأما) الاشجار فلا يكثر عندهم الا النخل
في جميع الجهات والزيتون استنبت لكنه ردى في الزيت - لكنهم لهم حبوب أخرى
زيتية كالسمسم والخروع غنية جدا (وأما) البردقان والليمون فهو قليل والموز كثير
فيلذذ وعندهم شجر الدوم الشبيه بالنخل وكذلك الاهليج ويزرعون الزهور الطيبة
مثل الورد والياسمين وغيرها والاشجار الغير المثمرة قليلة كما تقدم تفصيله في التعريف
بمصر وأيضا قد وجدنا أنواعا من الصنائع سميها التي تمس اليها حاجة الحكومة
فتقدم فيها الاهالى كصناعة الاسلحة والبواخر وتوجد معامل للحكومة منها نحو عشرين
للسكر متقنة ومعمل آخر لسبك أحرف الطبع وتجديد الكتب ومعمل للسلاح وآخر
لصفن وحوض لها وآخر للجوخ وآخر للديج وآخر للورق وكلها على النحو الاروبوى
المقن ويمكن أن تقوم بنفسها من الاهالى حتى في صنع المدافع والبنادق من الطرز
الجديد وللا اهالى أيضا عدة معامل في صنوف شتى (وأما) الجهات السودانية فكثير من
أراضيها وان كانت صالحة للزراعة لكنهم بها لولون بها فلا يوجد منها الا القليل حول
المدن واشتغلهم انما هو برعى الغنم والحيل والابل وصيد الوحوش النافعة للتجارة
كسفن الفيل وريش النعام وجلد الاسود والنمر وتحصيل الذهب من معدنه الملقى
بالطبع كالنمر من سنار والصحراء وغيرها

مطلب في المعارف بمصر في العلوم الشرعية كلها نافذة في القاهرة وكفى بالجامع الازهر
مدرسة

مدرسة للعلوم عامة فقد دخلت اليه ووجدته يزار ويوج بالدروس والتلامذة ولهم
طريقة حسنة في سرعة ختم الكتب اقراء بحيث ان كل كتاب لهم فيه مدة معينة
لا يسوغ مجاوزتها ولا يخرجون في التقرير عن الشارح والحاشية المعينة للقراءة ووجدت
عندهم اعتناء في الاقراء بالخواشى بحيث لا يقرأ كتاب بلا حاشية معينة يتفق
عليها الشيخ والطالبة ولهم اصطلاح في الاوقات للعلوم مثلا الصباح كله الى
الزوال للعلوم العقلية كاللغة والحديث الخ والمساء للعلوم العقلية كالنحو والبيان الخ
ويقرأ فيه المذاهب الاربعة ولا زهر شيخ ذو مثل شيخ الاسلام له النظر على سائر العلماء
وتوظيفهم وكثير من التلامذة يقيمون بالازهر في روافق خاصة وتحت وصحن المسجد
ملاز بالتلامذة المطالعين والحافظين للنتون وغيرها وفي كل من الاسكنة درية ودمياط
وطنطا جوامع حافلة بالعلوم الشرعية وفي بعض مدن السودان أيضا مثل سفار وهرر
كذلك ومن عاداتهم جميعا في الدروس التطويل حتى يماغ الدرس الى ثلاث ساعات ولا أقل
من ساعة ولذلك كان للتلامذة الاطلاق في هيئة الجلوس بل حتى ينسكبون على جنبهم
ووجوههم وياكون وينامون وهم في الدرس (وأما) العلوم الرياضية فلها مدارس
عديدة منها للابتدائيين ومنها للانتهائيين جامعة لتعلم اللغات كالتركية والفارسية
والانكليزية والفرنساوية ولتعلم الطب والهندسة والحساب والجبر
والهيئة والفلك والطب والتشريح العلمى والعلمى والكيمياء وتركيب الادوية
وسائر العلوم ومعلومهم من الاجانب والاهالى وفي المدارس سائر الآلات والكتب
المحتاج اليها ومنهم ما هو مجسانا ومنهم ما هو بالاجرن التلاميذ ومنهم المقسم ومنهم المتعلم
فقط وكذلك المدارس الحربية وهذا كله خاص بالقاهرة وتامها السكنة درية (أما) بقية
البلدان فلا يوجد بها الا المدارس الابتدائية في بعض مدن والبقية انما يوجد بها
مكاتب للقرآن والخط وبعض من العلوم الشرعية في بعض من الجوامع يمكن ان توجد
بالدة ولوقر بة صغيرة بدون مكتب وقد أخذت هاته المكاتب الابتدائية في التحسين حتى
شملت تعلم مبادئ الحساب والعمادات والعقائد ورأيت في جغرافية في كبرى احصاء في
سنة ١٢٩٢ لحوال المعارف دونك خلاصته

تلامذة	مكاتب ومدارس	معلمين
١٤٠٩٧٧	٤٨١٧	٦٠٤٦
ولاشك ان العدد تزايد من ذلك النار بج فلا شك انها في غنى عظيم بالمعارف والعلوم		

النهائية الرياضية يكون تحصيلها في الممالك الأوروبية ورأيت من تلامذتهم في باريس واندرو وجنيف وغيرها ورأيت في مصر وبواخرها سائر العالمين والرؤساء من الاهالي والاجنبين متوظفون للضرورة بل لدواعي آخر ولهذا وقع التشكي المشار اليه في بحث التاريخ وقد كثرت المطابع وطبعت فيها الكتب بما جعل سائر المسلمين ممنونين لهم وكذلك كثرت الصحف الخيرية يومية وأسبوعية لكنها في الحرية على حسب حالة الحكومة

يطلب في هيئة المساكن البناء الجيد كاه على النحو الأوروبي ظاهره وباطنه سيما محلات الحكومة ورجاله (وأما) الابنية القديمة والمعمدة لاهالي فليست بحديثة الظاهر بل انه لما كان الطين الذي يبنون به مسودا من أصل لون التراب ولا يضعون فيه الجير الا قليلا حيث كان غاليا ولا حاجة اليه لقله المطر وانعدامها عنه دهم ثم انهم لا يطلون ظاهر البناء على الطرق ولا يبيضونه فصارت منظره بشعا وان كانوا يتأثقون في الرواشن الخشب بالنقش والهيئة لكنهم أيضا لا يصبغونه فيكون لونه مكدرًا وصورة عموم الديار ان يكون فيها دهايز ووسط غير مسقوف يحتوي على بعض بيوت مجلوس الرجال والضيوف ووضع بعض المرافق ومحل لغسل الثياب والطبخ محجوز للنساء كل ذلك في الطبقة السفلية ثم باب ودرج في الغالب غير حسنة يتوصل منها للطبقة العليا فتجد فيها عدة بيوت أغلبيتها مائل الى التبريع وبكل منها طواقي للضوء والنظرة ثم هل أيضا كنيافا لوعته مكشوفة وغالبًا تحصل منه راحة كريمة وغالبًا تكون البيوت والدرج غير مبطنة ويسكنون عن ذلك بفرض الحصر والزراعي في البيوت ويجعلون عليها للجلوس امامها طاب من خشب أو تبن وعليها مقاعد محشوة قطنًا وعلى الابواب ستارات ليست باينة وانما هي من منسوجات القطن وحول المقاعد مكثات يابس محشوة تبنًا وعليها أنظر يفة من القطن ولا يزيد البناء على طبقتين غالبًا أو اما الاعيان فتكون ديارهم على ذلك النحو لكنها أكبر وأنظف وأزاد طبقة ثالثة الى السابعة في القديم والمفروشات تكون حريرية وصوفية جميلة مع تزيين البيوت بالمرائيات والساعات والادوات الصدفية والذهبية والفضية على حسب الرفاهية ويكون في الطبقة السفلى التي للرجال دواوين كبرى وفي أطرافها دكة من البناء عريضة للجلوس عليها والجميع مبط بنحو الرخام والكذلك وعند الجميع فرش النوم عدة فرش محشوة قطنًا أو صوفًا خفيفة يوضع بعضها فوق بعض من اثنين الى ثلاثة توضع ليل لاعتد النوم وتسوي بالوسادات والالحف

وتارة

وتارة يوضع عليها ناموسية ثم يرفع جميع ذلك صبا حوا ويوضع في خزائن في البيت معدة لذلك ويبقى البيت للجلوس فليس لهم فرش دائمة ولا مكان خاص بالنوم وخدمتهم من ذلك في تعب كبير وتلك العادة جارية عند جميع المشرقيين فيما رأيت من البلدان لكن من اتخذ ذلك تقليدًا لأوروبا وبين صارت بيوتهم وديارهم ومفروشاتهم ونومهم كاه على نحو ما ذكرنا في بلاد أوروبا ومما تعجبته منه في مصر رؤيتي للزراعي مفروشة وغير ذلك مما ذكرناه مما يزيد في الحر مع ان قطره م حار وكان الاولى به الرخام والزليز وغير ذلك مما يبرد المكان ويروق هواه لكنني لما تذكرت قاعدة الناس على مذهب أمرا ثم زال عني التعجب وذلك ان أمراء مصر منذ مدة طويلة وهم من الترك وهؤلاء بلادهم باردة فيروا في مفروشاتهم على ما اعتادوه في بلادهم وقادتهم الاهالي وحتى العائلة الخديوية الآن لم تنزل ناهجة منهمج شارة الترك واصطلاحهم بحيث لا يشك الراي انها قدم من الدولة التركية لما يرى من أسلوب جميع حركاتهم وهيئتهم هذا (وأما) الطرقات فالجديد منها متسع عظيم في العجلات القديمة في ضيق عظيم لا يكاد يتخلله الهواء وكلها غير مبطنة الا اسكندرية لان المطر قليل التزول عنه دهم أو هفقود الا في اسكندرية وفي كل بلاد نظارة لنظافة الطرق والتنوير لا لتحسين البلاد على حسب التيسير بل ليرذل الميل متعاديًا في توسيع الطرق ومصيبة ضيق الطريق عامة في سائر بلدان المشرق التي رأيتها وكان ذلك في الاقاليم الحارة لشدة الحر فاذا ضاق الطريق لا تنزل الشمس الى الارض لارتفاع الابنية فيقل الحر فوعا ما يمكن ذلك مضر بالهيئة لصعوبة تخطي الهواء وكثرة الهمى ومخالف للشمع أيضا لان المشرق في الطرق ان يكون عرض المعتاد منها سبعة أذرع والطريق العام اثني عشر ذراعًا والبطحاء التي من المشرق أيضا ان تكون أمام المسجد تكون ستين في ستين كما نص على ذلك في الفقه والسيرة وصرح به مكتوب الخليفة الثاني سيدنا عمر رضي الله عنه الا سمر برسم الكوفة وما ذكره ان لا تزيد طبقات دورها عن طبقتين والوجه في ذلك هو ان الدار اذا اشتهت على أكثر من طبقتين سكن بها أزيد من يسكن في طبقتين فتصغر الباطن مع انها بلاد اسلامية منشأة في وجه العدو فالاصح تكبيرها وأيضا فساد الهواء من كثرة الاجتماع في محل واحد حتى المساحة اذا كان ذات طبقات كثيرة وأيضا تعب الساكن بكثرة الصعود وأيضا كثرة التعب والاسراف في مصروف البناء اذا عالت الطبقات لان المصروف في الطبقات العليا أزيد بكثير من الطبقة السفلى لما يحتاج اليه من كثرة العمالة وأيضا فيه نوع من الكبرياء

والتي بها المنى منه شرعا وعلى هذا فاضيق الطريق قبيح شرعا وعقلا وحر الشمس يدفع بها
يحمل من المظلات والسقوف كما هو واقع في عدة جهات من مصر في الاسواق بل وفي
الطرق أيضا من سقوف خشبية بعضها محسن وبعضها ليس فيه الا دفع اذابة
الشمس والطرق في القاهرة ترش بالماء عدة مرار في اليوم حتى يحصل فيها نوع طين
والطرق الجديدة العامة كلها محصية الارض وحواليها الاشجار المظلة والقليل من
الديار بها جنينات وبها ماء النيل جار في القنوات والغالب ان يأتي السقاؤون بقرب أو
براميل من ماء النيل غير المصفى ويخزن في الديار في جرار كبيرة وكل دار لها عدد معلوم يأتي
لهما السقاؤون من معين

مطلب في اللبس بمصر (أما) لبس رجال الحكومة العادي والرسمي فهو على النحو
الافرنجي غير ان الشارات والعلامات هي تركيبة صرفة حتى الشاشية والسترة والنيشين
هي ذات العثمانية باسمائها (وأما) لبس الرجال فاهل المدن الاعيان يلبسون قميصا
وسراويل واسعة يربطونها تحت القميص ويسدلون القميص عليها وهو طويل الى نحو
نصف الساق ويلبسون عليه صدرية مقفولة الوسط بعقد وفوقها قفطان طويل الى
الكعبين ويدها تصل الى اصابع اليد ويطبقونه على صدورهم ثم يتخزمون عليه بحزام
ويلبسون فوق جميع ذلك جبة طويلة أيضا الى حد القفطان ومقدمها مفتوح الى الاسفل
ويدها ضيقة تان الى أسفل المرفق والجميع من الحرير من المنسوجات رقيقة وعلى رؤوسهم
شاشية تونسية وعمامة قليلة الطول ملفوفة على نحو العمامة التونسية وهو لباس العلماء
وكبرائهم يزبدون فوق الكل جبة واسعة جدا وواسعة الاكمام أيضا وبعضهم
يلبس العمامة عوضا عن الجوخه والقفطان (وأما) الاواسط وبعض التجار
فيلبسون القميص من أسفل وفوقه صدرية مثل السابقة وقرمصة أي صدرية غير مقفولة
ومتان يصل الى الحزام وسراويل واسعة جدا طويلة الالية الى الارض اسود اللون
ويتخزمون به فوق القميص وعليه خوام والجميع من المنسوجات الرقيقة المخيطة والزينة
مخبوط من الحرير حتى تصير كلها مزينة وفي الشتاء يلبسون فوق ذلك كبوطا من الجوخ
يصل الى الركبة وعلى رؤوسهم شواشي تركية وحدها أو معها عمامة هندية مطرزة
بالحرير (وأما) الاسافل والخدمة فيلبسون من الشكل الاول الى القفطان وفي الاكثر
يكون من قطن أبيض وعليه بنطلون افرنجي وشاشية تركية أو تونسية والفلاحون
وأهل القرى يلبسون قمصا زرقا وعراقية ليس الا ولا يلبسون في أرجلهم شيئا
(وأما) بقية الاصناف فيلبسون الاحذية على أنواع شتى من الأنواع الافرنجية أو نوع

من الحذاء أجزءه بالقدم عال ومن جهة الاصابع يكون مخروطا منحنيًا مخروطة الى أعلى
(وأما) النساء فالصنف الاسفل يقتصر على القميص ولا يتستر في الطريق بل رأيتهن
يخدمن في آلات البغاة ويناولن الحجار والطين وغير ذلك مثل الرجال وهن مشوهات الوجوه
(وأما) الاواسط والاعالي فبعضهن صرن يلبسن مثل نساء الافرنج ناصوا غير انهن اذا
خرجن في الطريق يرقن يلبسن رداء من حرير ويثقبن بصفيق من الحرير أو القطن على
أنوفهن فادونهن في الحقيقة وجههن كله مكشوف واذا ركن في الله لات تكون
طواقها مفتوحة غير انهن يسدلن ستاراتها نحو النصف من الطاقة والبعض الآخر
الذي لم يزل على العادة القديمة فيلبسن على القميص قرمصة مزر كشة بالفضة وعليها
عمامة رقيقة وعلى رؤوسهن نحو طاسة من ذهب أو فضة أو نسج رقيق وكل ثيابهن يصل
الى الكعب واذا خرجن التحفن في رداء ثخين وعلى وجوههن نقاب ثخين ويجهان على
الانف شيئا مثل الاصبع ممسوكا في النقاب ليمنع من النقاب عن العين والانف للنظر
والتنفيس والنساء هن صولة على الرجال في البيوت

مطلب في الاكل بمصر (أما) الخبز فالعام عنه الجميع هو نوع مستدير في ارتفاع
أصبع قليل النضج قطره أزيد من شبر ويوجد بقية أنواع الخبز الافرنجي (وأما) الاطعمة
فلهنا أنواع عديدة والغالب في الاسواق نوع من الفول مطبوخ في الماء وعليه شيء من
السمن وكذلك نوع من السمك مقعد دد عفن الرائحة وسائر طعامهم فيه الا دام بكثرة
وادامهم السمن (وأما) الزيت فلا استعمال له الا في السلاطة وزيتهم ردي لانه محبوب من
اكريد والشام وكل لا يحسنون عصر الزيتون والحسن عندهم هو المحبوب من ايطاليا
ولا يستعمل الا فيما ذكرناه كما انهم لا يأكلون من النعم الا الغنم ولحم البقر لا يأكله الا
الفقراء وهو معيب كما انه في نفسه ردي والافرنج يأكلونه والفقراء يأكلون الجساموس
والابل وفي القرى والعرب والسودان يكثر أكل الابل وكذلك الذرة والدخن أي الدرع
أما هيئة الاكل فهي على نحو الأنواع التي ذكرناها في تونس (وأما) وقته فهم يأكلون
مرتين غالبا احدهما صباحا بعد الشروق ويخرجون الى أشغالهم ثم يعودون الى ديارهم
قرب الغروب فينعمون

مطلب في المواكب (أما) المواكب الرسمية فهي في العيد دين أي الفطر والاضحى
فحجاس الخديو في ايوان كبير بقصره بعد الاعلان من قبل بوقت المعايمة ويكون
لأنسالباسه المزر كش الرسمي متقلدا بنياش دينه فيدخل عليه رجال دولته
والعلماء الاعيان واحدا اثر الاخر مسلمين عليه بتقبيل ذيله ويقف هؤلاء كبراء

ثم ينصرفون ويكثرون تزاور الناس فيما بينهم (وأما) الأعـ راس والمختار فيحتفلون لها بزيينة الدار ويدعون طباطخين معدين لذلك فيأتي الطباخ بسائر أدوات الطعام والموائد والمناديل والخـ دمة ويطلع كفاية كل المدعوين الذين يبعين لهم الوقت للدعوة من بعد الظهر إلى قرب الغروب ومعهما حضرات ثمان أو أزيد أدخلوا إلى بيت كبير وتقدم لهم مائدة على قدرهم فيها أنواع شتى من الطعام المطبوخ والمخلو ويكثرون من الأصناف إلى نحو العشرين لونا والمترفون يزيدون إلى نحو الأربعين لونا وهكذا الكل جماعة بحيث يأكلون أكل شبع ولا يوضع أناء يظهر عليه أنه به أثر أكل سابق وعادة تكثير الطعام موجودة حتى للضيوف بل حتى في الأكل العادي يوميا بحيث أن أواسط الناس لا يكون في مائدتهم أقل من ستة ألوان فطورا وعشاءا ولهم عادة التطوف بالبخـ تون على نحو ما ذكرنا في تونس بل ويزيدون بالتطوف به إلى الشوارع والمنائر موقودة والمغمون رافعة ون أصواتهم بالشعر والمدائح وكذلك الأعراس يطوفون بالعروسة ومعهما الموكب والطبول والمزامير تعزف ولهم أيام لبعض المنسبين للصالحين يخرجون فيها تلامذتهم بالألبسة الرفيعة والأعلام والمباخر وغيرها وينبطح بعض الناس على الأرض في الطريق ويأتي شيخهم راكبا فرسه ويمر فوق أولئك الملقون ولا يضرهم بوطئ أرجل فرسه يدعون ذلك كرامة وأعظم المواقب يوم خروج ركب الحاج وكسوة الكعبة فيحضره الخـ ديوى والعساكر وخلائق لا تحصى وتحمل الكسوة في محمل على جل مزين وبخاذهم الخـ ديوى وكبار الدولة بل قد فعل ذلك أمراء الإنجليز مع الخـ ديوى بغاية التوقير والمدافع تطلق إلى أن يخرج الركب عن البلاد وينزل هناك حتى يجتمع المسافرون ويتوجه بر إلى الحجاز ويحمل ذلك الركب أيضا أموالا عديدة لمرتبات وعوائد لاهل الحرمين مع صدقات ومحصول وقف الحرمين ومن الموكب مولد السيد البدوي في بلاد طنطا ويعقد فيها سوق عظيم تأوى إليه التجار من سائر أطراف القطر المصري ولهم حكايات في كراماته رضى الله عنه في نفاق السباع لكل قادم غير أن ذلك السوق يشمل من منكرات الزنى ما يستعجب ذكره وشهرته (وأما) الجنائز عندهم ففيها من عادات الجاهلية أمر فظيع جدا وذلك أنه إذا مات الميت تأتى المناشحات الصابحات وتبقى تنوح أسابيع ليلاتها راجعا إلى أهل الحارة بحيث أني سمعت الممكث بدار صديقي في الاسكندرية يموت جاره ولم أسـ تطع النوم ليلته لانه سارا وأقبح من ذلك أن المناشحات والنسوة يخرجن مع الجنائز في الطريق إلى أن تدفن ويرجعن هكذا

نابحات

نابحات والفريق أن ذلك يقع ولو في محلات العلماء مع انه منكر شرعا وفيه وعيد شديد وكذلك إنكاره عقلا وعادة ولهم اتباع السنة عند دفن الميت فيطلب قائل الشهادة فيه من الحاضرين فيشهدون فيه بالخبر عملا بحديث من أنيتم عليه شرا وجبت له النار ومن أنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة أو كما قال صلى الله عليه وسلم

﴿مطاب في اللغة بمصر﴾ اللغة هي العربية ولو في السودان غير أن بعض جهاته لهم لغات أخرى بربرية لكن اللغة العربية حرفة هناك كبراسوا في تغيير الحروف أو في ذات الكلمات فان الجيم لا يكادون ينطقون به وكذلك الذال يـ مدلون أيا إلى غير ذلك وإذا سألك أحد عماتريد قال (تعوزايه) وأشبهه ذلك بل أن ذلك جرى حتى عند بعض أصحاب الصحف فيكتبون كلمة مختلطة بين أصل العربية والاعتقادية مع أن الأصل في الكتابة هو الرجوع إلى حقيقة العربية وهو الجارية عند العلماء والكتاب نعم أن الكتاب الرسميين صاروا يستعملون بعض الفساظ اصطلاحية أو فراساوية وكذلك نفس اصطلاح الكتابة كد بعضهم أن يخرجوه عن الاصطلاح والاسلوب العربي غير أن هذا ليس بعام بل المهرة تسهر الألباب بلاغتـم في الصحف وغيرها من المكتبات ومع ما ذكرنا من صعوبة النطق عندهم ببعض الحروف تجددهم أنقن خالق الله أداء لقراءة القرآن وتجويد له ولهم فحولة فيه تخشع لها القلوب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

﴿مطاب في الاحصائيات بمصر﴾

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي مصر

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٥ عدد أهالي دارفور

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٦ عدد أهالي النوبة وزيان وغيرها

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦

٠١١٠٠ طول سكك الحديد أميال

١١٤٧٢ طول أسلاك التلغراف أميال

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٠ قيمة التجارة الداخلة فرتك

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٣٦٠ المخرجة

٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٤٣ دخل الحكومة فرنكا وكان دخلها في ولاية سيدينا عمرو بن

العاص من خصوص الدخل الشرعي مائة وثمانين مائونا فرنكا خصص منها الثلث

لتكبير الترع والزراعة حتى أوصل ترعة تسير فيها السفن من القسماط إلى مراسي الحجاز

٠٠٠ ز ٠٠٠ ر ٢١٦ خرجها
 ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٢٠٠٠ الدين الذي عاها الفامليون فرنكا
 ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٦٢ فائضه
 ٠٠٠ ر ٦٠٠ ر ١٧٠٠ نراج الدولة العثمانية
 ٠٠٠ ر ١٨٠ ر ٠٠٠ عدد العساكر وقت السلم
 ٠١٣ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ عدد السفن ليس منها مدرعة وهذا عدا بواخر البريد والنهر

ال باب ال س اب ع ف ي ال ح ج ج ا ز

في الفصل الاول في سفرى اليه

بعد ان اقامت في السويس بعض ايام منتظرا السفر باخرة الى جدة وجدت عدة بواخر اجنبية ومصرية فاثرت المصرية وكان رثيمها مسطوا وسائر متوظفها ايضا مسلمون ولا يركب احد الا بعد اخذ اذن مرسوم على ورقة جواز من محافظ البلدة ويؤدى على ذلك اداء نسبت قدره واطفه فحوسبعة فرنكات وعند ركوبى في الباخرة وجدت الازدحام من الركاب والمشيعين فوق الحدا فالتمت ان اضم الى اقباعى ورحلى الى السمة قرار الحمال في السفر وجاسنا في حجرى بالطبقة الاولى لان بيتها صغيرة ليس بها الا جرتان احدها ما سكنها احد المصريين بعياله والاخرى سكنتها انا ورايت من ازدحام الركاب وتراكمهم على بعضهم مع الوسخ وسوء الحالة وعدم احترامهم للطبقة الاولى وكثرة السكان على سطحها من النساء والرجال بحيث لا يجد الانسان محلا فيجاء برتاح به ما سفت منه على الركوب هناك ولمكنى تسليت بما رايت من انشراح جميع الركاب وعدم اكترائهم بما هم فيه من المشقة والكدر كما تسليت برفقة الحمال منى محل البنتوة اجد ظافرا الخيب النسب وبحسن اخلاق رئيس الباخرة والركاب على السطح من الطبقة الاولى وهم من اعيان قري المصريين وعربانها وبعضهم له اطلاع على مسائل الفقه وكان ايضا راجا معانا نظروا بواخر البوسطة الخديوية في الحجاز وهو محمدموسى لطفي رتبته العسكرية بين باشى وهو كامل الاخلاق والمعارف وله مشاركة حسنة في العقائد والفقه والعربية مع محافظته على شعائر الدين من الصلاة وغيرها وله اطلاع كامل على احوال فن البحر لانه كان رئيسا للباخرة التى نحن بها المسماة بالزقازيق ورايته يشير على رئيسها بعدة أمور وهو يفتاد اليه وله اطلاع ايضا على الجغرافية والعلوم الرياضية وبعض الاسن مع

تفطن

تفطن الاحوال السياسية فانتفى رفقته مع بقية الركاب وكثيرا ما يقضى الوقت في مداعبات مع بعض العربان الموسومين بالشح وكنت اجد الباخرة كأنها بلاد اسلامى باقامة الاذان في الاوقات كلها والصلاة جماعة في عدة جهات لكن الكثير لم يصل ولا يستطيع الصلاة سيما عند اضطراب البحروان كان لم يقع منه شئ شديد لكن حصل في الباخرة تفنن الراححة سيما في اليوم الاخير لان اكثر الركاب لا يغسل يديه من الطعام مع كثرة اداها فضلا من غير ذلك حتى كانت بيت الطبقة الاولى عتقة لازدحام خدمة سكانها وكثرة اكهم المؤدموعدم توقيرهم الوسخ لكنهم يقضون اغلب الاوقات بالنسالة الحسنة او انشاد الشعر وقد وجدوا عند تفقدهم الركاب وراقركوبهم ان احدهم ركب في الازدحام بدون اداء الكراه وهو فقير واجتأهت اصحابه عن الاداء عليه فسمجن في سجن الباخرة وبعد عدة ساعات انتدب احد اصحاب الخير الى ان دطار فيقال ذلك المسجون خيرا واذنه بالتطوف على جميع الركاب البالغين ستمائة شخص واعلامهم بحالة رفيقه وطلب اعانتهم له في اجر الركوب فحصل له مقدر ذلك وزيادة وعنده حضور المسال احضر المسجون واطلقه نائب البوسطة محمد لطفي المشار اليه مجانا ودفعت له الدراهم والدنانير المجتمعة له ليصنعين بها في حجه ورايت من بعض الاغنياء الشح المطاع في هاته الواقعة ومن بعضهم الاقتصاد ومن بعضهم الكرم ولما بلغنا سمعت رايخ اعلم الرئيس الحاج بذلك ليحرموا فاعقوا لحووا وحرما بنزع ثيابهم والله اعلم بكيفية غسائهم وادائهم فرض الاحرام لان حالة الضيق والوسخ فوق ما قد ران اعب عنه ولا يعلم مقدار ذلك التعب الا من شاهده واضف الى ذلك ان الباخرة لا تعطى الاكل ولولا حساب الطبقة الاولى فلزم كلا ان يطبخ لنفسه واغلب الركاب كان معهم زادهم مما يصبر من الطعام من لحم وغبره وكنت اخذت زادنا من السويس لمحاور دجاجا وخبزنا وغيره فكان باماخى بطبخ لي ولان معى في طبخ الباخرة وفي ذلك من المشقة ان لم يعتد البحر ما لا يخفى فكان ذلك من عجيب أمر الباخرة مع انها بر يديه وذلك خلاف معهود صفتها ولما سألت نائب البوسطة عن سبب ذلك قال ان الركاب الى جهات البحر الاجر لا يوجد منهم من يأكل من الباخرة فرايت ان ترتيب ذلك عيبا ولهذا تجد بواخر البريد في البحر لا يبيض على نحو غيرها واما هنا فلا ثم عند غروب اليوم الثالث من ركوبنا اقل سيرا الباخرة واعلمنى الرئيس بذات لانها ان دامت في سيرها نصل الى جدة ليلا ولا يتيسر الدخول اليها لانها في مكان تقابل السير اولى من الوقوف قريبا وبعد شروق اليوم الرابع وصلنا الى جدة فتلقنا ناديل المرسى

وهو اعرابي لا يس قه بمصا اذ رقي وعلى رأسه عمامة جراء راكب قارباً فصعد الى الباخرة وصار يأمر بالسير يميناً وشمالاً لكثرة شعب الحجـ ر المغطاة بالماء حتى دخلنا حوض المدرسى فاذا هو حوض وسبع أمـ بن طيبي بمحاولة من الاجار الخلفية وفيه عدة بواخر اجنبية وباخرة حربية صغيرة للدولة العثمانية وعدة سفن شرعية صغيرة وبعد الارساء وأخذ الاذن في النزول من مأموري الصحة ونزل اغلب الركاب نزلت مع رفقاتي ودفعت على كل واحد منا نحو أربعة فرنكات لاختد ورقة على أن المدفوع انظافة أما كن الحجـ فكان غيرة ورقتي ٧٦ ألف ونيّف من المئات والا حاد ونسيت الا أن تحرير كل الاعداد ولقيت أحدهم طوفى التونسيين وهو جيل الاخلاق على خلاف غيره فادبنا راحنا للتحرق ونصف المأمورون الى أن أخذوا عشرة فرنكات وأقل مكرهم بمن لا يعطيهـ م تركهم لحوائجهم أياما بدعوى كثرة شغلهم فهـ م من أخس المأمورين وأكثرهم سرقة كما علمت ذلك من التجار وغيرهمـ م ثم داني المطوف على دار اكثريت إحدى طبقاتها وأقيمت هناك ثلاثة أيام وجدة بلدة على ساحل البحر هي مرسى الجاز العظيمة للحجاج والتجارة من سائر الجهات وسكانها أغلبهمـ م من العرب والهنود ثم المغاربة والافاقيون حتى الافرنج ولها أسواق رحبية ممتدة وكذا الباد وترش يومياً وتنور لا ينزيت النفط وبها جوامع حسنة وما مشربها يؤتى به من بعد في قرب من مصانع وفسا في وهو أوها حار جداً ردى لان أرضها مسجحة وبها بعض ديار جميلة المنظر لنواب الدول وبعض التجار وأغاب المماني الكبيرة للكرام فيها ملك الاشرف وبعدان أتممت فيها الوازم السفر من الفرش والبسط وأحرمت منها حيث كنت قاصدا لها لما ربي في فيها غير اني لم أنزع ثيابي وفديت عن لبسها بدم اكثريت جالالي ولا صحابي فركبت الهودج الذي اشتريته من هناك وهو مثل مهدين من عيبدان مشدود في بعض ما على نصفين كل نصف طوله نحو ذراعين وعرضه ذراع أسفله الذي هو محل الجلوس حصير من عزف النخل مشدود في تلك العيبدان وفي زواياه الاربع عيبدان صاعدة نحو ذراعين ونصف ثم تقوس الى أن تتصل ببعضها فيحصل منها شكل أربعة أقواس متقابلة ويشبك على نحو الـ ربع الاسفل منها شكل من حبال جيدة من الخلقاء لتحمي اراكب من السقوط وذلك في جهة واحدة وهي جهة الجنب المقابل لظهور الجمل ثم يوصل كل من النصفين بصاحبه في تألف من ذلك مهيدان متلاصقان مع بعضهما البعض متينين ولاكل منهما أربعة أرجل تـ تندبها على الارض اذ يركب الجمل ثم يوضع على الجميع من فوق

زربية

زربية أو كليم أو منسوج قطني على حسب ارادة صاحبه ويدلى ذلك مع الجنبين الخارجين ويخاط على تلك الاعواد ثم يجعل من فوق جلد بقر أو جـ ل ويخاط أيضا ليمنع نزول المطران وقع ثم يفرش كل من الشقين بزربية على عدة طبقات ومعها الخاف محشوقنا ثم يوضع عليه سـ نة أو ثمانية وسادات محشوة قطناً أيضاً من جهاته الاربع ويشق بالقطع في الغطاء الشامل من الجهة الخارجة نحو طاقة لها ستارة عن ذاتها ترفع وتنزل وتمسك بخيوط ويربط في قوائم الاقواس عدة جيوب من سعف النخل لوضع انا الماء وغيره مما خاف من ضروريات المسافر وزاده بحيث يصير كل من القسمين فراشا مريحاً يسطجع به الراكب ويكرن أمامه وخلفه مفتوحاً وجنبه الذي من جهة رفيقه مفتوحاً أيضاً وجنبه الاخر به طاقة ان أراد فتحها والا اغلقها ثم يوضع الجميع على الجمل ويربط به ربطاً محكم ويوضع سلم من خشب رقيق في مقدم الهودج المسمى بالشقوف ليصعد منه الراكب الى شقه ويمسك الجمل الشق الاخر الى ان يصعد اليه صاحبه أيضاً وبعد لان في الثقل ويسـ ير بهما الجمل ويلزم ان يكون جـ الامونساً بذلك وكان ركوبه بـ صلاة العصر خارج البلد ومع كون ذلك المركب متوسط الراحة وجدت في نفسي تعباً من سير الجمل المهين حتى حصل لي نوع من الدوار لكن اذا تأنس به الانسان يومين ينزل عنه ذلك ويصير مرتاحاً سوى الفرق بين قوة الجمل وسـ ير فان الضعيف والغير المؤنس يتعب شبه التعب الزائد وكان عديلي أحـ بدأ تباعى وبقيتهم كبروا على جمال الرجال وبعدان سمرنا عشتما وليلنا واصباحنا ولم ننزل سوى الصلاة في أوقاتها وصلنا عند الضحى قرية تسمى حدة في صحراء مفرقة بها بعض عيون عذبة عابهاشي من النخل وعلى الطريق قهاري من أعواد الخطب والحصير كثيرة العدد أكثرها غارغ لمن يريد النزول فنزلنا بها واكثرت اثنـ ين منها ففرش لنا بها حصر وأتى لنا بماء فاكلنا من زادنا وأطعمنا الجبالين والقهوجي واسـ ترحنا الى بعد الظهر فركبنا ووصلنا مكة المشرفة بعد نصف الليل ولم نرف في الطريق الا أفراداً ويكثر المشي لا سيماء على الحبر لان كثير منهمـ م من يركب من حدة الى مكة على الحبر هي سيارة فيصلون في نحو تسع ساعات الى إحدى عشرة ساعة لكن ذلك وان كان فيه قلة الحصة لكنه متعب فلذلك آثرت الجمل وعند الوصول الى خارج مكة المشرفة سألت هل يوجد حمام هناك فاجبت بانه لا يوجد الا الماء البارد ولم نستطع الاغتسال به فلذلك اكتفيت بالوضـ و ثم تلقانا المطوف وطابت منه ان يكتبني باعلامي بالامكان والاعلام بالمشاعر كأن يقول لي هذا

باب السلام والكعبة مقابلة اليك أو عن يمينك إلى غير ذلك حيث كنت علمت
أنهم يزدنون وينقصون ويدعون ويأتون بما لم يرد به الشرع وكنت استصعبت
عدة كتب في الفقه وفي خصوص المناسك وأخذت منها ما يسره الله لفهمي غيراني
وجدت في بعضها رسالة في المناسك للملاء إلى قارى فلم أنظر إليها لأن صاحبها له
عجرفة في حق أبوي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون له على أدنى ممة
وأغنا الله عنه بتأليف علماء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم المحبين في آله
الكرام والمعلمين لجنايته العظيم عليه وعلى آله أكن الصلاة والتسليم فاقبلت إلى باب
السلام وأديت هناك ما ينبغي ونظرت إلى الكعبة المشرفة ولله الحمد ثم دخلت المسجد
الحرام وطفعت بالبيت الكريم ووقفت بالمحجر الاسود وسعيت بين الصف والمروة وأديت
ما استطعت مما ينبغي في ذلك القدوم المبارك ثم توجهت إلى المطوف إلى دار وكيل تونس
حيث كان ساكن فيه كل من الاخبار الثقات السيد أحمد والسيد اسماعيل والسيد محمد
أبناء زروق القادمون من تونس قبلي فاجاءوا وأقامت بقية تلك الليلة عندهم وصلينا
الصبح في المسجد الحرام ثم أخذت منزلاً أقمت فيه ولم يرد صاحبها أخذ كراه عليه
وابتدأت رؤيتي أسوأ أخلاق بعض الأهالي مما كان ينبغي لهم التحاشي عنه عفا الله
عنا وعنهم وبعد أن أقمت بضعة أيام تشرفت فيها بالدخول إلى داخل البيت العظيم بمحاسن
أخلاق الفضل الشدي وذلك لئلا يكون معنا إلا أفراد قليلون بحيث تيسر لنا التمتع
بتلك البقعة العظيمة والتبرك بما احتوت عليه من المشاعر وكذلك تشرفت بالمثول بين
يدي المولى الشريف العظيم صاحب الأخلاق الحسان والتواضع مع ما هو عليه من رفعة
الشأن المقدس الشهيد سيدنا حسين أمير مكة قدس ثراه وهو رجه الله حسن الأخلاق
متواضع عفيف جدير بمنصبه السامي ولا يقينا بعضاً من أعيان البلاد كالنحرير البارع
أحمد المشايخ وغيره وما آن وقت التوجه إلى منى ابتداء المطوف ووكيل تونس في تهويل أمر
الذهاب إليها وإلى عرفات وأكبر في ذلك ما شاء احتي ظففت انهما سافرة سفر وإن الحرب
ناثرة في الطريق فوجهت رحلي على الجبال واكثرت أجراً رة لركوبي وركوب من
معي مدة أيام الحج وبينهم نحن سائرون والطريق في غاية الراحة والامن والعمران وإذا
نحن بقرية سألت عنها فقبل لي هي منى فبقيت متجهباً من قول أولئك المرشدين اذ لم تكن
تبعد عن مكة إلا أربعة أميال ولا كني عرفت السبب في عماهم فحجوا وزال الله عن الجميع
وأقامت ليلة بمنى ثم توجهت إلى مكة اليوم الثامن إلى عرفات لوقوع الشك في ثبوت الشهر

وأقمت

وأقمت فيه إلى ليلة العاشر من الشهر وبعد الوقوف وأخذ حصصاً من الليل أفضلها من
من عرفات بعد أن أدنا ما سأل الله قبوله وكان موقفاً تشعمر منه الجلود من خشية الله
لا لتجاء عباده إليه حسب ما أمرهم وكانت الأرض توج بالخلائق ضارعين لبارئهم جل
وعلا تغمبل الله من الجميع وعنده الأفاضلة اتفقت مع الحجار ومع الرفقاء على التأخر
عن الازدحام وأخذ الطريق الأقل ازدحاماً وكان دليلنا مضمر أخلاف ذلك لأنهم لم انما
يرون من شدة أثر الحج الظواهر وهم عن حقائق المشروعات غافلون فيرغبون في الامكام
والزحام والخصام لنبي لهم وقائع يتحدثون بها سئتم فلما افضنا كانوا يسرعون السير
ومن عادة جبرهم أن لا ينقادوا إلى ركبهم بل إلى سائقه فقط ولوا نقطع اللجام من فيه
فأدخلونا كرهاً في وسط الزحام ولم يبق منا واحد يدسمع صوت صاحبهم لثوران عجز
الصياح والزعاء والنهيق فمن حاد يحدو ومن داع يدعو ومن مصرخ ينادي رفيقه ومن
صاحبة مستجيرة بالمارة من سقوطها ومن آنيث من كسره بسقوطه ومن بك متذكر
هول المطاع ومن يعير يرغول سقوط حمله وحجار ينق لروية أتان وأناس ملقاة وآخرون
يجرون وآخرون يزدحجون وآخرون واقفون الظلام مرخ سدوله والناس لا يذكر بعضهم
بعضاً بل طالب النجاة لنفسه فرايت أنموذجاً لهول يوم الفرع الأكبر وما أيقنت بالنجاة
لنفسى حتى دهمني بعض شقاء في الجمال فاسقطني عن حماري وخرجت من بين أرجل
الحيوانات متطلماً بالنجاة ذات اليمين حتى يسر الله لي الخروج عن الطريق بالصعود
إلى محجر مرتفع فجلست هناك حامداً الله على النجاة وبعد هنيهة لحقني بعض أصحابي
وجاءني الدليل حائماً على الذهاب والاتيكن في خطر من البدو فقلت له يا أيها الرجل
إن الله حرم في هذا الوطن الجسد والولكن ما عليك من الانذار فقد أدبته وأنا في نفسي
أفعل أخف الضررين لأن البدو لا يفعلون أكثر من القتل وهو الذي تدعوني إليه لأن
أفعله بنفسي على أنهم يقتلونه باخذ السلب ودونه الدفاع ما استطعت ووراء هذا كله
أنه لا وجود لشيء مما تمول به وهؤلاء الخلائق في الطريق وعند آخرهم أتوجه فدعني
ونفسي فذهب مغاضباً وبقيت أنظر في عجائب الخلق من المحالة التي بيننا وبينهم إلى
أن خف الماشي فرافقت آخرهم حتى وصلنا إلى المزدلفة ولم أجدر حلي فجلست في قهوة
حتى مر بي أحد أصحاب رحلي فانتقلت إليه وجعنا بين المغرب والعشاء ثم بعد أداء
مناسك المزدلفة توجهنا إلى منى وخيمت في مرتفع من الأرض في أطراف نزل الحاج
مع أهالي جاوة ورجعت إلى مكة وأديت بقية المناسك وفككت الاحرام ثم رجعت

الى منى الى تمام أيامها وكان في اليوم الاول عند رمي الجمار من الزحام ما وصفنا به من
حتى مات عدة أناس وانكسر عدة وانما ذكرت هذا تنبيه الاخوان حتى يحترزوا من ذلك
ولا يغتروا بأقوال الادلاء لان لهم مقاصد وأطوارا غير محجوبة ثم اتهمنا مناسك منى ورجعنا
الى مكة واكثرنا في بيتنا في المحصب خارج مكة تطالبا للصحة الهوائية وبرودته لان المرض
اشتد على من أحرمت بهجرة وأديت مناسكهم اتم خيمت قرب الركب الشامي الى أن تميات
القافلة التي أكثرنا بها الجمال للتوجه للمدينة المنورة فسافرننا اليوم التاسع عشر من
الشهر واشترينا حمارا للارتياح عليه فأفادني جدا لاني كنت أركبه بعد الظهر فزسير
ومعي أحد رفقا في الذين صار منهم بعض التونسيين الى أن وصل الى أول القافلة الحاوية
عدة مئات من الابل والمسافرين فنأتى الى جهة مستظلة قرب الطريق ونجاس على
زريتين ونستريح ونترضا ونصلي في نحو ساعة أو ساعة الاربعاء في آخر القافلة فنركب
الحمار ونفعل كذلك مرتين أو ثلاثا الى أن نصلي المغرب ويشهد الظلام فنركب الجمل وكان
سفرنا على الطريق الفرعي بعد ضمانه مشايخ أصحاب الابل لا مبرمكة في أمن من معهم
وكان كراه الجمل الذي عليه الهودج ثلاثة وعشرين ريالا ودورواى مائة وخمسة عشر فرنكا
من مكة الى المدينة ومنها الى ينبع وبقية جمال الرحل والاتباع لكل جمل خمسة
وسبعون فرنكا وكثيرا من رجال بدو يامن موالى الجمالة شجاعا قويا لتقود الجمل الذي
نركبه والاعانة على بقية اللوازم فرأيت منه خيرا لكنه لم يوف بوعده فانه تخلف عنى
في المدينة المنورة ولم يصل الى ينبع فرحلتنا من مكة اليوم الاول بعد الظهر وسرنا يومنا في
طريق طيب ونزلنا بعد العشاء ثم رحلنا قبل الشروق وصعدنا في جبل وعرجا وبعدها ان
سرنا فيه نحو خمس ساعات سرنا في طريق بسيط الى المدينة المنورة ولولا ذلك الجمل لكانت
البعثات تستطيع السير بسهولة في الطريق وكان سيرا الجمال لا يزيد عن ثلاثة أميال في
الساعة حسبما حركته اذ ذلك وهو سير مهين متعب وتقوم المرحلة من اثنتى عشرة ساعة
الى ستة عشرة ساعة واحدة منها ادمت اثنتين وعشرين ساعة بحيث جعلوا مرحلتين في
واحدة لكي يستريحوا ويوما بدون رحيل في بلادهم وهي الجديدة ولا ينزلون الا قرب ماء وفي
الليلة الثانية عشر وصلنا المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام فدخلناها
عند الفجر وتلقانا المعرف التونسي الخ - برحلة الالة والمعرف هناك يسمى مزورا ونزلنا
عند القاضل النحرير صاحب الاندلاق الحيدرة والصفات السديدة البليغ الكامل
عبد الجليل برادة جازاه الله خيرا وكثر من أمثاله في الامم وبعده اداء الاكساب والسنن

أسعدني

أسعدني الله بالوقوف بين يدي نور العالم وسيد الخلائق ومجا الألام وفصل الله على خاقه
ورجته للعالمين سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يباله من حظ نفسه بديه
بالمهج وباله من فضل تبدي من كرم الله وبلج وخطيت بالسلام عليه وعلى صاحبيه عليه
الصلاة والسلام وعلى آله الكرام وأصحابه الاعلام وفي اليوم الثالث انشدت بين يديه
عليه الصلاة والسلام قصيدتي التي مطلعها

الى السدة العظمى شددت عزائي * الى سدة الاجلال شمس المكارم
وبثت اليه عليه الصلاة والسلام شكواى في دنياى وأخراى ونلت قضاءه أغلب
مطالبي ولله المنة والحمد منها ما قضى في حينه ومنها ما تم قضاؤه بعد مدة قليلة وأنا أرجو كرم
الله في قضاء باقيها بوسيلة رسوله عليه الصلاة والسلام وزرت آل البيت عليهم السلام وكثيرا
من الاصحاب والائمة الاعلام والمشاهد المباركة ثم قفنا مع القافلة وتوجهنا الى ينبع
ورفعنا ما أبقيناه من رحالنا في بلد الجديدة ووصلنا ينبع في الليلة الرابعة قرب الفجر
فأردت النزول في خيامي فمعت لاجل ان أكثرى دار الاخ حاكم البلدة واكثرها الى بخمسة
وثلاثين فرنكا في الليلة وهي أربع بيوت خربة اثنتان فوق اثنتين والدرج خربة وليس
بها ولا حصير فأقمت بها ثلاثة أيام وكان في المرسى ثلاث أو أربع بوخرب تنظر اذ دام
الحاج فحالت باخرة غمساوية قافلة من الهند وموت على جمدة ثم ينبع فاكثرنا بها
قاصدا لاستانة

الفصل * الثاني

✽

✽ في صفة البلد المسمى الكرمين وموكب الحج ✽

✽ مطالب صفة مكة المكرمة ✽ أما مكة المشرفة فهي واقعة في عرض ٢١ درجة و ٣٠
دقيقة شمالا وطول ٣٧ درجة و ٣٦ دقيقة شرقي واسمها مكة وبكة وأم القرى وأول
من سكنها سيدنا ابراهيم عليه السلام بوالدة ولده سيدنا اسماعيل عليه السلام فكان
سيدنا اسماعيل أبا للعرب ورفع هو وأبوه قواعد البيت العتيق فكان مقصدا لاهم الخيفية
وهذا البيت الكريم هو في وسط المسجد الحرام وزواياه الاربع مقابلة للجهات
الاربعة أعني الجنوب والشمال والغرب والشرق وأخبرته له الى الآن هو بيناه
السلطان سليم الثاني على نحو الاصل الذي كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم لم لان
سيدنا عبد الله بن الزبير بناءه على قواعد ابراهيم عليه السلام وأدخل فيه الحجر ثم هدمه

عبد الملك وأعادته على هيئته زمن الرسالة فلما استخاف أبو جعفر المنصور أراد أن
يعيده على ما بناه ابن الزبير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنهما الولا
قومك حديثي وعهد بكفر البنية الكعبة على قواعد إبراهيم فلما زال المانع وحدوثه
الايمن ترجع عوده الى الاصل واستشار الخليفة الامام مالك بن أنس رضي الله عنه فقال
له ما معناه يا أمير المؤمنين لا تجعل بيت الله ملعبا بأيدي الملوك فان الذي رأيته وان
كان صوابا لكان إيقاؤه على حالته احتراماً لشأنه أولى فبقى على ما هو عليه الآن وأساس
جدران الكعبة مرتفع عن الارض ما بين عشرين صانتي الى ثلاثين وزائد العرض عن
الخطان ما بين عشرين الى أربعين فهو كالدرجة محيط بالجدران وهو المسمى بالشاذروان
والجحر الذي هو من قواعد إبراهيم عليه السلام في جهة البيت الواقعة بين المغرب والشمال
ومحيط به الحطيم الذي هو بناء مستدير نحو نصف دائرة ارتفاعه ميترو وثمانية ميترو
ونصف مغلف بالرغام وينتهي قوس النصف دائرة قبل أن يصل الى جدران الكعبة بنحو
ميتروين وخمسة وثلاثين صانتي والبيت مبنى بصخر كبير وأرضه مرتفعة عن مساواة
المسجد نحو ميتروين وبابه قرب الركن الشرقي مستقبلاً ما بين المشرق والشمال
ويصل اليه بدرج مثل المنبر في المواكب العامة وعند فتحه الخصوصي يؤتى له بسلم صغير
وعتبة الباب من فضة وعواضده من مرمر والباب بدفة واحدة قفله من ذهب وهو
من خشب الساج وداخل البيت ثلاث أسطوانات من القمارى قصر لوحدة أزيد من
شبرين وارتفاعها أزيد من ستة أذرع وعليها مكابس من ذهب والبيت مبط بقطع
كبيرة من المرمر وكذلك محيطانه وسقفه من الساج وفي ركنه المشرق من خارج ما بين
المشرق والجنوب في ارتفاع قامته الحجر الأسود وهو حجر محفوف الجوانب بصفايح من
فضة أسود لامع أثرت فيه أيدي اللامسين حتى صار في بعض جهاته انخفاض وصار
ذا شكل مقعر مثل اناء الشرب واصله قطعة واحدة ثم تشقق من ضرب المنجنيق عند
ما حوصر ابن الزبير رضي الله عنه فجعل له صندوق من الفضة وبه فوهة يظهر منها
الحجر قطرها سبعة وعشرون صانتي ميترو أى نحو شبر وثلاث وفي سطح البيت ما بين
الشمال والغرب ميزاب الدرجة من ذهب يصب في الحجر والبيت طوله مما بين المشرق
والشمال أزيد مما بين المغرب والجنوب فطوله اثنا عشر ميترو وعرضه عشرة أمتار
وعشرة صانتي عد الشاذروان وارتفاعه خمسة عشر ميترو ويكسى كل عام بكسوة من
الديباج الأسود يؤتى بها من مصر وعليها خزام مزر كن بالفضة مكتوب به آيات

كرامة

كرامة وكذلك نفس الكسوة فيها كتابات جديدة بالقلم الثلثي من نفس المنسج وقبالة
باب الكعبة على نحو اثني عشر ميتر ومقام إبراهيم عليه السلام وفيه بيت مربع داخله
آيات بينات من تأثير القدمين في الصخرة ووراءه بانحراف الى الجنوب الشرقي ببرز من
وعليه قبة وحوله أحواض وعليه بكرات من النحاس ثم صحن المسجد متسع جداً طوله مشرقاً
ومغرباً مائة وثمانين وتسعون ميتر وعرضه مائة وثمانين وثلاثون ميتر والرواقات
مرفوعة أقواسها على أسطوانات من حجر وسقفها قباب من بناء رقيق وسط الصحن على بعد
نحو اثني عشر ميتر ومن الحطيم أسطوانات من حديد أو نحاس ذاهبة في الهواء موصولة
ببعضها بسلاسل من نحاس يعاق بها منائر ومصابيح وهي دائرة بالبيت علامة على حدود
المطاف وعلى سمت الركن الشمالي على بعد كفة لجوس المؤذنين والمسمعين وخلف المطاف
وقبالة جهة البيت التي بها الميزاب يقيم امام الصلاة من مذهب الحنفي وله محراب وهو أول
مصل في الاوقات كلها ماعد الفجر فاذا أقيمت الصلاة وتقدم الامام الحنفي رأيت المسجد
الحرام كله على غاية من الهدوء ولم أر شيئاً لم يدخله البدعة أبداً الا الصلاة في ذلك الوقت
ماعد ان يسمع المسمع فهو زيادة على بدعة تغنيه يزيد أن يضع المؤذن أسمع به في أذنيه وهو
في الصلاة وماء داهذا فانك ترى آداب الاسلام حقيقة وامثال الخاق أمر خالقهم فيقع
من الخشوع ما لا يعلمه الا الله سيما في صلاة الجمعة ولله الحكمة البالغة في وسع المسجد
كل من يدخله وتري الخلق مع ذلك الازدحام على غاية من التؤدة وامثال أمر الشرع بحيث
لا تسمع الا همسا من تسبيحهم وتكبيرهم في الركوع والسجود فاذا سلم الامام الحنفي
عادت الحركة لما كانت عليه ولوعند صلاة كل من أئمة المالكي والشافعي والحنبلي حتى
لا يكاد المؤتمرون يعلم بحركات الامام املأ الفجر فتيقن دم فيها الشافعي عن غيره لان
مذهبه يرى استحباب التكبير لاول كل أحد من الأئمة له جهة من جهات الكعبة يصلي
اليها وقد علمت محل الامام الحنفي وأما الشافعي فخرا به خاف مقام إبراهيم عليه السلام
وأما المالكي فخرا به تجاه الضاع الغربي الجنوبي من الكعبة خلف المطاف بميتروين
وأما الحنبلي فخرا به مواجهة للضاع الجنوبي الشرقي على نحو ذلك البعد أيضاً وباب السلام
من المسجد الحرام تجاه باب الكعبة وباب الوداع في الجهة المقابلة له ووراء الرواقات
عدة مدارس لسكنى المجاورين ويسكن بيوتها الحجاج أيضاً وحول المسجد من أغاب
الجهات طرق وباب السلام يفتح في الطريق الواقع بين الصفا والمروة وهو طريق متسع
حوله ديار ذات عدة طبقات ومنه دار الشيبى وأسفل الديار حوانيت عليها مظلات يباع

بها الماكولات وغيرها وكل من الصفا والمروة محل في نهاية زاوية من الطريق متسع ذو درج عرضة تنتهي الى حائط وبينهما طريق متسع عرضه ما بين عشرة واثني عشر ميتر وطوله نحو أربع مائة وخمسة أمتار وفي وسطه محل الهرولة في السعي تبندى من المدين أي العلمين الأخضرين على بعد خمسة وسبعين ميتر ومن الصفا عند باب البغلة من الحرم وتنهي الى العلمين الآخرين بعد مسافة نحو سبعين ميتر وعند باب على وكل من العلمين بقائه مثله في الحائط المقابل وفي مكة المشرفة أسواق كثيرة يباع بها سائر الاقطار وكثيرها سلع الهند كما أن التجار أكثرهم من أهل الهند والأسواق مسقوفة بالواح وفيها قهاوى كما أن أطراف البلاد عند مداخيلها فيها قهاوى على نحو الخصوص ويجلس فيها على كرسي كبيرة وصغيرة من خشب الحطب وعزف النخل وخارج البلاد على طريق عرفات مقبرة المعلى ثم بعض بساتين لافراد من الاشراف رضى الله عنهم ويبيتون لبعض من الاعراب وغيرهم وفي جبل أبي قبيس المطل على المسجد الحرام مسجد صغير يروى بعض ديار زواية للشيخ السنوسى وشرب جميع الاهالى من عين زيدة التي أوصلتها امرأة الخليفة هارون الرشيدى من قرب عرفات الى مكة فسميت بها وعلى مجراها في الطريق والبلاد عدة منافذ على منها السقاؤون وغيرهم ويحصل من كثير من الناس تقذيرها بما يلقون فيها من الاوساخ كما توجد آبار أخرى عميقة جهة الزاهر وغيرها يوتى بالماء منها ويفرقه السقاؤون على الديار فيوضه في جوار ثم تلامنه دوارق وتوضع في طواق أو غيرها مما يمر عليه الهواء البارد فيبرد الماء لكن من عادتهم فيه أنهم يخجلون الدوارق بعود يسمي عود القفل وهو الكثير وتارة بالمصطكى فيحصل طعم في الماء غير شهي والقفل أسود وهو يروى حصة نوا وتقسيم مكة الى سبعة عشرة حارة وقيل ان عدد سكانها مائة وسبعون ألفا

مطلب في صفة المدينة المنورة * واسمها المدينة طيبة وطابة ويثر بواقعة في فسيح من الارض المرتفعة في عرض ٢٥ درجة و ٢٠ دقيقة شمالى وطول ٣٧ شرقى وغربا يها على نحو أربع مائة أميال جبل أحد وعليها سور حصين وحصون ذات مدافع وخزائن للذخائر الحربية والحرم الشريف النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام في جهتها الشمالية الغربية وقد جدد الحرم الشريف والمسجد السلطان عبد المجيد فكان المسجد وحده مائة وخمسة وخمسين ذراعا طولاً أى من الجنوب الى الشمال وعرضه مشرقاً مغرباً من جهة الجنوب مائة وخمسة عشر ذراعاً ومن جهة الشمال ثمانية وعشرون ذراعاً

ذراعاً وهو تلك المسافة أيضاً من المسجد الذى هو جهة الشمال ومحيط به رواقات وكله من بناء ضخيم مرفوعة قبابه على أقواس قائمة على اسطوانات من المرمر الاحمر المأخوذ من مقاطع حجازية قرب المدينة وكذلك مواضع الابواب وصحن المسجد تحيط به رواقات وماعدادها مكشوف وليس بين المسجد والصحن ابواب وباب السلام من غربي المسجد قرب حائط القبلة والمحراب في نحو ثمانى عرض المسجد أعني أنه أقرب الى الشرق حتى يكون قبالة المحراب النبوى الاصلى لان المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قد زيد فيه مراراً أولها في خلافة سيده ناعم ورضي الله عنه حين ازدادت كثرة المسلمين وآخرها الى الآن ما زاده السلطان عبد المجيد رحمه الله وكل من زاد فيه تحرى مواقف النبي عليه الصلاة والسلام لتبقى محفوظة فإذ ذلك وان زيد في جهة القبلة حتى صار حائطها يبعد عن حرم الحجرة الشريفة نحو ثمانية أذرع مع أن حائط القبلة كان مساوياً لحائط الحجرة لكن بقيت بقعة المحراب الاصلى مع علماء أهلها والمحراب المجيد قبالة أما المنبر فهو وان تغيرت ذاته لكن محله لم يتغير وهو الآن من المرمر المتقن والاصلى من خشب وأما الحجرة الشريفة فالاصليّة عليها بناء ضخيم مستطيل من الغرب الى الشرق وعليه قبة عالية أرفع من سائر قبب المسجد وداخلها القبر الشريف المكرم لصق الحائط القبلى من جهة الغرب ويليه قبر الصديق رضى الله عنه من جهة الشمال متاخراً الى المشرق بحيث أن رأس الصديق رضى الله عنه مسامتة لاسفل من رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذراع وذلك تأدياً من المحاسبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يليه شمالاً أيضاً بفخرف لغرب قبر الفاروق رضى الله تعالى عنه وهاته الحجرة لا يدخلها أحد دوورها حيطانها من خارج شبك من حديدتين متصلة قواعده برصاص مذاب غليظ الحجم مائل للأساس الى عمق عميق حتى اتصل بطبقة الماء في الارض والسبب في وضعه هو انه كان في مدة السلطان نور الدين الشهيد بمصر حدث عظيم بالمدينة وكان أمراً مجازاً ذلك تابعاً لسلطين مصر فرأى السلطان نور الدين رؤياهاته وهى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات في ليلة واحدة وهو يقول له أنجدنى أنقذنى من هذين الرجلين وأشار اليهما فرآهما رجلين أشقرين وتحقق وصفهما وعلم التأكيده من النبي صلى الله عليه وسلم في أمرهما والاسراع به فاستيقظ السلطان رحمه الله مهتماً جداً فأسالى الفجر الا وقد أحضر وزيره وعشرين نفران صناديد فرسانه وأحضروا أموالاً جسيمة وركب جواده في خاصته وفرسانه وما خف من الزاد وقفل الى المدينة المنورة محمداً

السيرة ولم يعلم بما رآه أحد فادفوها في ستة عشر يوما فزار النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر
 بأحضار أهل المدينة بعد ذلك فصار يتصدق عليهم ويتأمل تلك الصفة التي رآها في
 النوم إلى أن انفضت الناس فقال هل بقي أحد قالوا لم يبق سوى رجلين صالحين عفيفين
 مفرين بين يديك أن الصدقة فلما رآهما أذاهما الرجلان اللذان رآهما من قبل فأسأل عن
 منزلتهما فأخبرتهما في رباط خارج المسجد بقربه جهة الحجرة الشريفة فامساكهما ومضى
 إلى المنزل فلم يجد به سوى خيمتين وكتباني في التصوف وما لا كثير وأثنى عليهما الأهل نناء
 كثير أفرغ السلطان حصيرا في البيت فوجد تحتها سر دابا ذاهبا صوب الحجرة الشريفة
 فارتأى الناس لذلك وقال السلطان اصعد قاني وضربهما حتى أقربا منهما انصرانيا
 بعثهما ملك من النصارى في زى الحجاج وأعطاهما بأموال كثيرة للتوصل للذات الشريفة
 ونقلهما فترابا قرب رباط وصار يحفران ليل ولا نهار كل منهما محفظة جادا يحملانها ترابا صبا
 ويذهبان إلى المقبرة فيفرغانها هناك على عدة كرات وهكذا دأبهما منذ مدة فقتلتهما
 عائدا وعمل ذلك الحجاز الرصاص رجه الله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله
 وآله وصحبه ومن والاه ولا يخفى أن الواقعة كانت مدة حرب الصليب فوأي أحد ملوك
 النصارى الحار بين المسلمين ولم يعينه أصحاب التاريخ لعدم اعتنائهم بذلك بمثل ذلك
 حتى أنك تراهم يذكرون الوقائع الحربية في الشام مع النصارى ولا يذكرون من هم حيث
 نصبت اذ ذلك ملوكهم مع البابا وصاروا يدا واحدة على المسلمين ولذلك لم يعين الملك
 المرسل لذي نك الرجلين لاجل مكيدة المسلمين بنقل نبيهم اليهم والتشفي منهم ولا جل
 ابطال مجهزة تعيين محله عليه الصلاة والسلام دون غيره من الانبياء عليهم جميعا الصلاة
 والسلام وفي المدينة المنورة أسواق وصناعات لكل ضروري ومدارس لاسكنى
 المهاجرين وكتب موقوفة في عدة خزائن بكتبات أهمها مكتبة عارف بابي ورأيت بها
 كتابا لم أكن أعرفه وهو الجامع الصغير في النحول ابن هشام مع اشتراكه وطرق المدينة
 غالبها ضيق لا يمر به إلا رجل واحد الا طريق الباب المصري الموصل لباب السلام وقرب
 الباب المصري المناسخة وهاته المناسخة يطعمها وسبعة وحوها مخازن للذخائر ومن
 طادت أهل المدينة انهم لا يركبون داخلها تأديبا مع النبي صلى الله عليه وسلم لم
 الا المذود وإذا لاقى أحدهم غيره خارجها وهو راكب ترجل له عملا بالامر المروي
 وبقية عوائدهم على ما سيأتي في العادات العامة غير أن اخلاقهم رضى الله عنهم أحسن
 أخلاق أهل الأرض فيما سمعت من ابن الجانب وصفاء القلب ومواساة القريب

والبعيد والكرم ولو كان بهم خصاصة وحرية النفس والشهامة والشجاعة فهم أهل
 لذلك الجوار كما ورد وصف مدحهم في القرآن العظيم ومن وفد عليهم لم تخلق بخلافهم
 لأن أصل الانصار لم يبق منهم هناك الا عائلة واحدة وبقية السكان كلهم من الوافدين
 فيما بعد الا السادة الاشراف حقاقهم من أبناء سيد الوجود وابن عمه سيدنا علي رضي
 الله عنه وأما بقية المهاجرين فلم يبق من نسلهم هناك أحد منهم سوى واحد من نقيب
 في ضريح سيدنا خزيمة هو من بني العباس رضى الله عنهم أجمعين
 * مطلب في صفة موكب الحج * لما كان الحج فرضا على كل مستطيع له من المسلمين
 فهم يهرعون اليه من كل فج عميق فيجتمع المسلمون من جميع قبائل الأرض من مشارقها
 ومغاربها وقد كان في الزمن السابق يأتي أكثرهم برا أما بعد حدوث البواخر فصار
 الاكثر يأتي بحرا بالركوب في البواخر الامن كان من أهالي جزيرة العرب فانهم يأتيون برا
 وكذلك الركاب المصري وان بطل سفره برا عنده طبع هذا المحل وأما عندهم حتى فانه كان
 يأتي برا ومثله في الاتيان برا الركاب الشامي الذي كان يخرج من القسطنطينية ويأتي
 إلى دمشق الشام ويجمع هناك بركب العراق مع حجاج الشام ويسافر الجميع إلى مكة
 وصورة هاته الراكب هو أن يعين السلطان حاكما من رجال دولته على الركاب ويصعبه
 أمين الصرة أي الحامل للأموال المعينة لمصاريف الحرمين ولسائر الموظفين وللأعراب
 الذين لهم عوائد من الدولة وتلك الاموال مأخوذة من دخل أوقاف الحرمين ومن خزنة
 الدولة كل ما يخصه وكذلك يحمل الهدايا والصدقات الخاصة التي يرسلها السلطان
 وأهالي دولته وسكان قصره بحيث يجمع عنده أموال جسيمة وقد سمعت ان الذي ترسله
 الدولة للقيام بعبادته من جميع ما يلزم الحرمين سواء كان من الخزنة أو من الأوقاف
 هو الا أن نحو مليونين ونصف فرنكا عدا الهدايا الخاصة ثم يعين مع هؤلاء قسم من
 أنواع الجيوش فرسان ومدافعية ورجالة وتنصب لهم خيام للرحلة بها ثم ينضم اليهم
 كل من أراد الحج بخيامة وسائر لوازمه كل حسب مستطاعه ويحصي ل يوم خروج الحمل من
 دار الخلافة موكب مشهود ثم يسافر الركاب نهرا أو يقيم لبلا على مراحل معلومة إلى أن
 يصل إلى مكة وكلما مر على بلاد انضم اليه حجاجها وقد بقي الحال الآن على ذلك سوى
 كون السفر من الأستانة إلى مرسى بيروت صار بحرا ثم من بيروت إلى دمشق الشام يسافر
 من غير أجرة ولا انتظام ومن دمشق ترتب له العساكر وغير ذلك ويسافر على نحو ما ذكر
 وعلى نحو منة الركاب المصري وأما القوافل من الجهات البرية فانها تأتي كل قافلة

عليه ما نحو شيخ لارفاقه و يسافرون حسب استطاعتهم فاذا اجتمع الجميع في مكة ولكل
منهم مكان يخصه للاقامة فيه خرجوا اليوم الثامن من ذي الحجة الى منى ومنها الى عرفات
وهم محرمون فيقفون يوم عرفة وبعيد الغروب فيفيضون الى المزدلفة ثم قبل الشروق
يأتون الى منى وذلك يوم العيد ويقيمون ثلاثة ايام لاداء المناسك ويحصل ليلة ثانی
العيد افراح عظيمة من معسكرى الاركاب بالالعب النارية واعمال صور حربية
بالمشاهدة لكي يحصل ارهاب الاعراب من الحركات العسكرية وسرعة سلاحهم وعظم
مدافعهم ثم في صبيحة يوم ثانی العيد يحصل لوكب عظيم في منى لدى فسطاط الشريف
أمير مكة فيحضره الوالى وأمرأه الاركاب ورئيس العساكر بالجهاز وسائر الاعيان من
أهل مكة والنحاج كلهم بالملابس الرسمية ولما يجتنبك الموكب يخرج السيد الامير
الشريف ويقف في الصدد وتقف الناس حوله على حسب مراتبهم ثم يتلى المنشور
السلطاني المؤذن بالنساء على الامير وتقلده الامارة أو باقائه فيها وتحريره على اقامة
الامن والقيام الواجب بحقوق الحرمین والاهالى وهو باللغة التركية ثم يتلى تعرييه ثم
يخضع عليه أمير الركب الشامي الخليفة التي يرس لها أمير المؤمنين الى أمير مكة السيد
الشريف وهي جبة من الجوخ واسعة سوداء مطرزة بالذهب ثم يقبل الجميع بالتهنئة
للسيد الامير ثم يتفرق الناس لتهنئة بعضهم بعضا ثم يسافر كل ركب بهد عودته الى مكة
في يوم معين بهد اداء جميع المناسك وتسليم الاموال لاصحابها والمقيضين بها من الامراء
والرؤساء وكل منهم ام أى الاركاب يعود الى بلده على الطريق الذى قدم منه ويكون كل
ركب كانه باذرا حل يحصل فيه من النزهة والانشراح لذوى اليسار ما ترغب فيه النفوس
هذا ولا يخفى ان مناسك الحج مقررة في كتب الفقه بل وقد خصت بتأليف منفردة
لعلماء كثيرين فلا يمكن لنا الايمان بذكرها لانها خارجة عن الموضوع وانما الذى
يناسب ذكره هنا هو ان الحج من أحد أركان الاسلام الخمس وهى كلمة الشهادة أى أشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وحج
البيت على من استطاع اليه سبيلا وهو فرض مرة في العمر وينبى ذكره كراهة كمالا
استطاع الانسان وقد ذكر العلماء حكمة مشروعية كما ذكرنا الحكمة في مشروعية
جميع الاركان وحاصل ما أشاروا اليه هو كونه شكر الله على ما منحنا به من نعمة العاطة
على الانعام أى الحيوانات وهو عبادة مركبة من أعمال بدنية وأعمال مالية ويمكن ان
يكون مشتملا أيضا على حكمة أخرى مرعية في نظر الشارع وهى أحكام الوصلة بين قبائل

المسلمين وتعرفهم ببعضهم واطلاع كل منهم على حاجات أخيه وعوائده ليعين كل منهم
أخاه في الحضرة والغيبة بما يستطاع حسب ما أمره الشارع بذلك وينتج منه مزيد
المواصلة بين الأمم والشعوب والقبائل من مشارق الارض ومغاربها كما هو الامر
الواجب شرعا في جعل المؤمنين عصابة واحدة وقد مثلهم الشارع بالبنيان يشد بعضهم
بعضا ومثلهم بالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد وجعلهم اخوة
لرحم الدين الواحد الى غير ذلك من النصوص الدالة على التحامهم ووحدةهم مما
لا يمكن ايجاده بدون تعرف ففعل لهم في كل سنة موعدا يجتمعون فيه ليحصل ذلك القصد
وفيما تضمنته مناسك الحج اسماء الى ذلك حتى يحصل على اكمل وجه فانه عين لهم المحل
الذى يجتمعون فيه بصورة لا يحصل معها انكد من بعضهم على بعض في التفضيل كما لو
كان الاجتماع في بلدة قبيلة أو جهة دينية بل جعل ذلك المحل هو خاص وخاص النسبة
للخالق جل وعلا وحده ثم عند ذيارته الذي هو واسطتهم الى خالقهم فلا يحصل من
قصد ذلك المحل أدنى امتياز بغير القلوب ثم انه أوجب عند أول القدوم الى ذلك المحل
الاحرام الذى هو من جملة ما تضمنته ترك لبس الخيط وغيره من سمات الرفاهية التى يحصل
فيها التماسد بحيث يكون الناس كلهم سواء لا فضل للملك على راع ولا لهالم على جاهل
وأوجب على من اضطر الى ترك ذلك أن يزيد في الاحسان والصدقة الجارية لقلوب
الفقراء الذين هم مظنة انكسار القلوب مما يروونه من الرفاهية فيعوض ذلك بزيادة
صاتهم والاحسان اليهم والاحسان يجلب القلوب فتنة دل المحال وكذلك شرع مزيد
النفقات والاحسان على حسب رتبها واسطة المنفق لكي يزيد التوادد ثم قصر ذلك
الاحرام على مدة مخصوصة هى مظنة حصول التعرف واستقرار التوادد بين الافراد فاذا
حصل التوادد وتأكدا بالصلات بعدد زواله لمجرد رؤية أثر النعمة على المنعم عليه ولذلك
أباح اللبس حينئذ وكذلك شد الدنانى والفكر على الجسد الى الجح الموجب
للتباعد الذى هو نقيض المقصود كما شد دمه في ذلك في الفسوق الذى هو موجب
لاستئناس العبد بجمعيته خالقه فيقول أخوه اذا كان هذا الميراث حق الخالق في بلده
الامين فكيف يرعى حق أخوتي بالغيب وكذلك منع التمتع بالنساء لكي لا ينصرف
الفكر هناك الى طاعة الخالق وحده وعن طاعته ما أثرنا اليه من احكام الوصلة
مع اخوانه المؤمنين وهذا الامر وهو كون الحج مشتملا على حكمة الوصلة بين الأمم
قد أشار اليه بعض المتأخرين تبعه البعض المتقدمين في التحريض على مزيد المواصلة

بين الامة وقالوا ان اهل المهلة الواحدة اكد عليهم الشارع زيادتها يلزم في حق الجوار امر اضمنته عبادة الخالق وهو اجتماعهم خمس مرات في اليوم بمسجد محاتمهم للصلاة الخمس فيجتمع الاعلى والادنى في صعيد واحد ببیت الله على سواء فيروا احوال بعضهم ويتأنس البعض ببعض اكنى تأنى كدالوصلة الروحية بالوصلة البدنية ويهل كل بما يحب عليه في حق أخيه ثم اوجب على اهل المصر الواحد الاجتماع العام في يوم من الاسبوع وهو يوم الجمعة ليحصل ما أشير اليه مع جميع اهل المصر ثم زاد لهؤلاء يومين آخرين في كل سنة على حالة مخصوصة من اظهار الترفه لكل واحد بحسب حاله حتى يستدل غيره بميثته على حاله ليعلم مقتضى الحال في انوصلة وذلك يومى العيد وكان وجه تكرير ذلك مرتين احدهما بعد الصيام شهرا المؤثر في الخلق وفي الخلق والثانية في وسط العام على معتاد الناس لزيد التدين فيما يقتضيه الحال للتعرف بالفراصة واكد الشارع في جميع هاته الاجتماعات باجتناى المنفردات و باجتلاب المقربات كالتيابعد من اكل الثوم وكالتطيب والنظافة ثم اوجب على كل فرد الحج مرة في العمر ورغبه فيما زاد على ذلك ليحصل ما أشيرنا اليه في الحج ولا شك ان التيسر للحج لا يحصل لجميع اهل القطر كاهم في عام واحد فيحصل على الاستقرار اجتماع الامم من كل قطر في عام فاذا حصل منهم ما أشيرنا اليه دامت المواصلات بينهم ولا أقر انها تحصل في ذلك الوقت وحده اما اذا عمل بمقتضى التعريف فانها تشد المواصلات بالمراسلات والاسفار والتجارة فضلا عما يجب أحيانا من الفرع من أمة الى اعانة أمة أخرى وانقاذها اذا هجم عليها العدو كما هو معلوم في وجوب القتال وجوب باعني ياعلى كل فرد في ما اذا هجم العدو على قسم من الامة وعجز أو تقاعس عن دفاعه فانه يجب على من جاوره أو بلغ اليه الخبر انقاذه ومنه يسرى الى من وراءه وهكذا حتى يعم الوجوب المشرق والمغرب ولوعلى النساء والاطفال ممن يقدر على الدفاع وما ذالك كله الاتوجه للمؤمنين وحفظ بيضتهم الاسلامية لئلا يكتسبوا الى انرى أن الناس غافلون عن جميع ما ذكرناه ولا يعتبرون تلك الحكمة ولا يلتفتون اليها ولا ينرى الا اهل كل اقليم مقتصرين على مجرد الخلطة مع بعضهم فقط بل ربما لا يتخالطون ولا يتعرفون الا بن عرفت في بلادهم سابقا فضلا عن التخالط مع أهالى الاقاليم الاخرى كأنهم ليسوا منهم ولا هم مكافون بالفاء لهم بحاجاتهم حتى انه ترجع الناس الى أقطارهم من غير شعورهم بشئ من حالة اخوانهم في الاقطار الاخرى كأنهم لا مطالب لهم بشئ وقد كانت رجال الامة على غير هذا وكانوا ملاحظين لما ذكرناه فترى من حج منهم يتعرف بأهالى الارض

الارض وحصل بذلك اشتها ررجال الامة في الاقطار لاسيما العلماء والصالحين فانهم ينتشر ذكركم ويظهر سيطتهم بما يسمع عنهم من الحجاج وان لم يروه في حجهم ومن طالع التواريخ والسير والرحلات علم من ذلك كثيرا فربما فسبحان محول الاحوال وهو الباقي لا رب سواه

الفصل الثالث

في التعريف بالمحجاز

اعلم أن المحجاز قسم من جزيرة العرب ممتد على شاطئ البحر الاحمر وحده الا ان التي تحت تصرف الدولة العثمانية هي انه يحده شمالا الغمير وغربا البحر الاحمر وجنوبا اليمن من قرب صنعاء وشرقا الحماكية وهي تبعد شرقا عن المدينة بمسافة حلتين في حدود نجد وهذا المحجاز اقسام جزيرة العرب الخمس وهي اليمن وهو القسم الجنوبي منها الممتد على شاطئها على المحيط الهندي الى أن يصل الى خليج فارس والمحجاز هو القسم الثاني وهو القسم الغربي منها الممتد على شاطئ البحر الاحمر ويليه شرقا القسم الثالث وهو نجد يتصل شمالا بالشام ويحده غربا بالمحجاز وشرقا بالعراق وجنوبا باليمامة والقسم الرابع تهامة وكان مقره بين الحجاز واليمن ويمتد من البحر الاحمر الى أن يتصل باليمامة على خليج فارس فيحده جنوبا اليمن وشمالا المحجاز ثم نجد وشرقا باليمامة وغربا البحر الاحمر وقد اضطلع هذا القسم في اعتباره السياسي وصار مقسما بين جيرانه والقسم الخامس هو اليمامة وهي يحدها جنوبا اليمن وشمالا العراق وشرقا خليج فارس وغربا نجد وكذلك هذا القسم صار في السياسة تابعا لغيره لنجد فذلك الاقسام هي الاقسام الاصلية بلاد العرب التي كانت معتبرة اقساما أصلية للقارة وان كانت لا فرق بينها من جهة طبيعة الارض غير ان القسم المشهور بحسن الهواء وخصوبة الارض وجودة الحيوانات فهو قسم نجد وطال ذكره في اشعار العرب وامتداحه بينهم وأما بقية الاقسام كلها فما كان منها مرتفعا فهو جيد الهواء وخصب الغلات وما كان منخفضا فهو حار جاف ودب وعلى ذلك النحو ما نحن بصدده وهو المحجاز وقد علمت حدوده الا ان واما حماله فهي كثيرة وان شئت قلت انه كاهم حاله صخرية متشققة سوداء من شدة الحر واس بها جبل بالكافي غير انه في سنة ١٢٥٤ هـ حصل في المدينة لميزة وما حولها زلزال شديد دام ازيد من ثلاثة أيام بلياليها ثم أعقبه خروج بارهاثة من جهة جنوب

المدينة على مرحلة منها من جهة الموضع المعروف (حبس وسيل) وسالت النار في وادي
أحيان كالنهر العظيم فطم جميع ما مرت به وتجهل الصخور ذاتة مائة تجربة تجري كالنهر
العريض العظيم وامتد سائلا إلى قرب المدينة أي إلى أن بلغ حرمها فصرف عنها ذات
الشمس والوقوف وانطفأت النار بعد أن كانت ظهرت أول يوم نهار الجمعة كالقمام الأسود
الذي هم الأفق حتى أظلم الجو وظنوا أن الشمس والقر قد كسفانم لما أظلم الليل ظهر ضوءها
وهل في الجوال أن ربيت من حول بصرى ومن مكة والطائف وكان لهادوى كالعد
ونهرها يغلي بأمواج كالبهر من النار المتلاطمة وتقذف في الهواء الصخور كالجمال والمدن
ونهرها ذوالوان زرق وحرور عبت منها قلوب الناس والتجوا إلى ملاذ الخلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما بلغ سيلها إلى حرم المدينة صرفت وانطفأت ومع عظيم لهيبها وسطوع
ضوئها على الأماكن البعيدة لم يصل من حرها إلى المدينة المنورة شيء وكان النسيم يأتيها
باردا وكان خروج تلك النار إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم التي لا تحصى فقد دروى
البحاري ومسلم في صحيحهما وهما في أول القرن الثالث حديث لا تقوم الساعة حتى
تظهر نار الحجاز وللبحاري تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الأبل بصرى وزواياها
كثيرة حتى كان في أحدها نعيمين محل خروجها وانذار الساكنين به منها فـ كان الأمر كما
قال صلى الله عليه وسلم وبقية جبال الحجاز كثيرة منها المشهور كاحد وأبي قبيس وعرفات
وهو ليس بمرتفع ومن أحسن جبالها هواء الطائف فانه في شدة الصيف يكون معتدل
الهواء وهو مصيف أعيان مكة وجدة وأما أنهر الحجاز فليس به نهر مستديم وانما تسيل
الأنهر به عند نزول المطر حتى ان أحدها يأتي من جبال الطائف ويمر على المدينة المنورة
على صاحبها أكل الصلاة والسلام ثم يذهب مغربا إلى البحر وأما البحريات فليس بالحجاز
بحيرة وأما العيون فهنا عيون عظيمة عذبة أحدها العين الزرقاء التي تسقى المدينة
وهي تابعة من قباه تحت الأرض في عمق عدة أذرع وتذهب إلى المدينة تحت الأرض
وعلى بعدة من أقدام الماء وفيها الكفاية لجميع البلد وما حولها وانما سميت الزرقاء
نسبة لمجاذبه امرؤ بن الحكم أزرق العينين أجراها بأمر معاوية رضي الله عنه ومنها
عين زبيدة التي تسقى بها مكة وهي آتية من قرب عرفات تحت الأرض مثل السابقة وقد
أجرها زبيدة زوج الرشيد العباسي وقد عمرت الآن عمارة حسنة صارت بها في غاية
الانتظام ومنها عين بلاد الصفراء وهي أيضا تحت الأرض لكنها ليست بمنخفضة بل انها
تبعد عن سطح الأرض نحو ذراعين وبها ماء غزير صاف عذب حار يشرب فاذا حـ ل في

الاولى برد وهي تغور بعد البلد في الأرض ولا ينفع منها الا بشيء يسير للشرب وسقى
بعض بساتين ومنها عين بلاد الجديدة مع أن كلاً منها يصلح لسقى غاية عظيمة مع حسن
الماء وجوده فقد شاهدت عين الصفراء قد أناخت حولها قافلاتنا المحتوية على أزيد
من ستمائة نسمة وهرع إلى العين جميعهم لغسل ابدانهم وثيابهم بل ولغسل الكراش الغنم
التي ذبحت يومها في القافلة ومع تراكم تلك الاوساخ كنت أرى الحصاة كالفضة في مجرى
العين والماء ينز يدعقه عن ذراعين وأما هواء الحجاز فهو على الجملة حار لما كان عرضه
من خط الاستواء ولا شك أن الأودية بين الجبال تزيد من بخلاف المرتفع ولذلك يخفف
الحال فمع كون مكة المشرفة شديدة الحرارة حتى اني كنت بها في دجته لم أردت صلاة
العشاء في الحرم لم استطع الجلوس على الأرض بدون بساط في وقت العشاء لما أثرت
الشمس في الأرض فان الطائف لا يمكن فيه في الصيف الا التمدد في الليل بالغطاء الثخين
وقد شاهدت من أمر السرا ب شيئا عجيبا فاني لما كنت مسافرا من مكة إلى المدينة
سمعت من أصحاب القافلة انهم يقولون ان الماء هنا ليس بجود ولا بد من الميت على الماء
وكان الوقت بعد العصر فرأيت على قرب من الطريق غدران كثيرة فسألت الجبال هل
هنا سبخة أم ان المطر صبت قبل مرورنا فقال كل ذلك لم يقع فقلت من أين هذه الغدران
حينئذ فقال ليس هنا غدران وانما ذلك سراب فلم نطمئن لقوله وأرسلت أحد أتباعي
بأبناء ليملاء من ذلك الماء الذي أريته له فشاهدوه وذهب اليه فلما بلغه صاح لي قائلاً
ليس هنا شيء فضحك مني الجبال وما ذاك الا للنعوذ فاني لم أعهد السراب على ذلك النحو
وذلك بحر القطر وتأثر الهواء بذلك وأما نباتاته فنبت بالحجاز جميع النبات الذي يكون
بالأقاليم الحارة ووراء جبل أحد من الشق المقابل للمدينة غابة كبرى بها عيون ضعيفة
وأشجار كثيرة صالحة للبناء بأخشابها وكثير الأشجار المستنبت النخيل على أنواع شتى
وبقية الشجر ذوالغلال يغرس منه الليمون بكثرة والبردقان والعنب والرمان وهو جيد
للغاية لاسيما رمان الطائف والنين كما يستنبت بعض البقول مثل الباميا والطماطم وقليل
من بقية المستنبتات ومن تأمل الحكمة في حياية أشجار الحرم المكي والمدني من القطع
علم قصدا شارعا إلى استكثار الشجر هناك لما يعود من مصلحته على الأمة فانه يجلب
السحب ويكثر المطر ويحسن الهواء ويشرح النفوس ويبقي الناس من الشمس
ويلطف الحر ويوقد بغواضل ما يقطع منه للتحسين ومن شاهد تلك البقاع علم شدة
الاحتياج إلى الاستظلال من الشمس ولم حكمة تحريم الشجر حول البلد من المكرمين

الذين تلزمهم عمارتهم وتمرع الناس اليهم من كل فج عميق وقد أشار الى حكمة تحسين الحرم بالشجر وحرمة قطعه بعض العلماء ومنهم من السجود في خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال قال الطحاوي يحتمل أن يكون سبب النهي عن صيد المدينة وقطع شجرها كون الحجرة كانت اليها وكان بقاء ذلك مما يزيد في رؤيتها ويدعو اليها كما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينهي عن هدم أطام المدينة فانها من زينة فلما انقطعت الحجرة زال ذلك المح وقوله انقطعت الحجرة أى بقوله صلى الله عليه وسلم لا حجرة بعد الفتح وكلامه تعليل لمذهب الحنفية في عدم تحريم المدينة وأما الأئمة الثلاثة فهم على تحريمها مثل مكة وأدلتهم قوية والحاصل أن مرادنا هو أن تسكن الشجر في البلاد لاسيما البلاد الحارة مما يرغب فيه وقد صرح الفقهاء في كتاب السير بالنهي عن قطع شجر دار الحرب بلا حاجة اليه فكيف بغيرها فضلا عن دار خير الخلق عليه الصلاة والسلام القائل بتحريمها وتحريم ما حولها أكثر الأئمة رضي الله عنهم مع الفائدة الظاهرة من ذلك (وأما) حيوانات المجاز في وجده الحيوانات الانيسة المألوفة كلها لاسيما الخيل العربية التي يضرب بها المثل في الدنيا وترغب فيها جميع الأهم واعلاها الخيل النجدية وكذلك الابل الجيدة لاسيما النجيبات السريعة مثل ما ذكرنا بصروا حسن منها كما تو جد البغال بقله والحبر بكثرة وحيوانات البرية كلها موجودة الا القليل كالذئب والذئب (وأما) الاسد والتمر فوجوده بكثرة وكفى بما ذكره بشر في قصيدته التي شطرها الشيخ قباد والتونسي بعد ان زاد عليها ما طالعنا بياننا لحالة اسود أرض العرب وتلك القصيدة لما كانت بديعة أثبتتها مع تشطيرها القنطر براءة المشطر الذي صار كأنه بدوي فتح مع كونه حضر يا بحث وهي

(أفأطم لو شهدت بطن خبت) * لهانت عندك الاخبار خيرا
ولو أشرفت في جنح عليه * (وقد لاقى الهزبرا خاك بشرا)
(إذا رأيت ليثا أم ليثا) * وكل منهما بأخيه مغرى
يرى كل على ثقة أخاه * (هزبرا أغلبا لاقى هزبرا)
(تهنس اذا تقاعس عنه مهري) * وأقبل نحوه أذنيه ذعرا
فكاد يريه فيخال منى * (محاذرة فقلت عقرت مهرا)
(أنزل قدمي ظهر الأرض اني) * أرى قدمي للاقدا م أخرى
ولست من زحى شيئا ولا يكن * (رأيت الأرض أثبت منك ظهرا)

(وقات)

(وقات له وقد أبدى نصالا) * باهرة فاغر يهررن صرا
وسوسا ذات الحماظ تانطى * (محددة ووجهها مكفهرا)
(يكفه كف غيلة إحدى يديه) * بكلى القوس ينزع مسبطرا
ولا يثنى براثن منه الا * (ويبسط للوثوب على أخرى)
(نصحتك فالتمس باليثة غيري) * فلي بقيا عليك وأنت أدري
ومهرى قائل لك لا تخافى * (طعما ان لمحي كان مرا)
(ألم يبعثك ما فعلته كفى) * الست ترى بها الاظفار حرا
ألم نك طامع الشلاء فتكى * (بكاطمة غداة قتلت عمرا)
(فلما خال ان النصح غش) * وغرته الجرة فاستغرا
ونجى على التهور في نزال * (وخالفنى كاتى قات هجرا)
(مشى ومشيت من أسدين راما) * مساورة فلاقى البحر بحرا
ورجا الأرض اذ بغيا عليها * (مراما كان اذ طلباه وعرا)
(سالت له الحسام فقلت أنى) * اسالت من الحجرة فيه نهرا
ولم أمش الضراء له لاني * (شقتت به لدى الظلماء ففرا)
(وأطلقت المهند من يميني) * فاوثقه لغير المن أسرا
بابريق هفا هفو ان برق * (فقدله من الاضلاع عشرا)
(نخر مضر جاد بدم كأتى) * بهجته أفضت عليه سيرا
وكدت لهول وجعته أرانى * (هدمت به بناء مشعرا)
(بضربة فيصل تركته شفعا) * وشقاه لقي بطننا وظهرا
وشبكما اثنتى منها مثنى * (لدى وقبلها قد كان وترا)
(وقات له يعز على اني) * أراك مع فراشة طرا فشطرا
واستحي المروءة أن ترانى * (قتلت مناسي جادا وقهرا)
(وايكن رمت أمرا لم يرمه) * أبى لا يبيع النفس خسرا
ولم يك سامنى بالنصح خسفا * (سوالك فلم أطق باليثة صبرا)
(تحاول أن تعلمنى فرارا) * فهل علمت نفسك أن تفرا
وتنفض مذرويك لفعل عزمي * (أهرايك قد حاولت نكرا)
(أثبت تروم للاشمال قوتا) * طالت به الدماء ورعت سفرا

ولاكنى أقيدها وأحى * (وأطاب لابنة البكري مهرا)
 (فلا تبعه دفقة دلاقت حرا) * يرى وية قرآن أباقت عذرا
 وعن كرم برزت الى كريم * (يحاذر أن يعاب فت حرا)
 ولا أسف على عمر تقضى * أفادك منه حسن الذ كرمرا

وأما معادن الحجاز فإنه يوجد به المرمر الرفيع ويوجد قريبا من المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام حجر البور المشابه للالماس ويوجد أيضا الذهب وكان مستخرجا ثم دثر ولا يبعد وجود الفهم الحجري وكذلك غيره من المعادن المحتاجة للبحث عنها * وأما مدن الحجاز فاصل قاعدته وقاعدته عموم الاسلام هي المدينة المنورة وكانت مدة إقامة الخلافة بها اتسعت وكبرت وكذلك بعد ذلك في العصور الاولى من الاسلام وان حدث فيها الخراب الكلي والجللاء العام مدة يزيد ثم دون ذلك مدة القرامطة ثم تراجع عمراتها الى النمو ثم عادت الى ما هي عليه الا أن مما ذكرناه في صفتها وقاعدة الحكومة الحجازية الا أن هي مكة المشرفة وقد مر ذكر صفتها ومن اعتبر ما جرى عليه الحال في ظهور الاسلام يرى ان عناية الله بالمدينة عظيمة وقد جعلها مظهرا للدين القويم وانتصار الرسول الامين عليه الصلاة والسلام وكانت مكة تابعة في الحكم للمدينة حتى بعد فتح مكة وقد خالج الانصار عند الفتح انتقال النبي صلى الله عليه وسلم الى بلده الاصل فاعلمهم بان لا يفارقهم واستقر هو ومن بعده من الخلفاء الراشدين بالمدينة الى خلافة سيدنا علي فكان صدرها بالمدينة وآخرها بالاكوفة ومع ذلك فقاعدة حكم الحجاز هي المدينة وذلك هو الموافق لمخالفة السياسة لتوغل المدينة من القارة واذا كان الحاكم في مكان تمهدت سائر السبل اليه وعلى تقدير حدوث بعض العوائق في الطرق يزال عن عمل وتنفيذ الاحكام في الاطراف لاستقرار القوة في الوسط وايست مكة المشرفة على ذلك الخط وقد تغير الحال مرارا مدة الاسلام في قاعدة الحكم بالحجاز فكان الامر على ما ذكرناه من كون المدينة هي القاعدة ثم انفردت مكة بمحكمها وبقيت المدينة مستقلة ثم صارت الاحوال تتقلب فتارة تكون مكة تابعة وتارة مستقلة وتارة يستقل كل منهما بمحكم ولو بعد استقرار الدولة العثمانية والذي عليه العمل الا أن هو أن مكة هي القاعدة وللمدينة كما يرجع في امره الى حكومة مكة وأما بقية المدن بالحجاز فليست بموجوده وانما الموجود عبارة عن قرى مثل الطائف وهي أكبرها والصفر والجديدة وحده ورايح وخيبر وقد غلط كثير من الجغرافيين حتى من المسلمين في ذكرهم لسكان هاته البلدة وكونهم

وكونهم يورد اغترار بما كان في أصلهم وغاية عما وقع في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه من جلاء جميع الاديان الا الاسلام عن جزيرة العرب مستندا لانصر من الشارع في كونه لا يجتمع بهاديان ومن ذلك التمايز لم يبق بها الا المسلمون وسكانها الا أن من ضدها القبائل مساون وهم تبع لحكم المدينة بصورة وفي الحقيقة تحت حكم محمد بن رشيد النجدي أكبر حكام قبائل نجد بل هو الحاكم على جميع أواسط قارة جزيرة العرب وهو على مذهب الوهابي وله نفوذ تام وحكم عادل ذوهيبة وسطوة بحيث أن ردة عنه يهدد حامياها تؤمنه في جميع الانحاء من أواسط القارة ويحاسب في محاسن حكمه ويحضر القاضي ومعه أحد العلماء بصفة المفتي ويقف حوله أصحاب الخيل من أعوانه ليساهم في المحصومات فاذا دخل المشتكى التي دعواه على القاضي ويجيب عنه بما يظهر له ويحكم القاضي بما يراه فيدشيرا لأمير ذلك العالم الحاضر هل ان حكم القاضي موافق لشرع أم لا فان وافقه فيها والاتباعا وما يرضى عليه ينفذه الأمير حلالا وأما النوازل المتعلقة بالادارة وحفظ الامن فيحكم فيها بما يجتهد به مراعي فيها الانصاف والعدل بما لا يخرجها عن السياسة الشرعية مع الصرامة التامة في التنفيذ حتى انه قيل انه أتاه يوما رجل وهو في محاسن الحكم وأخبره بأنه وجد عددا لا بعير ما في الطريق وهو مملوء بالومل ولا يعلم صاحبه فأخبره به لكي يبلغه محله فوالله الا سير من أين علمت أنه رمل فقال له اني مسسته فقال له كيف مسسته وبأى يد فقال له مسسته بيدي هاتيه وأشار بأحدى يديه فلما كان من الامم يرا الا أن جرس سيفه وقطعها وقال له ما كان ينبغي لك أن تسه حتى تعلم ما فيه وأى فائدة لك في ذلك لو لا نيت الخيانة اذ لو وجدته شيئا ثمتا لما كنت أخبرته عنه ومن علم حالات القوم وطبائعهم في هاته الا زمان يرى أن ذلك الحكم الصارم مطابق لما يقتضيه الحال اذ لم تأمن ولا يند ولم تستقر بها الراحة والهناء الا بمثل ذلك الحكم واذا مراعاة بأمر ولم ينفذ ذلك ولا تحمله قبياته على تنفيذه فانه يصدر في الحال أو امره الى القبائل التي يمر عليها الى جهة المأمور بحضور فرسانهم في وقت معين ثم يركب هو وفرسان جيشه وما مر بقبيلة من المأمورين المشبار اليهم الا انضموا اليه الى أن ينظم جيشه فيحصل الى المأمور وقبيلته وبأخذهم أخذ رابية ويملك أرزاقهم ثم ان كان معه من المعسكر وعمل ذلك نفذ أمره وعلاصيته وخضعت القبائل اليه مع كونه جوادا وفيها بالهدد على الهمة على شحنة كرام العرب وهاته البلدان المار ذكرها أغابها به حصن أو بقربه حصن لا قامة العساكر للحماطة على الامن غيران أغلب الحصون صار خرابا



للاهمال وليس به حامية - وأما مراسى الحجاز فأعظمها مرسى جدة ثم ينبع والبحر
وهاته هي أقرب المراسى الى المدينة المنورة بحيث يصلها البريد في يوم وتبلغها القوافل
في ثلاثة ثم بقية المراسى على قلتها ليس لها أهمية غير ان الموجد منها كاهى مراسى
أمنية لاس - فن لما خلقها الله عليه - من احاطة الصخور العظيمة حول الخوض الذي
ترسى به السفن بحيث يصح أن يقال ان الذين انتخبوا تلك البقاع بها بائنا لمراسى
هم من حذاق أهل التدبير واتساع المعارف بالصناعة البحرية فقد شاهدت كلا من
مرسى جدة وينبع وخوض كلتيهما يسع مئين من السفن الضخام في أمن تام ولو عند
تلاطم الاوج التي كالجبال وأغلب الخريتين لا يدخلونها الا بدليل من بحرية أهالي
تلك المراسى وقد شاهدت الخريطة البحرية التي في الباشرة المصرية التي سافرت فيها
الى جدة معلما بها على جميع الحجارة المستورة بالبحر حوالى شاطئ البحر الاخر مع بيان
حجمها او مركزها وهي من صنع الانكليزيين فسألتهم هل لهم خريطة مصرية أو عثمانية
فأجابوا بأن تلك الخريطة هي المعمول عليها عند جميع الأمم ولولا العثمانيين الذين يعدوا البحر
الاخر بحيرة في ممالكهم من جميع جهاته فحجبت وانذهلت من خرم قوم واهمال آخريين
وهي احدى علامات تأخرنا اذ صرنا لا نعلم بلادنا وشواطئها الا بتعريف الجانب لنا بها
وسبحان الفعال لما يريد - وأما سكان الحجاز فهم كلهم عرب من ذل العرب الا قدمين
الاسكان البادين المكرمين فأغلبهم من الوافدين من جميع الاقطار واكثرهم بمكة من
الهنود وأما في المدينة فأكثرهم من المغاربة وعدد جميع السكان في الحجاز يقرب
من نحو مليونين فالذين يعمررون الارض ما بين مكة والمدينة هم قبيلة مزينة وتعرف
بالاحامدة ومنها فخذ يعرف بقبيلة حرب وهم التجار ومنهم البغاة الذين يكثرون قطع الطرق
بين البلدين المكرمين وهاته القبيلة وهي مزينة المعروفة بالاحامدة تنقسم الى قسمين
كبيرين أولهما يسمى المسروح وهم سكان البرارى من مكة الى الصفراء وثانيها يعرف
ببني سالم ومنهم فخذ حرب وهم سكان بقية الجهات ودبابة الجميع هي الاسلام على مذاهب
شتى أغلبهم أهل سنة على المذهب الحنفي والشافعي وانتشروا فيهم - ثم التيم الدينية بكثرة
زوايا الشيخ السنوسي المنتشرة في جميع جهاتهم وقدموا الكلام على مذهبهم عند الكلام
على جزيرة العرب في المقدمة وعلى حوادث تونس في فصل سفرى الى فرانس كما يوجد
المذهب الوهابي بقله وان كثر في جهات نجد الخارجة عن حكم الحجاز وأما تقاسيم الاهالى
بالنظر للحكم فان كل قبيلة لها مشايخ منها ويرجع الجميع الى أمير مكة السيد الشريف

ثم الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس أوله فصل في تاريخ الحجاز *

بحمد من أسبغ نعمة على العباد والصلاة والسلام على بدر الهدى وعلى آله بنجوم
الرشاد قد تم طبع الجزء الرابع من صفوة الاعتبار على يد مطبعة مصطفى
محمد قشيشة المفتقر الى رحمة الكريم الغفار مصححا كما يرام حاويا
من الفوائد ما يتم به المرام وذلك بالمطبعة الاعلامية التي
هي عن التعريف غنية ووافق طبعه يوم الاثنين
المبارك وهو التاسع من شهر جمادى الاخرى
الذى هو من شهر سنة ثلاث وثلاث
مائة وألف من هجرة من خلق
على أكل وصف وصلى
الله على سيدنا محمد
وعلى آله
وصحبه
وسلم



- ٢ الباب الخامس في قطر الجزائر
٣ الفصل الاول في سفر المؤلف اليه
٣ نزوله الى البرودخوله بلاد عنابه
٣ كيفية حماماته وما اشتملت عليه
٤ الجامع الذي صلى به المؤلف وذكره مسئلة المسح على الخفين
٤ أحسن ما في البلاد وهو سوق الخضر
٥ قصده الى تونس في سنة ١٢٩٥ من سفره الى فرانس
٥ مروره في الاباب على مدينة الجزائر
٥ هيئة الجوامع والحصون بهاته البلدة
٥ سفره الى عنابه ومروره بباداس وغيرها
٦ الفصل الثاني في التعريف بالجزائر وأهلها وجملة جغرافيتها وحيواناتها ونباتاتها وغير ذلك
٧ الفصل الثالث في اجمال تاريخ الجزائر ومطلب تاريخها القديم
٨ مطلب في تاريخ الجزائر الجديد
٨ سبب اسقلاء الفرائس عليها
٨ انتصار حسين باشا الرعية في الاحماح على قفسل فرانس
٩ رضاء فرانس ابان يكاف الباشا أي انسان كان في باريس يطالب الترضية
١٠ مبدأ اسقلاء فرانس على الجزائر
١٠ اجماع الجهات الغربية والجنوبية على مبايعة صيدى الحاج عبد القادر بن محي الدين الحسيني
١٠ اتحاد سلطان المغرب مع الفرائس على محاربة الامبراطور اليه
١١ مطلب في كيفية اجراء السياسة الداخلية في الجزائر
١١ كيفية انتخاب الدولة للحاكم العام من أهل المناصب العالية عن الفرائس
١٣ معاملة الحكام للاهالي وسبب توغل الامبراطور في دواخل الجزائر منفردا

- ١٣ وفاء الاهالي بالعهد عند انكسار الفرائس وتحريرك الدسائس في اهالي الجزائر
١٤ مطلب في السياسة الخارجية للجزائر
١٤ الفصل الرابع في بعض صفات الاهالي وعوائدهم
١٥ حكاية عجيبة وقعت للمؤلف في القابور وهو مسافر الى عنابه
١٥ تغير اخلاق بعض الاهالي
١٦ ذكر المشايخ الاخيار الذين رأهم المؤلف بالجزائر
١٧ مطلب في التجارة بالجزائر
١٧ مطلب في الاحكام بالجزائر
١٨ حكام القبائل وهم القواد والاغوات والقضاة
١٩ مطلب في المعارف بالجزائر
٢٠ مطلب في الصنائع وغيرها بالجزائر
٢١ الباب السادس في انكلا تيرة
٢١ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
٢١ وصوله الى بلاد كلى التي هي مرسى على أضيق خليج بحر المانش
٢١ ذكر بانخرة عجيبة الشكل نزل بها المؤلف
٢٢ ذكر الرتل وسرعة سيره
٢٣ وصوله الى المحطة ومقابله مع أحد أبناء الشام وما أقامه في اندره وسفره منها لبعن بلادها
٢٣ ذكر أبديّة بلاد برين
٢٣ ذكر القصر الذي بناه الملك ويلم الثالث
٢٣ محل معرض أنواع السمك في أحواض من الزجاج
٢٣ ذكر دكة على البحر طولها نحو نصف ميل
٢٤ الفصل الثاني في صفة لندر
٢٥ ذكر بناء آتمها
٢٦ ذكر قصر الزجاج وهو أول معرض عام أحدث في أوروبا وبه عجائب خفية وصناعية

- ٢٦ ذكر الاماكن الشهيرة في لندره وأبنيتها الضخمة وغرائبها التي انفردت بها
 ٢٩ الفصل الثالث في وصف انكلا تيره وجغرافيتها
 ٢٩ بيان أنهرها
 ٣٠ ذكر بحيراتها
 ٣٠ ذكر هوائها
 ٣٠ ذكر نباتاتها
 ٣٠ ذكر معادنها
 ٣٠ ذكر حيواناتها
 ٣١ ذكر مدنها
 ٣١ ذكر مرامي هذه المملكة
 ٣١ ذكر تقاسيم هذه المملكة
 ٣١ بيان عدد أهل هذه المملكة وديانتهم وجنسياتهم وصفاتهم
 ٣٢ ذكر مستعمراتها وتقاسيمها
 ٣٣ الفصل الرابع في اجمال تاريخ انكلا تيره ومطالب تاريخها القديم
 ٣٣ الملكهان والرومان وما وقع بينهم
 ٣٤ تقاسيم الرومانين انكلا تيره لاهلها ورفع جيوشهم عنها
 ٣٤ تقسيم انكلا تيره الى سبع ولايات باسماء أعيانهم
 ٣٥ زوال استقلال الولايات وتلك اغبرت ملك واسكيس لانكلا تيره
 ٣٥ تلك اشليستان حفيد اغبرت وما وقع بينه وبين الدغرك
 ٣٥ ارغرتو وقواته البحرية التي بلغت الى درجة لم تعهد لهم
 ٣٦ مطالب في تاريخ انكلا تيره الجديد ومبدأ أول حرية في أوروبا وأسبابها
 ٣٦ الملك يوحنا وما جرى بينه وبين أعيان أهل المملكة
 ٣٧ تولية يوحنا أدوارد الاول الملقب بذي الساقين
 ٣٧ تولية ابنه ادوارد الثاني وظهور مذهب البريتسمانت الذي نشأ في مدته
 ٣٨ ذكر بقية الملوك التي استولت على انكلا تيره

- ٣٩ تشكيل لجنة الهند وتوليهم الملك اسكوتسيا
 ٤٠ تولية ابنه جسد الملقب بكارلوس الثاني
 ٤١ تولية أخيه جسد وزيادة الارتباك من ايثاره للذهب الكاثوليكي
 ٤١ استدعاء الالهالي أحد أمراء هولانده وتلقيهم له بويلم الثالث
 ٤١ تولية الملكة يوحنا بعده
 ٤١ استدعاء الالهالي لاحد قرابة العائلة وتولية يوحنا جورج الاول
 ٤١ تولية جورج الثاني وما جرى في مدته من الحروب
 ٤١ تولية جورج الثالث واستقلال الدول المتحدة في مدته
 ٤٣ تولية جورج الرابع الذي حصل الغدر في مدته على أسطول الدولة العثمانية من
 أسطول انكلا تيره
 ٤٣ تولية ويلم الرابع بطريق الوراثة وزيادة القانون في أيامه تحدينا
 ٤٤ مطالب في السياسة الداخلية بانكلا تيره وبيان تركيب الساطة فيهم سامن الملك
 والاعيان وعقلاء الامة
 ٤٧ مبحث ادارة الولايات
 ٤٨ كيفية ادارة مدينة لندره
 ٤٨ الاحكام الشخصية وادارتها المخصوصة
 ٤٩ مبحث ادارة مستعمرات الانكليز
 ٥٣ مطالب في السياسة الخارجية للانكليز
 ٥٦ مطالب في بعض عوائد الانكليز وصفاتهم وانقسامهم الى طبقات
 ٥٧ انقياد الالهالي للاحكام
 ٥٧ اختلاف عوائد الالهالي على اختلاف طبقاتهم وغرائب ما انفردوا به في العوائد
 ٥٨ بيان الطبقة السفلى من الالهالي وانها شذيفة جدا
 ٦٠ بيان أخلاق الانكليز على العموم
 ٦١ مطالب في التجارة بانكلا تيره
 ٦٢ مطالب في الاحكام بانكلا تيره
 ٦٣ مطالب في المعارف بانكلا تيره

- ٦٢ بيان ما اختصت به انكلا تيره من وجود جمعية ديانية لشهر مذهبهم البريتاني
٦٣ ذكر المطابع والمعامل للكتابس بانكلا تيره
٦٤ ذكر عدد المكتبات وان أعظمها مكتبة لندرة الكبرى
٦٥ مطالب في الصنائع في انكلا تيره
٦٥ مطالب في هيئة المساكن بها
٦٦ مطالب في اللبس بها
٦٧ مطالب في الاكل بها
٦٨ مطالب في المواكب بها
٦٩ مطالب في اللغة بها
٧٠ مطالب في القرة البحرية والبحرية والسالية والتجارية بها
٧٠ الباب السابع في جزيرة مالطة
٧٠ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
٧٣ الفصل الثاني في التعريف بمالطة وجرافيتها الطبيعية وعدد أهلها ووفياتهم
٧٤ الفصل الثالث في تاريخ مالطة ومطالب تاريخها القديم
٧٥ مطالب في تاريخ مالطة الجديد وسبب استيلاء الانكليز عليها
٧٥ مطالب في سياسة مالطة الداخلية
٧٥ مطالب في السياسة الخارجية بمالطة
٧٦ مطالب في بقية عادات المساطين وأحوالهم
٧٧ الباب الثامن في الاقطار المصرية
٧٧ الفصل الاول في سفر المؤلف اليها
٧٧ محاور لطيف وقعت للمؤلف مع ركاب الباخرة
٧٩ ذكره مرسى الاسكندرية بعد وصوله اليها
٨١ بيان هذه المدينة وما احتوت عليه من الجحائب
٨٢ ذكر المارة الشهيرة بها
٨٢ خزانة الكتب بطلموس الارل وغيرهما من الكتب وابغال دعوى حرق المسلمين
لكتبها

- ٨٢ بيان عدد أهلها ومخالاتها
٨٢ ذكر المسلة الواقعة قرب محطة سكة الحديد وعمود السوارى بمينة البصل
٨٣ الفصل الثاني في صفة مصر القاهرة
٨٣ ذكر أخطاط القاهرة
٨٣ ذكر القلعة التي على شاهق الجبل
٨٣ ذكر الجامع المبني بها رصفاته البهيبة
٨٤ ذكر البئر العميق المسمى بالملزون
٨٤ ذكر طرق المدينة وحواليها
٨٤ ذكر حديقة الاز بكية الانيقة الجميلة
٨٤ ذكر المقام الحسيني
٨٥ ذكر مشهد سيد تناز يذب وبقية أهل البيت
٨٥ ذكر الجامع الازهر وكيفية بنيانه وما فيه من الدروس والتلامذة وغير ذلك
٨٦ ذكر الاهرام التي بخارج القاهرة وما اشتملت عليه من الجحائب
٨٧ ذكر أفاضل مصر الذين زارهم المؤلف
٨٨ ذكر تاريخ قدمهما المؤلف للخديوى محمد توفيق باشا حين زيارته له
٨٨ ذكر اختلاف أهل المشرق والمغرب في حساب التاريخ
٨٩ الفصل الثالث في التعريف بمصر وجرافيتها
٩٠ بيان المعهور من مصر الاصلية
٩٠ ذكر بلاد النوبة الداخلة في ملكة مصر
٩٠ جبال عمالة مصر
٩٠ الانهر التي بها وأولها النيل
٩١ ذكر الترع التي أحدها من النيل
٩١ ذكر غرائب النيل وأنه يفيض في وقت معين
٩٢ أسباب فيضان النيل
٩٢ بقية الانهر في عمالة مصر
٩٣ بحيرات مصر

- ٩٣ ذكرهواه مصر على الهوم
 ٩٣ ذكر نباتاتها مع سودانها وجباله
 ٩٤ ذكر حيواناتها
 ٩٤ ذكر ما رآه المؤلف من مميزات نبيها صلى الله عليه وسلم مما يميزه القاب ايمانها
 ٩٤ ذكر الطيور التي بها
 ٩٥ ذكر معادنها وان فيها أكثر أنواع المعادن
 ٩٥ مدد مدن مصر وقراتها
 ٩٦ ذكر مرامى مصر
 ٩٦ ذكر تعداد أهلها
 ٩٦ ذكر صفات أهلها على الهوم
 ٩٧ الفصل الرابع في اجمال تاريخ مصر وملحقاتها ومطالب تاريخها القديم
 ٩٨ ذكر من ملك مصر من الفراعنة وطبقات طائفتهم
 ٩٩ ذكر فرعون سين وستريس
 ٩٩ ذكر الخلاف في فرعون موسى وبيان فوائد تاريخية وذكر مهمات في غلط المؤلفين
 في اعتمادهم على ما يدعون كنيما مقدسة واثبات التحريف اللفظي فيها عقلا
 وثقلا وان الديانة الاسلامية سالمة من جميع ذلك
 ١٠١ ذكر انشاق القمر وثبوتها بالتواتر والاعتراض على بعض المؤلفين في اثباتهم
 كلياتهم في كتاب من غير نقد
 ١٠٥ ذكر فرعون الذي حارب ملك الشام الذي هو ابن سيدنا سليمان عليه السلام
 ١٠٥ ذكر فرعون سياقون
 ١٠٥ ذكر بابل وانه اراد وصل النيل بالبصرة لاجل
 ١٠٦ ذكر استيلاء بطليموس الاول
 ١٠٦ ذكر بطليموس الثالث وتوليته عليها
 ١٠٦ ذكر الموقس ونص الكتاب الذي بعثه اليه المصطفى عليه الصلاة والسلام
 ١٠٧ ذكر فتح مصر على يد سيدنا عمر بن العاص في خلافة سيدنا عمر
 ١٠٧ ذكر بقية الملحقات السودانية

- ١٠٧ ذكر شطوط النوبة الشرقية
 ١٠٨ ذكر زيلع وغبرها من بقية جهات السودان
 ١٠٩ ذكر جدول حكومات مصر
 ١١٠ مطالب في تاريخ مصر الجديد واستيلاء الفرانسيس عليها
 ١١٠ ذكر ولاية محمد علي باشا والى اهل الذي اجراه بمصر
 ١١١ ذكر نزوله عن الولاية لابنه الا كبر ابراهيم باشا
 ١١١ ذكر تولية عباس باشا ابن طوسون بن محمد علي باشا
 ١١١ ذكر تولية سعيد باشا ابن محمد علي باشا
 ١١١ ذكر تولية اسماعيل باشا ابن ابراهيم باشا واعادته عصر التقدم والمعارف
 ١١٣ ذكر مبدأ المهرج الوطني وزعمه في الكلام عبد الله قديم
 ١١٤ ذكر استيلاء الوزارة لمحمود سامي واستيلاء وزارة الحرب لمرابي
 ١١٥ ذكر حادثة عظيمة وقعت في اسكندرية بين المسلمين والنصارى
 ١١٥ ذكر اطلاق النيران من الاسطول الانكليزي على الاسكندرية
 ١١٦ ذكر استيلاء انكلا تيره على بورت سعيد وسائر خليج السويس
 ١١٦ ذكر دخول العساكر الانكليزية الى القاهرة
 ١١٧ مطالب في السياسة الداخلية المصرية
 ١١٧ ذكر نص فرمان الصادر في ولاية الخديوي محمد توفيق باشا
 ١١٩ ذكر ثورة السودان التي كانت ابتدأت أو خرمدة اسماعيل باشا
 ١٢٠ ذكر قدوم المرخصين العثماني والانسكليزي
 ١٢١ مطالب في السياسة الخارجية
 ١٢٢ مطالب في بعض صفات وعوائد المهرجين
 ١٢٤ مطالب في الاحكام بمصر
 ١٢٤ مطالب في التجارة بمصر
 ١٢٦ مطالب في المعارف بمصر
 ١٢٨ مطالب في هيئة المساكن بها
 ١٣٠ مطالب في اللبس بها

- ١٣١ مطالب في الاكل بها
 ١٣١ مطالب في المواكب بها
 ١٣٣ مطالب في اللغة بها
 ١٣٣ مطالب في الاحصائيات بها
 ١٣٤ الباب التاسع في الحجاز وكتب السابغ غلطا
 ١٣٤ الفصل الاول في سفر المواقف اليه
 ١٤١ الفصل الثاني في صفة البلدين المكرمين ومواكب الحج
 ١٤١ مطالب في صفة مكة المكرمة
 ١٤١ ذكر البيت الحرام والحجر الاسود وسائر المشاعر المباركة
 ١٤٤ مطالب في صفة المدينة المنورة
 ١٤٤ صفة الحرم النبوي ومجزة النبي صلى الله عليه في ايجاد الشباك المحيط بالروضة
 الشريفة
 ١٤٧ مطالب في صفة موكب الحج الى قفول الحجاج الى زيارة النبي عليه وعلى آله الصلاة
 والسلام
 ١٥١ الفصل الثاني في التعريف بالحجاز وجغرافيته وسكانه وحيواناته ونباتاته وغير
 ذلك
 ١٥١ ذكر الجبال وذكر معجزة باهرة من ظهور نار الحجاز التي اُنذرت بها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم
 ١٥٤ ذكر قصيدة بشر التي شطرها الشيخ قباد والتونسي
 ١٥٦ ذكر معادن الحجاز
 ١٥٦ ذكر المدن بالحجاز
 ١٥٨ ذكر مراسي الحجاز
 ١٥٨ بيان سكان الحجاز وجنسهم وغلط البعض في سكان خيبر

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ طبع بالطبعة الاعلامية بمصر سنة ١٣٠٣ ﴾

Süleymaniye Kütüphanası

Kısım

İzmir

